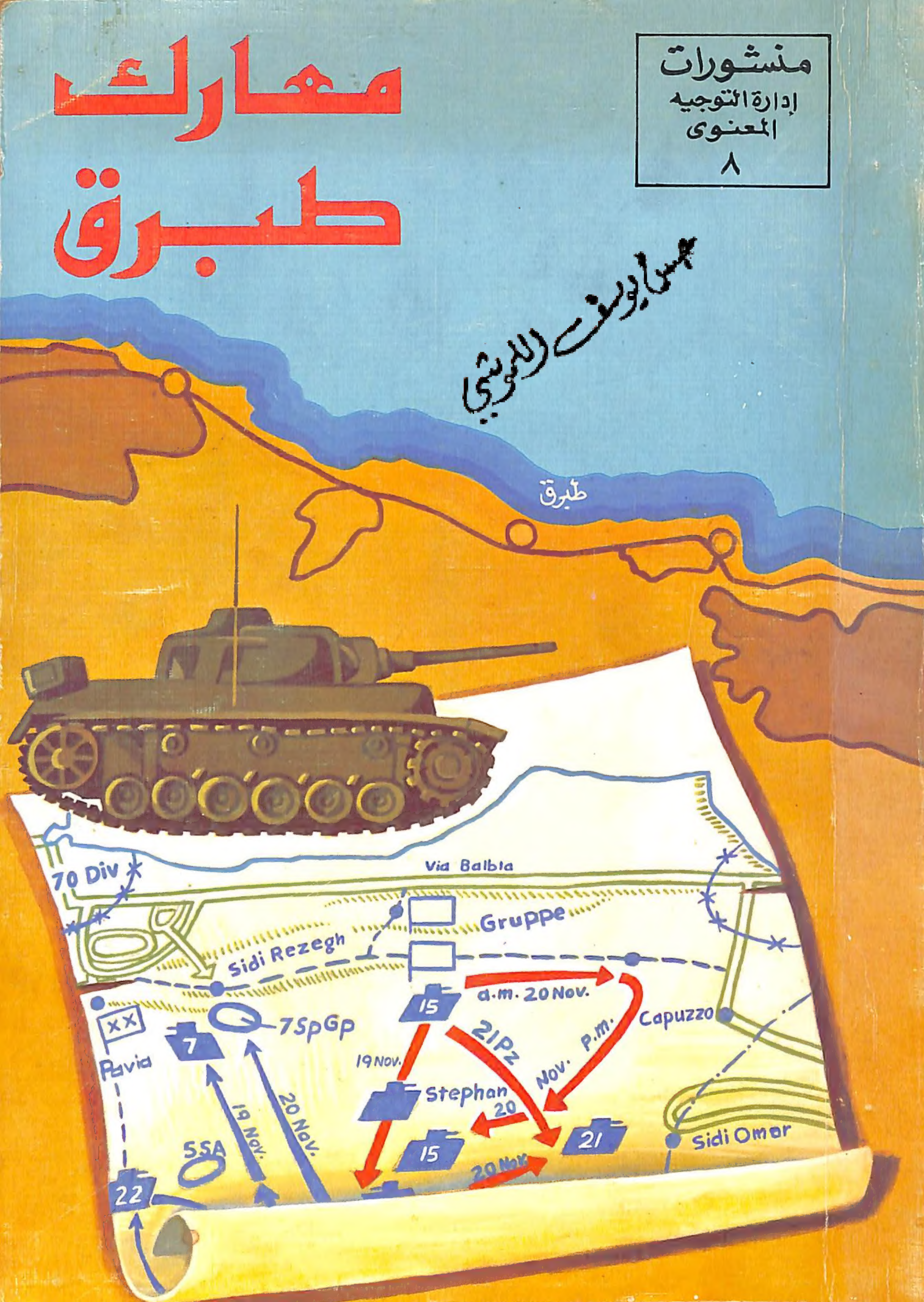

معارك
طبرق
منشورات
إدارة التوجيه
المعنوى
٨
طبرق
70 Div
Via Balbia
Gruppe
Sidi Rezegh
a.m. 20 Nov.
15
7SpGp
7
Pavia
Capuzzo
21Pz
Nov. p.m.
19 Nov.
20 Nov.
19 Nov.
Stephan
20
15
21
Sidi Omar
5SA
20 Nov.
22



معارك طبرق

تأليف: ميشيل كارفر

مقدمة

فى ١٦ من يونية ١٩٤٢ اعرب تشرشل لأوكنليك عن رضائه عن تاكيد الاخير له بان طبرق ــ وهى نقطة حاسمة فى طريق الالمان الى مصر ــ سوف تصمد . وفى ١٩ من يونية ابلغ اوكنليك سمطس بانه لا ينوى تسليم طبرق . ولكن فى باكورة يوم ٢١ من يونية ارتفع العلم الابيض فوق طبرق وسقط أكثر من ٣٠٫٠٠٠ جندى وكمية ضخمة من المركبات والمؤن فى ايدى الاعداء . تلك هى الخاتمة النهائية للمعارك التى دارت حول طبرق منذ نوفمبر ١٩٤١ ، وكانت لطمة قاسية لتشرشل ادت الى التصويت بعدم الثقة بالحكومة البريطانية بعد ذلك باربعة ايام بمجلس العموم .

واذا كان رومل قد تكبد خسائر بلغت ١٥ بالمائة من جملة قوته و ٧٠ بالمائة من ضباطه فقد نجح فى اذلال الجيش الثامن ، وانتقم من هزيمته السابقة ، فضلا عن ترقيته الى رتبة المشير .

ان اشد المحاربين القدماء دراية بحرب الصحراء لا يمكنه انيزعم الآن ان المعارك التى دارت حول طبرق معارك نموذجية للفن العسكرى . كما ان هزيمة « الغزالة » المؤسفة لا ينبغى ان تحجب الحقيقة الواقعة ، وهى ان عملية « الكروسيدر » التى سبقتها كانت انتصارا فعليا وان كان مهلهلا ، ولكن لماذا خسر البريطانيون مرة وكسبوا مرة ؟ ان سقوط طبرق يثير عدة اسئلة يجيب عليها « مايكل كارفر » هنا . وقد خدم اللواء كارفر (وهو مؤلف كتاب صدر حديثا عن معركة العلمين) بالجيش الثامن .

ومن مزيج تجاربه الخاصة بالصحراء ، وموهبته الفذة فى التحليل العسكرى أنتج هذه الدراسة الدقيقة لسلسلة اشتباكات مازال مجراها ــ الذى كان مبهما فى ذلك الوقت ــ محلا للخلاف .



شكل (١) الجنرال (اللواء) أوكنليك

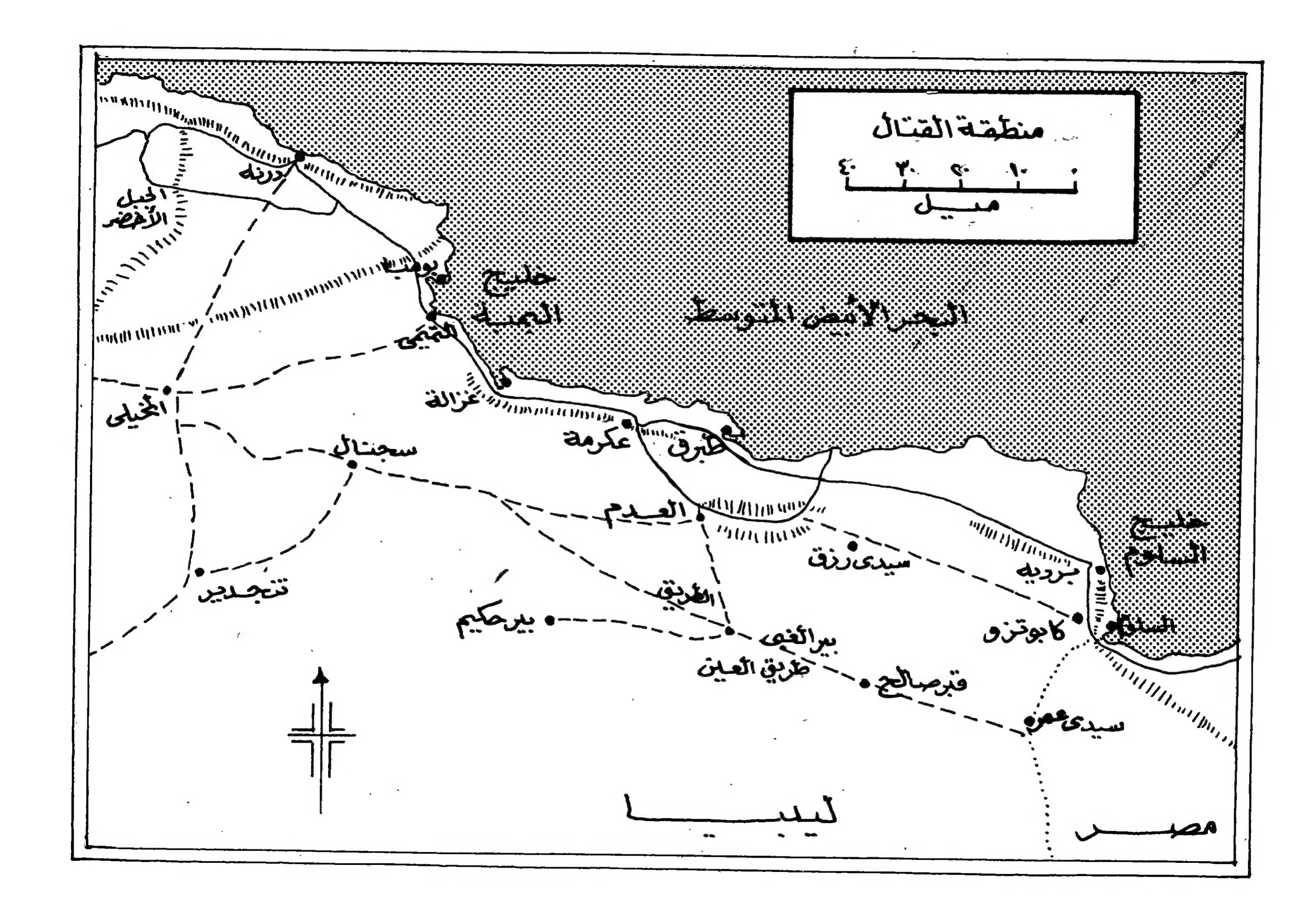
تمهيد

لا يمكن تقديم دراسة تفصيلية لهذه المعارك دون الاشارة الى التاريخين الرسميين الصادرين عن جنوب افريقيا واللذين كتبهما كل من العقيد ج. ا. اجار هاملتون والرائد ل. ف. تيرنر وهما « معارك سيدى رزيق عام ١٩٤١ » « وازمة فى الصحراء » وكتاب « فك الحصار عن طبرق » الذى نشره فرع التاريخ الحربى بوزارة الشئون الداخلية بنيوزيلندة . اننى مدين لهما بالشكر على اعمالهما الميدانية وعلى السماح لى بالاستشهاد بما كتباه .

واود ان أشكر النقيب ب. هـ ليدل هارت على مشورته والسماح لى بالاستشهاد بكتابه « الدبابات » والسيدة فراو رومل والسيد مانفريد رومل والفريق أول فريتز بابرلين وشركة أبناء كولنز المحدودة على السماح لى باستشهاد بـ « أوراق رومل » كذلك أشكر السيد د. و. كنج والمقدم و. ب. و. نيف هيل من مكتبة وزارة الحرب وقسم التاريخ على مساعدتهما وارشاداتهما القيمة .

كذلك أوجه شكرى للآتين بعد السماح لى بالاستشهاد بالكتب التالية : ـ

« مفصل القدر » لونستون تشرشل و « أوكنليك » لجون كونيل « والصيد السعيد » لجورج كليفتون وكتاب المدفعية الملكية التذكارى الذى اصدره الصندوق الخيرى للمدفعية الملكية وكتاب « الحادى عشر فى الحرب » للعميد ددلى كلارك وكتاب « رجال ورمال » للايرل اف اونسلو وكتاب « السابع والاعداء الثلاثة » للعميد ج. م. ديفى وكتاب « مع رومل فى الصحراء » لهاينز فرنر شميدت وكتاب « بير حكيم » لفيلكس دى جراند كوب وكتاب « خذ هؤلاء الرجال » لسيريل جولى وكتاب « لواء البنادق » للمقدم روبين هيستنجز وكتاب « طريق الخمسين » للرائد و. كلاى وكتاب « كتيبة رويال » لانسرز التاسعة ١٩٣٦ ـ ١٩٤٥ « لجون براتب » وكتاب « رجال شجعان » لليدى أوليفيا بيتس وكتاب « النمر يقتل » للمقدمين و. هنجستون و. ج. ر. ستيفن والتاريخ الرسمى للحرب العالمية الثانية وكتاب « البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط » الجزء الثالث بقلم : اللواء س. بلايفير .


منطقة القتال
٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠
ميل
البحر الأبيض المتوسط
خليج البمبة
خليج السلوم
الجبل الأخضر
درنة
بومبا
التميمي
عزالة
عكرمة
طبرق
العدم
سيدي رزق
بردية
السلوم
كابوتزو
المخيلي
سجنال
تنجدير
بير حكيم
الطريق
بير الغبي
طريق العين
قبر صالح
سيدي عمر
ليبيا
مصر

مسرح الصحراء

فيما بين صيفى عام ١٩٤١ وعام ١٩٤٢ تأرجح اتجاه ميدان المعركة بالصحراء الليبية تأرجحا منتظما أشبه ما يكون بتأرجح بندول الساعة أو هكذا كان يبدو • وكان أقصى نطاق للتأرجح يمتد من مرسى البريقة فى الغرب حيث يلتف الساحل جنوبا من بنغازى ليتجه غربا نحو طرابلس وشرقا الى مضيق على مسافة خمسين ميلا من حدود مصر عند السلوم • وتقدر المسافة بين الاثنين جوا بحوالى ٤٠٠ ميل وبالطريق الساحلى الوحيد بحوالى ٥٥٠ ميلا وباستثناء منطقة صغيرة من الأراضى المصرية الممتدة شرقى السلوم فان هذه المنطقة تغطى منطقة برقة بأكملها وهى المنطقة الشرقية فى ليبيا • ورغم ان طبرق نفسها ، وهى على مسافة ٧٠ ميلا من الحدود المصرية منحرفة الى جهة الشرق كثيرا بالنسبة للمركز ، فقد كانت بمثابة نقطة الارتكاز التى تأرجح حولها البندول ، وذلك لأسباب جغرافية واضحة • وقد نشأ أولها عن وجود الجبل الأخضر وهو منطقة جبلية نسبيا وتقع بين بنغازى وخليج بومبا • وكما سبق أن توضح فى ختام الحملة ضد الايطاليين فى شتاء عام ١٩٤٠ فقد تعرض جيش حاول احتواء خصمه هناك لعزله بحركة تطويق جنبه عبر الصحراء فى الجنوب • ومن المفارقات ان هذه المنطقة المعروفة (بالنتوء) كانت فى الواقع أحد الأهداف الرئيسية لكلا الطرفين وكانت أهميتها للبريطانيين هو انه ما لم يمكن استخدام المطارات المنتشرة بها فانه لا يمكن بالتالى تقديم الحماية أو حراسة جوية للسفن التى تحاول قطع المسافة بين مالطا والاسكندرية •

واذا ظل « النتوء » فى أيدى المحور فترة طويلة مثل كريت التى تقيد الطريق البحرى شمالا ، فان الأمر لن يكون مقصورا على اخضاع مالطا فحسب وانما سيجعل من العمليات التى تقوم بها القوات البحرية والجوية ضد خطوط مواصلات المحور عمليات عديمة الفعالية • واذا حدث ذلك فسوف تتبدد الآمال المعقودة على اخلاء ساحل أفريقيا الشمالى من العدو وحشد القوات الفرنسية لخدمة

قضية الحلفاء بأقصى الغرب ، بل ان أحد الأهداف الرئيسية لمواصلة الحرب فى الشرق الأوسط يكون قد أصبح غير ذى موضـوع •

فمنذ الوقت الذى تدخل فيه الألمـان لمساعدة حلفائهم الايطاليين عام ١٩٤٠ ، خشية احتمال انهيار سيطرتهم على ساحل أفريقيا الشمالى ، الى ان حسمت معركة العلمين حملة شمال أفريقيا حسما نهائيا ــ وهى فترة استغرقت عامين ــ ظلت الحكومة البريطانية حريصة على عدم فقد السيطرة على « النتوء » مدة طويلة وقد تعارض هذا مع عدم رغبة قادة « العموم » المتتاليين بالقاهرة فى الاقدام على هذه المهمة حتى تتوفر لديهم قوة كافية لا للاسـتيلاء على « النتوء » فحسب وانما للاحتفاظ به فيما بعد بتأمين مفتاح الباب الغربى بمرسى البريقة • وكان هذا الصراع بمثابة ستار خلفى للدراما التى دارت أحداثها على مسرح برقة •

ورغم ان أطماع رومل كانت واسعة مثل سيديه السياسيين هتلر وموسولينى فى وقت ما ، الا ان أهداف الألمـان والايطاليين كانت أقل طموحا فى معظم تلك الفترة بل كانت دفاعيـة فى جوهرها • فعندما قذف هتلر بجيوشـه فى مغامرته الشرقية ضد روسيا ، كانت أيدى الألمـان أكثر من ممتلئة • اما شمال أفريقيـا فلم يكن بالنسبة لهم سوى عرض جانبى يقتصر فيه الألمـان على الاسهام بالحد الأدنى اللازم للحفاظ على هدفه الأصلى وهو بقاء ايطاليا فى الحرب فى صفهم ومنع الحلفاء من السيطرة على الساحل الجنوبى للبحر الأبيض المتوسط •

وكان « بروز » برقة بالنسبة لهم بالغ الأهمية أيضا فطالمـا احتفظوا به فان الطائرات التى لها قواعد به وبجزيرة كريت يمكنها منع الوصول الى مالطا من الشرق ويمكن استخدام بنغازى كميناء تموين حيث ان الطريق البحرى الممتد من ايطاليا الى بنغازى يعتبر أسهل وأكثر أمنا من الطـريق الممتد الى طرابلس كما ان الطريق البرى الى الجبهة أقصر بكثير واذا استمر الاحتفاظ به مدة طويلة فان ذلك يعنى القضاء على الخطورة دون مواجهة مشقة مهاجمتها وهذا من شأنه القضاء على تعرض الرحلات البحرية والجوية من ايطاليا للخطر وتسهيل مهمة اعاشة قوة مماثلة للقوة البريطانية أو حتى متفوقة عليها وعندما يتحقق الانتصار على روسيا فان الشرق الأوسـط لن يشكل أي صعوبة عندئذ ، اما اذا ضاع « البروز » فان مالطا تصبح أكثر خطورة خاصة وان الميناء الوحيد الذى سيبقى

للمحور عندئذ سيكون طرابلس حيث يطول الطريق البحرى والجوى الممتد اليها من ايطاليا ويتعرض تعرضا مباشرا للقوات التى تعمل من مالطا •

وتعتبر طبرق موقعا رئيسيا فى الصراع على امتلاك « البروز » فهى ذات قيمة كبرى فى الامداد الحربى لأنها الميناء المحمى الوحيد الذى يستوعب أكثر من قارب بين بنغازى والاسكندرية ورغم صغر رصيفها فانه يمكنها ايواء سفن كبيرة نوعا وتفريغ حمولتها بسفن أصغر بينما تستطيع السفن الأصغر الرسو على الرصيف رأسا • ويقدر الحد الأقصى للحمولة بستمائة طن يوميا ، وان امكن تجاوز هذا الحد فى فترات قصيرة • وكانت طبرق هى القاعدة العسكرية الرئيسية للايطاليين وعندما سقطت أمام الاستراليين فى يناير ١٩٤١ م لم يحاول الجيش الايطالى البقاء فى برقة •

وقد وافق وصول رومل بعد شهر بفرقته « البانزر » الخفيفة الخامسة (التى أصبحت الفرقة ٢١ فيما بعد) ، انسحاب القوات البريطانية ذات الخبرة من برقة وكان من المنتظر وصول فرقة بانزر أخرى هى الفرقة ١٥ فى شهر مايو ، وقد طلب من رومل الخلود الى الدفاع حتى ذلك الحين نظرا للصعوبات التموينية التى ستترتب على أي تقدم • ومع ذلك فقد استطاع رومل تحت غطاء الاستكشاف ان يضرب ضربته فى أوائل شهر أبريل عام ١٩٤١ ويشيع الاضطراب بسرعة فى صفوف خصومه • وبنفس الأسلوب استطاع رومل بتقدمه السريع بارتال صغيرة منتشرة على نطاق واسع وبطيرانه فى كل مكان بطائرته « فيزلر ستورتش » أن يعزل جميع القوات الموجودة بالجبل الاخضر وان يأسر ثلاثة ضباط برتبة اللواء ، وضابطا برتبة العميد • اما القوة الرئيسية وهى الفرقة الثانية المدرعة فلم تظهر ثانية فى أمر قتال الجيش البريطانى • غير ان التقدم الخاطف لم يعزل الاستراليين لان فرقتهما التاسعة التى دعمت فيما بعد باللواء ١٨ من الفرقة السابعة المخصصة لليونان التى وجدت نفسها وقد تركت للدفاع عن طبرق لاحتجاز العــدو غربا ما أمكن • وقد اتخذ القرار فى وجود (مستر ايدن) وزير الحرب والفريق أول سير جون ديل رئيس الأركان العامة الامبراطورية ولم يكن ذلك لأسباب متصلة بأرض المعركة مباشرة وانما لتخفيف حــدة التهديد الجوى للقاعدة البحــرية بالاسكندرية وللتأثير السياسى فى مصر وقد بذلت محاولة لجمع قوة خفيفة للعمل

خارج دفاعات طبرق نفسها ولكنها عندما وصلت كان رومل قد بدأ حملته على طبرق فى ١١ من أبريل وكان كل مافعلته انها أزعجته فى منطقة حدود مصر .

ولكن رومل لم يرض عن انجازاته الباهرة فألقى بقواته المنهكة فى هجوم على طبرق نفسها وقد أجريت محاولتان واحدة فى ١٣ من أبريل والأخرى فى ١٦ من أبريل ولكنهما اخفقتا رغم ان رومل كان قد قام بدور ايجابى فى الثانية . وفى هذه الاثناء قامت قواته فى منطقة ، وهى وحدة الاستكشاف الثالثة وكتيبة الدرجات النارية رقم ١٥ بقيادة العقيد فون هوف وقد استفزها نشاط الأرتال الخفيفة الحركة للعميد جوت حول كابوتزو ــ قامت بمهاجمتها فى ٢٥ من أبريل وأرغمتها على ترك ممر الحلفاية والانسحاب الى بقبق .

وكانت هذه المعركة بمثابة هدية ترحيب بروميل الذى كان يعد العدة لهجوم آخر على طبرق ، ولكن من الغرب فى هذه المرة . وقد ازداد قلق سيديه المشغولين بحملة فى البلقان بسبب عجزهما عن السيطرة عليه وخوفهما من أن يقودهما الى متاهة لا نهاية لها . لقد شعر الفريق أول هالدر رئيس أركان القيادة العليا الالمانية ، والذى كان متحيزا دائما ضد رومل ، بأن الأمور تسير على غير ما يرام . فقد كتب فى يومياته يقول ان « التقارير التى تصل من الضباط بمسرح القتال فضلا عن الرسائل الشخصية تدل على ان رومل ليس أهلا لمهمته ، انه يقضى النهار بطوله متجولا بين وحداته المنتشرة على نطاق واسع كما يقوم بالاستكشاف ونثر قواته هنا وهناك . ليس لدى أحد فكرة عن أوضاع قواته وقدرتها القتالية والشىء الوحيد المؤكد هو ان الجنود منتشرة على نطاق واسع وان قوتها القتالية قد انخفضت » .

وقد أرسل الفريق أول باولوس لاحضار رومل فوصل يوم ٢٧ من أبريل ليجد ان ثمة هجوما آخر سوف يجرى بعد ثلاثة أيام وقد سمح باولوس بشن الهجوم بعد تخوف مبدئى . وقد بدأ هذا الهجوم من الغرب ولكنه لم يكن أنجح من سابقيه فبعد يومين من القتال تكبدت فيها فرقة البانزر رقم ١٥ ، التى وصلت حديثا ، خسائر فادحة على أيدى اللواء الاسترالى رقم ٢٦ فصدر الأمر بوقف القتال . وعن هذا الهجوم كتب رومل يقول : « فى هذا الهجوم خسرنا ما يزيد على ١٢٠٠ قتيل وجريح ومفقود وهذا يدل على مدى ارتفاع نسبة الخسائر عندما

يتحول المرء من الحرب المتحركة الى الحرب الثابتة . ان أهم شيء له اعتباره فى الحرب المتحركة هو المـادة كمكمل لاغنى عنه للجندى . فلا قيمة لخير المقاتلين فى الحرب المتحركة بدون دبابات ومدافع ومركبات وهكذا فان من الممكن جعل القوة المتحركة غير صالحة للقتال بتدمير دباباتها دون تكبيدها أية خسائر فى القوة البشرية . ولكن الأمر ليس كذلك فى الحرب الثابتة حيث لم يفقد جندى المشاة بندقيته وقنبلته اليدوية شيئا يذكر من قيمته طالما انه فى حماية المدافع أو الموانع المضادة للدبابات ضد مدرعات العدو . ان العدو رقم ١ بالنسبة له هو جندى المشاة المهاجم ومن ثم فان الحرب الثابتة دائما صراع من أجل القضـاء على الرجال . على نقيض الحرب المتحركة حيث يتحول كل شيء الى تدمير عتاد العدو » .

« لقد كان السبب المبدئى فى ارتفاع الخسائر بين قواتى المهاجمة هو ضعف تدريبهم . فحتى فى أبسط العمليات هناك دائما خدع تعبوية لتجنب الخسائر ، خدع ينبغى ان يعرفها الجنود . فكثيرا ما حدث ان استعيض بالاندفاع عن الحذر وكانت النتيجة الطبيعية هى الخسائر . فى المناسبة التالية عندما كان الأمر يتطلب البسالة حقا كان الجنود يبالغون فى الحذر . ان المطلوب فى عمليات المشاة التعبوية الصغيرة بصفة خاصة هو الحذر الشديد مع الجرأة البالغة فى اللحظة المناسبة » .

وقد أشار باولوس فى التقرير الذى رفعه بعد ذلك بعشرة أيام الى خطورة موقف رومل بين القوات البريطانية فى طبرق والبريطانية المرابطة على الحدود . ولكن قلقه كان منصبا على موقف الامـداد فقد كانت القوات الموجودة بليبيا تحتاج الى ٥٠٠٠٠ طن شهريا تقدر حصة الالمـان فيها بنحو ٣٠٠٠٠ طن ولكن أسطول النقل المستخدم لا يمكنه ان ينقل ما يزيد على ٢٩٠٠٠ طن . لهذا فقد حذر من أى زيادة فى القوات الا للدفاع الجوى عن بنغازى حتى يتحسن موقف الامـداد .

ولئن كانت المشاكل التى أزعجت الفريق أول ويفل وزملاءه أمير البحر كاننجهام وقائد الاسـطول الجوى لونجمور متعلقة بالدفاع عن مالطا كقاعدة ترحيل وكمركز هجوم على مواصلات المحور فان المشاكل التى أثارها قرار الزام القوات بالدفاع عن اليونان هى التى ألقت عليهم أثقل الأعباء . ففى يوم الهجوم الأول لرومل على طبرق دخلت القوات الالمـانية بلغراد وعند هجومه الاخير فى

نهاية الشهر كان اخلاء القوات البريطانية من اليونان قدم تم وبعد ثلاثة آسابيع جاء الهجوم على كريت وفى هذه الاثناء تطلب الأمر التصدى لثورة رشيد علي بالعراق وفى غضون ذلك هبطت طائرات المـانية بدمشق • وخشية ان تصبح سوريا موطىء قدم تال للالمـان بعد كريت فقد أصدرت الحكومة البريطانية قرارا مفاجئا باحتلالها فقامت الفرقة الاسترالية السابعة يوم ٨ من يونيه (أي بعد سقوط كريت بأسبوع) بغزو سوريا وقد استغرقت هذه العملية خمسة أسابيع •

ورغم كل هذه الانشطة التى كانت تدور فى الميادين الاخرى فقد كان رئيس الوزراء القلق ومستشاروه يعتبرون الصحراء الغربية ميدان المعركة الرئيسي وقد كلف ويفل القيام بعمليـة هجومية هناك بأسرع ما يمكن • وقد أرسلت قافلة خاصة تسمى بـ « النمر » لمساعدته وقد أبحرت هذه القافلة عبر البحر الابيض المتوسط وهى تحمل ٢٣٨ دبابة و ٤٣ طائرة هاريكين فوصلت الى الاسكندرية فى ١٢ من مايو ولكن قبل امكان استخدام هذا العتاد الحربى قرر ويفل نفسـه ان يضرب ضربته بأمل استرداد منطقة كابوتزو وربمـا أمكنه الانضـمام الى طبرق والوصول اليها قبل فرقة البانزر رقم ١٥ التى أصبح يتولى قيادتها الجنرال نويمان سيلكوف بعد ان قتل قائدها الاصلى الجنرال بريتفتز فى طبرق •

وكانت القوات البريطانية ضعيفة ولم تفعل شيئا سوى استرداد ممر الحلفاية الذى استرده الالمـان ثانية فى نهاية الشهر بهجوم قوى بمائة وستين دبابة • ولكن أسلوب الهجوم لم يرق لرومل الذى فصـل قائد الفرقة الخامسة الخفيفة وقائد لواء الدبابات وأحد قادة كتائب الدبابات وقد قدم الاخير للمحاكمة لرفضه الاشتباك مع الدبابات البريطانية « ماتيلدا » •

وقد عقد سقوط الحلفاية المحاولة البريطانية التالية لجعل البندول يتأرجح فى الاتجاه الاخير فيما يعرف بعملية « باتل اكس » ومما يؤسف له ان الامن لم يكن مثلما كان عليه فى معركة (سيدى برانى) وهو أول هجوم ضد الايطاليين واستـغل رومل التقاطه للاشارات اللاسلكية فى وضـع خططه وكانت القوات البريطانية تحت قيادة الفريق بيرسفورد بيرس من قوة الصحراء الغربية وتتكون من فرقتين وكانت الفرقة الهندية الرابعة تحت قيادة اللواء مسرقى على الساحل ، وكان على اللواء الهندى الحادى عشر الموجود على الطريق الساحلى ان يسترد



شكل (٢) اللواءان بوينشر ورومل



شكل ٣ ــ المشير كسلرنج

ممر الحلفاية (أنظر الخريطة) بينما كان على لواء الحرس رقم ٢٢ واللواء المدرع الرابع ومعه معظم الدبابات « ماتيلدا » المـائة ، التقدم شمال الجرف جهة اليسار لاسترداد منطقة كابوتزو المتنازع عليها • وكان على الفرقة السابعة المدرعة التى كانت ما تزال تحت قيادة اللواء « كريج » أن تتحرك حول الجانب الأيسر عنـد (سـيدى عمر) وفى مقدمتها اللواء المدرع السـابع بنحو ١٠٠ دبابة كروزر • وكان المرجو ان ينضم اللواء المدرع الرابع الى الفرقة اذا أدى هذا التحرك الى صدام مع المدرعات الالمـانية •

وقد عهد روميل فى الدفاع عن منطقة الحدود الى الفرقة البانزر رقم ١٥ التى وصلت حديثا والتى كان من حظها الحصول على بعض المدافع الجـديدة المضادة للدبابات عيار ٥٠ مم الى جانب مدافعها عيار ٨٨ م لدعم النقاط الحصينة الست المنتشرة على شكل قوس من هضبة الحلفاية والتى تبعد ستة أميال جنوب كابوتزو الى الحلفاية • وقد اتخـذت الدبابات الثمانون اماكنها فى الشمال اما دبابات الفرقة الخامسة الخفيفة فقد خصص جزء منها لمراقبة طبرق بينما ظل الجزء الآخر قريبا من كمبوت • وفى يوم ١٥ من يونيو شن الهجوم وعند نهايـة اليـوم كان اللواء المدرع الرابع قد توغل الى شمال « كابوتزو » ولكن لواء الحرس لم يتبعه اما اللواء المدرع السابع فقد تعرض لمدافع عيار ٨٨ مم يساره وتقلص بعد الخسائر والاعطال الى ٤٨ دبابة وفى اليمين أخفق اللواء الهندى الحادى عشر فى الاستيلاء على الحلفاية • اما روميل فقد حرك الفـرقة الخامسة الخفيفة وكلف قائدها الجديد الجنرال فون مرفنشتاين بمهمة القيام بحركة التفاف واسـعة حول جنب الفرقة السابعة المدرعة ومؤخرتها بينما تقوم دبابات فرقة البانزر الخامسة عشر بالهجوم المضاد فى كابوتزو •

وكانت خطة برسفورد بيرس تقضى بترك مهمة تطهير منطقـة كابوتزو ـ الحلفاية والاتجاه صوب البردية لمشاة الفرقة الهندية الرابعة بينما يتجه اللواء المدرع الرابع الى كريج لمساعدته ضد المدرعات الالمـانية • ولكن هجوم فرقة البانزر الخامســة عشر على كابوتزو أدى الى نشـوب قتال ضار لم يمكن معه الاستغناء عن اللواء المدرع كما تعين على دبابات اللواء المدرع السابع ان تواجه دبابات فون رافنشتاين بمساعدة جماعة « جوت » المعاونة • وقد استمرت المعركة



شكل (٤) اللواء كافاليرو ومعه اللواء باستيكو



شكل (٥) اللواء جامبارا



شكل (٦) اللواء نيومان سيلكو

طوال اليوم فى الطريق المتعرج من هضبة حافد الى سيدى عمر وكانت خطة الفرقة السابعـــة عشر مشابهة لذلك الى حد كبير • كان على لواء جيت هاوس المدرع الرابع ان يترك مهمة تأمين كابوتزو للواء الحرس (الجاردر) وان يتجه الى كريج للمشاركة فى هزيمة الدبابات الالمـــانية • اما خطة روملى ، التى كانت قائمة على ما يلتقطه من معلومات عن البريطانيين ، فقد كانت أشد طموحا بكثير •

كان من المقرر القيام بعمليتى تطويق لحصر البريطانيين فى كماشة تقع على أحد فكيها حامية الحلفاية المحاصرة والتى لا يصلها سوى نذر يسير من التموين • وكان على نوريسان ــ سيلكوف أن يهاجم من هضـــبة حافد وفون رافنشتاين من قرب سيدى عمـــر • وقد بدأت هـــذه التحركات عند الفجـــر وقد تمكن « جيت هاوس » من درء حركة التطويق الشمالية بعض الوقت ولكن دباباته لم يبق منها سوى ١٧ دبابة « ماتيلدا » ولم تتمكن دبابات القتال من الصمود لضغط العدو على نطاق أوسع فنقص عـــددها الى ٢٨ دبابة • وبدا ان القوة الموجودة فوق الجرف بأكملها سوف تعزل ــ فقد شحت مواردها بالفعل فى جميـــع أنواع المؤن • وكان الانسحاب هو الحل الوحيد ، فارتدوا الى الوراء تاركين ٦٤ دبابة من المـــائة من طراز « ماتيلدا » و ٢٧ دبابة قتال فى ميدان المعركة • اما الالمـــان فقد دمرت لهم ١٢ دبابة فقط تدميرا تاما فقد استطاعوا بعد تركهم بميدان المعركة ان يستردوا نحو خمسين دبابة مصابة أو معطلة اما الخسائر فى الأفراد فقد كانت متساوية تقريبا فى كلا الجانبين فقد بلغت ١٠٠ قتيل و ٦٠٠ جريح و ٢٥٠ مفقود • هذا اذا أضيفت خسائر الايطاليين الى خسائر الالمـــان •

وقد جاءت الهزيمة ضربة قاسية لونستون تشرشل الذى كان يتوقع الكثير من المخاطرات التى وجهها بارسال قافلة النمر (تايجر) فى البحر الابيض المتوسط ولم يمض وقت طويل حتى بدأ القادة يتساقطون • وكان أول من ذهب هو ويفل نفسه • فقد صدر الأمر القاضى بتبادل المناصب بينه وبين أوكنليك القائد العام بالهند من قصر هوايت هول فى ٢١ من يونيه وهو اليوم السابق لغزو هتلر لروسيا كذلك رحل كل من برسفورد ــ بيرس وكريج ــ بينما بقى مسرفى والعمداء ومنهم جوت وجيت هاوس اللذان قاما بأدوار بارزة فى كثير من المعارك التالية • وكانت الانطباعات التى تركتها هذه المعركة على المشاركين والمتفرجين على السواء ذات

أثر بعيد على خطة « أكروسيد » وكيفية تنفيـذها ــ وهى المحاولة البريطانية لأرجحة البندول ــ وأول شيء هو ان الهجوم المباشر بالمواجهة على الدفاعات الثابتة لمنطقة كابوتزو أدى الى وقوع خسـائر جسيمة وخاصـة بين الدبابات « ماتيلدا » التى كادت حتى الآن ألا تكون معرضة للاصابة فى ميدان القتال ولم يتبين الانجليز كما تبين الالمـان ان المدافع عيار ٨٨ مم وربما المدافع الجديدة المضادة للدبابات عيار ٥٠ مم أيضا هما السبب الرئيسى لهزيمتهم • ومع ذلك فلم يشترك بالمعركة أكثر من ١٣ مدفعا عيار ٨٨ مم ، خمسة منهـا بالحلفاية وأربعـة بهضبة حافد وأربعة مع فرقة البانزر الخامسة عشرة •

وكانت الانطباعات التى تركتها دبابات « ماتيلدا » ودبابات القتال انها ليست ندا للدبابات الالمـانية وقد عززت المعـركة الفـكرة القائمة وهى انه ليس من السهل تنسيق عمل دبابات المشاة ودبابات القتال وأن من الضرورى ضمان هزيمة مدرعات العدو قبل تكليف المشاة البطيئة الحركة والمعرضة للاصابة بهجوم كبير وأن علينا لكى ننجح ان ننافس الالمـان فى القيام بحركة التفاف عريضة حول جنب العدو لا تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بعمل فرقة المشاة • ولو أمكن اكتشاف الخطر الحقيقى وهو مدافع العـدو المضادة للدبابات عيار ٨٨ مم ، ٥٠ مم غير المدرعة والمعرضة نسبيا ، فلربما اتجه رأى البعض ــ وهو مالم يفكر فيه أحد ــ الى الحاجة لمزيد من حشد موارد مدفعيتنا لالحاق الهزيمة بها •

وقد تولى الفريق أول أوكنليك ما أسماه تشرشل « قيادتك الكبرى » فى ٢٠ من يوليه وما كاد يجمع مقاليد الأمور بين يديه حتى حثه رئيسه على الاستعداد لتجديد النشاط فى الصحراء فى نفس الوقت الذى سيتم فيه انهاء الأمور فى سوريا • وكان رئيس الوزراء حريصـا على اسـتغلال انشغال الالمـان المؤقت بغزوهم لروسيا وكان أول الردود الكثيرة المثبطة التى اضطر أوكنليك الى ارسالها بتاريخ ٤ يوليه : « لا ينبغى التفكير فى هجوم آخر بالصحراء الغربية حتى يتم تأمين القـاعدة » •

تلك افتتاحية الرسالة التى استهلها بعبارات لا فطرية ، لدى رئيسه • وفى فقرة تالية كتب يقول : « من الواضح لى تماما ، ان فرق المشاة ــ وان كانت حسنة التدريب والعتاد ــ فانها لا تصلح للعمليات الهجومية فى هذه الارض ضد

قوات العدو المدرعة • فثمة حاجة الى فرقة المشاة لاحتلال المواقع الدفاعية بعد شل قوات العدو المدرعة مدعمة بالتشكيلات الآلية » ومضى يقول : ان الهجوم سيجرى بلا شك فى كل من الصحراء الغربية وسوريا وفى نفس الوقت عندما يحين الوقت للقيام به فان المرحلة الاولى ذاتها من استرداد برقة ينبغى ان تجرى تدريجيا •

وكان رد تشرشل حاسما حيث قال : انه رغم أهمية سوريا فان الصحراء ستكون المسرح الفاصل فى ذلك الخريف ، وسوف يكون المزيد من الدبابات التى ارسلت فعلا عن طريق رأس الرجاء الصالح قد وصل فى أواخر يوليه وقد يصل المزيد بعد ذلك حتى شهر أكتوبر •

وقال « ولا يمكن للاسطول والقوات الجوية ان تستأنف عملياتها ضد امدادات العدو المنقولة بحرا الا باسترداد مطارات شرقى برقة » ثم أضاف « من العسير ان نرى كيف سيتحسن موقفكم بعد منتصف سبتمبر عما هو عليه الآن اذ ربما ازداد سوءا • لست أشك انكم سوف تتدبرون الأمر وتفكرون فيه تفكيرا سريعا ناضجا •••

وقد قام زملاء (أوكنليك) من قادة العموم بمساعدته فى مقاومة الضغط عليه من أجل معاودة الهجوم حتى منتصف نوفمبر على الأقل عندما فكر (أوكنليك) فى اعداد فرقة مدرعة ولواء مدرع ولواء دبابات جيش لخوض المعركة كان من الممكن اعداد فرقتين مدرعتين حتى بداية السنة الجديدة • وقد اختتم رده بالعبارة التالية : ـ

لا زلنا نرى أنه يلزمنا للقيام بعمليات الهجوم لاسترداد برقة كلها ، فرقتان مدرعتان والأفضل ثلاث فرق • شعر تشرشل ان هذا كله لن يؤدى الى نتيجة فأرسل الى أوكنليك يدعوه للحضور الى انجلترا فى نهاية شهر يوليه • ووجد الاخير نفسه يواجه وقتا عصيبا ، فصمد أمام الضغط واستسلم تشرشل كارها ، كما استسلم بتفضيل أوكنليك للفريق أول سير الان كانتجهام ـ الذى انتصر فى حملة جنوبى الحبشة على الفريق أول ويلسون لقيادة الجيش الثامن • ولكن بذور عدم الثقة المتبادلة كانت قد بذرت للأسف فى ذلك اللقاء فنمت وترعرعت وكانت ثمرتها فصل أوكنليك بعد ذلك بعام •

وازدادت الأمور تعقيدا عندما طالب الاستراليون بتغيير فرقتهم التاسعة التى واصلت تحديها لمحاولات رومل الاستيلاء على طبرق حتى يخدم الاستراليون بالشرق الاوسط معا • ولم يثر اعتراض يذكر فى بادىء الأمر ، وتم تغيير اللواء الثامن عشر فى فترة غير مقمرة من شهر أغسطس باللواء الكرباتى البولندى الاول • ولكن الخطـر الذى تهدد المدمرات من جـراء ذلك ، والعبء الذى ألقى على طائرات الحراسة المقاتلة كان أكبر من ان يحتمل • لهذا فقد اعترض (أوكنليك) على اجـراء المزيد من التغيير ، ولكن الحـكومة الاستراليـة أصرت ، ونقض اعتراضه • وفى النصف الثانى من شهر سبتمبر وصل لواء المشاة السادس عشر من الفرقة السبعين • مع استدعاء الفرقة البريطانية السادسة ــ لشغل مكان اللواء الاسترالى الرابع والعشرين ، ومعه مركز رئاسة العميد ويلسون قائد لواء دبابات الجيش رقم ٣٢ وكتيبة الدبابات الملكية الرابعة للانضمام الى شـقيقتها كتيبة الدبابات الملكية الاولى التى كانت هناك من البداية • وبعد شهر وصل باقى أفراد الفرقة السبعين ، ورحل جميع الاستراليون تقريبا • وتولى اللواء سكوبى قيادة القلعة من اللواء مورشيد وتعرضت السـفن لهجمات عنيفة من هـــذه الأثناء وفى الشهر الثامن لحصـار طبرق أخلى منها ما يزيد على ٤٧٠٠٠ رجل ، بينهم جرحى وأسرى بينما دخلها ٣٤٠٠٠ رجـل و ٣٤٠٠٠ طن من المخزونات • وقد فقدت ٣٤ سفينة حربية وتجارية كما أتلفت ٣٣ سفينة أخرى نتيجة لذلك •

وكان رومل يواجه بدوره مشاكل أيضا • كان هالدر مازال يشعر ان رومل لا يقدر مشكلة التموين ، بل مضى الى حد ان كتب فى يومياته يقول : « رومل ليس أهلا للموقف ، ولهذا فقد ارسل اللواء جوز على رأس هيئة كبيرة ليعمل كضابط اتصال مع قيادة القوات الايطالية بليبيا حيث كان الفريق أول غريبالدى (سرعان ما خلفـه الفريق أول باستيكو) قائدا عاما والفـريق كافاليرو رئيسا للأركان • واعترض غريبالدى ولكن اعتراضه لم يقبـل • غـير أن رومل وهو على ثقة من مكانته عند هتلر ، فضـلا عن مساندة كافاليرو قدم اقتراحا مضادا مضمونه تشكيل رئاسـة لمجموعة جيوش تتولى قيادة التشـكيلات الالمـانية والايطالية ، على ان يتولى هو منصب القائد العام وقد اضطر هالدر ــ وكان مازال يكتب فى يومياته منددا برومل ــ الى الاذعان • وأما « جوز » فوجد نفسه أقل سلطانا كرئيس أركان مجموعة بانزر أفريقيا • كان رومل الآن يرأس جميـع

القوات الموجودة شرقى « البروز » باستثناء الفليق الايطالى المدرع الذى تولى قيادته الفريق (جمبازا) بعد أن تم تشكيله من فرقة الآريت المدرعة والفرقة الآليـة ١٠١ التى كانت قد وصلت حديثا •

وفى هذا الوقت كانت المطامع الالمـانية التى دعمها النجاح المبدئى للحملة فى روسيا قد امتدت الى غزو الشرق الاوسط بأكمله ، وقد طلب من روميل تقـديم خطة الهجوم على طبرق وأخرى لغزو مصر •

كان يأمل البدء فى أكتوبر ، ولكنه بعد مناقشات مستفيضة مع رؤسائه رأى أن يناير أو فبراير عام ١٩٤٢ م • موعد أنسب •

وقد أعاد الدعم بالدبابات كتائبه الى قوتها الاصلية كما سميت الفـرقة الخامسة الخفيفة بفرقة البانزر ٢١ مع بقاء فون رافنشتاين قائدا لها • وقد ركزت المدفعية التى جلبت خصيصا للحصار تحت قيادة المدفعية ١٠٤ بأمر اللواء بوتشر ، ورفعت قوتها الى تسعة مدافع هاوتزر عيار ٢١٠ مم و ٣٨ مدفعا عيار ١٥٠ مم و ١٢ مدفعا عيار ١٠٥ مم وقد شكلت فرقة للمشاة كانت ألويتها قد وصلت فرادى بطريق الجو تحت قيادة اللواء سومرمان • وقد عرفت فيما بعد بالفرقة التسعين الخفيفة •

وبعد عملية « باتل اكس » وزع روميل نشاطه فى ثلاثة اتجاهات ، أولها انشاء سلسلة من المواقع القوية على خط المواقع القائمة على الحدود • وكانت تمتد غربا من الحلفاية الى سيدى عمر ، وتشغلها فرقة سافونا الايطالية بمساعدة سرايا الواحة الالمانية . وخاصة فى الطرف الغربى ، وتدعمها المدفعية والمدافع المضادة للدبابات الالمـانية • وكان الغرض الرئيسى من هذه الدفاعات حماية مؤخرته ، وهو يهاجم طبرق التى كان الاستعداد لها شغله الشاغل • وفى هـذه المرة كان الهجوم سيشن من الجنوب الشرقى ، ولكن موعد القيام به ظل يتراجع كسراب الصحراء بسبب عدم كفاية نظام الامداد ، والخسـائر التى الحقتها الغواصات والطائرات البريطانية التى تعمل من مالطا بالقوافل البحرية للمحور • وكانت حملة البلقان والحملة الروسـية التى أعقبتها قد استنزفت جهـد فيلق فليجر العاشر الذى كان مركزا من قبل ضد مالطا • خلال شهرى أبريل ومايو أغرقت ٢١ سفينة للمحور تحمل ٧٠٫٠٠٠ طن منها جانبا هاما من فرقة البانزر رقم ١٥ •

وفى الفترة من يوليو الى نوفمبر دمرت ٤٨ سفينة أخرى تحمل ٢٠٠٠٠٠ طن من المؤن •

وكان هم رومل الثالث تدريب قوته الضاربة الرئيسية وهى فيلق أفريقيا الألمانى بقيادة الفريق جرويل والمكون من الفرقة البانزر الخامسة عشرة بقيادة نويمان ــ سيلكوف والفرقة البانزر الحادية والعشرين بقيادة فون رافنشتاين • وكانت الفرقتان بالمنطقة الساحلية الممتدة بين طبرق والحدود وقد اجتازت الفرقتان فترة من التدريب العنيف حيث ركز اهتمام كبير على استخدام مدافعها عيار ٥٠ مم و ٨٨ مم المضادة للدبابات بالتعـاون الوثيق مع الدبابات ، وبمعاونة المدفعيـة الاخيرة • وربما كان الوصول بهذا التدريب الى الذروة ــ برغم موقف التموين الحـرج ــ هو الذى دعا رومل الى القيـام بعملية فى شهر سبتمبر أطلق عليها اسم « حلم ليلة من ليالى منتصف الصيف » وقد أثبت أنها لم تكن عقيمة فحسب ، وانما مضللة له ، وضـارة به أيضا • فقد كانت هناك علامات لنشـاط بريطانى متزايد على الحـدود • وقرر رومل القيـام بضربة مؤداها اكتشاف ما ينتويه خصومه ، وافساد ما قد يقومون به من استعدادات لهجوم قد يعرقل مشروعه لمهاجمة طبرق • وكانت فرقة البانزر الحادية والعشرون تمثل القوة الرئيسية ، وكان الهدف الرئيسى مستودع تموين بريطانيا مشتبها فيه يبعد ١٥ ميلا شرقى سلك الحدود وهو مستودع لا وجود له فى الواقع •

وقد شن الهجوم فى ١٤ من سبتمبر وانسحبت « جماعة السفد » السابعة تحت قيادة الفرقة الهندية الرابعة حتى نفد الوقود من دبابات فون رافنشتاين المطاردة وقد قصفت الأخيرة بالقنابل قصفا شديدا ، ثم عادت الى ما وراء الحدود • أما رومل نفسه الذى كان بمركبة القيادة التى أسرت فكاد ان يتخلف عن الركب عندما ثقب اطار سيارته ، وكان عدم وجود أية علامات للاستعداد ، مع الاستيلاء على مركبة حافلة بأوامر لم يرد فيها ذكر أي هجوم مقبل ، كفيلا باقناع رومل بأن البريطانيين ليس عندهم مثل هذه النية • وما كان لضربته ان تقع فى لحظة أكثر ملاءمة لاوكنليك ، فقد كان من المقرر ان يبدأ مد الخط الحديدى الى المنطقة التى وصلت اليها دبابات رومل وانشاء مستودع التموين الرئيسى هناك توطئة لهجوم الجيش الثامن من لوشيك خـلال بضعة أسابيع ، وهكذا اسـتغرق رومل فى أمن « زائف » •

※ الكروسيدر تستعد..

فى الوقت الذى كان يستعد فيه رومل لعملية « حلم ليلة من ليالى منتصف الصيف » كان أوكنليك قد أصدر تعليماته لكانتجهام لوضع خطة لاسترداد برقة بأكملها ، علي ان يكون الهدف المباشر هو تدمير القوة المدرعة للمحور • وقد اقترح أحد حلين : اما التقدم بمحاذاة الحافة الشمالية لبحر الرمال الاعظم من الجغبوب الى بنغازى والطريق الساحلى الممتد جنوبها عن طريق جالو أو الاندفاع على طول الطريق الساحلى الى طبرق مع هجوم مخادع « فى الوسط والجنوب » وقد تقرر ان يكون أوائل شهر نوفمبر موعدا لتحقيق هذا الهدف وسرعان ما اتضح أن صعوبات الامداد وتوفير المساعدة الجوية والدبابات للخطة الاولى أمور يتعذر تذليلها عمليا ، وان كانت تبدو بارعة على الخريطة المصممة بالقاهرة • ولم يكن العدو بحاجة للرد عليها ردا جديا ، حتى هددت بنغازى تهديدا مباشرا • وكانت القوة ستتعرض لهجوم جوى عنيف ، كما ان خط تموينها سيطول ويصبح معرضا للعدو • وفى نهاية شهر سبتمبر قدم كانتجهام خطته التى تقرر قبولها • كان على الفيلق المدرع رقم ٣٠ ومعه الفرقة المدرعة السابعة وفرقة جنوب أفريقيا الاولى ولواء الحرس (الجاردر) الثانى والعشرون تحت القيادة ، ان يعبر الحدود قرب حصن مادلينا الذى يبعد اربعين ميلا جنوب أقصى موقع للمحور غرب سيدى عمر ويدمر تشكيلات العدو المدرعة قـرب طبرق ، وبالتالى يفك الحصـار عن الحصن نفسه بالتعاون مع مفرزة من حاميته • أما الفليق ١٣ ـ الذى خلف قوة الصحراء الغربية القديمة فى مقرها ، والذى تولى قيادته الآن الفـريق جودوين أوستن وكان الى عهد قريب قائدا للفرقة الافريقية الثانية عشرة تحت رئاسـة كانتجهام فى الحبشة ـ فيتكون من الفرقة النيوزيلندية تحت قيادة اللواء فريبج والفرقة الهندية الرابعة (مسيرفى) ولواء دبابات الجيش الاول (واتكنز) وكانت مهمة عزل مواقع ساقونا على الحدود بتشتيتها من الامام وتطويقها من الجنب الايسر • بعد ذلك يقوم الفيلق بتطهير المنطقة الواقعة بين الحدود وطبرق ، وفيما

※ الكروسيدر : اسم دبابة وترجمتها (الصليبى)

بين هذين الفيلقين • وتقدر المسافة الواقعة بين نقطتى انطلاقهما بنحو سبعين ميلا اذ كان أحدهما بالعدم والآخر بكابوتزو ، كان على لواء « جيت هاوس » الرابع المدرع ان يعمل بعد ان زود بدبابات القتال الامريكية « ستيوارت » • وقد وصف كانتجهام مهمته بما يلى : —

« معرفة مكان العدو وطرده ، مع مهاجمة تشكيلات العدو المدرعة (الفرقة المدرعة رقم ٢١ حاليا) التى قد تحاول التدخل فى عمليات القوة الشمالية اذا كان الموقف يسمح بذلك • أما اذا كانت قوات العدو المدرعة متفوقة عند مواجهتها فان هدف مجموعة اللواء هذه يكون أبعاد تشكيلات العدو المدرعة فى اتجاه القوة الجنوبية حيث يمكن حشد قواتنا المدرعة للتعامل معه » •

وكانت نيته الأصلية ان يبدأ «جيتهاوس» المعركة تحت قيادة جودوين —أوستن ولكن هذا تغير فيما بعد • فبعد فك حصار حامية طبرق وتعزيزها ، كما رأينا ، كان عليها ان تخرج وتنضم الى الفيلق ٣٠ « فى اللحظة المناسبة » بينما كان على لواء المشاة الهندى رقم ٢٩ التابع للعميد رايد بسياراته المدرعة الملحقة من كتيبة استكشاف جنوب أفريقيا السابقة ان يتقدم من الجغبوب الى جالو للايحـاء بأن التهديد الحقيقى يكمن فى الجغبوب وايجازا للنقاط الرئيسية للخطة ذكر كانتجهام أن قوات العدو المدرعة هى الهدف ، وانه يتعين تطويقها وعـدم السـماح لهـا بالفرار • أما فك حصار طبرق فعملية عرضية بالنسبة للخطة •

ولعل من الجـدير بالذكر انه فى الوقت الذى أعدت فيه هـذه الخطة ، وتمت الموافقة عليها كان من المعتقد ان قوات رومل مشتتة • فقد كان من المعتقد ان الفيلق الايطالى الحادى والعشرين التابع للفـريق نافارينى والمحاصر لطبرق بمساعدة فرقة البانزر رقم ١٥ ، موجود فى الجنوب الغـربى • أما فرقة البانزر رقم ٢١ فقد كان من المعتقد عن صواب بأنها شـمال غربى البردية ، وان الفيلق الايطالى المدرع بين طبرق ودرنة • وقد عقد كانتجهام مؤتمرا يوم ٦ من أكتوبر لشرح هذه الخطة لقادة الفيالق والفرق • وفى الطريق الى المؤتمر قتل كل من الفريق بوب ، وهو من ألمع ضباط المدرعات بالجيش — وكان قد وصل أخيرا من انجلترا لقيادة الفيلق ٣٠ — كما قتل أقدم ضابطين من ضـباط أركانه وهما : العميد رسل الذى كان قد تولى قيادة اللواء المدرع السابع منذ تشكيله من لواء

فرسان القاهرة ، والعميد أنوين عندما سقطت الطائرة المقلة لهم بعد اقلاعها من القاهرة مباشرة . وفى المؤتمر لم يثر اعتراض بشأن الخطة . اما الهواجس فكانت صادرة عن فرق المشاة بالفيلقين ١٣ ، ٣٠ حيث كانت متخوفة من فكرة احتمال لقائهم للدبابات الالمـانية دون ان تكون لديهم دبابات تحت القيادة .

وقد كتب فريدج بعد سنوات يقول : ـ

« وأصغيت فى سخرية .. فقد كان الحديث يحمل ملامح قريبة الشـبه بالحديث الذى جـرى بينى وبين قائد قوة الصـحراء الغربية .... قبل كارثة « باتل اكس » ولم اشترك فى المناقشات حتى مناقشات استخدام الفرقة النيوزيلندية وفى الحال أعلنت أننى لا أوافق على خطة الخروج لمواجهة التشكيلات المدرعة الا اذا كان لدى دبابات تحت قيادتى المباشرة ... وقيل لى ان اللواء المدرع الثانى والعشرين (لابد انه كان يعنى الرابع) فى المعاونة ، فأوضحت ان هذا لا يعنى شيئا بالنسبة لى ، حيث ان من الممكن سحبه فى الأزمات ، وانه ما لم تكن لدينا دبابات تحت قيادتنا المباشرة فلا ينبغى ان تتحرك عبر السلك حتى تبدأ المعركة المدرعة . وفى هذا توخيت الدقة الشديدة . فوافقوا ، ولم نحد عن هذا المبدأ بملء ارادتنا قط » .

ورغم هـذا فقد قرر كاننجهام فى الاجتماع وضـع قوة جيتهاوس المركزية ـ وهو الاسم الذى كان يطلق على اللواء الرابع المدرع ـ تحت قيادة الفيلق ٣٠ وليس الفيلق ١٣ . وهكذا بدأ صراع بين الفيلقين على هذا اللواء القوى والوحيد الذى له كتيبة مشاة آلية ، وكتيبة مدفعية كاملة من ٢٤ مدفعا ، الى جانب كتيبة الحرس الاسكتلندى الثانى .

وكان القائد الجديد للفيلق ٣٠ وهو الفريق ويلوغبى نورى فى طريقه الى الشرق الاوسط بحرا مع فرقته المدرعة الاولى عندما طار من جنوب أفريقيا الى القاهرة ليحل محل بوب . هذا بينما شغل كل من العميد تابير وليساجت ـ جريفن ـ كلاهما حديث العهد بالصحراء مثله ـ مكان راسل وانوين ـ وكان نورى صديقا شخصيا لجوت الذى حل الآن محل كرديج فى قيادة الفرقة السابعة المدرعة فاهتم بطبيعة الحال اهتماما كبيرا بنصيحة المحارب القديم بالصحراء ، والتقى نورى بكاننجهام فى ١٥ من أكتوبر عندما اجتمع بالاخير الفريق سكوبى قائد

طبرق والفريق برينك قائد فرقة جنوب أفريقيا لبحث مسألة اخراج مفرزة من الحصن وكانت الفكرة الشائعة وقتئذ هى ان الفيلق ٣٠ سيتقدم أولا منطقة قبر صالح وتبعد ٤٠ ميلا جنوب شرقى العـدم وعلى نفس المسـافة جنوب غربى البردية • وكان من شأن هذا ان يثير رد فعل من جانب العدو • وكان من المرجو ان يؤدى الى معـركة كبرى بين دبابات الجانبين • وثقة فى انتصار الفيلق ٣٠ بهذه المعركة ، كانت الخطوة التالية هى التقدم نحو طبرق ، بحيث تهاجم فرقة جنوب أفريقيا الاولى القوات المحتلة من الجنوب الشرقى ، بينما تندفع الفرقة ٧٠ لملاقاتها على ان يصدر نورى الأمر ببدء العمليات ويوضع سكوبى بعد ذلك تحت قيادته وعندما يتم ذلك يتم تحريك الفرقة الايطالية غربا ، وعندما فكر نورى فى هذا بدأ كرهه يتزايد للقيود المفروضـة على اللواء المدرع الرابع والتى تقضى بحماية الجانب الايسر للفيلق ١٣ • والواقع انه لم يحبذ التوقف عند قبر صالح انتظارا لردود فعل العدو فبدأ يلح مطالبا بدفع قوة جيتهاوس الى العدم رأسا الى جانب الفرقة السابعة المدرعة بلواءيها المدرعين ، وهما لواء ديفى السابع الذى وصل أخيرا ، ولواء سكوت كوكبيرن الثانى والعشرون ، وجماعة السند التابعة لجوك كامبل وذلك لعزل فيلق كرويل الأفريقى بأكمله ، بينما البانزر الخامسة عشرة موجودة وقتئذ شرقى طبرق • ولم يقبل كاننجهام هذا فى بادىء الأمر حيث كان جودوين أستن مازال حريصا على أن تكون له بعض السيطرة على جيتهاوس حتى يزول خطر تهديد المدرعات • وقد أغرى هذا جوت بالتصريح بأنه سوف يندفع رأسا الى العدم وحده حتى بدون جيتهاوس • وتعرض جودوين استن لمزيد من الضغط لقبول ذلك بتأخير توقيت تطويق دفاعات الحـدود ، والتعرض لخطر التعامل مع أكثر من فرقة بانزر • وفى ٢٩ من أكتوبر قبل جودوين استن ذلك ، ولـكن كاننجهـام عاد فغير رأيه ورفض اقتراحا بالتوجه أثر ذلك الى طبرق • وقال : انه لا ينبغى ان تتوجه الى طبرق ما لم نعرف أن بوسعنا الاحتفـاظ بها يجب على قواتنا المدرعة ان تتخذ موقع معركة مركزيا ، اذا لاحظ العدو ما يجرى ، وقرر أن يتخذ موقعا فانه يتعين عليه اما ان يحشد مدرعاته للدفاع عن البردية أو طبرق ، أو يجزىء قواته • فاذا جزأ العدو قواته يمكننا ان نجزىء قواتنا • أما اذا حاول العدو الفرار فلن يمكننا عزله حتى ولو اتجهنا الى طبرق مباشرة •

وكان شاغلا نورى الآخران هما تدريب فرقة جنوب أفريقيا الاولى وحالة مدرعاته •

وقد استخدمت فرقة برينك التى لم تتعرض لمقاومة جدية فى مسيرتها من نيروبى الى أديس أبابا فى حفر دفاعات مرسى مطروح ، وبالاضافة الى التأخير فى استكمال مسألة نقل هذه الفرقة (وكان من المقرر ان تكون فرقة آلية خالصة) لم يتبق وقت أو فرصة للتدريب على الجديد فى حرب الصحراء • وعندما اقترب الموعد المقترح لعملية « الكروسيدر » وهو ١٨ من نوفمبر بدأ برينك ينزعج ، وحاول تأجيل الموعد ، ولكن أوكنليك كان قد لاقى كفايته من المتاعب مع تشرشل بسبب التأجيلات،ولم يكن بوسعه ان يستوعب المزيد،وأنذرنورى برينك بأن الفرقة الهندية الرابعة سوف تحل محله اذا لم يكن مستعدا للبدء فى الوقت المحدد ، واستسلم برينك استسلاما لعله كان مدعاة للأسف فى نظر المعنيين بالأمر • فقد كانت فرقة مسيرفى هى فرقة المشاة الوحيدة المدربة حقا فى الصحراء •

ورغم ان العدد الاجمالى لدبابات نورى كان كبيرا فى منتصف شهر نوفمبر فان الاعداد وحدها لم تكن تمثل الحقيقة ، فقد كان للواء السابع المدرع وحدات مدربة (الكتيبة السابعة الهوسار والكتيبتان الثانية ، والسادسة دبابات ملكية) ولكن قوتها الاجمالية (١٦٨ دبابة) كانت تشمل ٧١ دبابة من دبابات القتال القديمة طراز ١٣ أ ، ونفس العدد من دبابات كروسيدر الاحدث طراز (١٥ أ) بل وحتى ٢٦ دبابة من الدبابات القديمة طراز أ• ١ س التى بلغت حدا من العجز يتطلب نقلها الى ميدان المعركة فوق ناقلات • وفى المعاونة كان هناك ١٦ مدفعا (٢٥ رطلا) وسرية من لواء البنادق الثانى مع فصيلة من مدفع مضاد للدبابات ومدفع خفيف مضاد للطائرات ، وكان اللواء المدرع الثانى والعشرون وهو الحرس الأمامى لفرقة نورى الاولى المدرعة يتكون من ثلاث كتائب « يوامنة » حديثه والكتيبتان الثالثة والرابعة من « يومانة » مقاطعة لندن ، والكتيبة الثانية من هوسار جلاوسسترشاير الملكية • وكانت تضم ١٥٨ دبابة كروسيدر ، ولكن نظرا لضرورة تعديلها جميعا لدى وصولها الى الشرق الاوسط فان الوقت لم يتيسر للتدريب • وقد أمكن تدبير ثمانية مدافع (٢٥ رطلا) فقط من الكتيبة الرابعة لمساعدتها الى جانب سرية من الكتيبة الاولى (ك• ر• ر• س) وكان للواء الرابع المدرع الذى عاد الى دوره القديم كلواء قتال وحدات مدربة أيضا وممثلة فى كتيبة الهوسار الثامنة ، وكتيبتا الدبابات الثالثة والخامسة • ورغم أن الدبابات الامريكية المائة والخمس والستون الجديدة من طراز ستيوارت كانت محل

اعتبار فانها كانت تعانى عيبا تعبويا خطرا لقصر مداها البالغ ٤٠ ميلا فقط ، كذلك فقد توقف تدريبها اثر التحذير الكاذب من سرعة تآكل جنزيرها المغطى بطبقة من المطاط . وبهذا أصبح لدى نورى ٤٩١ دبابة ، ولم تكن دباباته هى الدبابات البريطانية الوحيدة ، فقد كان لواء دبابات الجيش الاول التابع لواتكنز بالفيلق ١٣ ـ ١٣٢ دبابة مشاة ، كما كانت الكتيبة الثامنة الملكية مزودة بدبابات فالنتاين والكتيبتان ٤٢ ، ٤٤ مزودتين بدبابات ماتيلدا ، وفى داخل طبرق ذاتها وصلت كتيبة الدبابات الملكية الرابعة لتضم دبابات القتال القديمة وعددها ٣٢ الى الدبابات الخفيفة لكتيبة الدبابات الملكية الاولى وسرية الماتيلدا من الكتيبة السابعة ليصبح المجموع ٦٩ دبابة . وبهذا أصبحت جملة قوة الدبابات البريطانية ٧٢٤ منها ٢٠١ دبابة مشاة سميكة الدروع و ٥٢٣ دبابة قتال من مختلف الانواع ، وجميع الدبابات مزودة بالمدفع عيار رطلين (أو المدفع الامريكى المماثل له عيار ٣٧ ملم) الذى يمتاز بعض الشىء فى اختراق الدروع فى ذلك الوقت على المدافع التى تحملها الدبابات الالمانية الاساسية بعلامة ٣ ، ٤ . وبالنسبة للدروع فقد كانت دبابات المشاة تتمتع بحماية أفضل من أية دبابة المانية . وكان لدبابات القتال ميزة أيضا باستثناء تلك الاماكن التى دعم فيها الالمان الدروع ، وان لم يحل دعمها دون اختراق قذيفة المدفع عيار رطلين لها على مسافات تصل الى ٥٠٠ ياردة ، بل وحتى ألف ياردة .

وفى مقابل هذه الدبابات السبعمائة كان لرومل ١٧٤ دبابة المانية (١٣٩ علامة ٣ ـ و ٣٥ علامة ٤) بخلاف الدبابات الخفيفة . وكان لدى فيلق جامبارا الايطالى المدرع ، الذى لم يكن قد وضع بعد تحت قيادة رومل وبالتالى لم يدخل فى اعتبار الجيش الثامن ، ١٤٦ دبابة ايطالية م ١٣ س وهى دبابة أدنى بكثير من أية دبابة قتال بريطانية ، ولا عجب اذا كان القادة من أوكنليك الى جوت واثقين من النصر فى معركة المدرعات . غير ان رومل كان يمتلك عناصر قوية على رأسها مدافعه المضادة للدبابات ، والمدافع الجديدة الطويلة عيار ٥٠ مم ، وهى أقوى بكثير من المدافع القصيرة من نفس العيار . هذا الى جانب المدافع ٨٨ مم الرهيبة التى أثارت الذعر فى معركة « باتل اكس » ومن السهولة بمكان على هذه المدافع التعامل مع كل من دبابات القتال ودبابات المشاة على مسافات كبيرة وقد زودت دفاعات الحدود بثلاثة وعشرين مدفعا عيار ٨٨ مم لدعم مدافع « سافونا »

المضـادة للدبابات عيار ٤٧ مم اما الاثنا عشر مدفعـا الباقية فكانت مع الفيلق الافريقى ، كما كان معه الستة والتسعون مدفعا عيار ٥٠ مم ولم تكن هذه المدافع متفوقة فحسب فى النوع على المدافع البريطانيـة ، وانما كانت نسبة المـدافع المضـادة للدبابات فى الوحدات الالمـانية أعلى بكثير من الاسلحة الاخرى • هذا بينما كانت المدافع البريطانية (عيار رطلين) المضـادة للدبابات منتشرة فى الميدان انتشارا خفيفا ، وبالمثل كانت المدفعية • ورغم ان البريطانيين كانوا متفوقين فى العدد فانهم لم يستطيعوا قط مجاراة رومل فى الحشد ، وان كان لابد من الاعتراف بأن الفرص والظروف قد ساعدت الاخير •

وفى ٢٦ من أكتوبر أصدر رومل أوامره بالهجوم على طبرق ، وكان من المقرر القيام به فيما بين ١٥ ، ٢٠ من نوفمبر • وكان على فرقة سومرمان الاقتحام من الشرق تتبعها فرقة البانزر الخامسة عشرة بقيادة نويمان ـ سيلكوف • اما الفيلق الايطالى الحادى والعشرون بقيادة نافارين والمكون من الفرق « بولونيا وبافيا وبريشيا » التى ضمت اليها فيما بعد فرقة « ترمتو » ، فكان عليه الاحتفاظ بالمواقع التى يتم الاستيلاء عليها ، ومساعدة الالمـان دون الاشتراك فى الاقتحام الفعلى • وكان من المقرر وضع فيلق جامبارا المدرع العشرين ومعه فرقتا أريت المدرعة وترستا الآلية جنوب طبرق للاشتباك مع أية محاولة بريطانية لتطويق دفاعات الحـدود • اما الهجوم على الاخيرة فكان صده من شأن فرقة البانزر الحادية والعشرين بقيادة رافنشتاين والموضـوعة فى الاحتياط جنـوب شرقى كمبوت لهذا الغرض • وكان رومل مصمما على هجومه على طبرق الى حد انه عندما أحيط علما بأن ثمة دلائل على استعداد البريطانيين للهجوم ، ومنها مد الخط الحديدى للامام ، انكرها غاضبا ، أصبح الايطاليون واثقين من ان الهجوم البريطانى وشيك ، بينما ظن الفـريق باستيكو ان أوكنليك كان فى انتظار مهاجمة رومل لطبرق حتى يشن هجومه • لهذا فقد كان يود تأخر الهجوم لا أملا فى انتظار تحسن موقف رومل من الامدادات فحسب ، وانما لحين وصول مزيد من الدعم ، وعلى الأخص فرقة ايطالية مدرعة ثانية • وازداد غضب رومل عندما ضغطت عليـه القيادة العليا لتأجيل الهجوم ، وفى اصراره على السماح له بالمضى قدما رفض الاعتراف بامكانية الهجوم البريطانى ، بل ومضى الى حد ضمان ان فون رافنشتاين يستطيع بفرقته وحدها وبسهولة صد أي هجوم يشن أثناء القيام باقتحام طبرق •

وعندما انقلب الجو ، وانهمر المطر كالسيل يوم ١٦ من نوفمبر قبل عبور الجيش الثامن لاسلاك الحدود بيومين تعذر القيام بمزيد من الاستكشاف الجوى ، ولم تكن رئاسة الباتزر ، رغم التحذيرات المؤكدة التى وصلت اليها ، معنية أدنى عناية بما قد يفعله كاننجهام • كانت الأعين جميعها قد حولت الى طبرق التى هوجمت فى النهاية يوم ٢١ من نوفمبر •

ولنتحول الآن لدراسة الهيئات الجغرافية التى من شأنها التأثير على المعارك المقبلة • انها تتكون فى الغالب من منحدرات ، ودروج صخرية تهبط بواسطتها الهضاب البرية الداخلة الى البحر ، وتختلف وعورة وارتفاعا ، حيث لا يمكن اجتيازها فى بعض الاماكن حتى بالدبابات • وهى تشكل دائما مانعا لتحرك المركبات ذات العجل ، وتعتبر أفضل الاماكن الصالحة لاحتلال المشاة والاستخدام ضد الدبابات وخاصة الاماكن التى تواجه الجنوب حيث تساعد على الاخفاء والتمويه • اما القمم فتتخللها الوديان عادة وتكون صخرية جدا دائما •

وأول هيئة هامة تصادفنا عند الاتجاه من الشرق الى الغرب تبدأ جنوبى بقبق عند الحدود المصرية ، وتلتقى بالساحل عند السلوم حيث يمتد الطريق الى كابوتزو كما يمتد منها درب الى ممر الحلفاية • ويسير هذا الجرف بحذاء الساحل الى البردية ، ولكن جرفا فرعيا يمتد منه غربا ليصبح عبوره أسهل عند تفرعه •

وبعد نحو خمسة عشر ميلا ينقسم الجرف الى قسمين ، ويستمر القسم الشمالى فى السير بمحاذاة الطريق ، حتى يتلاشى تماما على مسافة عشرة أميال غربى كمبوت • أما القسم الجنوبى فيمتد جنوبى المنطقة التى أنشىء فيها مهبط الطائرات وشمال طريق كابوتزو ، وهو الدرب الممتد من كابوتزو الى العدم ، وفى جنوب غربى كمبوت يقع تغيير هام ينبغى معرفته لفهم المعارك التالية • فهنا يتحول الجرف الشمالى الى جرفين صغيرين : الشمالى منها أشد انحدارا من الجنوبى •• الضئيل الارتفاع • ويعود الجرفان فيلتحمان ثانية ويصبحان شديدى الانحدار شرقى بلحمد تماما ، حيث يعرف باسم جرف بلحمد • ثم يواصل امتداده غربا شمال العدم حيث يعرف على التوالى باسم هضبة البترونا والرمل والرجل الى أن تتلاشى شمال غربى (نايتبريدج) أو جسر ثابت • وفى جنوب طريق كابوتزو يمتد جرف صغير من بيرشليتا ، ويواصل امتداده فى جنوب الدرب مارا بالنقطة ١٧٥ وسيدى

رزق الى ان يتلاشى ثانية جنوبى الدودة ويعرف هذا الجرف بجرف سيدى رزق ، وعلى مسافة أبعد جنوبا يمتد الجرف الثالث جنوب شرقى مطار سيدى رزق — وهو أشد انحدارا من جرف سيدى رزق ، ويتجه غربا حتى يتلاشى جنوب غربى العـدم .

والهيئة العامة الاخرى هى الجرف الساحلى الشديد الانحدار الذى يمتد جنوب فيابالبيا من طبرق مارا بعكرمة فالغزالة حيث يكاد يلامس البحر ثم يتحول الى الشمال الغربى جنوب التميمى بخليج بومبا ، وشمال هذا الجرف يميل المسار الى الطابع الصخرى أو العشبى وبالتالى يكون بطيئا ، ولكنه سهل جيد ، رغم ان الصحراء على مسافة ثلاثين ميـلا من الساحل قد تصبح سبخة فى أجـزاء دون الأخرى بعد هطول الامطار .

هـذه هى المنطقة التى كانت ستدور فوقها سلسلة من المعـارك الهامة فى الأشهر الثمانية التالية . ولم تكن مشابهة فى شىء لأية معركة سابقة أو لاحقة . كذلك فان الجنود الحـريصين المحافظين الذين كانوا يخشون الانحـراف عن الأسلوب الذى وضع فى الحـرب العالمية الاولى لم يجدوا ما يؤكد آراءهم فى العمليات المحيرة المضطربة التى اهاجت سطح هذه الصحراء لتزيد ضباب الحرب كثافة على كثافة . اما الخبرة السابقة فلعلها أشد تضليلا مما عداها . فالرجال الشجعان المهرة فى مهنتهم مع وجود تسليحهم يمكنهم تحقيق الكثير اذا جىء بهم فى المكان المناسب ، وفى الوقت المناسب . ولكن هذا كان شيئا من الصعب تحقيقه . لو كانوا سريعى التعلم والاستفادة من خبرتهم فان مهارتهم كفيلة بأن تتضاعف بسرعة ، ولكن الكثيرين لم تتح لهم الفرصـة ، اذ سرعان ما كانوا يموتون او يسرحون . وفى جيوش كلا الجانبين كان ثمة فارق حاد بين التشكيلات المدرعه خفيفة الحركة التى كانت تجوب الصحراء حرة طليقة ، وتلك التى على الجانب البريطانى ، والتى تبغض حشرها أو تقييدها بمواقعها ثابتة حيث لا ينبغى لها من المناورات سوى التقدم للامام ، والتعرض للمدافع المضادة للدبابات المندسة بين ثنيات الارض الصخرية ، وفرق المشاة التى كانت تتعرض عند تحركها تعرضا بالغا لجميع أنواع الاسلحة ، سواء كانت راجلة أم فى سيارات نقل غير مدرعة وكان الظلام خير ساتر لها . ومن الغريب أنها قلما كانت تستخدمه . ولكن طالما كان الاضطراب والغموض سمتين رئيسيتين فى قتال الصحراء فان الظلام قد يزيد الطين

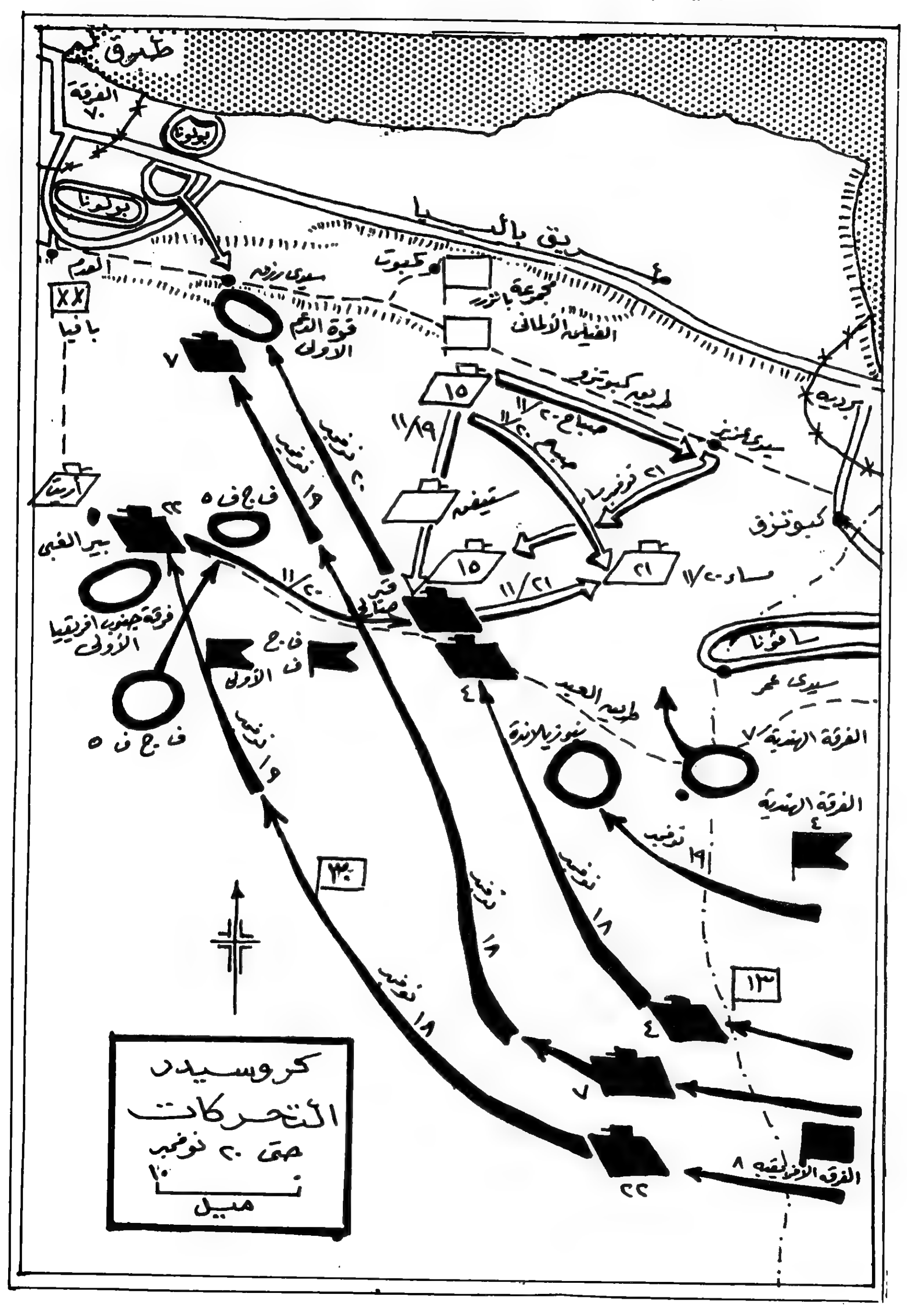
بلة • ولعله يبدو من الغريب انه فى البلاد التى لايمكن اخفاء شيء فيها يتعذر التعرف على الاشـخاص ، وامكنة وجودهم وكنه العمـل الذى يقومون به ، ولكن السبب فى ذلك هو انبساط الصحراء ، وعدم وجود موانع بها ، مما يسهل الحركة فى جميع الاتجاهات دون قيود ، بالاضافة الى ان المسافات خداعة جدا • فالاشياء التى يظن المرء انها بعيدة جدا كان يجدها فى متناول يده ، بينما يكون العكس صحيحا فى أوقات أخرى • وكانت تشكيلات المشاة والمدرعة على السواء خاصة الأولى ، معرضة للمفاجآت المزعجة ، حتى وهى تظن أنها بعيدة عن الخط الأمامى ، عندما ترى بضع مركبات أو سحابة من الغبار على مسافة ميل ولا تعرف كنهها • ولو كان لديها مركبة خاصة لاستكشاف الأمر فقد لا تعود ، اذا اتضح أنها للعدو • وعلى أية حال فان المرء لا يمكنه مواصلة ارسال جمـاعات الاستكشاف فى كل اتجاه لمعرفة كنه كل مجموعة من المركبـات ، فكثيرا لم تؤد محاولات مطاردة العدو الا الى تشتيت القوة فحسب • ولكن فجأة وفى غضون دقائق قد يتحول ما يبدو انه بضع مركبات صديقة الى رأس حربة لفرقة من فرقة البانزر ، وعندئذ ينطلق الجحيم من عقـاله • لهذا فان المرء لم يكن ليستطيع الاسترخاء نهارا ، وأصبح الليل هو الوقت الوحيد الذى يمكن فيه التزود بالطعام والمـاء والوقود والذخيرة الى جانب قسـط من النوم الذى أصبح ثمينا مثلما أصبح نادرا • وقد يظن المرء ان الطائرات كفيلة بتزويده بكل ما يريد من معلومات ، ولكن الجانبين لم يكونا ليصيبا منها فائدة تذكر عند تشابك القوات تشابكا وثيقا •

وكان التميز بين الصـديق والعدو متعذرا حتى على مسافة ميل على الارض • أما من الجو فقد كان مستحيلا • بل ان الطيار ما كان ليستطيع ان يحدد أماكن الأشياء دون وجود معالم أرضية ، شأنه فى هذا شأن الجندى أو يزيد • هذا بالاضافة الى التأخر فى تمرير المعلومات من الطرف الذى حصل عليها الى جميع الاطراف التى قد تستفيد منها • وعلى جميع المستويات كانت السمة المميزة لهذه المعارك هى عدم تمييز ما يدور من احداث ، وتعذر معرفة الصديق من العدو ، وتمحيص المعلومات الدقيقة فى حينها • لهذا كانت القرارات تتخذ من واقع صورة زائفة للموقف • وطالمـا كان الطرفان يعانيان من (الهلوسة) ويتصرفان تحت تأثيرها فلا عجب ان تفتقد المعارك أساليبها ، وأن يبدو المشتركون فيها فاقدى الرشد ، ولا عجب ان يفكر الكثيرون فى هذه الظروف مرتين قبل أن يقوموا أو

يلزموا قيــادتهم بالاقدام على العمليات الطائشــة التى كان يحثهم على القيــام بها باستمرار القابعون فى المؤخرة خاصة بعد ان انتهت العمليات الجريئة الاولى بالاخفاق • ومما يذكر نقيضا لذلك ــ ان كلا الجانبين قد واصل طويلا الارتطام بكل قواه بالجانب الآخر بغير هوادة • وبفهم هذه المعارك يتعين على المرء ان يدرك ان جميع ضروريات الحياة • فضلا عن العتاد الحربى ، ينبغى أن تنقل الى ميدان المعركة وان تحمل هناك • وكانت وحدات النقل مكونة ومصحوبة بعدد كبير من المركبات غير المدرعة والمعرضة للاصابة • وكانت ثمة قوافل ضخمة أخرى تجوب الصحراء فى الخلف لتجلب لها المؤن من محطة السكة الحديدية أو الميناء •

وكانت المسافات شاسعة ، ومع سبق شعور البريطانيين بالنقص فى المجال الجوى اعتادوا نشر مركباتهم على مسافات متباعدة جدا • وفى منطقة ميــدان المعركة وخلفها مباشرة كانت المركبات من جميع الانواع تحوم فى مجموعات متناثرة فى ظل سيطرة واهية جدا • وكان الاقتحام المفاجىء من جانب دبابات العدو لمثل هذه القافلة كفيلا بتشتيتها ايما تشتيت • ولئن كانت الدبابات سيدة ميــدان المعركة ــ كما قد يبدو ــ فقد كانت أقل قوة مما تبدو • ففى ذلك الوقت كان عليها ان تصل الى مسافة ١٠٠٠ ياردة من بعضها البعض أو أقل من ذلك لكى تصيب الدبابات المعادية • وكان بوسع المدافع المضادة للدبابات ان تقضى عليها من مسافات أبعد • وكانت الدبابات تحتاج الى الوقود والذخيرة • وكان على أفراد طاقمها أن يأكلوا ويناموا ويقوموا بصيانة دباباتهم التى كثيرا ما تتعطل ، وكان عليهم ان يتحققوا من سلامة أجهزتهم اللاسلكية البدائية التى فقدت كفاءتها بتقادم العهد • وكان عليهم ان ينصتوا طوال النهار وجانبا من الليل • وكان على جندى المشاة وجنــدى المدفعية ومدفعى المدفع المضاد للدبابات وجندى المهندسين ان يواجهوا العدو على مسافة قريبة عادة دون وقاية على الاطلاق بقدر ما يستطيعون حفره من الارض الصخرية الصلبة ، وهو أقل من القليل • وكانت محنة الجندى مروعة اذا كان العدو الذى يواجهه دبابة ، وهو لا يحمل سوى أسلحة لا تجدى معها فتيلا ، ونادرا ما استطاع ان يحمل معه ــ أسوة بالجنــدى المستقر دائما بمركبة ــ ما يلزم لاعداد كوب من الشاى وغيره من متع الحياة الصغيرة التى تجعل الحياة فى الصحراء محتملة • كذلك لم يكن لديه ساتر من الحرارة أو البرد أو المطر • وكانت مشكلة قائده التى لا حل لها هى كيفية التصرف فى حشــد

المركبات المعرضة للاصابة ، والتى تنقله هو وأسلحته عندما يتعين عليه الدفاع عن قطعة من الصحراء • فابقاؤها معه كفيل بجذب الانتباه لوجوده ، وبالتالى احتمال خسارتها جميعا بفعل نيران العدو • اما ابعادها فمن شأنه ان يحرمها من



الحماية ، بينما هى غير قادرة على الدفاع عن نفسـها ، وبالتالى فقد لا تعود • والبقاء فى الصحراء دون مركبات ما هو الا الوقوع فى أسر العدو •

وكانت هذه المشاكل مشتركة بالنسبة للجانبين • وفى البـداية كانت مشكلة المحور تبدو أبسط • ففرقة المشاة الايطالية وهى سافونا بالحدود ، وبرنشيا وبافيا وبولونيا حول طبرق ، وكذلك الفرقة الالمـانية « أفريقيا » لم تكن آلية • كانت مهمتها البقاء ساكنة بينما يتولى الفيلق الافريقى الالمـانى بقيادة كرويل وبمساعدة فيلق جامبارا ، مهمة احراز النصر ، وكانت حامية طبرق فى نفس المحنة • كذلك فقد كانت خطوط مواصلات رومل الادارية أقل طولا بكثير من خطوط مواصلات كاننجهام • وذلك انه كان قد بنى مستودعات بين طبرق والبردية على مسافة قريبة منه ، وان كانت مقيدة لحرية حركته الى حد كبير • فاذا ما اضطر الى التخلى عنها فانه لن يجد ما يلوذ به •

وعندما تفجرت العواصف الرعدية العنيفة فى هذه المنطقة فى ١٦ من نوفمبر ، كان مركز رئاسة رومل فى كامبوت ومركز رئاسة كرويل فى البردية ومركز رئاسة نافارينى فى العدم • وكانت فرقة البانزر رقم ٢١ بقيادة فون رافنشتاين فى طريق كابوتزو عند جسر العريض جنـــوب غربى كمبوت بينمـا كانت فرقة نويمان ــ سيلكوف رقم ١٥ فى الراحة على الساحل شمالا • اما فرقة سومرمان (أفريقيا) فكانت متداخلة مع فرقة بولونيا من بلحمد شمالا • وكانت فرقة بافيا فى العدم بجوار فرقة ترنتيو التى تفصل بينها وبين فرقة بريشيا الموجودة غرب طبرق على الساحل • وضمت كـــل من فرقة الاريت التى وصلت حديثـا الى (بيرغبى) ، وتقع على مسافة ٢٥ ميلا جنوب العدم ، وفرقة تريستا بـ « بير حكيم » وتقع على مسافة ٣٠ ميلا الى الغرب الى جامبارا ، وكانت وحدتا الاستكشاف رقم ٣ ورقم ٣٣ تغطيان الجنب الممتد من يمين سافونا بسيدى عمر غربا الى طريق العبد فى اتجاه الاريت • وكان رومل يعتقد ان مواقع البريطانيين لم تتغير فى منطقة الجبهة منذ « حلم ليلة من ليالى منتصف الصيف » رغم عمله بوجود لواء هندى فى الجغبوب • وكان يعتقد ان الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الخمسين المشاة (الموجودتين بقبرص فعلا) الى الخلف مسافة ١٥٠ ميلا قرب مرسى مطروح وتحت قيادة الفيلق ١٣ • ولا ريب انه كان سيدهش اذا رأى مدى ما وصلوا اليه مساء ١٧ من نوفمبر عام ١٩٤١ •

سيدى رزق

١٨ - ٢١ نوفمبر ١٩٤١

فى سلسلة من التحركات الليلية التى فرض فيها صمت مشدد على اللاسلكى حشدت فرق الجيش الثامن قرب سلك الحدود • وكان الخط الحديدى قد مد ، ومعه خط أنابيب المياه الى الامام عند القاعدة الامامية رقم ٢ قرب « صوفافى » الحد الأقصى لتقدم روميل فى « حلم ليلة من ليالى منتصف الصيف » وكانت ليلة باردة مطيرة عتت فيها الرياح ، وهطلت الأمطار ، وتعذر التمييز بين البرق والرعد وقصف الغارات التى كان من المقرر ان تشن بين البردية وطبرق • وعند فجر يوم ١٨ كان الفيلق ١٣ قد دفع بالفرقة الهندية الرابعة ولواء دبابات الجيش الاول الى مسافة ١٥ ميلا جنوبى دفاعات سافونا بينما كانت الفرقة النيوزيلندية تغطى منطقة شاسعة على مسافة عشرة أميال جنوبها • وعلى مسافة عشرين ميلا الى جنوب الشرق ، وعلى نفس المسافة شرقى السلك عند مادلينا ، كانت الفرقة السابعة المدرعة تغطى منطقة مساحتها ١٠٠ ميل مربع أخرى • والى الجنوب كانت فرقة جنوب أفريقيا الاولى يتبعها لواء الحرس رقم ٢٢ • وبمجرد ان اتضحت الرؤية بدأ الفيلق الثلاثون فى التحرك الى الامام ، وعلى رأسه السيارات المدرعة للفرقة السابعة المدرعة •

وكان روميل على جهل تام بكل ذلك ، ورغم ان الجو لم يكن جيدا فقد كانت المسيرة ممتازة • وكان الجيش بأكمله يشعر بفورة انفعال عارمة ، وهو ينطلق الى الامام فى حشد هائل واحد ، منتشر فى اتجاه الغرب فوق سلك الحدود ثم الى شمال الغرب فى اتجاه طبرق ، دون ان يتعرض للمراقبة أو المقاومة • ومنذ الساعة التاسعة فصاعدا كانت الدبابات تزود بالوقود بمستودعات كانت قد بثت سرا على طول الطريق • وبعد ساعة واحدة التقت السيارات المدرعة القائدة بطلائع العدو على خط طريق العين • وكانت تلك الطلائع هى وحدة الاستكشاف الالمانية

رقم ٣٣ التى قامت فى منتصف الساعة الحادية عشرة بالابلاغ عن وجـود قوة استكشاف بريطانية ، ولعبت السيارات المدرعة ووحدات الاستكشاف لعبة الاختفاء (الاستغماية) مع بعضها البعض بينما راحت الدبابات تشق طريقها من الخلف ، أما المدافع الالمـانية فقد منعت السـيارات المدرعة من دفع السـيارات المدرعة المقابلة لها الى الخلف • وهناك وصف مستخرج من يوميات « بات ستيوارت » من كتيبة الهوسار رقم ١١ لاحدى هذه العمليات كما يلى : ـــ

« كانت الارض أشبه بالفطيرة ، ولكن كان يبدو ان الشيء الوحيد الذى علينا ان نفعله هو التحرك • ولهذا فقد تحركنا ، وفجأة رأينا نحو احدى عشرة مركبة أمامنا ، وكنا نعتقد أنها مركباتنا حتى بدأت فى اطلاق النار •

ان التحرك بسرعة على ارض سهلة ، واصدار الأوامر للسائق ، واطلاق النار والابلاغ عن الاحداث ، هذا بينما قدمى على سلك لاقط الصوت ، وذرات من التبغ فى عينى ، وبينما تنزلق أرضية السيارة بأظراف القذائف الفارغة ، والبرج مغمغم برائحة البارود ، •• ان ذلك كله لا يتيح للمرء وقتا للخوف والانصات الى أزيز الطلقات المـارة فوق الرءوس ، بل ان المرء لا يكون لديه ثمة وقت للملاحة • وكان من العسير والبرج مائل يوحى بأن السيارة تتحرك حركة جانبية ، ان يذهب المرء حيثما يريد ، ناهيك عن معرفة المرء لمكانها • كانت الارض وموقع العدو هما اللذين يمليان علينا الحركة ، وليست الخريطة أو البوصلة •

وفى هذه المرة وفقت فى الاستحواذ على أرض طيبة ، وقاتلت قتالا مثيرا ، حتى انسحبوا ولبضع دقائق حافلة تركزت الحياة كلها فى تفجر قصير بالغ للصوت والرائحة والاضطراب ـــ ثم انقضى كل شيء ويخرج البعض من مدى النيران أو يختفى خلف تلة من الرمال،وتتباطأ الحياة لتعود القهقرى الى الأسلوب القديم• ثمة من يعد مشروبا ساخنا ، ويبحث عن ثقوب الطلقات ويخلى المكان من الأظرف الفارغة ، وينظف المدافع ، ويعود من جديد الى عملية المراقبة المعتادة والابلاغ عن الأحداث ، والى تلقى القصف ومعاناة الملل • ان المرء ليؤثر ان يعود الى التلاحم من جـديد •

هنا كانت الصحراء فى العام الماضى جافة ملتهبة الحرارة اما الآن فتحتشد السحب المطرة الكثيفة مع أفول الشمس وتزداد برك المـاء •

فى الليلة الماضية غرست سيارة فى الطين ، وبينما راحت سيارة أخرى تجذبها أحسست بقلبى يغوص فى تجويف معدتى من فرط الرعب عندما شاهدت دبابة على مسافة ٣٠٠ ياردة ومدفعها مصوب نحوى ، وكانت احدى دباباتنا ... وقضيت ليلة قلقة بعد تناول جانب من لحم البقر المعلب بمعجون الطماطم . وكانت وجبة رائعة .

فى الوسط كان لواء ديفى المدرع السابع قد اجتاز طريق العبد ، وقبر صالح ، فى ساعة مبكرة بعد الظهر ، ليجد الارض سبخة من الأمطار ، وتوقف اللواء بناء على خطة موضوعة على مسافة ١٥ ميلا فى اتجاه شمال الشرق ، وعلى مسافة تقل عن عشرين ميلا من سيدى رزق ، دون ان يتعرض سوى لمناوشة بسيطة مع وحدة الاستكشاف رقم ٣٣ ، وعن يساره اللواء المدرع الثانى والعشرون بالنطاق الخارجى للمنعطف وقد صادف أول عقبة من سلسلة عقبات تموينه ، فتخلف فى الوراء مسافة ٢٥ ميلا وعلى بعد عشرين ميلا جنوب غربى قبر صالح بينما فرقة جنوب أفريقيا الاولى جنوبها مرة أخرى ، وفى اليمين كان اللواء المدرع الرابع قد اجتاز طريق العبد ، وجاء ليقضى اليوم فى الراحة على مسافة ١٢ ميلا شرقى قبر صالح ، مما أرغم وحدة الاستكشاف رقم ٣ على الابتعاد خوفا ، حيث أبلغت فى الساعة الخامسة وقبل حلول الظلام بساعة ان ٢٠٠ دبابة قد هاجمتها ، وهو تقدير لا يجاوز الحقيقة بكثير . وكان جينهاوس عندئذ على مسافة ٢٢ ميلا جنوب شرقى ديفى . وفى اتجاه مؤخرته اليمنى وعلى مسافة ١٥ ميلا كان اللواء الهندى السابع على جانبى السلك عند « شفرزن » بينمافريبرج على مسافة عشرة أميال أخرى الى الجنوب وغربى الحدود .

كان كاننجهام قد رحل مع نورى لكى يظل على اتصال وثيق بالموقف ، وليتمكن من اتخاذ القرار الهام عند الوصول الى قبر صالح ، وهو التصرف على ضوء ردود فعل العدو . والغريب انه لم يكن يبدو ان هناك عدوا قط ، وبالأحرى فانه لم تلاحظ أية ردود فعل من جانبه ، وربما كان الشىء الذى فوت عليه غرضه هو نجاح الاجراءات الحاسمة بالنسبة للمعركة . وقد عهدت الأوامر الصادرة فى ذلك المساء لسكوت ــ كوكبرن بمهمة الاستكشاف فى اتجاه (بيرغبى) والاستعداد لاحتلاله . أما برنك فطلب منه الاستعداد

لاستلامه منه فضلا عن احتلال موقع لواء آخر على مسافة ١٥ ميلا الى الجنوب ، حيث كانت هذه المواقع معدة بوضوح لحماية الجانب الايسر • اما ديفى فطلب منه القيام بالاستكشاف فى اتجاه سيدى رزق ، والاستعداد لاحتلاله أيضا • وظل جيتهاوس تحت قيادة جوت ، ولكنه مع استمرار ارتباطه بمهمة حماية جنب جودوين ـ أوستن الايسر لم يكن ليستطيع التحرك غرب خط يمتد شمالا من غرب قبر صالح مباشرة • ولما كان كانتجهام متلهفا على بدء عملية فك الحصار عن طبرق بأسرع ما يمكن فقد كان على الجميع « ان ينشطوا غدا » •

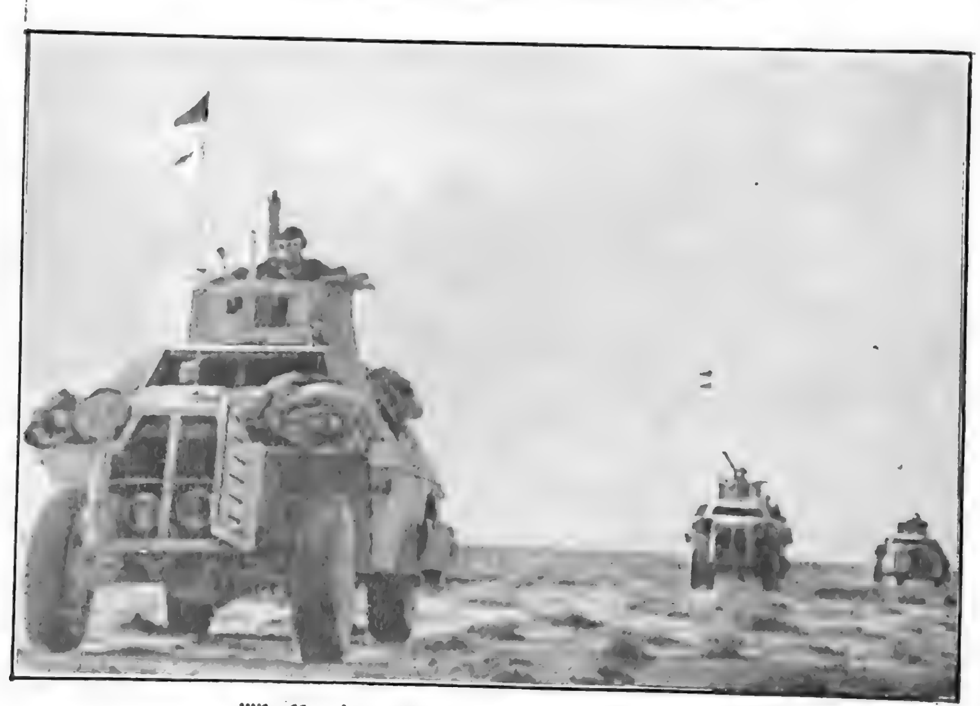
كان هذا كله يسير وفقا لرغبة نورى الاصلية ، وهى شق الطريق رأسا الى النقطة الحاسمة ، لا وفقا لرغبة كانتجهام ، وهى الالتحام فى معركة دبابات كبيرة قرب قبر صالح ، يعقبها تقدم فى اتجاه طبرق وفك الحصار عنها طبقا للخطة المرسومة • واذا كان الايطاليون فى (بيرغبى) فسوف يهجرونها بلا ريب خوفا من سكوت ــ كوكبرن الذى سيكون بعد ذلك حرا فى الانضمام الى ديفى قرب سيدى رزق ، بينما يقوم برينك بمهمة بسيطة هى حماية الجنب الايسر • وكان القيد المفروض على جيتهاوس متعبا ، ولكن اذا ظهرت الدبابات بالفعل فى تلك المنطقة فسوف يكون فى وضع طيب يسمح له بحماية خط التموين من المستودعات بعد انشائه جنوب طريق العبد بمساعدة جماعة سند جوك كامبل التى كانت ستترابط قرب قبر صالح مؤقتا •

كانت الخطة رغم تفاؤلها غير ضاربة فى الخيال • ولكن تباعد الألوية المدرعة الثلاثة كان من شأنه ان يتسبب فى كارثة اذا ظهر كرويل فجأة قرب قبر صالح بفرقتيه البانزر • ولكنه لحسن الحظ فى هذه المرة لم تكن لديه هذه النية •

وكان التحرك الوحيد هو الذى قام به فون رافنشتاين الذى ارسل سرية من الدبابات ، وقطعا من المدفعية لدعم وحدة الاستكشاف رقم ٣٣ بعد ظهر يوم ١٨ وعند آخر ضوء اقترح ارسال كتيبة البانزر الخامسة ــ جميع دباباته ــ الى المنطقة الواقعة شمال قبر صالح ، للقضاء على العدو والمواجهة لوحدة الاستكشاف فى الجنب ووافق كرويل ولكن رومل ألغى هذا الأمر • وعندما اجتمعا فى كمبوت فى الساعة الثامنة ، بعد ربع ساعة من اصدار كرويل الأمر لفرقة البانزر الخامسة عشرة بالتحرك من منطقة الراحة قرب البحر والتجمع استعدادا للمعركة جنوب



شكل ٧ ــ دبابة « ماتيلدا » معطلة فى الحلفاية

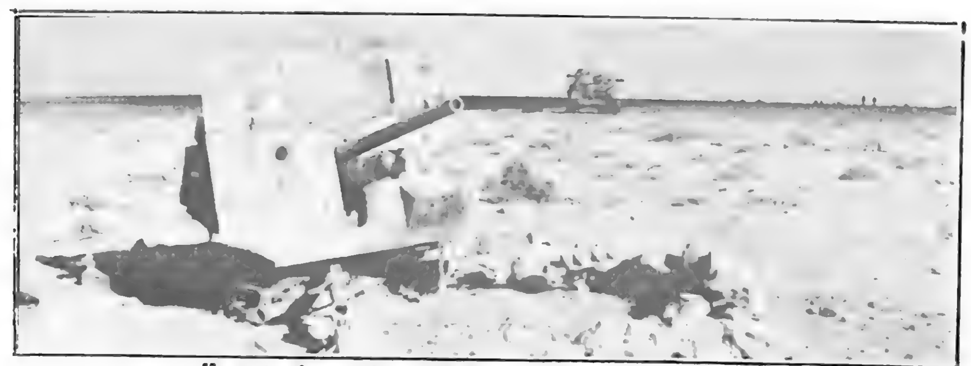


شكل ٨ ــ سيارات مصفحة تطوف المنطقة

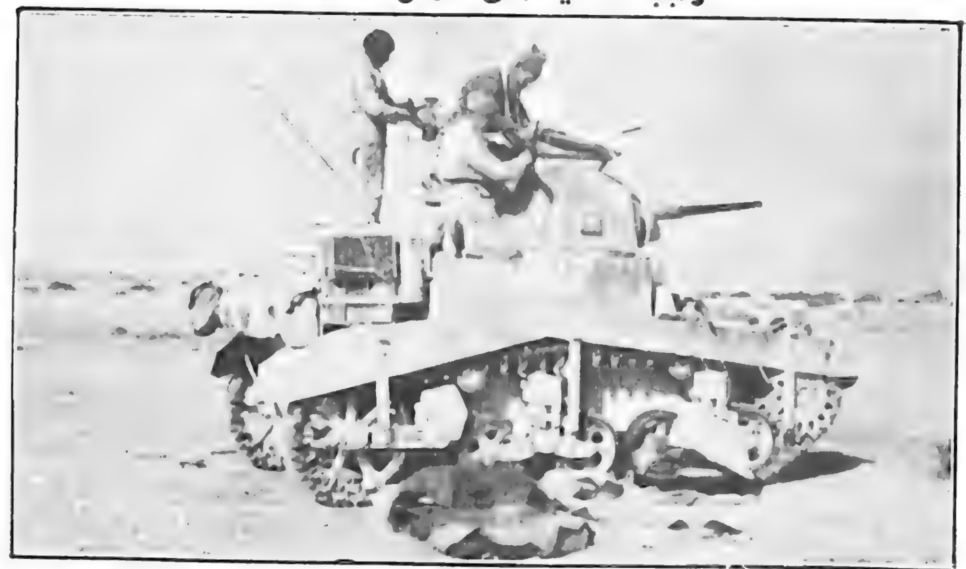
كمبوت • وقال رومل : « لا ينبغى ان نفقد أعصابنا » وكان وصف كانتجهام بأنه يخوض « حلم ليلة من ليالى منتصف الصيف » كتلك التى خاضها فى سبتمبر بنية ارهاب خصمه وثنيه عن مهاجمة طبرق • ولم يوافق على قيام كرويل بوضع نويمان ـ سيلكوف فى حالة تأهب ولكن كرويل لم يتخذ أى اجراء لالغاء أمره • وفى رسالة الى ضابط اتصاله بجامبارا ، لم يتحدث رومل الا عن الاستكشاف المركز • وقال : انه لا داعى للقلق ، وانه كان يحبذ ان يراقب الشرق والجنوب مراقبة دقيقة بل ان سافونا عندما أحيلت اليه المعلومات المأخوذة من أسير من أفراد المدفعية المعاونة للفرقة الرابعة الهندية والتى تعطى صورة كاملة لتحركات فرقة كانتجهام ، صرف النظر عنها باعتبارها غير موثوق بها ، وعاد الى خططه التى وضعها لمهاجمة طبرق •

لهذا لم يحدث تدخل من جانب العدو فى خطط الفيلق ٣٠ يوم ١٩ • وجاء أول حدث هام فى ذلك اليوم عندما صادفت كتيبة الهوسار الحادية عشرة ـ وهى تعمل كمقدمة للواء المدرع الثانى والعشرين ـ موقعا للعدو عند (بيرغبى) • وسأل سكوت ـ كوكبرن جوت الذى كان قد وصل توا لمقابلته : ماذا يصنع وقيل له ان عليه ان يهاجم وان يبدأ فى الشروع فى ذلك • ولم يكن لديه سوى سرية مدفعية وسرية من المشاة الآلية ، لهذا كان الهجوم سيعتمد على دبابات « الكروسيدر » وكتائب اليومزى التى بدأت فى استخدامها أخيرا ولاول مرة • ويصف الفايكاونت كرانلى ـ قائد احدى سرايا كتيبة يومانرى لندن الرابعة ـ الاحداث بما يلى : ـ

فى حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر صدرت الأوامر للكتيبة الرابعة (ك• ل• ى) والكتيبة الثانية جلاوسيستر هوسار الملكية ، بمهاجمة تشكيل من المركبات • وقد سمعت فيما بعد ان السرية ب من كتيبة الهوسار الحادية عشرة ـ وهى سرية الرائد بيل واينمان ـ وتتكون من محاربين قدماء ذوى خبرة عظيمة بالصحراء ـ قد حذرت ضباط أركان لوائنا الذين كانوا جددا على اللعبة ، من أنهم انما كانوا يهاجمون (بيرغبى) ، النقطة الحصينة ذات الدفاع القوى • ولكن ضباط أركاننا ظنوا أنهم أدرى بذلك ، ولم يبالوا بالتحذير ، ثقة منهم بأنهم انما يواجهون قوة متحركة ما زالت تبعد مسافة خمسة أميال شرقى (بيرغبى) •



شكل ٩ ـ مدفع بريطانى مضاد للدبابات عيار ٢ رطل
ودبابة المانية ٤ فى الارض الخلفية



شكل ١٠ ـ دبابة ستيوارت تجهز للعمليات



شكل ١١ ـ مدفع المانى مضاد للدبابات عيار ٥٠ مم

وشن الهجـوم • كانت الكتيبة الثانية (جلاوسستر هوسار الملكية) فى اليمين ، وكتيبة (يومانرى لندن الرابعة) على اليسار • وأخيرا تذوقت الكتيبة أول طعم حقيقى للحرب ، وهى تتحرك قدما الى الامام ملتزمة بكتاب التعليـم بكل دقة وملؤها الثقة • أستطيع ان أراها الآن • السرية (أ) قائدة والسرية (ب) فى الخلف الى اليسار ، والسرية (جـ) فى اليمين ، وعند تقدمنا نحو ما تبين أنه (بيرغبى) ، كما قالت كتيبة الهوسار الحادية عشرة بالضبط ، اتضح لنا أنها قوية التحصين تسترها دمى كاذبة ، تغطيها مدافع مخندقة مضادة للدبابات • وعندما فتحت النيران على السرية (أ) توقفت فى وضـع تعبوى لخوض المعركة • اما السرية (جـ) فقد أمرت بمهاجمة جنب العدو وحيث شوهد ــ خلال الضباب ــ رتل ثابت من وسائل النقل الآلى للعدو (اتضح فيما بعد انها دمى زائفة) وفى نفس الوقت كان على السرية (ب) ان تقوم بحركة التفاف واسعة ، وان تحاول الوصول الى مؤخرة العدو • وبينما كنا تتقـدم يمينا أمرت السرية (أ) بالانسحاب الى الاحتياط ، وكنا نشق طريقنا وملؤنا الثقة بالفصيلتين ١ ، ٤ فى الامام والفصيلة ٢ بقيادة جون دى بندرن الذى كان يعرف باسم الكونت • اما الفصيلة ٣ فكانت فى الاحتياط قريبة من مركز قيادة السرية • كان لدى ايحاء غريب بأننى سوف أفقد قائد هذه الفصيلة ــ جون هانكى ــ ورقيبه كاردى فى مستهل الحملة • ولهذا السبب ــ وهو ما قد يبدو غريبا الآن ــ عندما شكلت السرية للمعركة أبقيت هذه الفصيلة فى الاحتياط ، وقبل ان ينتهى اليوم تبين ان احساسى كان صادقا ، حيث لم يعد هذان الرجلان وجانب من الافراد من الاطقم التابعة لهما •

وبينما كنا نشق طـريقنا قدما ، فتحت مدافع العـدو نيرانها • وسرعان ما اصطدمت دبابتى بشرك مكون من رقعة كبيرة لحفرة من الرمال المشبعة بالزيت ، مما جعلنا نتعثر فى الحفرة ، ولكننا بفضل مهارة جاكسون فى القيادة تمكنا من الخروج منها • وفى نفس الوقت تلقيت رسالة بأن الفصيلة ٢ ــ التى كانت قد أقبلت من الجنب قد منيت باصابة جميع جنازيرها وانفصالها ، عدا دبابة الرقيب جونس ، ولكنها مازالت تقاتل بعنف ، وما زالت تتحرك وتؤدى واجبها • اما الفصيلة (أ) فكان الاتصال بها قد انقطع ولم تر أو يسمع عنها شيئا بعد ذلك • وعرفنا فيما بعد ان جميـع دباباتها قد أسرت • لهذا فقد أمرت الفصيلة (٣) وهى فصيلة الاحتياط بالدخول فى المعركة لمساعدة الفصيلة (٢) وبينما هى تتحرك اصطدمت

احدى الدبابات الشاردة من كتيبة دبابات جلاوستر هوسار الملكية ، بعد ان قتل قائدها ، وراحت تسير على غير هدى ، بدبابة هانكى ، وفصل جنزيرها ، وهى على مسافة ٧٠ ياردة من مدفع مضاد للدبابات للعدو • وكذلك ضربت دبابة مركز رئاستى الاحتياط التى أرسلت لنجدتهم •

لهذا فتح سائق جاكسون كوة السائق ، ووقف بحيث لم يعد يحيطه شيء يحميه على الاطلاق ، وصاح بى : (التافهون يقتلون مستر هانكى) ، ودون أن يمهلنى فرصة اصدار أمر اليه هاجم مدفع العدو المضـــاد للدبابات ، وحطمه ، وشطر المدفعى شطرين • ومن سوء الحظ انه بينما كان يقوم بذلك حطم جنزيرها الايسر ، مما جعلنا تتعثر فى سيرنا بصعوبة ، بعد ان فقدنا التحكم فى جهاز القيادة •

وبدأ الاعداء كأنما أرهبهم هذا الهجوم الجرىء اذ خرجوا تباعا من خنادقهم بأعـــداد كبيرة ليستسلموا • ولكن كان من نتيجة رفض رئاسة اللواء الاخـــذ بنصيحة كتيبة الهوسار الحادية عشرة عدم وجود مشاة قريبة لاحتلال الارض ومتابعة القتال ، بعد ان تحطمت معظم دباباتى • وسرعان ما تبين العدو الموقف ، وعاد ليطلق النيران علينا ثانية •

كانت أجهزة اللاسلكى لا تكف عن التعطل طول الوقت ، وبفضل مهارة جاكسون ظللنا تتعثر فى جنزير واحد خلال خنادق العدو ، ونسحق كل ما يعترض سبيلنا بمدفعين ينفثان بلا انقطاع • وكنت منهمكا فى محاولة السيطرة على باقى قوتى باللاسلكى الى حد أننى تركت لرجل مدفع دبابتى ، جيمى مارتن ، يقدر مسافته بنفسه ، فنجح فى مهمته الى حد بعيد • ثم أصيب جهازى اللاسلكى أيضا • فخلت لحظة اننا خرجنا بدورنا من السباق ، وفى تلك اللحظة الحرجة لحق بى نائبى ساندى كاميرون ــ وهو سمسار أوراق مالية فى وقت السلم ، ولكنه ميال بطبيعته الى الجندية وكان الأحرى به ان يجعلها مهنته الحقيقية ــ وانضم الى باقى الكتيبة •

وأيا كانت الخسائر فى هذه العملية فقد ظل أريتت مسيطرا على الميدان بينما اضطرب تنظيم اللواء المدرع الثانى والعشرون الى حد بعيد فيما بعد • لقد دمرت ٣٥ دبابة ايطالية و ١٢ مدفعا ، كما أصيب ١٥ دبابة أخـــرى ببعض التلف • اما البيان الرسمى البريطانى فيبين ان خسائر البريطانيين ٢٥ دبابة (بينما يدعى الايطاليون انها خمسون دبابة) وان كان اللواء قد ذكر ان خسائره من

جميع الانواع ، بما فى ذلك المعطل منها ، تقدر بخمسين بالمائة من قوته (أي بسبعين دبابة) وطالب بامدادات لدعم قوته •

وبينما كانت هذه الضربة تكال لخطة نورى وحسن سيرها كان كل شيء يسير على ما يرام فى الوسط • وكان الوقت قد قارب الظهيرة عندما اذن كاننجهام لنورى بالمضى فى خطته ، والتوجه الى سيدى رزق ، ولكنه مع ذلك لم يرفع القيد عن جيتهاوس • وشرع ديفى بعد ذلك فى التحرك ، وعند الساعة الثانية كانت سياراته المدرعة (كتيبة جنوب أفريقيا الرابعة) تشرف من الجرف الجنوبى على المطار غير المدافع عنه • ومع ذلك فان الدبابات لم تكن قد وصلت حتى الساعة ٤ر٣٠ لتشن الهجوم ، والطائرات مازالت تقلع • وعندما هبط الظلام اجتمع اللواء بأكمله هناك ليثير ذعرجنود الفرقة الاجنبية بكتيبة أفريقيا رقم ٣٦١ بالنقطة ١٧٥ شرقا • ولم يكن مع ديفى سوى سرية واحدة من المشاة الآلية : وكان قد تحتم على كامبل الاستعداد للحضور فى اليوم التالى ، ولكن فى ظل القلق على (بيرغبى) لم يتم تحريكه الا الى حيث بدأ ديفى •

واذا توغلنا شرقا نجد ان ثمة موقفا أشد اضطرابا قد نشأ • فقد تصدت سيارات جيتهاوس المدرعة من حرس فرسان الملك لوحدة الاستكشاف الثالثة مرة أخرى ، وللمساعدة على اقصائها ، أملا فى العثور على مدرعات العدو •• ارسل جيتهاوس كتيبة الدبابات الثالثة الملكية لمساعدتها • وفى نوبة من الحماس ضلت الدبابات طريقها شمالا أثناء المطاردة • وعند الساعة الثانية كانت سريتها القائدة فوق طريق كابوتزو غرب سيدى عزيز • وقد توغلت احدى فصائلها بعيدا ، بحيث أصبحت ترى البحر من الجرف المطل على البردية ، وأصبحت الكتيبة وقتئذ محصورة بين دفاعات الحدود وفون رافنشتاين الذى كان قد حصل أثناء النهار على صورة أوضح وأقوى لقوة الهجوم البريطانى • واقترح ارسال مجموعة قتالية قوية لدعم وحدات الاستكشاف ، ووافق كرويل ولكنه ذهب لمشاورة رومل فى الأمر عند الظهيرة • وعند الساعة ١٢ر٣٠ تلقى فون رافنشتاين تأكيدا لأوامره • كان عليه ان يرسل كتيبة البانزر وقوتها ٨٥ دبابة علامة ٣ ، ٤ ، وخمس وثلاثون دبابة خفيفة علامة ٢ مدعمة باثنى عشر مدفعا ١٠٥ مم ، وأربعة مدافع ٨٨ مم للتقدم جنوبا فى اتجاه قبر صالح ، والتعامل مع العدو • وهناك تم التحرك فى اتجاه

جنــوب الشرق والاقتراب من سيدى عمر • وفى هــذه الاثناء حذر نيومان — سيلكوف من تحريك فرقته عند آخر ضوء الى جنوب غربى كمبوت • فاذا جزأ البريطانيون مدرعاتهم ، فكذلك سوف يفعل رومل الذى حضر بنفسه فى الساعة ٢٫٣٠ للاشراف على تقدم ستيفان بمجموعة القتال سالفة الذكر • وكانت المطاردة العنيفة التى دارت فى اتجاه شمال الشرق قد حرمت جيتهاوس من ستار سياراته المدرعة فضلا عن حرمانه من احدى كتائب دباباته • ما الكتيبتان الاخريان ، وهما كتيبة الهوسار الثامنة وكتيبة الدبابات الملكية الخامســة ، فكان يفصــل بينهما عشرة أميال ، حيث كانت الكتيبة الثامنة على اليسار ، وعلى مسافة ستة أميال شمال شرقى قبر صالح • وهنا أطبقت عليها دبابات ستيفان فجأة • واستغرقت المعركة ساعتين حتى حل الظلام • وجيء بكتيبة الدبابات الملكية الخامسة للمساعدة ، واستدعيت الثالثة من غزوتها البعيدة ، ولكن استدعاءها جاء متأخرا ، فلم تشترك فى المعركة • وفقدت كتيبة الهوسار عشرين دبابة من دباباتها طراز (ستيوارت) كما فقدت كتيبة الدبابات الملكية الخامسة ثلاث دبابات ، ولكن ١٢ دبابة منها أصبحت صالحة للعمل خلال يومين • وقد أعلنوا عن تدمير ١٩ دبابة بصفة مؤكدة ، واحتمال تدمير ٢٦ دبابة ولكن خصــومهم أقروا بتدمير ثلاث دبابات ، وتعطل أربع • وكان هذا هو أول تقدير فى سلسلة من التقــديرات المبالغ فيها لخسائر الدبابات التى أمكن الحاقها بالعدو والتى كان لها أثر كبير فى اخراج صورة زائفة للعــدو •

واذا توغلنا يمينا مسافة أكبر نجد ان الفرقة الهندية الرابعة قد حركت احدى كتائبها خلف سيدى عمر ، كما تحرك النيوزيلنديون الى الشمال قليلا ، بحيث أصبحوا الآن على مسافة تقل عن ١٥ ميلا جنوب شرقى المكان الذى قضى به « جيتهاوس » الليل ، ويبعد خمسة أميال جنوب ميدان معركته •

وبانتهاء يوم ١٩ كانت قوات نورى مشتتة على مسافة شاسعة ، فى حين لم يوفق لواءان من ألويته فى لقائهما بالعدو ، وان لم يتضح هذا من تقاريرهما فى حينه • ومع ذلك فقد تم الاستيلاء على سيدى رزق بسهولة ، مع مبادرة كل من كامبل وسكوت — الى الانضمام بسرعة الى ديفى • وكان على بريناك مراعاة عدم قيام آريت بالتدخل ، رغم عدم اقصائها عن (بيرغبى) • أما جيتهاوس فيبدو أنه لم يجد صعوبة فى التصدى بمدرعاته لنصف المدرعات الالمـانية ، رغم غياب

احدى كتائبه ، ورغم ان كفته كانت الارجح فى الصدام • وكان تردد رومل فى تحركاته المضادة ، وعدم وجود معلومات مؤكدة أمرا محيرا لكانتجهام ، كان يبدو ان اللحظة الحاسمة لاتخاذ القرار لن تأتى أبدا ، ولهذا فقد اعتزم ان يترك نورى ، وأن يبادر صباح يوم ٢٠ بالعودة الى مركز رئاسته ، لعله يجد هناك ما يجلو ذلك الموقف الغامض •

ولم تكن الصورة أشد وضوحا على الجانب الآخر • فقد كان فون رافنشتاين يريد حينها من كرويل ان يحشد فيلقه مع مراعاة الحذر فى استخدامه ، حيث تبين ان العدو يفوقهم عددا • وطلب كرويل من مجموعة البانزر موافاته بالأوامر ، ولكنه لم يتلق سوى تعليمات مبهمة بالقضاء على العدو فى مؤخرة دفاعات الحدود نفسها•كان على (سومرمان) تطهير سيدى رزق ، اما (نفارينى) فكان عليه الاستمرار فى محاصرة طبرق بينما على جامبارا البقاء حيث كان للتعامل مع أية حركة تطويق واسعة ، حيث أفادت المعلومات عن تحرك من جغبوب • كان يبدو أن المطاردة العنيفة التى قامت بها كتيبة الدبابات الملكية الثالثة بعد الظهر قد بدأت تتمخض عن نتائج غريبة • فقد خيل لكرويل ان المدرعات البريطانية تتكون من مجموعتين رئيسيتين ، طاردت احداها وحدة الاستكشاف الثالثة حتى البردية تقريبا ، بينما قاتل ستيفان الأخرى قرب قبر صالح • وكان يبدو ان الاولى تشكل تهديدا أكبر • ولما كان رومل قد عهد اليه باتخاذ القرار دون قيد أو شرط فقد اقترح حشد القوات ضد الاولى ، وكان على نويمان ــ سيلكوف التحرك الى سيدى عزيز بينما حشد فون رافنشتاين قواته شمال سيدى عمر •

وكانت كتيبة الدبابات الملكية الثالثة التى أثار نشاطها كل ذلك قد ربضت على مسافة خمسة أميال شرقى ما تبقى من اللواء المدرع الرابع الذى تقدم ثانية فى الفجر بنية تجديد القتال مع ستيفان الذى أخر تحركه الى سيدى عمر تأخر وصول مركبات تموينه • وبعد ساعتين من قتال واصل فيه الطرفان محاولة تطويق بعضهما البعض ، انطلق (ستيفان) للانضمام الى باقى فرقته بعد ان خسر ربع دباباته (اثنتان منها خفيفة) وأعلن عن تدميره لثمانى دبابات • وقد عجل بتحركه ان مشاة فون رافنشتاين ــ وهى فى طريقها الى نقطة المقابلة من جهة شمال الغرب ــ أصيبت بالرعب عندما صادفت بعض المركبات المدرعة فاستنجدت بفرقة

البانزر الخامسة عشرة الموجودة شمالا • وكان من الطبيعى ان يفسر جيتهاوس رحيل سيفان بالانسحاب ، وبالتالى يشعر بانتصاره ، ولكن كان عليه ان يتزود بالوقود قبل المضى فى المطاردة الى مسافة بعيدة •

وعندما ظهر كرويل نفسه ليوجه الضربة التى سيتخلص بها فيلقه من القوة الموجودة وراء دفاعات الحدود ، كان قد بدأ يستوعب الاحداث على صورتها الحقيقية • ولكن عندما احتشد فيلقه طبقا للخطة المرسومة لم يعد بوسعه ان يصنع شيئا • كان على فرقة البانزر الخامسة عشرة ان تتزود بالوقود • وهذا ماكانت تريده الفرقة ٢١ — بدورها — فضلا عن حاجتها للتزود بالذخيرة ، ولكنها لم تتمكن من وضع يدها على خدها •

بينما كان الفيلق الافريقى الالمانى يطارد سرايا فى الشرق حاولت الفرقة الافريقية تنفيذ مهمتها باخراج اللواء السابع من مطار سيدى رزق • هنا وجد ديفى نفسه والجميع يطل عليه من كل جانب، من الجرف جهة الجنوب ، حيث لم يكن يوجد عدو لحسن الحظ ، ومن حافة جرف سيدى رزق (كان المطار يقع فى المنخفض الممتد بينهما) وفى الشمال قامت فرقة أفريقيا وبعض عناصر « بولونيا » المختفية عن انظاره ، متوسطة مراكزها بالمنحدر الخلفى لجرف سيدى رزق وبلحمد شمالا • لهذا لم تتوفر لديفى مواقع مراقبة طريق كابوتزو حيث لم يكن يرى سوى قمة الهضبة الواقعة شماله • وقد قام (سومرمان) بمحاولتين لرد اللواء المدرع السابع الى الوراء ، أحدهما — فجرا — بواسطة الكتيبة ٣٦١ من النقطة ١٧٥ والثانية فى الساعة الثامنة بكتيبته الاخرى رقم ١٥٥ • وقد صدت كلتاهما دون مشقة • وعندما وصل جوت الساعة ٩ر٤٠ خيل اليه ان ديفى قد أصبح على مسافة قريبة من طبرق الا ان مهمة تأمين فك الحصار عنها كانت تناسب مشاة كامبل ومدافعـه أكثر مما تناسب دبابات ديفى • وكانت مشاة كامبل قـريبة فسرعان ما تولت المهمة • كان يبدو انه لا توجد ثمة دبابات المـانية فى الطريق ، وبالتالى فقد كانت الفرصة سانحة لمؤازرة طبرق ، فطلب جوت من نورى اصدار الأمر لسكوبى لبـدء طلقته ، واخطـر نورى كانتجهام بذلك ، ولكن الاخير ساورته الشكوك • فلدى وصوله الى مقر رئاسته صباح ذلك اليوم ووجه بمعلومات أدهشته حيث أفادت تقارير السلاح الجوى الملكى عصر اليوم السابق بتحركات

عامة فى اتجاه الغرب من الحدود الى طبرق • وهكذا ولد انطباع ساد مقر رئاسة الجيش طوال الاسبوع التالى ، وهو ان هدف رومل الرئيسى تخليص قواته شرقى طبرق ، واعادة تشكيلها فى اتجاه الغرب ، وكان ذلك أبعد ما يكون عن تفكيره فى ذلك الوقت • وبعد ذلك علم الجيش الثامن من تصنته على اللاسلكى ان كرويل كان يحشد فرقته ، وان المعتقد انه ينوى مهاجمة جيتهاوس شمال غربى قبر صالح ، وقد أعرب كاننجهام عن قلقه لنورى بشأن تعرض جنبه الايمن للخطر ، ومن ثم صدرت الأوامر للواء ٢٢ المدرع بالتحرك شرقا ، والانضمام الى اللواء الرابع •

وقد استغرق هذا وقتا طويلا لعدة أسباب • كان اللواء قد منى ببعض الخلل فى تنظيمه نتيجة للعملية التى قام بها فى اليوم السابق ، وكانت الخطة تقضى بتوصيله للواء جنوب أفريقيا الأول (لواء بينار) حتى مكانه ببير غبى • وبعد ذلك يكون سكوت ـ كوكبيرن حرا فى الانضمام لديفى يليه لواء برينيك الآخر وهو اللواء الخامس الذى يقوده ارمسترونج • وكان بينار بطيئا فى تنفيذ مهمته ، وله بعض العذر فى ذلك ، حيث طلب منه ان « يحتل » بلواء واحد موقعا كانت تحتله فرقة ايطالية مدرعة • وقد تبودلت كثير من الرسائل بشأن المساعدة التى قد يحصل أو لا يحصل عليها من سكوت ـ كوكبيرن • وقد تمخضت هذه الرسائل فى النهاية عن قصر مهمته على الحيلولة دون التحرك من بير غبى ومهاجمة جنب نورى الايسر • ولم تكن تلك المهمة بالمهمة السهلة أيضا على لواء مشاة هش • ولم يتقرر كل ذلك حتى ساعة متأخرة من بعد الظهر • وفى هذه الاثناء كان كرويل قد واصل سيره مرة أخرى •

وكان كاننجهام بدوره معنيا بالتهديد الذى يشكله هذا على الفرقة النيوزيلندية التى لم تكن تبعد الآن سوى سبعة أميال جنوب شرقى جيتهاوس • ورغم ذلك فقد كان فرايبرج متفائلا • فبمساعدة دبابات فالنتين التابعة لكتيبة الدبابات الملكية الثامنة ، كان على استعداد للهجوم على أي شيء يصادفه • بل انه عرض المساعدة على جيتهاوس الذى رفضها ـ ربما لسوء حظه ـ رغم ان قبولها كان سوف يترتب عليه تحركه هو أو فرايبرج فى وجه الفيلق الافريقى الالمانى الذى أصبح الآن على مسافة ١٥ ميلا • ونتيجة لعدم تموين فرقة البانزر ٢١ لم تتمكن من

التحرك عندما تحركت الفرقة الخامسة عشرة على رأسها كتيبة البانزر الثامنة قائدة ، تليها كتيبة البنادق الخامسة عشرة . وفى الساعة ٤ر٣٠ التقتا بكتيبة الدبابات الملكية الثالثة على جنب جيتهاوس الايمن ، ويبدو وأنها فاجأتها على حين غرة . وعلى أية حال فقد كانت النتيجة وقوع اضطراب شديد فى بادىء الأمر ، ولم تتم استعادة السيطرة على الموقف الا بالانسحاب الى طريق العبد ، حيث تحركت كتيبة الدبابات الملكية الخامسة للمساعدة ، ونشبت معركة دبابات ضارية استمرت حتى الغسق . وفى هذه الأثناء كان سكوت ـ كوكبيرن قد وصل الى الجنب الايسر ومعه ١٠٠ دبابة كروسيدر . وقد أثار هذا بعض القلق لدى نويمان سيلكوف ، وانتهت العملية عند هبوط الظلام ، وفقد جيتهاوس ٢٦ دبابة ، فبلغ مجموع خسائره ٧٩ دبابة . وادعى تدميره لثلاثين دبابة للعدو ، ولكن الالمان لم يعلنوا عن أية خسائر ، وهكذا اصطدام جيتهاوس باحدى فرق البانزر مرة أخرى بينما وقفت الاخرى جانبا . وتكبد أعباء الصدام ، ولكنه لم يدرك ذلك حيث أضلته الادعاءات الكاذبة .

وقبل بدء هذه المعركة بنصف ساعة كان كاننجهام قد فوض نورى اعطاء سكوبى الكلمة الرمزية لبدء الاخير لعمليته فى صباح اليوم التالى ، وكان هذا قرارا هاما ، اتخذ فى ظروف مختلفة تماما عن الظروف التى كانت منتظرة أصلا . ولو كان الالمان قد تكبدوا بالفعل خسائر الدبابات المزعومة لكانت كفة القوة النسبية للدبابات ارجح بكثير فى جانب كاننجهام . ولكن ، حتى أشد المتفائلين ، ولم يكن كاننجهام كذلك ، لم يكن يستطيع القول بأن المدرعات الالمانية قد هزمت .

وفى هذه الاثناء كان جوت قد أمر كامبل بتأمين هضبة سيدى رزق فى ساعة مبكرة من يوم ٢١ بعد ان أصبحت مصدرا مستمرا للاضطرابات . وكان من شأن هذا ان يجعله على مسافة لا تزيد عن اربعة أميال جنوب شرقى الدودة ، وهو الهدف الاخير الذى كان سكوبى يأمل فى الاستحواذ عليه بعد ان نجح فى الهجوم المبدئى على جنوب شرقى الحدود الخارجية فى تطهير بعض مواقع العدو الدفاعية الرئيسية ، توطئة للتقدم الى الجرف الشاهق الذى يطل على المنطقة بأكملها . وفى ذلك الوقت كان جوت يأمل بأن يعمل لواء ارمسترونج الخامس لتيسير

استخدامه فى تطهير وتأمين المنطقة الواقعة بين كامبل وسيدى رزق وويلسون ــ بالدودة ــ الذى كان من المنتظر ان تكون قد اتصلت به كتيبة الدبابات الملكية السادسة التابعة للواء ديفى . وكان أقوى لواءين مدرعين من ألوية جوت محشودين فى مواجهة الفيلق الافريقى الالمانى حتى بدا الجانب الايمن مؤمنا ، أما لواء بينار ولواء الحرس رقم ٢٢ فى أقصى الجنوب فكانا يعتبران كافيين للتعامل مع الاريت حيث كانت فرقة جامبارا الاخرى ما تزال على مسافة كبيرة جهة الغرب . والمشكلة هى ان جوت أصبح الآن مسئولا عن ميدانى قتال منفصلين يتطلب كل منهما قيادة حازمة ورقابة دقيقة . وكان أحد الميدانين بسيدى رزق والآخر قرب قبر صالح . ولقد انضمت بعد ذلك عيوب القاء عبء مثل هذه القيادة الضخمة المتباعدة الاطراف على رجل واحد .

ومع ذلك ، فلم تكن هناك أية شكوك من جهة نورى . كانت الأمور بصفة عامة تسير كما ينتظر ، ان لم تكن أفضل فما كان ليأمل ان يقترب من طبرق دون مشاكل تذكر . ولم ينتقص من قوة الجيش الثامن حتى ذلك الحين سوى النزر اليسير . وقد كلف جوت باصدار الأوامر لسكوت ــ كوكبيرن وجيتهاوس باتخاذ مواقع القتال فى اليوم التالى ، حيث قاتلوا ذلك المساء بقصد مهاجمة الفيلق الافريقى الالمانى ومطاردته بلا هوادة اذا انسحب . وقبل اصدار هذه الأوامر كان كرويل أصدر أوامره . ورغم تقدير نويمان ــ سيلكوف المتحفظ بأن نتيجة قتاله لجيتهاوس « غير مؤكدة » ، فان كلا من رومل بل وكرويل أيضا اعتقد انه قد تخلص من القوات المواجهة له ، ولكنهما تبينا فجأة طبيعة الوضع الحقيقى فى طبرق . كان على فون رافنشتاين ان يتحرك وينضم الى نويمان سيلكوف أثناء الليل . وعند أول ضوء كان على الفيلق الافريقى بأكمله ان يتجه بسرعة فى اتجاه شمال الغرب ، حيث يوجد مطار سيدى رزق ، ليقضى على القوات الموجودة هناك . وقد أذاعت هيئة الاذاعة البريطانية فى الساعة التاسعة النبأ التالى : ــ

قام الجيش الثامن وقوامه ٧٥٠٠٠ جندى حسن التسليح والمعدات بشن هجوم عام بالصحراء الغربية بهدف القضاء على القوات الالمانية الايطالية بأفريقيا .



شكل ١٢ ـ الفريق « نودى » والعميد « ديفى » مع اسرى الحرب الهاربين من الاسر



شكل (١٣) اللواء جودوين ـ أوستن



شكل (١٤) المشير كاننجهام

وسواء أكان هذا النبأ هو الذى اقنع روميل أم لم يكن ، فقد خلع تفاؤله الأعمى فى النهاية ، ووصف الموقف فى مسرح القتال بأكمله بأنه « حرج » • وقد زاد من قلقه نبأ تقدم لواء ريد نحو بنغازى • وحث كرويل على العمل بسرعة عندما يسمح الضوء بتحركه •

واستمر تنفيذ حركة الكماشة المقررة لمحور الدودة ــ سيدى رزق دون علم بهذا التهديد • وسارت الطليعة من طبرق على ما يرام فى مبدأ الأمر ، حيث راحت دبابات الكتيبة الملكية السابعة والرابعة والاولى تؤدى دورا بارزا • اما كتيبة (بلاك ووتش) الثانية فقد خاضت قتالا ضاريا لتستولى على (تايجر) وتكبدت خسائر فادحة حيث فقدت ثلاثة أرباع قواتها وانخفض عدد الدبابات الى ٤٩ بعد ان كانت قوتها الاصلية ١٠٩ ، وان كانت قد خسرت ٣٠ دبابة بصفة مؤقتة • وقد أدت هذه العملية فيما بعد الى رد فعل قوى من جانب العدو وكان روميل مشتركا فيه شخصيا • وقد تم تحقيق معظم الاهداف ولكن حتى ولو كان الاستيلاء على الدودة ممكنا فقد تأجل ذلك نتيجة للاحداث التى وقعت جنوبا •

وكان كامبل بمساعدة كتيبة الدبابات الملكية الثالثة قد بدأ هجومه الساعة ٨ر٣٠ بجميع مشاته ، مدعمة بسرية من لواء البنادق الثانى و ٤٢ مدفعا • ورغم القصف الشديد الدقيق ونيران المدافع الرشاشة والمدافع المضادة للدبابات الصادرة من الهضبة فقد شددت القوة هجومها على الارض المفتوحة القاحلة ، واستولت على رقعة عرضها ميلان من الجرف عند منتصف المسافة بين النقطة ١٧٥ ، التى كانت الكتيبة ٢٦١ مازالت مسيطرة عليها ، وأسرت ٨٠٠ فرد ، أي ضعف قوتها من الافراد • وكانت عملية رائعة استثمرتها كتيبة الدبابات الملكية السادسة باندفاعها فوق الجرف عبر المقبرة فى اتجاه الدودة ، ولكنها بدلا من الانضمام الى باقى أفـراد الكتيبة ، بلواء ويلسون أخرجت من المعـركة بكامل أفرادها بواسطة ٤ مدافع ٨٨ مم كان روميل قد احضرها بنفسه • وقد استخدمت نفس المدافع من ويلسون فيما بعد ، ولكن المتاعب لم تأت من الشمال فحسب ،

فقد تلقى ديفى قبل الهجوم أنباء تفيد ظهور الفيلق الافريقى الالمـانى من جهة جنوب الشرق • وبعد ان سلم كتيبة الدبابات الملكية السادسة لكامبل قام بتحريك كتيبة الهوسار السابعة وسرية مدفعيته الثقيلة الى ماوراء القمة الواقعة جنوب



شكل (١٥) اللواء كرويل والعقيد بايرلين

شرقى المطار ، حيث كان يبعد خمسة أميال شمال شرقى كتيبته الأخرى ــ كتيبة الدبابات الملكية الثامنة • وكانت الأزمة تقترب الآن بسرعة حيث عجز جيتهاوس وسكوت ــ كوكبيرن عن منع كرويل من اطاعة أوامر رومل بالاسراع •

وعند أول ضوء أبلغت كتيبة الهوسار الحادية عشرة عن حشد كبير للدبابات الالمــانية على مسافة خمسة أميال شمال شرقى قبر صالح • وكانت خطة جوت الأولى أن يهاجم جيتهاوس جنبها الشرقى بينما يقوم سكوت كوكبيرن بايقافهـا من الامام • وقبل امكان تنفيذ هذه الخطة كان كرويل قد بدأ تحركه جهة شمال الغرب ، وعن يمينه فرقة البانزر الحادية والعشرون ، وعن يساره فرقة البانزر الخامسة عشرة • وقد اشتبكت فى قتال شنه كلا اللواءين المدرعين • ورغم تفوق الاخيرين فى السرعة ، فقد تمكن الالمــان من التخلص دون مشقة • وقد فسر تحرك الالمــان لسوء الحظ بأنه انسحاب لعدو منهزم نتيجة للخسائر التى منى بها فى الليلة السابقة ، ولعل هذا يفسر السبب فى ان تأثير هذا التحرك الالمــانى على موقف ديفى وكامبل لم يثر مزيدا من القلق • فاذا كانت فرقة البانزر الخامسة عشرة مجرد فرقة مندحرة ممزقة فان ديفى يستطيع بالتأكيد ان يتصدى لها حتى يلحق به اللواءان الآخران • ولكن كلا اللواءين رأي للأسف الشديد انه يتعين عليه الكف عن المطاردة والتزود بالوقود ، نظرا لأن دبابات جيتهاوس ــ وهى من طراز سيتوارت ــ كانت قصــيرة المدى بينما ضلت خطوط تموين سكوت ــ كوكبيرن نتيجــة للتحرك من (بير غبى) الى (قبر صــالح) فلم تمون الدبابــات بالوقود فى الليلة السابقة • وثمة نتيجة أخرى لهذه الحركة ــ وهى نتيجة موفقة هذه المرة • فاعتقادا بأن مدرعات العــدو قد هزمت الآن هزيمة مؤكدة ، تلقى جودوين ــ أوستن الأمر ببدء عملياته •

وكان الاخفاق فى تعطيل الفيلق الافريقى الالمــانى على الاقل هو الذى ختم مصير سيدى رزق ، فقد كان لواء ديفى هو أضعف الألوية الثلاثة حيث كان يضم أقدم الدبابات • وكانت احدى كتائبه مكلفة بمهمة فى الشمال يتعذر استردادها منها : أما كتيبته الثانية ــ وهى كتيبة الهوسار السابقة ــ فقد تحولت عن مساعدة كامبل لمواجهة هذا التهديد وتأخيره ، بينما كان على كتيبة الدبابات الملكية ان تتخذ لها موقعا مع المدافع الثمانية من السرية « و » التابعة لكتيبة المدفعية الرابعة على مسافة خمسة أميال جنوبى المطار ــ وفى الساعة ٨٫٢٠ شوهد رأس الفيلق

الافريقى الالمـانى وقد اختلط بأنساق مجموعة السند ، وبعد عشر دقائق عندما عبرت الفرقة الستون خط ابتدائها لمهاجمة هضبة سيدى رزق اصطدمت الفرقة البانزر الخامسة عشرة بكتيبة الدبابات الملكية الثانية ، وتحولت يمينا للاتصال بالفرقة ٢١ التى كانت قد تردت فى الاشتباك بالكتيبة السابعة للهوسار • ولم يمض وقت طويل حتى قضى على الكتيبة كقوة مقاتلة ، بعد ان هاجمتها فرقتان كاملتان من فرقة البانزر • وقد وصف العميد ديفى بنفسه هذه العملية فى معمعانها بالسجل التاريخى للكتيبة حيث قال : ـ

« فى نحو الساعة ٨٫٣٠ كانت المسافة حوالى ٢٠٠٠ ياردة عندما فتح العدو نيرانه مدعمة بالمدفعية والمدافع المضادة للدبابات على السرايا القائدة • وكان جانب من قواته ـ ويقدر بحوالى خمسين دبابة ـ قد تحرك شمالا لملاقاة الكتيبة فوقعت كلتا السريتين تحت نيران حامية • وكانت دبابات العدو مصحوبة بالمدافع المضادة للدبابات التى كانت تسبقها فى بعض الاحيان ، وان لم يمكن تمييزها فى البداية كعناصر معادية حيث كانت مختلفة مع المركبات البريطانية • وقد استخدمت بعض هذه المدافع بجرأة بالغة وسجلت اصابات قبل التنبه الى وجودها بين المركبات الاخرى • وقد شكلت (ب) خطا والتفت الى اليمين قليلا ، واشتبكت مع مقدمة ووسط الرتل الرئيسى للعدو ، ومفرزة جنبه • وتحركت السرية (ج) الى الجنب الايمن لمساعدة السرية (ب) • وبعد اشتباك عنيف انضمت مفرزة العدو الى الرتل الالمـانى الرئيسى الذى كان متجها فى ذلك الوقت الى الشمال تقريبا دون ان تبدو منه بادرة توقف •

وبدا ان العدو أيضا يشكل مفرزة أخرى من الدبابات من مؤخرة رتله ، وتقدمت هذه المفرزة بين عدد من مركبات النقل البريطانية المنسحبة ، وتوقفت فيما بين السرية (أ) ومركز رئاسة الكتيبة • واشتبكت السرية (أ) مع العدو ، ولكن الفارق كان جسيما وسرعان ما أمكن التغلب عليها بسهولة • وقد أصيبت دبابة الرائد سيمور ايفانز فأمر النقيب واطسون بتولى القيادة ، ولكن لم يكن هناك جواب حيث أصيبت دبابة النقيب واطسون كما أصيب هو بجراح • وهكذا انتهت السيطرة على السرية (أ) •

وهنا أمر العقيد بياس السرية (ج) بالتحرك يسارا ، لمساعدة السرية (أ) وحماية الجنب الايسر للكتيبة . وكان مركز رئاسة الكتيبة ذاته مشتبكا فى قتال متلاحم انتهى بتعطيل دبابتى الاتصال بالخلف ، وهكذا قطع الاتصال اللاسلكى بمركز رئاسة اللواء . وكان مركز رئاسة اللواء التعبوى ، المكون من اربع دبابات ، فى الواقع بين دبابات الكتيبة السابقة الهوسار يحاول عبثا ان يسمع صوته للغير .

وكان جهاز القيادة بدبابة النقيب نايير قد تعطل فراحت الدبابات تتحرك على غير هدى فى شكل دوائر . وعندما تحركت بهذه الكيفية فى اتجاه العدو المتقدم ترجل منها النقيب نايير ورجاله ، واحتمى الجميع بالدبابة عدا الملازم ستانلى ايفانز ، ولكنهم قتلوا . اما الملازم ايفانز فقد تمكن من الوصول الى دبابة أخرى ولم يصب بسوء .

وعندما تلقى الرائد كونجريف الأمر بتحريك السرية (ج) الى جنب اليسار بواسطة اللاسلكى طار نصف الجهاز من يده بفعل طلقة نار ، كما تطاير صارى اللاسلكى . وتتيجة لذلك لم يتلق الأمر سوى جزء من السرية (ج) بينما انسحبت باقى السرية ـ وقد أصبح خارج سيطرته ـ فى اتجاه الشمال الشرقى .

ومنذ لحظة الصدمة الأولى واصلت السرية (ب) اشتباكها العنيف برتل العدو الرئيسى ، وتكبدت خسائر جسيمة وقد ضربت دبابة الرائد ينجر فى أوائل الاشتباك ، فأصيب بحرق وجرح جرحا بسيطا . اما سائقه الجندى كرون ـ وهو من أوائل رجال الكتيبة الذين أصبحوا سائقين للدبابات ـ فقد قتل . اما عامل اللاسلكى والمدفعى العريف دويل ، ووكيل العريف ولسن فقد أصيبا بحروق بالغة . وبعد ان ركب الرائد ينجر بدبابة نائبه قام بسحب باقى سريته تدريجيا فى اتجاه مركز رئاسة الكتيبة .

وقدم نفسه شخصيا الى العقيد وانتقل الى دبابته . وكانت جميع الدبابات مشتبكة الآن اشتباكا قريبا بالعدو الذى أوقف تقدمه على الأقل . وفى هذه الاثناء أصيبت دبابة العقيد بقذيفة عيار ٥٠ مم فقتل لساعته وارسل الرائد ينجر اشارة لنائبه الرائد فوسديك الذى تولى القيادة وأمر باقى الكتيبة بالتجمع

والانسحاب قليلا فى اتجاه الشمال • وقد نفذت معظم الدبابات الأمر ، ولكن بعضها تجمع عند دبابة العميد بنوع الخطأ •

ولم يكن الاتصال اللاسلكى قد أعيد مع رئاسة اللواء ، ولهذا فانه بينما انسحب الرائد فوسديك ومعه اثنتا عشرة دبابة فى اتجاه شمال الغرب ، انسحبت دبابتان أو ثلاث مع دبابات رئاسة اللواء الى موقع قريب من سرية المدفعية « و » وأمرت فصيلة من سرية المدفعية « د » بتوجيه مدافعها الى الاتجاه الجديد ، والاستعداد لمهاجمة العدو اذا واصل تقدمه • ووضعت هذه الانسحابات المتعبة العدو بين الكتيبة وباقى اللواء • وكان الرائد فوسديك يأمل الانضمام الى باقى القوة من جهة الشمال ولكن منعه من ذلك كل من قوة العدو الرئيسية المدرعة التى لاحقته مسافة قصيرة ، والعدو المحتل موقعا بالارض العالية عند النقطة ١٧٥ شرقى مطار سيدى رزق • وكانت قوته الاجمالية الآن اثنتى عشرة دبابة ، معظمها مصابة أو مدمرة • وكانت مدافع الكثير منها معطلة بينما لم يتبق بالبعض الآخر سوى بضع طلقات من الذخيرة • وكانت جميعا تحمل الناجين من الدبابات الاخرى خارجها ، ومن بينهم عدد من الجرحى • وهكذا لم تكن الكتيبة فى حالة تسمح لها بالقتال لشق طريقها عائدة الى سيدى رزق ، وحاول الرائد فوسديك الآن الانضمام الى اللواء بالتحرك جنوبا » •

وكانت مدافع فرقة البانزر الخامسة عشرة المضادة للدبابات قد صدت كتيبة الدبابات الملكية الثانية صدا حاسما ، وشق كرويل طريقه حتى وصل الى الارض المرتفعة قرب أبيار العبيدات حيث يوجد منحدر عريض لطيف مؤدالى المطار من الشرق • وبدلا من الانقضاض على كامبل من الارض المرتفعة توقفت القوة للتزود بالوقود والذخيرة ، ولم تكن على استعداد لمواصلة السير حتى الساعة ١١٫٣٠ وفى هذه الاثناء تعرضت ست عشرة دبابة من دبابات فون رافنشتاين — وهى تقوم بالاستكشاف — بالحافة الشرقية للجرف الثالث لسرية سند لواء البنادق الثانى التى كانت تحمى مؤخرة كامبل اليمنى • وفى النبذة التاريخية التى كتبها الرائد روبين هيستنجر عن لواء البنادق يتناول القصة من هنا ليقول :

« تقدم العدو نحو السرية « س » • ولاحت ست عشرة دبابة فوق احدى القمم ، وهى تتحرك ببطء غربا وعلى مسافة ٨٠٠ ياردة داخل الوادى فى اتجاه

شمال الشرق • وفتح المدفعان الموجودان بالقمة الشمالية تحت قيادة « واردجين » — وهما من عيار رطلين — النيران عليها • واشتبكت المدافع (عيار ٢٥ رطلا) من كتيبة الميدان الستين معا بالرمى المباشر • واشتعلت اربع منها • اما الدبابات الباقية فقد توقفت ولجأت الى المراوغة هنا وهناك • وعندما وجـدت انها لن تستطيع السير قدما فى مواجهة نيراننا ، وان أنعمت النظر الى مواقعنا ، انسحبت خارج ميـدان الرؤية ، وكانت قد ردت على نيراننا بمثلها وأسـكتت المدفعين المضادين للدبابات • وكان من الواضح ان انسحاب العدو مؤقت فحسب • كانوا قد قاموا باستكشافهم وان تكبدوا بعض الخسائر • وكانت مواقع مراقبـة المدفعين ترى دباباتهم وهى تتزود بالوقود وقصفتها بالنيران قصفا مؤثرا • وكان كل من فى الكتيبة يعرف ان الالمـان سوف يختارون الوقت والمكان المناسب لهجومهم ، وان الدبابات التى قد تظهر فى أية لحظة فوق القمة ستصل الى ستين دبابة وليس ست عشرة دبابة ، وجمع « واردجين » ما تبقى من مدافعه المضادة للدبابات ، واستعدت كتيبة الميدان الستون لعملية الرمى المباشر — كما ارسلت الرسائل والضباط لتنبيه مركز رئاسة اللواء الى موقفنا وطلب المساعدة • وظهرت دبابات العدو من اتجاه غير متوقع ، ولم يكد رائد اللواء يصدق ما حدث ، فقد اتهمنا اللواء المدرع السابع باطلاق النار من كتيبة الهوسار السابعة ، وظن مركز رئاسة الكتيبة والسرية « س » ان المعركة مقصورة عليها دون سواها ، ولكن السرية « أ » بالقبة التى فيما وراء المطار تبينت بوادر الاستعداد للهجوم المضاد •

كانت السرية « ب » ومعها رتل « هوجو جارمويل » تتحرك بسرعة نحو أرض المعركة من الجنوب • اما السرية « هـ » التى تحمى النسق « ب » فقد وجـدت نفسها مهددة من حيث لا تتوقع ••

وعندما استعد الالمـان بدأ هجومهم • كانت ثمة هجمات بطائرات شتوكا الغاطسة القاذفة ، وان جرت بعيدا عن الكتيبة • وقامت المدافع الميدانية للعدو بقصف الموقع •• وكانت الخنـادق التى حفرتها الفصـائل الراكبة فى الارض الصخرية غير وافية بالمطلوب • وهكذا لزمت الفصائل مواقع أسلحتها بمجرد ظهور دبابات العدو • وكان مركز رئاسة الكتيبة واضحا للعيان بمركباته الثلاث المزودة بصاريات اللاسلكى المشرعة ، وقد انعزلت جانبا فوق الارض المكشوفة • وعندما تبين أفراد مركز رئاسة الكتيبة أنها ستكون هدفا واضحا لدبابات العدو ،

انبطحوا خلف مركباتهم وراحوا يبلغون باللاسلكى ما لديهم من أنباء سيئة ، ويطلبون نجدة مدرعة بلهجة يتضح منها ان الأمر لم يلتبس عليهم بحيث يظنون الاصدقاء أعداء ، وأرسلت خمس دبابات كروسيدر ، ولكن أضرمت فيها النيران قبل ان تقترب الى مسافة كافية من العدو ولتشتبك معه بمدافعها (عيار رطلين) وسرعان ما اشتعلت مركبتان من رئاسة الكتيبة • وقفز العريف وارنر من قسم الاشارة الى المركبة الثالثة وأدارها وقادها الى بر الامان دون أن يلحق بها أي عطل ــ وهو ما يعتبر من معجزات هذه المعركة المستميتة • وكانت مدافع كتيبة الميدان الستين (عيار ٢٥ رطلا) مشتبكة الآن مع دبابات العدو •

والى جانب ذلك فقد كانت هناك ثلاثة أسلحة قادرة على التعامل مع دبابات العدو ، منها مدفعان (عيار رطلين) على حاملتيهما غير المدرعتين تحت قيادة واردجين (من كتيبة المدفعية الثالثة) ومدفع بوفرز مضاد للطائرات تحت امرة بات ماك سوينى وقد اشتبكت هذه المدافع الثلاثة بالعدو بقدر ما تستطيع رغم أنها غير مدرعة ، واقصر مدى من مدافع العدو • ورغم ان مدافع البوفرز أطلقت ذخيرة عيار (٤٠ م) مضادة للطائرات ذاتية التدمير ، فان تأثيرها على الدبابات علامة ٣ ، ٤ لم يكن حاسما ، رغم اصابتها اياها داخل المدى المؤثر •

وكانت الجماعة الصغيرة الملتفة حول المركبتين المشتعلتين تراقب هذه المدافع الثلاثة ، وهى تطلق نيرانها على العـدو تراقب أطقمها وأفرادها المحتفظين تماما بهدوئهم ، ورباطة جأشهم ، وهم يسقطون واحدا تلو الآخر • لقد قدم العدو كل ما يملكه : نيران المدافع الرشاشة من دبابات علامة ٤ ومدافع الميدان ، ودمر مدفع (عيار رطلين) كما اشتعلت النيران بالمدفع البوفرز • اما أفراد المدفع الباقى فأصبحوا بين قتيل وجريح ، بينما بدأ السائق ــ ولا عجب ــ يقود المدفع مخرجا اياه من المعركة • وفى هذه اللحظة انضم الى « واردن جين » برئاسة الكتيبة « برنارد بينى » قائد السرية (م) من كتيبة المدفعية الثالثة وقال لـ « وارد » (اذهب وأوقف ذلك الفاسد) ورغم ما فى وصف قيادة مدفع لا فائدة منه وطاقم من الاموات خارج المعركة من افتئات فقد جرى « وارد » فى الحال ، وأوقفه ، وقاما معا بسحب الجثث من حاملة المدفع ، ونجحا فى تشغيل المدفع فى حين انضم « برنادر بينى » اليهما ، وما كان احد ليستطيع تقدير تأثير نيرانه ، لان النظر من

فوق حافة الخندق كان عملا انتحاريا حيث أصيب « ديك باسيت » فى رأسه و « توم بيرد » فى كعبه • وكان ثمة كلب صغير يعدو من خندق لآخر محاولا جهده العثور على صاحبه مع التودد لكل شخص • والحرج فى ذلك التودد ان حركاته استقطبت وابلا من نيران المدافع الرشاشة • وركز الالمان نيرانهم على مركبات رئاسة الكتيبة المحترقة والمدفع الوحيد الباقى ، ولكن أقرب دبابتين للعدو كانتا على الأقل مشتعلتين •

وفى غضون ثوان اشتعلت الحاملة ، فقد أصيبت العجلة الامامية اليمنى ، واشتعل الاطار كما اشتعلت الذخيرة المحفوظة خلف مقعد الراكب ، وأخذ (بينى) مطفأة الحريق ، وأخمد النيران المشتعلة بالاطار ، ولكن صناديق الذخيرة ظلت مشتعلة • وظل واردجين يطلق النار حتى أصيب فى جبهته وقتل لساعته ، ونحى (بينى) جثته من طريقه ، وواصل اطلاق النار حتى لحقت بالمدفع اصابات جعلته غير صالح للاستعمال • وعندئذ فقط ابتعد بالمركبة دون ان يصاب بأدنى أذى • وفى اليوم التالى وبمنطقة أهدأ نسبيا سقطت بالقرب منه قنبلة طائشة فقتلته • وزحف السائق متجها الى مركز رئاسة الكتيبة ، ووصل اليه فى وقت لا حق من ذلك اليوم وقد أوصى بمنح كل من « واردجين » و « برنارد بينى » صليب فيكتوريا • ومن الذين شهدوا حفل منح الأوسمة « توم بير » ، الذى تولى قيادة السرية (س) فيما بعد ، وهى السرية المضادة للدبابات التى كانت أعمالها البطولية بموقع (الاقتناص) ندا لبطولات كل من «جبن» و «بينى» •

كانت سرية (س) ومركز رئاسة الكتيبة قد حصرا فى أماكنهما الآن بصورة تدعو الى اليأس ، اذ كانت أدنى حركة تلوح فوق قمة الخندق كفيلة باستقطاب وابل غزير من النيران • وكانت دبابات العدو التى منعتها نيران مدافع الميدان من مواصلة التقدم تجتاح كل بوصة من موقعنا •

« اما المحاولة التى قام بها جاك لينج بحمالته لجمع الناجين من المعركة فقد قذفت بجحيم من النيران • وبالتدريج سكتت مدافع كتيبة الميدان الستين ، بعد ان استهلكت الذخيرة كلها ، أو اشتعلت بها النيران وأصيب أطقم المدافع أو دمرت المدافع ذاتها • وكانت ثمة مجموعات صغيرة من مشاة العدو تتسلل ببطء الى الامام • كان يبدو ان الموقع بأكمله سوف يكتسح ، ولكن شيئين حالا دون ذلك •

فبعد أن تحرك اللواء المدرع الثانى والعشرون بسرعة من بير غبى هاجم الجنب الأيسر للعدو • وتشتت انتباه العـدو ، وتحولت بعض دباباته لمواجهة التهديد الجديد • وفى نفس الوقت قام أوسكار تشيشر •• دون علم بالتعبوية الجديدة للمعركة •• بشق طريقه حتى أصبح على مسافة ٤٠٠ ياردة من مركز الرئاسة الذى اشتعلت به النيران ، ومن أرض غير مرئية للعدو صاح بالمحصورين داعيا اياهم لمحاولة النجاة • وتحت ستار نفثات قليلة من الدخان المنبعث من المركبات المحترقة ، واستقطاب الطائرات الصديقة المحلقة فى الجو لانتباه العدو •• تمكن معظم مركز رئاسة الكتيبة ومن بعده السرية (س) من الزحف بعيدا تحت وابل من النيران ، وقد خسرنا احدى الفصائل بالكامل تقريبا ، وقضى الناجون الليل قرب مركز رئاسة جماعة السند • وفى صباح اليوم التالى اتخـذوا موقعا لهم فوق جرف غربهم ، دون سرية مدفعية لمعاونتهم » •

بدا الموقف ميئوسا منه ، خف الضغط • فقد نفذت الذخيرة من الالمـان مرة أخـرى ، وتحول انتباههم لا الى ما يتهدد مؤخرتهم فحسب ـ وكان لا يزال بعيدا بعض الشيء ـ وانما الى تهديد جنبهم الايسر بفعل كتيبة الدبابات الملكية الثانية • وهنا أمر نويمان ـ سيلكوف كتيبة البانزر الثامنة بمهاجمتها ، بينما قام لواء مشاته بمهاجمة الجرف الثالث من اليمين حتى أصبح على مسافة ١٠٠٠ ياردة من مركز رئاسة كامبل • وعندما تكبدت كتيبة الدبابات الملكية الثانية خسائرها الفادحة بفعـل نيران المدفع ٨٨ مم تقهقـرت جنوبا الى ان تبقى لها ست دبابات صالحة فقط • ولم يكن بلواء (ديفى) الآن سوى ما مجموعه عشر دبابات تحت سيطرته ، حيث فصل الفيلق الافريقى الالمـانى بأكمله تسع دبابات باقية من كتيبة الهوسار السابعة •

وفى ختام هذه العملية كان اللواء المدرع الثانى والعشرون يرى ، وقد انحرف عن ميدان المعركة مسافة أميال فى اتجاه جنوب الشرق ، وقد تحول بعد ذلك والتحم التحاما قصيرا مع فرقة البانزر الخامسة عشرة قبل حلول الظلام ولكن سكوت ـ كوكبرن أو جيتهاوس لم يبعث بمـدد الى كامبـل أو ديفى فى ذلك اليوم • وفى الساعة العاشرة طلب جوت منهما المضى قدما ، ولكن التزود بالوقود استغرق وقتا طويلا كما شكوا من الارض السبخة التى اعترضت طريقهما • فقد استغرق بضع ساعات فى قطع المسافة التى اجتازها الفيلق الافريقى الالمـانى فيما

يزيد قليلا عن ساعة • وكان بوسع اللواء المدرع الثانى والعشرين التدخل تدخلا فعالا لمساعدة كتيبة الدبابات الملكية الثانية ، ولكنه بسبب غير معلوم ضل طريقه • أما اللواء الرابع المدرع فقد صده الحرس الخلفى لفرقة البانزر (الذى تشكل من الوحدات المضادة للدبابات) فلم يتجاوز بئر الرغيم التى تقع على مســـافة سبعة أميال جنوب أبيار العبيدات • وكان التشكيل الآخر الذى مضى فى طريقه للانضمام الى « ديفى » و « كامبل » هو لواء جنوب أفريقيا الخامس بقيادة ارمسترونج • وكان قد تحرك فى الصباح لهذا الغرض ، ولكن جوت نفسه هو الذى اوقفه فى الساعة العاشرة بعد ان أصبح على مسافة ١٢ ميلا جنوبى المطار • ذلك انه لم يشأ ان يرى هذا اللواء الواهن القليل الخبرة متورطا فى معركة متشابكة الاطراف ، وظل اللواء هناك طول النهار ، كما بقى معه بمركز قيادته التعبوى معظم النهار ، بينما كان مركز رئاسة الاساس ــ حيث قضى نورى معظم النهار ــ قريبا من مركز رئاسة « بريك » على مسافة تزيد عن عشرين ميلا أخرى فى اتجاه الجنوب • وقد واجه « بينار » « وأريت » بعضهمـــا البعض طوال اليـــوم عنـــد (بير غبى) دون احداث •

وكان اهتمام رومل أثناء النهار مقصورا الى حد كبير على تدخله الشخصى ، أولا ، لايقاف اندفاع كتيبة الدبابات الملكية السادسة من سيدى رزق ، وبعد ذلك لجمع شمل كل وحدة يجدها من وحدات الاحتياط لسد الطريق على الطليعة التى ستخرج من طبرق ، والتى وجدت نفسها الآن فى بروز حرج مكشوف من الشرق والجنوب • وبينما شعر رومل ان جهوده الشخصية وحدها هى الكفيلة بالحيلولة دون اتمام الاتصال بين الجيش الثامن وطبرق ، فان كرويل أيضا أخذ فكرة قاتمة عن الموقف بغير مبرر • لقد شعر بأنه محاصر بقوات قوية من جميع الاجناب ، وبدلا من ان يدس رأسه فى الانشوطة ــ كما تصور ــ باحتواء دفعته نحو بلحمد ، كما قيل له ان يفعل ، وكما حثه نويمان ــ سيلكوف على ذلك ، أراد ان يخلص نفسه وان يخرج الى الصحراء المكشوفة ، ويفاجىء العدو بالهجوم على جنبه • لهذا فقد قرر العودة الى المنطقة الواقعة جنوبى كمبوت حيث يكون قريبا من تموينه •

وبناء على ذلك بدأ مركز رئاسته مسيرة ليلة صعبة فوق الجرف أثر حلول الظلام ، ولكن رومل كان له رأى آخر ، فقد أرسل أوامر فى ٩٫٣٠ وصلت كرويل

بعد ذلك بساعة ــ وتقضى بتكليف الفيلق الافريقى الالمـانى باتخاذ خط دفاعى مواجه للجنوب من موقع « بافيا » قرب العـدم شرقا ، وعلى طول الجرف الى النقطة ١٧٥ ، على ان يوضع لواءا سومرمان تحت قيادته • وقام كرويل الذى لم تكن نيته السابقة معروفة لرومل بحل المسألة حلا وسطا • فقد أرسل فون رافنشتاين الى بلحمد حيث تحرك بحذاء الوادى غربى النقطة ١٧٥ مع تكليفه بتولى قيادة اللواءين ١٥٥ ، ٣٦١ • ولكنه ارسل نوريمان ــ سيلكوف شرقا الى المنطقة الواقعة جنوبى طريق كابوتزو ، على بعد سبعة أميال جنوبى كمبوت • ويبدو انه لم يخبر رومل بأنه فعل ذلك • وهكذا نزع كرويل اللحمة الالمـانية من الشطيرة البريطانيـة •

ولم تتضح دلائل الاحداث التى وقعت بسيدى رزق لنورى أو كاننجهام حتى وقت متأخر من النهار • فبعد التقديرات المتفائلة ضباحا ، لا عجب ان يقلق كاننجهام ازاء ما اعتبره بطئا من الفيلق ٣٠ من التآزر مع « طليعة » سكوبى ، وأزعجه ان يتبين ان ارمسترونج لم يصل الى المنطقة ، حتى انه اقترح ارسال بينار أيضا • وقال : انه على استعداد لان يمد نورى باللواء النيوزيلندى السادس أيضا لمساعدته على تحقيق التآزر •

وفى الوقت الذى تقدم فيه بهذا العـرض كان اللواء فى طـريقه فى اتجاه الشمال الى طريق كابوتزو غربى سيدى عزيز ، بينما كان كاننجهام يتخيله وقد تحرك غربا من هناك بحذاء « طريق كابوتزو » • ولمـا كان نورى يجهل مكان اللواء فقد افترض انه سوف يأتى بحذاء « طريق العبد » الى قبر صالح ، وامتنع عن قبول الهدية ، حيث شعر ان لديه مشاة كافية فى ذلك الوقت • وقد دل على نفاد صبر كاننجهام الملاحظة التى أبداها لضابط الاتصال « نورى » حيث قال : « اذا لم يتم اجلاء العدو عن طبرق فسوف يترتب على ذلك رؤية قائد الفيلق غدا » وكانت صورة الجيش الثامن فى منتصف الليل تتمثل فى محاصرة ألوية جوت المدرعة الثلاثة ، وألوية ارمسترونج المشاة جنوب شرقى سيدى رزق التى كان كامبل مازال يحتلها بستين دبابة ألمـانية ، وكانت الخسائر التى تكبدها اللواء السابع المدرع تدل بطبيعة الحال على ان الصورة الحقيقية لموقفه لم تعـرف حتى تم الاتصال بالفلول الباقية فى وقت متأخر من الليل ، وحتى لو كانت قد عرفت فان القوة الباقية من الفيلق ٣٠ كانت من الكفاية بحيث لا يبدو أن ثمة

مبررا للاقلاع عن محاولة الالتئام مع قوة طبرق ، بعد ان بدأت العملية . لهذا فقد كان الهدف الذى يبتغيه نورى يوم ٢٢ من نوفمبر هو حشد أقصى ما يمكنه من فرقة جنوب أفريقيا الاولى مع الفرقة السابعة المدرعة بالمنطقة الحيوية للجرفين اللذين يقعان شمال وجنوب مطار سيدى رزق تمهيدا لمواصلة سكوبى الهجوم فى اتجاه الدودة .

وفى هذه الاثناء كان هجوم جودين ــ أوستن على الحدود قد بدأ يتشكل . فقد تحرك فرايبرج واتخذ مكانه خلف سافونا ، ووصل لواؤه الرابع الى الجرف المطل على البردية من الغرب ، واحتل اللواء الخامس « سيدى عزيز وفورت كابوتزو . وقد وصف ميرفى المؤرخ النيوزيلندى الهجوم على الاخيرة بهذه العبارات :

« بعد ذلك كلف المقدم ليكى من الكتيبة ٢٣ بارسال سرية مدعمة لحراسة المسالك المؤدية الى « فورت كابوتزو » وان امكن قطع خط أنابيب المياه بين البردية والسلوم وبشىء من الحذر يمكن لهذه السرية ان تختبر دفاعات الحصن لتمهد الطريق لهجوم كتيبة كاملة قبل فجر يوم ٢٢ . ولكن الحظ شاء أن يكون أوفر من ذلك بكثير . فقد بدأت السرية تحركها ــ نتيجة لخطأ فى الحساب ــ من نقطة أقرب الى الحصن مما تظن بميل ونصف ميل ، وسرعان ما وجدت نفسها داخل ما كان يعتقد انه دفاعات خارجية دون رؤية العدو ، أو سماع صوته . ولم يجد النقيب تومسون قائد السرية مبررا للانسحاب ، وباتخاذ احتياطات سريعة ضد الوقوع فى كمين سار الى قلب الحصن ، واستولى عليه بسهولة ولم تفاجأ الحامية الايطالية الصغيرة بالتسلل ، وانما فوجئت بالضجيج . فعندما اعتقدت سرية تومسون أنها خارج مدى سمع العدو وأصدرت تحذيرا عاليا باقترابها ، كان له أثر فى جعل حفنة المدافعين لا يفكرون فى التدخل ضدها . وقد تم أسر مدفعين عيار ١٠٥ مم وطاقمهما . وأحضر تومسون حمالاته ومدفعيته المضادة للدبابات ، وسرعان ما خطط دفاعاته . كان الآن يستحوذ على مركز الهاتف الرئيسى لمنطقة الحدود . وفى خلال بضع دقائق (بمساعدة الضابط الايطالى المتعاون) قطع خط أنابيب المياه . وفى الساعة الخامسة صباحا من يوم ٢٢ أقبلت شاحنتان محملتان بالتعيينات من البردية ، فقتل ثلاثة ايطاليين بينما أسر اثنا عشر . وبعد الفجر تواصل استغلال

مفرق الطرق ومركز المواصلات وقد استغرق العدو الموجود فى القطاع الشمالى لخط الحدود بعض الوقت لتبين ما حدث » •

وكما رأينا فبعد مسيرة اللواء النيوزيلندى السادس فى ليلة حافلة خلال صحراء موحلة غاصت فيها المركبات مرارا وتكرارا ، وصل الى طريق كابوتزو التى تبعد ١٢ ميلا شمال غربى « سيدى عزيز » فى حوالى الساعة العاشرة ليوم ٢٢ وقبل ان يطلب منه التحرك غربا للانضمام الى نورى •

وفى هذه الاثناء كان اللواء الهندى السابع تحت امرة « بريجز » ومعه دبابات « ماتيلدا » من كتيبتى الدبابات الملكية ٤٢ ، ٤٤ قد هاجم موقعى العدو وهما « عمر الليبى » « وسيدى عمر » من الشمال ، أى فى مؤخرتهما وسقطت سيدى عمر أمام كتيبة (ساسكس الملكية) بعد الظهر بعد قتال ضار • وقد نجح الهجوم الذى قامت به بعد ذلك كتيبة البنجاب العاشرة من اللواء الرابع على (عمر الليبى) غربا ، نجاحا جزئيا ولكن الجزء الشمالى منه الذى تحتله « سرايا الواحة الألمانية » لم يكن قد أخلى • وكانت الخسائر جسيمة حيث قتل وجرح ٥٠٠ جندى ، كما أصيبت ٣٥ دبابة • وكانت اصابات الكثير منها بفعل المدفع ٨٨ مم ، وذلك عند اصطدامها بالألغام ، مقابل ١٥٠٠ أسير ايطالى ، وذلك فى هجوم غير ناجح على « بير غبى » ، وهو موقع قوى يضم مركز رئاسة فرقة « سافونا » • وكان لهذه الهجومات الباهظة الثمن التى شنت بجرأة أثر على قرارات رومل بعد ذلك بأيام قلائل لا يتناسب ومكاسبها التافهة •

●

أزمـــة .. كانتجهام

٢٢ - ٢٥ من نوفمبر

كانت ليلة ٢١ من نوفمبر ممطرة باردة كالعادة ، ولم يكن أحد بسيدى رزق يأمل خيرا فى اليوم الذى أمامه ، ولكن تبين ان صباح يوم ٢٢ هادىء هدوءا مدهشا . ولم تكن فرقة البانزر الحادية والعشرون أو الخامسة عشرة قد أتمت تحركاتها ، ربما بسبب نقص النفط ، وكان حرسهما الخلفى مشتبكا مع كل من اللواءين المدرعين الثانى والعشرين والرابع قبل اختفائهما شمالا فوق الجرف شرقى سيدى رزق . وزار كانتجهام « نورى » ودعاه الى تركيز فرقة « برينك » قرب سيدى رزق على ان يقوم لواء الحرس باخلاء بينار من مهمة « حجب » الآريت فى بير غبى ، وفى هذه الأثناء فرض التناحر القائم مع حرس كرويل الخلفيين الحذر على تقدم ارمسترونج ، ولكن فى الساعة ١٠ر٣٠ كان التحرك متجها الى الجرف الثالث عند النقطة ١٧٨ جنوب غربى المطار ، حيث كان جانب من كتيبة المشاة ١٥٥ التى تشرف على مواقع كامبل وديفى يضايقهما . وكان مضى الدبابات الالمانية فى التحرك شمالا يبدو ـ مرة أخرى ـ وكأنه انسحاب . ورغم الخسائر التى تكبدها اللواء المدرع السابع وجماعة السند فى اليوم السابق ، الا ان تركيز الفرقة السابعة المدرعة وتحرك النيوزيلانديين نحوهما منحهما جانبا من الثقة .

وقد أثار مرأى عدد كبير من الدبابات البريطانية بالمنطقة قلق كل من كرويل ورومل اللذين توليا العمل كل على حدة . وفى الساعة الواحدة أمر الاول نويمان سيلكوف بمهاجمة الجنب الايمن للقوة ، وهو ما يعنى العودة الى المكان الذى حضرت منه فرقة توا . ولكن التزود بالمؤن والصيانة استغرقا وقتا طويلا ، ولم تكن قوة البانزر الخامسة عشرة مستعدة للتحرك ثانية حتى نحو الساعة ٣ر٣٠ .

وكان رافنشتاين يتوقع دورا دفاعيا قرب بلحمد ، ولكن حوالى الظهر وصل رومل نفسه ، وأمره بطرد جماعة السند من جرف سيدى رزق • وكان على المشاة ان تهاجم من الشمال بينما تحركت الدبابات عن طـريق الممر الجانبى للمحور ، وتحولت الى الجنب الايسر • وكان على مدفعيـة الجيش تحت قيـادة بوتشر معاونة هذا الهجوم من المواقع التى احتلتها للهجوم المزمع على طبرق • ومصادفة ، ودون علم الآخر ، كان رومل وكرويل قد دبرا حركة كماشة بالغة الخطورة على القوة الصغيرة الباقية لكامبل وديفى ، وهى القوة التى دعمها سكوت كوكبرن فى الساعة الثانية ، ولو تم تنسيق موعدها لكانت بمثابة كارثة بالنسبة للفرقة المدرعة السابعة • ومن جهة أخرى •• لو كان سكوتى قد واصل ودفع قواته من طبرق فى ذلك اليوم لأحدث اضطرابا شديدا فى خطة فون رافنشتاين ، ولكنه أمر بعدم الشروع فى عمـل ما حتى ما بعد الظهـر ، وهو الوقت الذى كان يرجى فيه ان يصـل الفيلق ٣٠ الى الدودة وهو احتمـال تبين جوت فى مسـتهل النهار انه لا يستطيع تحقيقه •

وجاءت ضربة فون رافنشتاين ، التى سددها بسرعة ودقة كبيرتين ، على غير انتظار ، وعلى نحو غير متوقع ، أثر انتقال سكوت كوكبرن بلوائه الى المطار • وقد تلقى الصدمة الاولى ما تبقى من قوات ديفى ، ومدافع كتيبة المدفعية الثقيلة الرابعة ، وكتيبة مدفعية الميدان الستون • وتحرك اللواء المدرع الثانى والعشرون للاشتباك ، ولكنه تكبد خسائر جسيمة بفعل نيران المدافع المضادة للدبابات من جميع الاتجاهات ، ومن دبابات الكتيبة الثانية للواء البانزر الخامس • وفى الساعة ٣ر٤٥ كانت كتيبة مدفعية الميدان الستون قد انتهت تقريبا ، وأصبح رافنشتاين سيد المطار • وفى هذه الأثناء ظهر جيتهاوس فى اتجاه جنوب الشرق ، وكان المطار مغطى بسحابة كثيفة من الغبار والدخان تعذر معها ــ من بعد ــ تمييز الصديق من العدو ، مما جعل الموقف بالنسبة اليه غامضا الى حد انه لم يشأ توريط كتائبه بالنزول الى الحلبة فقامت كتيبة الدبابات الملكية الثالثة بارسال فصيلة للاستكشاف وانطلق جول كامبل بسيارته المكشوفة فى المطار ــ وكان شخصية ملهبة لحماس الجميع ــ وراح يلوح بالاعلام ، ويهتف حتى بح صوته ، وقاد الفصيلة عبر الضفة الغربية رأسا قبل ان يتبين ما حدث ، وأمر جوت « جيتهاوس » بمتابعته بكتيبته وما لبث كتيبة الدبابات الملكية (التى فى اليمين) ان تشابكت مع الكتيبة الثالثة

(على اليسار) عندما تحولت لتفادى نيران المدافع المضادة للدبابات الموجهة من قمة سيدى رزق •

وظنت السرايا القائدة لكلتا الكتيبتين ان المشتبك بها هو الدبابات الباقية من اللواء الثانى والعشرين المدرع • وفى غضون غمار الغبار والدخان والاضطراب الشامل استقر رأى القائدين على ان الشيء الوحيد الذى يمكن عمله هو الانسحاب ، واعادة التنظيم ، ووافق جيتهاوس على هذا ، وأمرهما بالعودة فى نفس الوقت الذى قررت فيه فرقة البانزر الحادية والعشرون ـ وقد نفدت ذخيرتها مرة أخرى ، وترنحت تحت صدمة الهجوم المضاد ـ الانسحاب شمالا فوق الهضبة ، وتحت ستار هذا كله احتلت المشاة الالمانية الجرف كله ، بينما حاول كامبل اعادة تنظيم قوته المضعضعة جنوبى المطار ، وعلى بعد أميال قلائل شمال شرقى المكان الذى قبعت فيه قوة ارمسترونج « الترنسفال الاسكتلندى » فى الصحراء المكشوفة بعد هجوم فاشل ، فادح الثمن ، على النقطة ١٧٨ ، وفى وقت متأخر ظهرت فرقة البانزر الخامسة عشرة على المسرح ، وما ان أقبل الظلام حتى اصطدمت بمركز رئاسة جيتهاوس ، والكتيبة الثامنة للهوسار ، ولم يكونا ضالعين فى معركة وانما كانا على نحو ثلاثة أميال الى الجنوب الشرقى منه ، وتصف أوليفيا فيتزروى بالسجل التاريخى للكتيبة أثر هذه الضربة المفاجئة •

وفى نحو الساعة الخامسة مساء وقعت الكتيبة ـ وهى ما تزال مع مركز رئاسة اللواء ـ تحت نيران منبعثة من الشرق • وردت عليها المدافع (٢٥ رطلا) بالتسديد المباشر على أطقم المدافع المضادة للدبابات بالجرف ، وفجأة بدأ العدو القصف بدقة وشدة وتحولت الكتيبة غربا ، ولكنها قوبلت بنيران مركزة من دبابات العدو التى زحفت حول جنبها •

وكانت الرؤية متعذرة فى الظلام فتوقف اللواء وتشكل على هيئة معسكر دبابات الكتيبة والمدافع المضادة للدبابات التابعة لكتيبة « هوسار نور ثمبرلاند » كان يبدو ان قواتهم ذاتها تحاصرهم أو تهاجمهم بنوع الخطأ • ولاستدعاء العميد الذى كان يراقب المعركة بسيدى رزق قام العميد أرمسترلنج القائد الثانى للواء المدرع الرابع ، باطلاق ثلاث طلقات كاشفة ، والشيء الذى حدث بعد ذلك هو

ظهور نحو ثلاثين دبابة وكثير من حاملات المشاة خارج نطاق المعسكر ، وهى تطلق الطلقات الكاشفة ، وتضىء المكان برمته •

كان مازال المعتقد أنها ربما كانت قوات صديقة ، حيث كان من المتوقع وصول باقى دبابات اللواء • ومع كل فقد استعد الجميع بما تيسر من الاسلحة الصغيرة ، ولكن لم يصدر الأمر باطلاق النيران •

« وسأل قائد المركبة القائدة عن هويتهم فأعطيت له المعلومات التى طلبها • ويستأنف النقيب طبيب هيلوك الرواية حيث كتب يقول : « فجأة سمعت صياحا بكلمات المانية ، بينما صاح جنودنا قائلين انها دبابات المانية ، وعلى الفور ارسل العميد اشارة لتحذير دبابات اللواء بعدم الدخول الى المعسكر ، لوجود العدو هناك ، واندفع كل الى مركبته بينما أسرعت الدبابات الالمانية الى حافة المعسكر ، وأطلقت طلقات كاشفة أضاءت كل شىء كالنهار ، ثم بدأ الشرر يتطاير ، وانصبت طلقات المدافع الرشاشة وارشاشات القصيرة وقذائف الدبابات داخل المعسكر من كل صوب واندفع الجنود الالمان الى الداخل وهم يطلقون رشاشات قصيرة « ونشب قتال ضار رائع ، ولكننا لم تتمكن من الافلات ، فقد امتلأت المنطقة كلها بالالمان » •

« وكانت الشاحنات والدبابات تشتعل ، ولكن رغم مفاجأة العدو للكتيبة ، وتفوقه عدديا فقد قاتلت قتالا مستميتا ولم يتمكن العدو من التغلب تماما على مقاومتها الا بعد انقضاء ثلاثة ارباع ساعة من القتال المتلاحم ، وأسر الالمان من حملة الرشاشات القصيرة الجميع ، بينما كان كل من يعود الى دبابته يهاجم بالقنابل اليدوية اذا لم يستسلم فورا » •

وبهذا التحول غير المتوقع تحركت فرقة البانزر الخامسة عشرة شمالا ، حيث احتكت بالفوج ٣٦١ فى الظلام بعد مناوشة مع باقى اللواء المدرع الرابع الذى عاد الى مأواه ، وهو على غير علم بما حدث لرفاقه • ورغم ان الخسائر التى لحقت به لم تكن جسيمة فان هذا اللقاء العابر أحدث من الخلل باللواء الرابع المدرع ما أفقده تماسكه كقوة مقاتلة ، وتتيجة لذلك فان العدد الكبير من دباباته ـــ وكان ما زال لا يقل عن ١٠٠ دبابة ـــ لم يؤد دورا فى أحداث اليوم التالى الحاسمة •

كان نورى مازال يأمل ان يتمكن من حشد كتيبة برينك (من جنوب أفريقيا) بالجرف الثالث على الأقل ، ولكن اخفاق ارمسترونج فى الاستيلاء على النقطة ١٧٨ ، واحجام (بينار) عن التحرك من (بير غبى) ، قبـل أن تخليه قوات الحرس « جاردر » تماما ، لم ينبىء بتحقيق هذا الغرض • ومع ذلك فقد كانت النجدة فى طريقها من الشرق • فقد تلقى العميـد « باركلو » قائد اللواء النيوزيلندى السادس الأمر بالتحرك من بير الحريقه فى الساعة ١٠ر٣٠ ولكن كان عليه أن ينتظر انضمام سرية دبابات « فالنتين » من كتيبة الدبابات الملكية الثامنة ، قبل ان يتحرك الى سيدى رزق فى الساعة الثانية ، ولم تكن لديه فكرة عما ينتظره ، فمضى فى حذر فى بادىء الأمر • ولكن الانباء الصادرة من الفيلق ٣٠ ، ومن فرقته ، عن حصار كامبل وحاجته الماسة للنجدة أزعجته فزاد سرعته ، وواصل سيره فى الظلام الى ان توقف الساعة ٨ر١٥ لتناول الطعام والتماس الراحة بعد ان قطع اثنى عشر ميلا فى ست ساعات وربع الساعة • وفى الساعة الواحدة صباحا من يوم ٢٣ أصدر أوامره بشأن المرحلة الثـــالثة • وكان المعروف أن الألمـان موجودون ببير غبى وانه سوف يتحرك جنوبى جرف سيدى رزق الى الوادى الذى يبعد ميلين شرقى النقطة ١٧٥ • وواصلت القوة تحركها ولكنها راحت تتقدم ببطء ، ولم تنعطف جنــوبا كما تقرر ، وتوقفت لتنــاول الشراب فى أول ضوء قــرب ما تبين انه « بيرشليتا » • وكانت المفاجأة متبادلة عندما وجدت القوة نفسها تشارك مركز رئاسة الفيلق الافريقى الالمـانى ، وكان كرويل نفسه قد رحل لتوه للانضمام الى فرقة البانزر الخامسة عشرة ، ولكن تم الاستيلاء على معظم هيئة أركانه ومعداته ووثائقه الثمينة وهيئة الشفرة ، بل وكل أجهزته اللاسلكية ، وهنا صحح باروكلو خطأه فى الملاحة وواصل سيره فوق الجرف • وفى الساعة ١٠ر٣٠ كان قد وصل الى الوادى • وبعد ساعة أخرى هاجمت الكتيبة الخامسة والعشرون ــ وكانت فرصتها فى الاستكشاف ضئيلة ــ النقطة ١٧٥ ، وقد خيل اليها ان مهمتها لا تزيد عن تطهير موقع خارجى من قوة بسيطة تحتله • وبدا ان الأمور تسير على ما يرام فى بادىء الأمر ، حيث وصلت الدبابات « فالنتين » القائدة الى القمة دون مشقة ،

ولكن كان ثمة واد طويل عميق يمتد وراءها وعندما توغلت فى الوادى قابلتها المدافع المضادة للدبابات فخسرت ١٢ دبابة من دباباتها الست عشرة • وقد قلل هذا من الدعم المتيسر للمشاة والذى كان يتبعها على مسافة قريبة • ثم انقسم

الى جماعتين صغيرتين وقعتا تحت نيران حامية من مواقع دبت فيها الروح ثانية خلف الدبابات • ويصف السجل التاريخى للكتيبة النيوزيلندية مسرح المعـركة قرب الظهيرة كما يلى :

هكذا أخفقت الفصيلة ١٥ فى سد الثغرة بين السريتين (ب) ، (د) وتفرع مجهود السرية (ب) الى سلسلة من الاشتباكات الصغرى العنيفة تساعدها هنا وهناك دبابة أو اثنتان فى استجابة نبيلة للمطالب المحلية ، ولكن بأسلوب مخالف تماما لجميع التعاليم الخاصة بكيفية استـخدام هذه الاجهـزة الثمينة • وكان النقيب فيشر ، مراقب مدفعية الميدان ، فى أقصى الامام بحمالة البرن الخاصة به يبذل قصارى جهده بمدافعه الاربعة (عيار ٢٥ رطلا) ليغطى دبابات ومشاة جيوب العدو المنتشرة على مساحة كبيرة ، والتى تعذر تحديد أماكنها بدقة على الارض • أما حاملتا المدفع المضاد للدبابات المعاونتان للسرية (ب) والتى يتولى قيادتها الملازم مور هيد ، كانت تتقـدم بمؤخرتها حتى تتيح لطاقمها الاحتماء بدروع مدفعها ، فقد وقعتا تحت نيران حامية من المدافع الرشاشة ، ورغم ذلك فقد تقدم المدفع « ك » الى الامام ودمر دبابة للعدو أسفل الجـرف ، واكره طاقمها على اخلائها • وكان (ماكنوت) نفسه قريبا ذلك الوقت ، عندما اقترح (مويرهيد) دفع المدفع (ك) الى الامام أجابه (كلا) أنتم مشاة الآن تقدموا « ولكن سرعان ما ارغمت نيران المدافع الرشاشة الغزيرة المدفعيين على الانبطاح،وجرحت(مويرهيد) بينما أصابت رقيب المدفع اصابة قاتلة • وأثر ذلك اشـتبك المدفع (ك ٢) مع دبابة وهى تصعد الجرف فطار برجها • ولكن الموقف فى اليمين ظل مائعا ، وتمكن العدو من اعادة بناء أو تعزيز كل مواقعه بالوادى بجلب قوات متشعبة الى سفح أطراف تدعمها دبابة أو اثنتان تشكلان تهديدا خطرا للسرية (ب) ، ولم تتمكن حاملة المدفع الوحيد الباقية من تغطية الجنب الذى يبلغ طوله ميلين ، بينما كانت دبابات « فالنتين » جميعا عاجزة عن الحركة ، ومعظمها محطم •

وسرعان ما رأى جنود السريتين (ج) ، (د) بأنفسهم ما يمكن ان تصنعه المدافع الالمـانية المضادة للدبابات ، بالدبابات الثقيلة المدرعة ، لا فى شكل ثقوب قبيحة واشتعال ما بداخلها فحسب ، ولكن فى شكل سبطانات المدافع • وقد ابيدت بصورة عجيبة ، أو تطايرت تماما ، فبدا البرج وكأنه وجه بلا أنف ، وعندما أمر

« ماكنوف » ، « فيل » بالاستمرار عشر دقائق أخرى هبطت الدبابات (فالنتين) المنحدر الخفيف فى اتجاه (رجبت) ، وهناك تعرضت لنيران قاتلة . فقد قضى على ست دبابات فى مجموعة واحدة على بعد ٣٠٠ ياردة شمال غربى الاحجار المميزة لنقطة الارتفاع ، وكانت اثنتان منها قد دمرتهما النيران فاصيبتا ، بينما الاربع الباقية أصابها تلف شديد . وكان الجانب الاكبر من الدبابات المعطوبة قادرا على الانسحاب ، اما بمدافع لا نفع فيها ، أو بأفراد جرحى أو قتلى من أطقمها .

وكانت جهودها من الشجاعة بمكان ، ولكنها لم تكن مجدية فى تخفيف العبء عن المشاة ، ووضع حد للمقاومة المطردة الصلابة . وعندما أمرها (فيل) بالتجمع فى الساعة ١٠ر١ مساء لم تحضر سوى أربع دبابات ، وكانت دبابة (فيل) من بين هذه الدبابات ، وقد أصيبت بثقب فى خزان وقودها ، بينما استعصى تشغيل المدفع (عيار رطلين) بدبابة ثانية وأصيب المدفعى ، وثالثة جرح قائدها ، واتلفت نوابض الرفع فيها . وكانت اربع أخرى فى طريقها للعودة عندما طلبت المشاة النجدة فقدمت لها برغم أمر (فيل) . وبعد عشرين دقيقة عادت احدى هذه الدبابات وهى تحمل قتيلا من أفراد طاقمها ، وآخر مصابا بجراح خطيرة ، بينما لم يصب السائق الاخر بسوء . كان برجها السميك يحمل ثقبين من ناحية المدفعى يوحى عيارهما بأنهما اصابتان من مدفع مضاد للدبابات عيار ٥٠ مم ، هذا فضلا عن تدمير الجزء الداخلى للدبابة تدميرا شديدا . وثمة دبابة أخرى أقبلت ، وقد خلت بأعجوبة من أدنى اصابة ، ولكنها كانت تحمل رقيبا مكسور الذراع من أفراد دبابة أخرى . وعاد بقية أفراد الطاقم الى القتال وقد تخلف عنهم الرقيب المصاب ، وقبل ان يدمر جنزيرا الدبابة ، قضى مدفع الدبابة (٢٠ رطلا) على دبابتين المانيتين .

وبعد الظهر قام الفوج ٣٦١ بالهجوم المضاد ، واسترد معظم المواقع . واستخدمت الكتيبة ٢٤ بعد ذلك للهجوم من أسفل الجرف . وعند حلول الليل كانت الكتيبتان قد تكبدتا خسائر قدرها ٤٥٠ فردا منهم ١٢٠ قتيلا على الأقل ، معظمهم من الكتيبة ٢٥ التى جرح قائدها المقدم ماكنوت ثلاث مرات . لقد ضربوا مثلا للهجوم العنيد ، والعزم على تحقيق الغرض ، ولكنه كلفها خسائر أفدح مما أصيبت به أية كتيبة نيوزيلندية فى أية عملية واحدة أخرى طوال الحرب .

اما الكتيبة ٢٦ التى كانت على مسافة أبعد الى الجنوب فقد قضت وقتا أخف وطأة . كان هدفها (حريقة العبيدات) ، حيث اكتسح مركز رئاسة (جيتهاوس) فى الليلة السابقة . ووصلت هناك بعد منتصف النهار دون متاعب ، وكان بوسعها رؤية لواء جنوب أفريقيا الخامس من حيث هى ، فاتصلت به وبكتيبة المدفعية الرابعة بعد ان توصل جوت نفسه الى معرفة مكانها . وكان باركلو محظوظا بتجنبه جذب اهتمام فرقة البانزر الخامسة عشرة التى لم تكن بعيدة عنه قط . وبينما كان (جوت) يحاول تنظيم ألويته المدرعة ليكون اللواء ٢٢ على مقربة من غرب لواء ارمسترونج (لواء جنوب أفريقيا الخامس) الذى كان مازال يبعد ثلاثة أميال جنوبى النقطة ١٧٨ بالجرف الثالث ، وجماعة السند ، والكتيبة الرابعة (عندما يستطيع تجميعها) فى الشرق ، والبقية الصغيرة الباقية لديفى من الكتيبة السابعة فى الجنوب . وبينما كان اهتمام نورى الرئيسى هو دعوة برينك الى تكليف بينار بالانضمام الى ارمسترونج ، كان روميل ــ كخصومه ــ واقعا تحت وهم المبالغة فى خسائر الدبابات التى أنزلها بالعدو ، والذى كان يعتقد انها تجاوز المائتى دبابة . وكانت خطته لهذا اليوم (وهو يوم ٢٣ من نوفمبر) (يوم أحد الموتى عند الالمان) .. هى الاجهاز على الفيلق ٣٠ بحركة كماشة أخرى . وكان على (الآريت) ولم تكن تحت قيادته حتى ذلك الحين ، التقدم شمال شرقى بير غبى فى الساعة الثامنة ، بعد ساعة من تحرك كرويل بفرقتى الفيلق الأفريقى الالمانى نحوها فى اتجاه جنوب الغرب . وكان مجهود كرويل الرئيسى جهة اليسار أى فى مؤخرة الفيلق ٣٠ الذى كان سيتم تطويقه وسحقه عندئذ بين فكى مطرقة الحداد .

ولم يكن (كرويل) على اتصال بـ (روميل) منذ عصر يوم ٢٢ ، فلم تصله هذه الأوامر حتى الساعة ٤ر٣٠ يوم ٢٣ وكان قد أصدر فى هذه الاثناء أوامره بالفعل ، وبمقتضاها كان على فون رافنشتاين ــ بألوية الفرقة الافريقية ، وكانت مازالت تحت قيادته ــ الاستيلاء على منطقة سيدى رزق ، بينما كان على نويمان ــ سيلكوف ، بعد ضم فيلق البانزر الخامس الى فيلقه ، ان يتحرك جنوبا عبر مؤخرة

جوت ، ويضم قوته الى قوة الاريت ، ثم يدفع قوات (نورى) شمالا بين مدافع فون رافنشتاين ، لكى يعطى الأوامر النهائية فى هذا الشأن لنويمان ــ سيلكوف ، بترك مقر رئاسته قبيل أول ضوء ، وبهذا تحاشى تناول طعام الافطار مع (باروكلو)

وتحرك مع فرقة البانزر الخامسة عشرة فى الساعة ٧٫٣٠ دون ان ينتظر دبابات الفرقة الحادية والعشرين التى تأخرت فى الوصول • وقد أبلغت السيارات المدرعة لكتيبة جنوب أفريقيا الرابعة عن حشد الدبابات فلم يصدقها أحد ، واتهمت بأنها انما أبلغت عن اللواء المدرع الرابع بنوع الخطأ •

ولم يمضى الوقت حتى وصلت الدبابات الألمانية الى خطوط التموين ، فقد وصلت أولا الى خط تموين جماعة السند ، ثم الى خط تموين لواء جنوب أفريقيا الخامس • وكانت القوة المقاتلة الوحيدة المتيسرة للتصدى لها مكونة من الجنود المضعضعين الناجين من مطار سيدى رزق ، ومرة أخرى وجد كامبل نفسه قائدا لأشتات من المركبات فى قتال ضد أحجية عظيمة ، وفى معاونته جورج ديفى •

واذ جلس فوق قمة مركبة قيادته المدرعة (كما يصفه ضابط بكتيبة الهوسار الحادية عشرة) وهو يحرك الاعلام الحمراء والزرقاء باشارة منه بـ (السير) أو الوقوف ، بدا يجمع كل ما يجده من مركبات ليحولها لمواجهة الالمان • وكان قد جمع احدى سيارات نقل الجنود المدرعة ٢٣ شخصا جعلوا يستحثون السائق على الانطلاق بأقصى سرعة ، بينما ظل جوك يصيح به محذرا اياه من تجاوز سرعة ٨ أميال فى الساعة ، وان يقف عندما يؤمر بذلك • وقد أصدر الى احدى فصائل المدافع هذا الأمر التقليدى (لا تنتظروا أوامر • لازمونى •• سأتقدم حالا) كان توغل فرقة كاملة للبانزر داخل هذه الكتلة المتنافرة من المركبات المنتشرة على نطاق واسع كفيلا باحداث ذعر شديد بطبيعة الحال • وبينما كان برينك فى طريقه لمقابلة نورى لمناقشة دور فرقته فى القتال شاهد ما حدث عن قرب •

اما بينار ، الذى كان قد تحرك مسافة قصيرة أثناء الليل وشرع الآن بالتقدم شمالا للانضمام الى ارمسترونج ، فقد أوقف حتى يتجلى الموقف ، ولم يتحرك ثانية فى ذلك اليوم ، وكان للمقاومة العنيفة والهجمات المضادة ـــ التى شملت جماعة صغيرة من كتيبة الدبابات الملكية الثالثة تحت قيادة بوب كريسب ، الذى كان يقاتل تحت قيادة جوك كامبل فى معركة اليوم السابق ـــ أثرها على نويمان ـــ سيلكوف الذى كان يريد الآن التخلى عن الخطة الاصلية ، والاجهاز على العدو المواجه له • ولكن كرويل كان بحاجة الى مساعدة (الآريت) وفيلق البانزر

الخامس اللذين لم يكونا قد ظهروا بعد • وقد شعر كذلك بأن الهجوم من مسافة أبعد الى جهة الغـرب سوف يكون أنجح • ولهذا فقد تخلصت فـرقة البانزر الخامسة عشرة من الاشتباك بأفضل طريقة ممكنة ، وواصلت مسيرتها جنوبا نحو بير غبى • وفى هذه الأثناء كان جانب من فيلق البانزر الثامن بقيـــادة قائده العقيد كرامر قد توغل فى مواقع ارمسترونج وما وراءها ، وحصل على معلومات كانت لها قيمتها فى وقت لاحق من ذلك اليوم •

واختفت الدبابات الألمـانية كما ظهـرت دون تفسير ، وغض النظـر عنها باعتبارها تلك الاشياء التى تحدث فى الصحراء وانتظمت الخطوط ثانية ، وحاول جوت الاتصال بجيتهاوس وادخال لوائه فى العمليات القتالية مرة أخرى بينما حول نورى اهتمامه مرة أخـرى الى التحركات الخاصـة بتعزيز كل من بينار وباروكلو اللذين لم يكن أحد فى الفيلق ٣٠ على اتصال بهما • ولكن فى هـذا الوقت من المعركة كان معظم الناس متعبين ، وبحاجة الى قسط من النوم • وهكذا جاء السكون وقت الظهيرة كنجـدة ، ولا عجب ــ وان لم يكن بالشيء الذى يفتقر ــ ان ثمة شيئا لم يبذل فى ذلك الغموض السائد لاعادة توجيه الفـرقة السابعة المدرعة لمواجهة هجوم من الاتجاه الذى مضى منه نويمان ــ سيلكوف • واتخذت بضع اجراءات • وأقنع جوت (ارمسترونج) بتعزيز نطاقه الجنوبى فجيء بكتيبة الحرس الأسكتلندى الثامنة (سكوتس جاردز) وكتيبة جيتهاوس الآلية ، غير المستخدمة ، فضلا عن بعض مدافع كامبل لدعمه • وكان الجزء المفقود هو لواء جيتهاوس ذاته • ولعل الشيء الذى يؤكد أن الجنوب ليس بالاتجاه الوحيد الممكن شن هجوم منه هو ان القصف الشديد لموقع ارمسترونج بمدافع جماعة بوتشر وفون رافنشتاين وسومرمان بدأ من الشمال بعد منتصف النهار •

كان التهديد الحقيقى يكمن على مسافة اربعة اميال فى اتجاه جنوب الغرب • وهناك لاقى كرويل بعض المتاعب ، جانب منها نتيجة لقصف النيران من مدافع ارمسترونج وكامبل ، فى تشكيل جنوده تجاه شمال الشرق حيث فيلق البانزر الخامس ، تليـه كتيبة المشـاة رقم ٢٠٠ (وكلاهما من فـرقة البانزر الحادية والعشرين) ، فى اليمين وفيلق البانزر الثامن تليه كتيبة البنادق ١١٥ فى الوسط ، وجميعها بقيادة نويمان ــ سيلكوف وآريت فى اليسار • وفى الساعة الثالثة أصدر الأمر بالتقدم • وخـلال ربع ساعة بدأ القتال ، وقام فيلق البانزر الثامن

بقيادة العقيد كرامر بضرب الركن الجنوبى الغربى لموقع ارمسترونج بين نسقه الثانى (ب) وكتيبة جنوب أفريقيا الايرلندية الاولى • ويصف النقيب شييدت ياور رومل السابق ــ والقائد الحالى لسرية أسلحة ثقيلة بكتيبة البنادق ١١٥ ، والتى كانت تتابع الدبابات عن قرب ــ دوره فى المعركة بما يلى : ــ

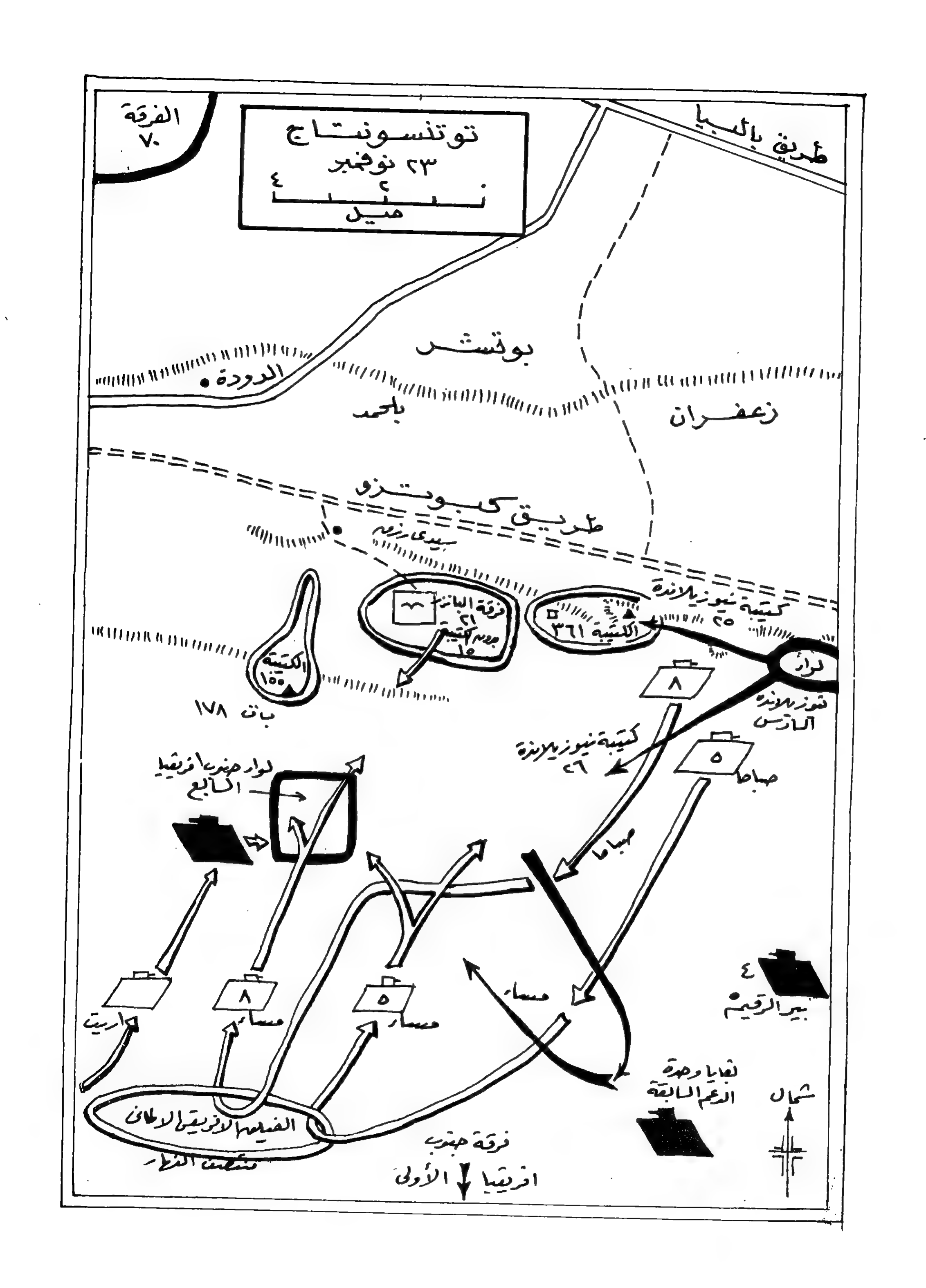
« اهجموا » هكذا • مرر الأمر بسرعة • وكان قائد الكتيبة فى المقــدمة يقف منتصبا بسيارته المكشوفة وتتبعه سيارة الرائد وأنا خلفه مباشرة • واتجهنا رأسا الى دبابات العــدو • والتفت الى الخلف • كانت تسير خلفى مجموعة من المركبات المختلفة الانواع ، وقد انتشرت الى أبعد ما يمكن ان تراه العين • ثمة حاملات جنود مدرعة ، وسيارات من أنواع متباينة ، وجــرارات تحمل مدافع خفيفة الحركة ، وشاحنات ثقيلة تحمل مشاة ، ووحدات آلية مضادة للطائرات ، وهكذا اندفعنا هادرين نحو « متراس » العدو •

وحدقت امامى مسحورا • فأمامى مباشرة كان يلوح القوام المنتصب للعقيد قائد الكتيبة ، وعلى مقربة منه والى اليسار ، والى الخلف قليلا ، كانت سيارة الرائد • وكانت طلقات الدبابات تدوى فى الهواء • كان المدافعون يطلقون النار من كل فوهة من فوهات مدافعهم المضادة للدبابات عيار (٢٥ رطلا) فضلا عن مدافعهم الصغيرة (عيار رطلين) وانطلقنا الى الامام بسرعة انتحارية •

وتمايلت سيارة قائد الكتيبة وتوقفت فجأة ــ أصابة مباشرة • وتمكنت من أن الحظ العقيد ، وهو يحاول المحافظة على توازنه • وانقلب جانبا وسقط من السيارة كشجرة مقطوعة • ثم مرقت عبره • وكان الرائد مازال بالمقدمة •

وتبينت مواقع مشاة أمامى • كان ثمة شخص طويل نحيل فى العراء يعدو الى الوراء ، وكأنما تدفعه نافورة منبثقة من خرطوم • وسمعت انفجارات صادرة من خلفى ، وتابعت الطلقة المذنبة وهى تنطلق انطلاقا خاطفا لتتجاوزنى الى الامام بسرعة • لكم هى بطيئة تلك الطلقات المذنبة فى مســيرتها !! وســقط الشخص الطويل !!

وكنا قد وصلنا تقريبا الى ستار المدافع المضــادة للدبابات ، والدبابات • وسرت رعشة باردة فى عمودى الفقرى • رأيت ثقوبا صغيرة مستديرة تنتظم فى حاجب الريح الزجاجى لسيارتى • وكأنما كان (ميكانيكى) خفى يحفرها هناك •



توتنسونتاج
٢٣ نوفمبر
ميل
الفرقة ٧٠
طريق بالبيا
بوتشر
الدودة
بلحمد
زعفران
طريق كبوتزو
سيدى رزق
فرقة الباتز ٢١
الكتيبة ٣٦١
كتيبة نيوزيلاندة ٢٥
الكتيبة ١٥٥
باتى ١٧٨
لواء
لواء جنوب أفريقيا الخامس
كتيبة نيوزيلاندة ٢٦
صباحا
مساء
اريت
بير الرقيم
بقايا وحدة الدعم السابقة
شمال
فرقة جنوب أفريقيا الأولى

انها نيران المدافع الرشاشة ! ومال سائقى فوق عجلة القيادة ، وهو يحاول أن يتوارى الى أسفل .

وتمايلت سيارة الرائد ، وأنقلبت على جانبها . وأصبحت وحدى فى هذا الجحيم الآن . ولم أر أمامى شيئا سوى المدافع تنفث حمما .

ثم حدثت رجة عنيفة ، وصرير عال ، ودمدمة ، وتوقفت سيارتى تماما . ورأيت خندقا أمامى مباشرة ، فقفزت من السيارة بحركة غاطسة نحو فتحة الخندق وقفز سائقى معى فى الوقت نفسه ، ولكن قبل أن ينبطح على وجهه ، تصلب فجأة منتصبا ، ودار على عقبه ثم سقط بلا حراك !! وزحفت متسللا ، ملتمسا الراحة فى « أمنا الارض » . كان من الواضح أننى بأحد مواقع نقاط القتال الخارجية التى هجرها المدافعون عن سيدى رزق .

ورفعت رأسى بنشاط ... أين حشد المركبات الذى كان يشق طريقه ورائى ؟ ياالهى هل توقف !! كيف حال سائقى ؟ أمازال حيا ؟ كان ممددا قربى ـ ميتا بلا حراك ـ وتبينت فيما بعد أنهم قد ترددوا ، وتذبذبوا ، ثم توقفوا .. عندما شاهدوا ضباطهم يتساقطون أمامهم واحدا بعد الآخر . ولكن ثمة ملازما حديثا كان مازال يسعى على قدميه . وقام بجمع شتاتهم ، وأمرهم بالتقدم مرة أخرى ، وهى مأثرة منح لقاءها وساما .

وبينما هم يهاجمون جنود جنوب أفريقيا انحرفت عناصر القوة المختلفة انحرافا بسيطا . فقد تحولت « الآريت » الى اليسار ولم تشتبك مع كتيبة « اليومازى » المختلطة ، وهى كل ما كان قد تبقى من اللواء المدرع الثانى والعشرين . وهكذا أتيح للاخير أن يهاجم كتيبة « البانزر » الثامنة بالجنب الأيسر ، وبجرأة بالغة ـ كما فعل فى كثير من المناسبات ـ قام : باختراقها من جنب الى آخر وتفرقت الدبابات والمشاة الألمانية أثناء دخولها لموقع «ارمسترونج» والتفت كتيبة « البانزر » الخامسة (فى اليمين) ، وقد أزعجها (كامبل) و (ديفى) من يمين مؤخرتها ، فضلا عن عناصر من كتيبتى الدبابات الثالثة والخامسة الملكية حول الجنب الشرقى لكتيبة « بوثا » الثانية ولكنها عادت فانعطفت الى الداخل عندما وقعت تحت نيران كتيبة المدفعية الرابعة الثقيلة ، ومدافع الكتيبة « النيوزيلندية » السادسة والعشرين . وفى هذه الأثناء كان الالمان قد توغلوا

كثيرا داخل مواقع المشاة التى تبعثرت فى انحائها مركبات من كل نوع • وفر البعض جنوبا ، ولكن معظمها تناثر فى ميدان المعركة حطاما محترقا • وكان حجاب الدخان واللهب المنبعث بين سحب الغبار يرسم صورة مروعة عند هبوط الظلام • وأسر « ارمسترونج » نفسه هو ونحو ٢٠٠٠ آخرين ، كما قتل ٢٢٤ ، وجرح ٣٧٩ وبدا الأمر فى ذلك الوقت وكأنه كارثة • وانقضت أيام قبل أن يتبين أحد الطرفين الخسائر التى أنزلها اللواء نفسه بنيران مدفعية الميدان ، ومدفعيتة المضادة للدبابات • فقد خسر « كرويل » ٧٢ من دباباته الباقية ، وقدرها ١٦٢ ، فى ذلك اليوم ، بحيث لم يبق سوى ٩٠ دبابة من ٢٤٩ بدأ بها القتال قبل ذلك بخمسة ايام • وتكبدت كتائبه أيضا خسائر بشرية ، وخاصة بين قادة الكتائب ، والسرايا ، وغيرهم من الضباط • فقد كلفتهم عادة تصدر قواتهم غاليا • وقد نجا « كرويل » من الأسر بالكاد كان مثل « رومل » يستخدم سيارة قيادة مدرعة سبق الاستيلاء عليها من الفرقة الثانية المدرعة فى أوائل العام • وفى مرة من المرات أقبلت دبابة بريطانية ، لعلها من اللواء الثانى والعشرين المدرع لتتبين أمر هذه المركبة المهجورة • ودق طاقم الدبابة على الباب ذى المصراع الفولاذى ففتح « كرويل » بنفسه كوة وحدق فى وجوههم ، وفىهذه اللحظة فتح مدفع ألمانى مضاد للطائرات النيران ، فأسرع طاقم الدبابة بالابتعاد بها على عجل ، تاركا « كرويل » يواصل معركتـه •

ولم يكن لدى « رومل » بالتأكيد معلومات تذكر عن خسائره ، والواقع أن أحدا لم يكن يعرف •• أين كان أو ماذا كان يفعل ؟ بينما كانت تدور أهم احداث العملية بأكملها ، ولعله كان مشغولا بتنظيم الهجوم المضاد على (باروكلو) فى النقطة ١٧٥ وان كانت قلة الاهتمام التى أولاها لهذه البادرة من بوادر التهديد الجديد لسيدى رزق ، توحى بأنه لا يعرف عنها شيئا يذكر ، كان على غير اتصال « بكرويل » طوال اليوم فلم يتبين فى الغالب ان خطته لم تتبع ، ولعله قد سمع من « كرويل » بالانتصار على « ارمسترونج » كما عرف أيضا ان « موسولينى » قد وافق أخيرا على وضع فيلق (جامبارا) خفيف الحركة تحت قيادته • وكان « كرويل » قد حدس أنه دمر اللواء السابع المدرع يوم ٢١ ، واللواء الرابع المدرع يوم ٢٢ ، وأنه أجهز على اللواء المدرع الثانى والعشرين ، وفرقة جنوب أفريقيا الأولى فى ذلك اليوم • وكانت خطته بالنسبة للواء الرابع والعشرين مطاردة

وجمع ما تبقى منه بين طريق العبد وكابوتزو ، وقضـاء معظم اليوم فى انقاذ ما يمكن انقاذه من ميدان المعركة • وكان فيلقه قد انحل انحلالا شديدا بعد معركته الضارية ، حتى ان أحدا لم يكن يعرف أين كانوا بالضبط ، وقضى « كرويل » نفســه ليلة مضنية يحاول العثــور أولا على « نويمان ــ سيلكوف » ثم ــ « فون رافنشتاين » ، حلقة اتصاله الوحيدة « برومل » • وقد عرف من الأخير أن قائده العام على موعد مع احدى كتائب « فون رافنشتاين » بممر « المحور » الجانبى الساعة السادسة صباحا ، فقرر مقابلته هناك •

كانت خطة « رومل » أشد طموحا فقد كان على وشك مباشرة مشروع قائم على صورة زائفة للموقف زادت عدم واقعيتها تدريجيا بمضى الوقت ، وقد أسهم الأسلوب الأهوج الذى أداره به اسهاما كبيرا فى فشله ، وأدى بطريق مباشر الى هزيمة جيشه •

فبعد تركه لمهمة « فتح الطريق الساحلى والقيام بالاستكشاف بالقوات فيما وراء البردية وكابوتزو » لوحدة الاستكشاف رقم ٣ (فى وجه الفرقة النيوزيلندية باكملها) كان سوف يدفع بقواته جنوبى سيدى رزق ، ثم شرقا الى سيدى عمر ، مطوقا بذلك بقايا الفيلق ٣٠• وباعادة الاتصال بقواته على الحدود بهذه الكيفية يعود فيتوغل شرقا ، ليطوق الفيلق ١٣ فى هذه المرة • كان سوف يتقدم المسـيرة على رأس الفيلق الافريقى الالمـانى ، ثم تنضم اليه « الآريت »أثنـاء السير فتتشكل عن اليمين • وقد أسر الى العقيد « واستفال » الذى كان سيتخلف بمقر رئاسة مجمـوعة « البانزر » فى العدم بأنه يأمل العـودة مساء يوم ٢٤ ، أو صباح يوم ٢٥ ، مهمـا كانت الظروف • والتفكير فى امكان انجازه بكل ذلك فى اثنتى عشرة ساعة أو ٢٤ ساعة على الأكثر ، انما يدل على درجة من التفاؤل تصل الى حد الجنون ، كما اتهمه هالدر • وكان على ألوية « سومرمان » اخلاء ميدان المعركة كما كان على فرقة « البانزر » الحادية والعشرين أن تسير على رأس القوة المتقدمة ، بحيث يبدأ تحركها فى الساعة العاشرة يوم ٢٤ ، وتتبعها الفرقة الخامسة عشرة التى تكبدت خسائر أفدح « يوم أحد الموتى » •

تلك كانت أوامر « رومل » التى أصدرها رأسا الى « نويمان سـيلكوف» عندما ظهر بمقر رئاسة الاخير الساعة الرابعـة صباحا • وكان « كرويل » قد



شكل ١٦ المشاة المنقولة تتقدم



شكل ١٧ احد الجنود وهو يقفز للنجاة من كروسيدر تحترق



شكل ١٨ حاملة مدفع برن ودبابة طراز مارك ٣

رحل فى هذه الاثناء ، فلم يسمع بتلك الاوامر للمرة الاولى الا عندما قابل « روميل » بالممر الجانبى للمحور بعد ذلك بساعتين • ومرة أخرى فى هذه المعركة الغريبة ، كان لتحرك أحد الجانبين تأثير على الاحداث ، ولكنه تأثير مختلف عن التأثير المقصود •

أصبح « كانتجهام » الآن رجلا مهموما•وكان قلقه قد بدأ فى أواخر يوم ٢٢ ففى مساء ذلك اليوم أمر الفيلق ١٣ بارسال كل ما يمكن الاستغناء عنه من فرقة « فريبرج » فى أثر « باروكلو »الذى كان سيعود لتولى قيادة الفرقة النيوزيلندية وفى أول ضوء يوم ٢٣ مضى بالسيارة لمقابلة « جودوين أوستن » لمراجعة خطته • وكان الفيلق ١٣ سيتولى الآن مهمة تخفيف العبء عن طبرق ــ حيث رئى أنها عملية مشاة الى حد كبير ــ وذلك بالفرقة النيوزيلندية ولواءى جنوب أفريقيا • وكان الفيلق ٣٠ سيتولى بعد ذلك حماية جنبها الجنوبى « ويواصل تدمير مدرعات العدو » • وعندما عاد الى مقر رئاسته•استقبل بالنتائج المروعة لقتال ٢٢ كان يبدو الآن أن اللواء المدرع السابع لم يعد له وجود ، بينما انخفضت قوة اللواء المدرع الثانى والعشرين الى ٣٠ دبابة صالحة للعمل ، ولم يتمكن أحد من معرفة موقف اللواء المدرع الرابع ، وفى الموقف المبلبل الذى ساد ذلك الصباح كان من الواضح أنه لا يمكن « لجودوين » أن يتولى بعد قيادة أحد لواءى جنوب أفريقيا ، أو أن يقرر متى يمكنه أن يفعل ذلك ، أو أن يضع حدودا بين الفيلقين ، وقد عقد اجتماع للاتفاق على ذلك عند الظهر تقريبا ، بين « كانتجهام » و « جالواى » رئيس أركانه « وجودوين أوستن » وأنا باعتبارى ممثلا لـ« نورى » وكانت المشكلة هى ما اذا كان بوسع « نورى » أن يصنف الاشياء تصنيفا كافيا على الخط العام بير غبى ــ النقطة ١٧٥ بحيث تصبح مهمة « جودوين أوستن » مهمة جلية • وكانت حالة المدرعات بمثابة صدمة عنيفة للأخير • فقد كان فيلقه يتصرف على أساس أنهم منذ بدء التحرك الى الأمام يوم ٢١ ، انتصروا فى معركة الدبابات الكبرى • ولكن اتضح الآن ان العكس هو الصحيح •

واستخلص « كانتجهام » من هذا الاستنتاج السليم لحرب الصحراء : أنه لا يمكن استمرار أية عمليات بأمان ، حتى يتم تصحيح التفاوت فى المدرعات•وقد « ذعر » جودوين ــ أوستن لذكر ذلك على حد قوله • فقد كان يشعر أن



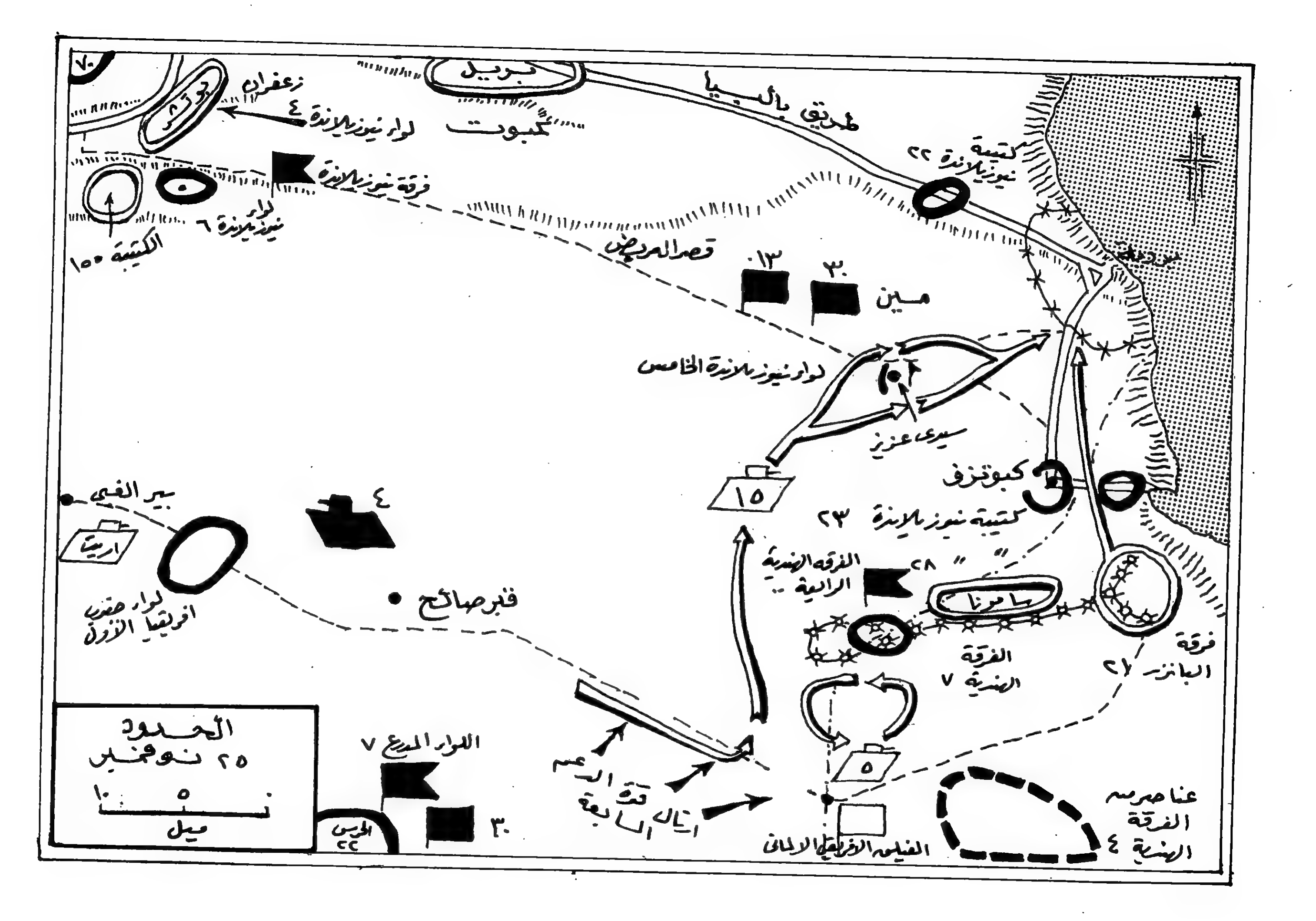
شكل (١٩) العميد جوك كامبل واللواء ستريفر جوت

فيلقه سليم الى حد بعيد • كان مازال لديه عدد كبير من الدبابات رغم خسائره بسيدى عمر وكان على أهبة التحرك الى طبرق • زاد من ثقته حديث باللاسلكى مع نورى فى الساعة الثانية (وكانت منتصف حالة السكون يوم أحد الموتى) حيث قال الأخير : انه قادر تماما على معالجة الموقف بقية النهار فى حالة هجوم العدو هجوما مضادا ، غير ان شكوك « كاننجهام » لم تتبدد وأنزعج « جالواى » لأن لديه مثل هذه الشكوك : لقد شعر « كاننجهام » بحاجة لايضاح الموقف « لأوكنليك » وطلب منه أن يطير اليه • وفى الوقت نفسه أتصل « جالواى » هاتفيا بالعميد « هوايتلى » بالقيادة العامة للتحقق من ذلك •

ووصل « أوكنليك » الى « مادلينا » ومعه قائد الاسطول الجوى « تيدر » مساء ذلك اليوم ، ورغم أن الموقف كان قد أزداد تدهورا ، نتيجة للهجوم على لواء « ارمسترونج » فانه لم يتأثر بمخاوف « كاننجهام » ، وكان واثقا من أن « رومل » يعانى بدوره من متاعب فأمر « كاننجهام » بمواصلة هجومه بهدف استرداد سيدى رزق ، وشد أزر حاميةطبرق ، وفى الاوامر التى أصدرها « كاننجهام » الساعة ٣٠ر١٠ من تلك الليلة عهد الى « جودوين »أوستن بالمسئولية عن جميع العمليات ، اعتبارا من منتصف الليل ، وضد قوات العدو المحاصرة لطبرق ، مع وضع « سكوبى » تحت قيادته • وكانت مهمته الاولى

استرداد سيدى رزق والدودة بأى ثمن والتوغل غربا نحو العـدم • وكان على نورى اعادة تنظيم فيلقه فورا ، وعهد اليه بمهمة توفير كل وقاية لفرقة جنـوب أفريقيا الاولى من هجوم الدبابات وأن يكون على اسـتعداد لمساعدة الفرقـة النيوزيلندية فى حالة وقوع هجوم « مركز » للعدو بالدبابات أثناء تقدمها ، كما كان عليه فى الوقت نفسه الا يهمل مؤخرته • وانتهت الاوامر بتعقيب غريب ، وهو أن قوة الدبابات ، طبقا للبيان الذى قدمه الفيلق ٣٠ نفسه قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة ، سوف تسمح بهـذا بكل راحة ، دون الاخلال بالدور الرئيسى للقـوات المدرعة ، وهو تدمير دبابات العدو ، ولم يكن من السهل ـ قطعا ـ تفسير هذه الاوامر • ويبدو أن الشيء الرئيسى هو تجميع كل ما يمكن تجميعه من الفرقـة السابقة المدرعة بموقع يمكنها أن تتحرك منه ، اما الى الشمال لحماية النيوزيلنديين أو غربا لحماية « بينار » وفى الوقت نفسـه تحمى الجنب الأيسر من أية طلعة من (بير غبى) • وتحرك «جيتهاوس» بلوائه وبقايا لواء «سكوت ـ كوكبرن» الى الشمال قليلا حيث قضوا الليل بالقرب من « بئر الرغيم » ليصبحوا على مسافة نحو سبعة أميال جنوب شرقى الفيلق الافريقى الالمانى وكان مازال بالطرف الشرقى للجرف الثالث • وتحرك « برينك » و « بينار » فى الاتجاه المضاد ، الى الجنوب نحو طريق العبد • اما بقايا اللواء السابع المدرع ، وجماعة السند الموجودة مع مركز رئاسة « جوت » فكانت بين الاثنين •

كان الاحساس العام ان الفيلق ٣٠ سوف ينال قسطا من الراحة ، بينما حل الدور على الفيلق ١٣ ، ليأخذ نصيبه من القتال ، ولكن خطط « رومل » الجريئة سرعان ما بددت هذا الأفتراض • كان نفاد صبره يتزايد مع مواصلة فرقة البانزر محاولة اعداد نفسها لغزوه وأخيرا •• وفى الساعة ١٠٫٤٠ أصـدر أمرا مباشرا لفوج « البانزر » الخامس بالتحرك بأقصى سرعة خلف العدو ، رغم انه لم يكن قد تجمع تماما ، ووضع نفسه على رأسه ، وأدى به طريقه الى ما بين « جيتهاوس» « وبينار » من خلال بقايا قوات « كامبل » و « ديفى » صوب مركز رئاسة (جوت) وحيث يوجد « كانتجهام » ونورى أيضا • وكان العميد « جـورج كليفتون » كبير مهندسى « نورى » موجودا أيضا ، وفى كتابه : « الصيد السعيد » قدم انطباعه الشخصى عن الأحداث التى تلت ذلك : « لئن كان يوم الاحد ٢٣ من نوفمبر عـام ١٩٤١ يوم أحد أسود » لجنوب أفريقيا : فقد بدأ صبـاح اليـوم



طريق بالبيا
كتيبة نيوزيلاندة ٢٢
زعفران
لواء نيوزيلاندة ٤
فرقة نيوزيلاندة
لواء نيوزيلاندة ٦
الكتيبة ١٠٥
قصر العريض
١٣
٣٠
مين
لواء نيوزيلاندة الخامس
سيدي عزيز
كبوتزو
كتيبة نيوزيلاندة ٢٣
١٥
الفرقة الهندية الرابعة
فرقة البانزر ٢١
الفرقة الهندية ٧
بير الغبي
لواء جنوب أفريقيا الأول
قبر صالح
الحدود
٢٥ نوفمبر
ميل
اللواء المدرع ٧
الجرس ٢٢
٣٠
قوة الدعم
الآلاي السابعة
الفيلق الأفريقي الألماني
عناصر من الفرقة الهندية ٤

التالى طبيعيا وهادئا جدا بالنسبة لمركز رئاسة الفيلق ٣٠ الذى كان يقع الآن بقبر صالح ، بجانب مهبط ايطالى صغير وعر للطائرات .وكان يوم أثنين هادئا،والصباح مشمسا فقرر أفراد مركز رئاستى الصغير غسل ثيابهم مستخدمين فى ذلك ثلاث صفائح (جيريكان) من مياه جمعوها من بئر أمامية ، وكان الفريق نورى بصحبة مايك كارفر (مؤلف الكتاب) وسيارة الاستكشاف اللاسلكية قد اتجهوا شمالا مسافة سبعة أميال تقريبا الى مركز القيادة الميدانى للفريق جوت ، وفى هـــذا المشهد الهادىء وردت اشارة من الجيش الثـامن تفيدنا أن الفريق « كانتجهام » فى طريقه الينا بطائرة « بلنهايم » لعقد مؤتمر عاجل . ولما كنت غير مشغول بعمل ما ، وشديد القلق ازاء استخدام الطائرة لمهبطنا الوعر ، فقد طلب منى جاك نايير اصطحاب الفريق « كانتجهام » فى سيارتى ، وأخذه الى الامام . لهذا فقد توجهت الى هناك بالسـيارة ، ورحت أراقب فى لهفة هبوطا متخبطا ، ولكنه آمن .. وصحبت الفريق ، وضابط أركانه الوحيد بالسيارة ، وانطلقت بهما بعيدا الى

مركز رئاسة الفرقة السابعة المدرعة المتناثر . وبينما كان الفرقاء الثلاثة يعـدون المعركة رحت استمتع بالشمس فى انتظارهم . وفجأة أخذ البعض يصدر الأوامـر بصوت عال ، وأنطلقت صفارة ، وبدأ الجميع يستعدون بأقصى سرعة ممكنـة . وتوجهت بالسيارة الى « مايك كارفر » وسألته : ما الذى يحدث بحق الشـيطان وقال مايك : والشيء الكثـير ان « رومل » يشن هجومه ، وكأنه ثور أحمـر فى متجر للخزف ، برتلين أو ثلاثة من أرتال البانزر . وهناك رتلان قادمان من الشمال فى هذا الاتجاه ، ولكن رجال « جوت » سوف يصدونهما . ولسوء الحظ تمكن رتل ثالث قادم من الغرب من فتح ثغرة فى ستار السيارات المدرعة ليطبق مباشرة على مركز رئاسة فرقة جنوب أفريقيا ، ووسائل نقله غير المدرعة . ثمة قوات جرارة انطلقت على مسافة عشرة أميال غربا وهى مندفعة فى طريقها الينـا بسرعة بالغة . سوف نقهرها بجوت ومساندتنا له . لقد أمرت طاقمنا بشد الرحال والتوجه شرقا فما على المرء الا أن ينقذ قائد الجيش بذكاء ! ؟

وفى تلك اللحظة ظهر الفرقاء الثلاثة ، وقال لى الفريق الذى أعمل تحت امرته: « رحل الفريق « كانتجهام » بطائرته البلنهايم فورا » ولم يكن هناك وقت للقلق على نوابض السيارة ، فقدت سيارتى الثمينة من طراز « فورد » بأقصى سرعة الى مهبط الطائرات وهى سرعة أشد حماقة من سرعة مطاردة الغزلان . ودون مقاومة

تذكر ، اندفعت نحو عشرين دبابة ألمانية شرقا ، وهى تسوق أمامها كل شىء كالغنم لتحل تشكيلاتنا الخلفيــة حلا تاما • وتفادينا العــدو بأن اندسسنا فى جمهرة الفارين المتزايدة الكثافة التى اعترضت سبيلنا ومن حسن الحظ اننى كنت أعرف تلك المنطقة الصحراوية بصفة خاصة •• شجيرة شجيرة • حيث تعذرت الملاحة مع السرعة والغبار والمركبات العابرة • وقد تمكنا بالتوفيق ، لا بالفطنة ، من الوصول الى مهبط الطائرات حيث أدير محرك « البلنهايم » فى تلهف على الاقلاع • وصعد قائد الجيش وضــابط أركانه الى الطــائرة التى انطلقت تتخبط على الارض ، وتفادت الاصطدام بمركبة عابرة حمولة ثلاثة أطنان ببضع بوصات ! وكانت تلك هى آخــر صورة انطبعت فى ذهن الفــريق « كاننجهام » عن الموقف فى الخط الامامى ، ولا عجب ان يعتقد ان الانسحاب الى مصر أمر لا مناص منه •

وبينما مضى « رومل » بسرعة مطردة فى طريقه الى المحور الرئيسى للفيلق ٣٠ ، كانت هناك حشود من المركبات من كل نوع ، ومنها مركز قيادة الفيلق ٣٠ الأساسى نفسه ، وبعد وصوله الى طريق العبد تحول الى جنوب الشرق بحذائها ، وهكذا مر لحسن حظ نورى شمال مستودعات تموين الاخير ، رغم ان بعض مركبــاته مرت بالفعل خــلال أحدها ، دون ان تتبين كنهه ، ولم تتحــرك فرقة (البانزر) الخامسة عشرة حتى الظهر ثم تبعت الفرقة ٢١ التى انتشرت الآن عبر أميال من الصحراء • أما الآريت ، فقد تحــركت فى وقت لاحق لذلك ، وعندما وجدت لواء جنوب أفريقيا الاول يسد سبيلها لم تحاول مواصلة التقدم ، ووصل « رومل » الى سلك الحدود جنوبى شفرزن مباشرة الساعة الرابعة ، وأمر فون رافنشتاين بعدم انتظار لحاق باقى الفرقة به ، وان يتقدم طالمــا هناك ضوء بكل ما لديه (ولم يكن لديه شىء يذكر بخلاف مركز رئاسته) وان يقضى الليل جنوب الحلفاية • وبعد ساعة لحق (كرويل) ومعه (رومل) ومعه مركز الرئاسة الصغير الذى أمكنه تدبيره فلم يسره أن يجد فيلقه مبعثرا على طول الطريق من قبر صالح شرقا ، وفرقة « البانزر » الحادية والعشرين وقد نقصت الى عشرين دبابة صالحة ، بينما نقصت الفرقة ١٥ الى ٥٦ دبابة • ويشمل هذا المجموع أربع أو ست عشرة دبابة خفيفة على التوالى • وشرح « رومل » عندئذ خطته التى كانت قائمة على الاعتقاد الخاطىء بأن الفيلق ٣٠ لم يعــد قائما ، وأن فــرقتى الفيلق ١٣ كانتا تحاصران عن قرب دفاعات الحدود ــ الفرقة الهندية الرابعة فى الجنوب والفرقة النيوزيلندية فى الشمال • وكان على فرقة البانزر ١٥ مواجهة الشمال عبر سلك

الحدود ، كما كان على الفرقة ۲۱ مواجهة الشرق عبر الحلفاية • وكان على فيلق « جامبارا » أن يأتى الى الشمال على يسار فرقة البانزر ١٥ لاكمال عملية التطويق من جهة الشمال الغربى ، وسوف يقومون ـ جميعا ـ عندئذ ، بدفع الفيلق ۱۳ بين براثن مدافع دفاعات « سافونا » ، ولم يكن « رومل » يدرى أن لواء المشاة الهندى السابع مستقر بالفعل داخل جزء من هذه الدفاعات ـ لم يحاول الاتصال « بسافونا » ليتبين الأمر ـ كما أنه لم يكتشف ان « فرايبرج » قد تحرك بالفعل غربا •

وكان اقتراح « كرويل » المخالف ـ بتحرك فرقة البانزر ۲۱ عبر ممر الحلفاية مستخدمة الطريق مرة أخرى الى السلوم ، ثم الانعطاف الى كابوتزو ، بينما تقوم فرقة البانزر ١٥ بالهجوم من الجنوب ـ أكثر واقعية بعض الشيء ، ولكنه رفض على أية حال • وبدلا من ذلك كلف « نويمان ـ سيلكوف » بالتحرك من قبر صالح ، بينما مضى « كرويل » فى طريقه محاولا العثور على « فون رافنشتاين » وبعد أن تخلل فى طريقه خطوط المدافع ، ووحدات تموين الفرقة الهندية الرابعة تمكن بطريقة ما ، من العثور عليه وقد أصبحت عناصر قيادته الفعالة الوحيدة سرية مشاة ، وسرية مدافع مضادة للدبابات ، وفى الساعة السابعة فى الظلام كر « كرويل » عائدا الى مركز رئاسة المعركة لمجموعة البانزر جنوبى ثنفرزن • وبمعجزة أخرى صادف هو و « بايرلين » بمركبة قيادتهما المدرعة العملاقة « رومل » و « جاوزى » وقد تعطلت سيارتهما فى وسط الصحراء فأخذاهما معهما • ومضى القائدان الالمانيان الكبيران ورؤساء أركانهما بالسيارة دون حراسة حتى بلغوا سلك الحدود ، ولم يتمكنوا من العثور على ثغرة فيه ، فمضوا بالسيارة ـ « ورومل » جالس الى عجلة القيادة ـ وراحوا يبحثون هنا وهناك دون جدوى ، كانوا قد توغلوا كثيرا فى اتجاه الجنوب ، فتوقفوا لقضاء الليل ـ عشرة ضباط وخمسة جنود ـ وسط المنطقة الادارية للفرقة الهندية الرابعة • وكانت المركبات تمر بهم على فترات أثناء الليل ، ولكن احداها لم تتوقف لتتحرى عما كانت مركبة القيادة المدرعة تصنعه هناك • وفى الفجر تبينوا خطأهم ، وعند الساعة السابعة صباحا يوم ٢٥ انضموا الى مركز رئاسة المعركة لمجموعة البانزر • ولو ان هناك من كان أشد فضولا • لوقع على صيد ، وأى صيد !



شكل (٢٠) اللواء برنك والعميد بينار

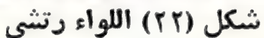
وبينما كان « روميل وكرويل » يقومان بهذه المناورات العجيبة ، ويشتتان أثناء ذلك كثيرا من عناصر تموين وقيادة الفيلق ٣٠ ، ويكرهان السلاح الجوى الملكى أيضا على الاكتفاء باستخدام مطار واحد فقط كان الجيش الثامن يأخذ الحياة بهدوء عجيب • كان نورى وجوت قد تحركا معا فى اتجاه الشرق ، وقضيا يوما هادئا شمال الفيلق الافريقى الالمـانى ، حيث يوجد ما بقى من وحداتها المقاتلة ، وهو اللواءان المدرعان : الرابع ، والثانى والعشرون ، ولواء جنـوب أفريقيا الاول الذى لم يتأثر الا قليلا •• وقضيا يوما خاليا من الاحداث • أما مركز رئاسة نورى فقد اكتسح أثناء اندفاع القوات ومن ثم فقد حضر للاقامة مع « جودوين أوستن » فى طريق كابوتزو • ولم يكن يصحبه سوى قائد مدفعيته ، وأحد ضباط الأركان ، وأنا وأحد ضباط الاتصال ، فألحق جماعته بمركز رئاسة جوت ، واستعار منه جهازا لاسلكيا ليكون بمثابة حلقة اتصال خلفية للجيش الثامن ، وقد تولى قيادة فيلقه من هناك طوال الاسبوع التالى • وبعد حلول الظلام تحرك مركز القيـادة ، وعلى رأسه جوت ، بينما قمت أنا ونورى بدور حرس المؤخرة ، ومضى بالسيارات جنوبا متخللا فى طريقه مأوى فرقة البانزر الخامسة عشرة للانضمام لجماعة السند جنوبى طريق العبد •

وكان « كاننجهـام » قد عاد الى مركز رئاسـته عند الظهر ، ليجـد ان « أوكنليك » قد قضى الصباح •• وهو يحول أوامر الليلة السابقة الى تعليمات رسمية • ولم تؤد أحداث الصباح الى أي تغيير ، وقد رفضت فكرة التوقف قليلا ، حيث انه « سيعتبر بمثابة انتصار للمحور ، كما سيستلزم التخلى عن فك الحصار عن طبرق لأجل غير مسمى » • وقد أمر « كانجهام » بمواصلة مهاجمة العدو بلا هوادة ، باستخدام جميـع موارده حتى آخر دبابة « كما قيل له : ان هدفه الرئيسى ـ كما هو دائما ـ تدمير قوات العدو من الدبابات • كذلك فقد نبه الى ان مهمته الاساسية هى غزو برقة والتقدم الى طرابلس • ولا شك ان هذه الاهداف العريضة لم تكن بذات فائدة تذكر له ، ولكن لجعل قدميه أكثر اعتيادا على الأرض قيل له : انه (يبدو من الضرورى) ان يسترد هضبة سـيدى رزق ـ الدودة بأسرع وقت ممكن وان « يعقد الخناصر » مع قوات طبرق التى عليها التعاون بأقصى حد من مواردها ، • وقد ركز تركيزا شديدا على الأثر الذى يمكن ان يحدثه لواء ريد المتحرك من جالو الى الطريق الساحلى ،



شكل (٢١) اللواء فرايبرج





شكل (٢٢) اللواء رتشى

والغارات التى ستقوم بها جماعة الصحراء بعيدة المدى باستخدام سياراتها المدرعة المتيسرة بأقصى جرأة •

وبعد ان تسلح كاننجهام بهذه العبـارات المثيرة طار بعد الغداء لمقابلة « جودوين أوستن » الذى كان ما زال محتفظا بنزعة المقاتل • وفى طريق عودته شاهد بعينيه التحرك شرقا فوق طريق العبد ، فأصدر أوامره بشأن الدفاع المحلى عن منطقة رأس السكة الحديدية ، بينما كان على الفيلق ١٣ التركيز على شق طريقه الى طبرق •

ولم يأت اليوم التالى بالفرج لقلق « كاننجهام » ، فقد كشف الاستطلاع الجوى فى فجر يوم ٢٥ من نوفمبر ان الفيلق الافريقى الالمـانى قد حشد حول شفرزن • وهنا كان فى نقطة حاكمة من خط مواصلات الفيلق ١٣ على مسافة

تقل عن ٣٠ ميلا من مركز رئاسة الجيش الثامن ، وقرب المطار الامامى الوحيد الباقى ، والذى احتشدت فيه جميع الطائرات المقاتلة الآن • وكانت الوحدات المقاتلة الموجودة بينها قليلة جدا ، حيث كانت مستودعات التموين الميدانية لكلا الفيلقين ، بل ولقاعدة تموين الجيش الاساسية عند رأس السكة الحديدية • وحوالى الظهر أقنع « كاننجهام » « أوكنليك » بالعودة الى القاهرة تاركا وراءه رسالة شخصية للجيش الثامن •

« خلال ثلاثة أيام قضيتها بمركز رئاستكم الامامى شاهدت وسمعت ما يكفى لاقناعى — وان لم اكن بحاجة الى اقناع — بأن العزم على هزيمة عدو قادتكم وجنودكم لا يمكن ان يكون أشد وأمضى وليس لدى شك فى أنه سوف يهزم • ان موقفه يائس ، وهو يحاول بالاندفاع فى كل مكان — شغلنا عن غرضنا ، وهو القضاء عليه تماما • ولسوف لا يشغلنا شاغل كما سوف يقضى عليه • لقد أمسكتموه بأسنانكم ، ولتستمروا على ذلك ، فعضوه ، واشبعوه عضا ، حتى ينتهى • الا تتيحوا له الراحة • الموقف العام فى شمال أفريقيا ممتاز • هناك فقط أمر بالهجوم والمطاردة » •

سى• أوكنليك (فريق أول)

القائد العام

وفى هذه الاثناء كان الحشد الخطر للفيلق الافريقى الشمالى يعانى من أوهام القائد العام • وعندما أقبل الصباح وجد « روميل » ان الآريت ما زالت بعيدة ، وعلى بعد بضعة أميال فقط شرقى بير غبى • وهكذا غير خطته تغييرا بسيطا ، وعهد الى « نويمان — سيلكوف » بمهمة مهاجمة العدو غربى دفاعات الحدود ، بينما كان على « رفنشتاين » التعامل مع الموجودين جنوبها وشرقها •

وكان على فرقة البانزر ١٥ ان تدبر أيضا قوة تتحرك مسافة ١٢٠ ميلا جنوبا بجانب سلك الحدود للاستيلاء على جغبوب • وكان تحركها يشمل التقاط أفراد مركز رئاسة « كاننجهام » فى طريقها • ولم تتحرك هذه الجماعة قط ، ولكن الجيش الثامن سمع بها فتملكه الخوف ، بحيث لم يتمكن من تنظيم قوة لملاقاتها • هذا بينما قضت الفرقة — وهى فى طريقها شمالا — الصباح كله فى معركة شمال غربى سيدى عمر ، مع قسم اصلاح لواء دبابات الجيش الاول حيث

وقفت ١٦ دبابة « ماتيلدا » من كتيبة الدبابات الملكية رقم ٤٢ ـــ وهى فى مراحل متفاوتة من مراحل العطب ـــ وقفة شجاعة • ثم قضت عصر اليوم تنظم نفسها للخروج لتصيد الفرقة النيوزيلندية ، ولكنها لم تتمكن من العثور على شىء مركز رئاسة اللواء النيوزيلندى الخامس بسيدى عزيز • وقد رأت تركه حتى يوم ٢٦ حيث سيضطر على أية حال للتوجه الى البردية لاعادة الملء •

وكانت فرقة البانزر ٢١ تملأ المكان • فقد قضت المشاة ـــ كتيبة البنادق الرابعة بقيادة « نيب » ـــ اليوم كله وهى تتحرك من مكان ما قـرب شفرزن للانضمام الى « فون رافنشتاين » نفسه عند الحلفاية • أما كتيبة البانزر الخامسة بقيـادة « ستيفان » والتى بدأت بعشرين دبابة فقط ، فقد تحـركت من مكان ما غرب سلك الحـدود فى اتجاه الحلفاية أيضا ، وعبرت الحـدود على مسافة عشرين ميلا فقط شمال مركز رئاسة كانتجهام وتوغلت بمركباتها فى أحد مراكز الصيانة الميدانى التابع للفيلق ١٣ دون ان تتبين ذلك • وكانت قريبة جدا من مطار المقاتلات هنا ، فهاجمتها طائرات على ارتفـاع منخفض وقتل « ستيفان » نفسه ، وحل محله الرائد ميلدبراث الذى اتجه شمالا حتى اصطدم بكتيبة مدفعية الميدان الاولى المعاونة للواء الهندى السابع بسيدى عمر ، فاستقبل استقبالا حارا • ويصف قائد الكتيبة المقدم « دوبرى » ما حدث فى سجل المدفعية الملكية التذكارى

« بينما كانت الشمس تشرق صباح يوم ٢٥ من نوفمبر كانت كل من كتيبة السيخ ٤ / ١١ وكتيبة مدفعية الميدان الاولى قرب قنيقينه ومعها رتل من المركبات النيوزيلندية عندما أقبلت سـيارة مدرعة بنبأ يفيد أن نحو ٢٥ دبابة تقترب من الجنوب • وبعد نحو ساعة ونصف الساعة ظهرت الدبابات أمام كتيبة مدفعيَة الميدان التى تحركت للقتال لستر المشـاة ووسائل النقل • ولم يكن ثمة وقت لحفر مواقع للمدافع ، كما لم يكن ثمة ساتر سوى الخنادق التى حفرت للوقاية من الهجوم الجوى •

كانت ٢٨ دبابة تتقدم فى طريقها من الجنوب على مســافة ٣٠٠٠ ياردة ، وكانت من الطرازين الثقيلين علامة ٣ ، ٤ ، وقد اصطفت جنبا الى جنب فى صفوف من أربع أو خمس دبابات بفواصل قدرها ٣٠ ياردة بين الدبابات ومسافة قدرها ٧٠ ياردة بين الصفوف • وكانت قد اتخذت وضعا يمكن جميـع الدبابات من

اطلاق النار دون ان تحجب احداها الاخــرى • وعلى مسافة ٢٠٠٠ ياردة فتح هذا الاسطول الهائل النيران على مدفعيــة الميدان ، متوقفا عند اطلاق مدفع الدبابة ، مواصلا اطلاق المدافع الرشاشة أثناء السير •

وعندما اقتربت الدبابات أصبحت نيرانها دقيقة ، ولكن المدافع عيار ٢٥ رطلا ظلت صامتة بينما ظل الجنود منبطحين بجوار المدافع • وتحملت كتيبة المدفعية رقم ٥٢ ، التى كانت تحتل الجانب الغربى من الموقع ، نير المعركة • وانتظرت سرية المدفعية فى جلد حتى أصبحت الدبابات على مسافة ٨٠٠ ياردة فقط ، وعندئذ هب الجنود واقفين وفتحوا النيران • وراحت المدافع تقصف العدو فى حرارة تحت وابل من الطلقات • وسقط الجنود بسرعة ولكن خدمة المدافع استمرت وتقدمت الدبابات الى مسافة ٥٠٠ ياردة • وهناك توقفت •• وأعقبت ذلك ـــ لمدة عشر دقائق ـــ مباراة حامية فى الضرب العنيف •• دبابة ضد دبابة ورجل ضد رجل • وكان الالمـــان هم الذين تنحوا عنها • لقد ابتعدوا غربا الى « وضعة الجســـم المستور » حيث يمكنهم مع ظهور المدافع والابراج وحدها مواصلة القتال على مسافة أوفر راحة • وبعد عشر دقائق أخرى من قصف رهيب للمدافع فى العراء هجم البانزر رأسا على سرية المدفعية رقم ٥٢ • وتناثر نصف رجال المدفعية حول مدافعهم ، ومقطوراتهم ، ولكن زملاءهم لم يتخاذلوا قط ، بل راحوا يردون على كل طلقة بمثلها • وعلى مسافة ٣٠٠ ياردة كانت الدبابات قد نالت كفايتها ، ولم تلبث ان استدارت وانسحبت فى اتجاه جنوب الشرق بعد ان أثخنتها بالقصف الشديد سرية المدفعية رقم ١١ التى لم تكن حتى ذلك الحين قادرة على الاسهام الا بدور صغير فى المعركة •

وتكبدت سرية المدفعيـــــة رقم ٥٢ خســـائر قدرها ٤٢ فى ٤٥ دقيقة • وقد بلغت جملة ما تكبدته كتيبة مدفعية الميدان الاولى ١٨ قتيلا و ٤٤ جريحا • وقد دمرت سبع دبابات للعدو ، كما أصيبت أخرى ببعض التلف ، ومضت تتخبط مبتعدة ، ولكن سرية مدافع مضادة للدبابات من جنوب أفريقيــا أجهزت عليها عندما وصلت الى مسرح المعركة فى الوقت المناسب ، وقد أسكتت خمسة من مدافعنا الميدانية • وكان المشهد فى نظر من يصل الى الموقع بعد بضع دقائق من انتهاء المعركة ، مماثلا تماما لبعض صور معارك المدفعية الرهيبة التى اعتاد المرء

مشاهدتها على حوائط قاعات الطعام العسكرية ـ مدافع محطمة ، وأشلاء للمقطورات ، وذخيرة متفجرة ، بينما القتلى والجرحى فى كل مكان • ولكن بمجهود خارق من جانب الصناع المهرة دخلت المدافع المعطوبة المعركة مرة أخرى بعد ظهر اليوم التالى • وكان ثلاثة من مدافع البوفرز المقطورة التابعة للكتيبة الخفيفة المضادة للطائرات رقم ٥٧ بمثابة شركاء شجعان لسرية المدفعية رقم ٥٢ طوال المعركة •

وكان « ميلدبراث » يعانى الآن نقصا فى الذخيرة فانسحب جنوبا ، محاولا العثور على مركباته • وهنالك وجدها وقد قصفت بالقنابل ، بينما كان الوقود والذخيرة مازالا يعوزانها عندما وجدها « روميل » بعد الظهر •• وأمرها « بالهجوم شمالا فى اتجاه ارتال العدو جنوب الحدود والاختراق فى جبهة واسعة ، وأن تقف على مرأى من سلك الحدود » • وهكذا تقدم « ميلدبراث » شمالا مرة أخرى بدباباته السبع عشرة ـ ثلاث منها مقطورة ـ وفى هذه المرة وقع مباشرة فى نيران موقع اللواء الهندى السابع الذى كان يحميه حقل الألغام الذى وضعه الالمان أنفسهم • وقد تحمل نير المعركة مدافع كتيبة مدفعية الميدان رقم ٢٥ تساعدها سرية مدافع (عيار رطلين) من احدى كتائب جنوب أفريقيا ، ومدافع عيار ٥ر٥ بوصة من الكتيبة المتوسطة رقم ٦٨ • ولم يمض وقت طويل حتى تعطلت سبع دبابات أخرى ، فقضت الجماعة الليل ، غربى السلك وعلى مسافة ستة أميال شمال شرقى شفرزن ومعها ما لايزيد على عشر دبابات صالحة ، بينما انقطع اتصالها اللاسلكى بالجميع ، وقد فت فى عضدها •

وهكذا كان اليوم يوما بالغ الفشل ، باهظ التكاليف بالنسبة « لروميل » الذى نجح فى جعل مجموعة « كرويل » القتالية عديمة الفعالية تماما • ولو حشدت الدبابات البريطانية ـ الفيلقين ٣٠ ، ١٣ ـ ضد الفيلق الافريقى الالمانى فى ذلك اليوم لاستطاعت بسهولة القضاء عليه قضاء مبرما • ولكن مدرعات « جودوين أوستن » كانت مبعثرة بين فرق مشاته ، بينما كانت دبابات « نورى » محتشدة فى موقع مصمم الى حد بعيد لحماية لواء جنوب أفريقيا الاول عند « طيب الاسم » على مسافة خمسة عشر ميلا جنوب شرقى بير غبى ، من هجوم الآريت • وكان ثمة موقف أشبه بمسرحية فكاهية يدور هنا طول النهار • فمنذ

الساعة الثامنة تصاعدا يستولى القلق على « بينار » بسبب تهدده بهجوم الآريت من جهة الشمال الغرب • وكان برينك بطبيعة الحال حريصا كل الحرص على عدم ملاقاة نفس مصير « ارمسترونج » فالتمس من نورى دبابات لمساعدته • كان نورى غير ميال لتكليف القوة الوحيدة الباقية له من الدبابات بمهمة معينة على ضوء دليل واه ، حيث لم يكن يعرف تماما أين كانت القوة الرئيسية للدبابات الالمانية • ولم تكن ثمة أهمية كبرى لموقع بينار ، الذى لم يكن سوى مكان لجأ اليه للراحة ، وكان نورى مستعدا للسماح له بالتخلى عنه ، واتخاذ موضع يستطيع منه تقديم حماية أقرب لمراكز الاعاشة الميدانية اذا شاء ذلك • ولكن محاولة التحرك كانت أقل أمنا من الاستقرار فى نفس الموضع • وبعد ساعتين وقبل وصول « جيتهاوس » بقليل شن هجوم ايطالى فاتر • وظل الجانبان يراقبان بعضهما بعضا طوال النهار دون أية خسائر فعلية • وبعد حلول الظلام انسحب « بينار » جنوبا لمركز الاعاشة الميدانى • ومن سخرية الموقف ان الآريت كانت ترسم صورة مماثلة للتهديد الذى استمر طوال اليوم من جانب « بينار وجيتهاوس » لهذا فان يوم ٢٥ من نوفمبر لم يكن من الايام التى أظهر فيها أحد الجانبين براعة عسكرية •

كانت القيادة التى على رأس الجيش الثامن هى التى تقلق « أوكنليك » عندما طار عائدا الى القاهرة من مادلينا • وكان زميلاه القائد العام الفريق الطيار « تيدر » وقائد قوة الصحراء الجوية « كاننجهام » يشاركانه الشك فى صلاحية « كاننجهام » فى الاستمرار فى قيادة الجيش الثامن ، نظرا لارتيابه فى حكمة مواصلة السياسة الهجومية الشاملة • ولم يكن « أوكنليك » يشك فى أن هناك حاجة لتغيير •

كانت المشكلة هى العثور على خلف يسهل العثور عليه بحيث تتوفر فيه الصفات والخبرة المطلوبة ليتولى المنصب فورا • وكان قائدا الفيلقين جديدين على الصحراء ، وكان نورى قد حل محل « بوب » مصادفة • وكان فيلق « جودوين أوستن » قد أطلق لتوه فى دفعة حاسمة نحو طبرق ، وتغيير القيادة هناك قد لا ينجم عنه سوى تعطيل انجازه لمهمته • ووقع الاختيار على اللواء « نيل ريتشى » نائب رئيس أركانه ، وهو جندى خشن مستقيم • وكان قد حاز

ثقة « أوكنليك » بالفعل ويمكن الاعتماد عليه للاضطلاع بالهجوم بعزيمة قوية • وكانت هناك عيوب فى هذا التعيين • فلم يكن « ريتشى » عاطلا فحسب من الخبرة الشخصية فى عمليات الصحراء ، وانما كان أيضا أحدث من قائدى الفيلقين • ومع ذلك بدت هذه الاعتبارات بسيطة ازاء الحاجة لوضع شخصية قوية فى أقرب وقت ممكن على رأس الجيش الثامن •

وعند وصول « أوكنليك » الى القاهرة استشار « أوليفر ليتلتون » وزير الدولة وبعد ان حصل على موافقته بعث باشارة الى رئاسة الاركان العامة يعلن فيها قراره • كذلك أرسل برقية مطولة بعض الشيء الى « تشرشل » تشرح رأيه فى الموقف •

« من الفـــريق أول أوكنليك الى رئيس الوزراء ٢٩ من نوفمبر ١٩٤١ أشكركم شكرا خالصا على برقيتكم التى أقدرها كل التقدير • لقد عدت لتوى من مركز رئاسة الجيش الثامن • مازال أمر المعركة فى الميزان ، ولكننى مقتنع بأن علينا المضى بعزيمة لكى نكسب •العدو يندفع هنا وهناك وفى كل مكان فى محاولة مستميتة لافقادنا توازننا ، وتفكيك قيادتنا ، واحداث الفوضى فى صفوفنا ، انه يبدى مهارة كبيرة وعزيمة قوية ، وعلى كل حال فليس لديه وراء مجهوده سوى القليل ، ومن كل ما شهدته وسـمعته حتى الآن فقد أخفق تماما فى هز الـروح المعنوية لقادتنا وجنودنا الذين يقاتلون قتالا رائعـا •

ان العدو يحاول مستميتا استرداد عنصر المبادأة • وقد نجح فى هذا جزئيا ولكنه نجاح محلى ومؤقت فقط • فطالمـا استطعنا المحافظة على ضغطنا فى اتجاه طبرق فان المبادأة الحقيقية من نصيبنا ، ويمكننا غض النظر عن تحويل القوات نحو السلوم أو مادلينا • ان كل جهد مكرس لشن الهجوم بواسطة الفـرقة النيوزيلندية وقوات الفيلق ١٣ نحو طبرق ، وأنا أعتقد أنها تسير على ما يرام • عندما كنت فى المنطقة الامامية لم أسمع بأن ثمة أحـدا ليس على ثقة من أننا سنفوز • ربما كانت هناك بعض حالات للقلق ، ولكن الموقف العام ينبغى أن يظل فى صالحنا » •

لقد أبرقت لرئاسة الأركان العامة لأقول : اننى قررت استبدال الفـريق « كاننجهام » مؤقتا باللواء ريتشى ، وهو نائب رئيس أركانى الحالى ، وليس هذا

بسبب أية هواجس فى ذهنى بشـأن الموقف الحالى ، ولـكن لأننى استنتجت ـ مكرها ـ ان « كاننجهام » ـ وهو جدير بالاعجاب حتى الآن ـ قد بدأ الآن يفكر تفكيرا دفاعيا بدلا من هجومى ، بسبب خسـائرنا الكبيرة فى الدبابات • وقبل اتخاذ هذه الخطوة العنيفة فكرت فى الأمر تفكيرا مليا ، واستشرت وزير الدولة لدى عودتى هنا بعد ظهر اليوم • اننى مقتنع بأننى على صواب ، وان كنت أدرك ان هذه الخطوة أمر غير مرغوب فيه فى الوقت الحالى بصفة عامة • سوف أحاول الحد من اذاعة النبأ بقدر الامكان •

وفى هذه الأثناء فاننا نبذل كل جهد لاستعاضة خسائر الدبابات والسيارات المدرعة والجيش الثامن ينظم الدفاعات ضد غارات العدو بمناطقنا الخلفية مثل سيدى عمر ومادلينا ورأس السكة الحديد •

وفى الوقت نفسه أمرت قواتنا الخفيفة فى الجنوب بشق طريقها الى الامام بلا هوادة نحو خط مواصـلات العدو : مخيلى ـ بنغازى ـ العقيلة ، وقطـع المرور هنـاك •

ثم واجه بعد ذلك تلك المهمة البغيضة وهى كتابة رسالة الى « كاننجهام » بنفس المعنى • وقد حملها الى « مادلينا » فى اليوم التالى ٢٦ من نوفمبر رئيس أركانه اللواء « آرثر سميث » الذى وصل قبيل « ريتشى » فى وقت مبكر من عصر ذلك اليوم •

●

قتال فرايبرج

٢٤ من نوفمبر - أول ديسمبر

فى الأسبوع التالى تحمل الفيلق ١٣ التابع « لجودوين أوستن » - وخاصة الفرقة النيوزيلندية التابعة « لفرايبرج » - نير المعركة رغم عزل العدو لها • ولفهم ذلك ينبغى ان نعود القهقرى لمتابعة خطواتنا منذ يوم ٢٣ من نوفمبر (يوم أحد الموتى) وهو اليوم الذى تكبد فيه اللواء السادس ، التابع (لباروكلو) فى هجومه على النقطة ١٧٥ خسائر من القتلى والجرحى تعادل ما تكبده لواء جنوب أفريقيا الخامس التابع لارمسترونج • وكانت خطة « جودوين أوستن » فى هذه المرحلة تقضى بأن يقوم « فرايبرج » - بعد حلول « مسرفى » محله بأسرع ما يمكن فى منطقة الحدود - بشق طريقه نحو طبرق ووصل قواته بقوات سكوبى بمنطقة بلحمد - سيدى رزق ، بينما تتقدم فرقة جنوب أفريقيا الاولى عن يساره ويحمى الفيلق ٣٠ الجنب الصحراوى المكشوف • وكان على (فرايبرج) ، بلواءين مبدئيا وبأمل أن يصبحا ثلاثة فيما بعد ، ان يشق طريقه خلال اربع فرق - فرقتا بانزر وفرقة أفريقية وفرقة بولونيا - تدعمها مدفعية بوتشر • وفى يوم ٢٤ نقصت هذه القوة نتيجة لدفع « روميل » بفرقتى بانزر فى اتجاه الحدود ، ولكن فى الوقت الذى تم فيه ذلك ، وربما نتيجة له كان الدعم الذى توقعه عند جنبه الايسر قد تلاشى ، فقد قطع خط تموينه كما ان لواءه الثالث ، وهو لواء هارجست الخامس ، كان قد تورط فى المعركة عند الحدود ، ولكن هذه الاحداث لم تؤثر فى أى وقت على تصميمه على شق طريقه قدما ، وان جهل معظم الوقت حقيقة الموقف •

وعند صباح يوم ٢٤ من نوفمبر كان مركز رئاسة « جودوين - أوستن » قد تحرك الى طريق كابوتزو عند بير الحريقة على مسافة عشرة أميال شمال غربى « هارجست » عند سيدى عزيز وكانت دباباته تطوق « البردية » . وكانت

الكتيبة ٢٢ قد حلت محل الكتيبة ٢٠ عند « مناستير » وتقع غربها بمسافة ستة أميال • أما الكتيبة ٢٣ ففى كابوتزو والكتيبة ٢٨ شمال السلوم •

وكان « هارجست » الآن تحت قيادة « مسرفى » الذى كان هو ذاته داخل دفاعات الحدود ومعه اللواء الهندى السابع اما لواءه الآخر الحادى عشر فكان ما يزال شرقى الحلفاية اسفل الجرف ، بينما لم يكن اللواء الهندى الخامس قد استخدم بعد • وكان اللواء النيوزيلندى الرابع بقيادة « انجليس » قد تقدم فى عصر اليوم السابق قرب البردية الى كامبوت التى استولى عليها فى الساعةالثالثة • وقد جاءت المقاومة الحقيقية الوحيدة من جانب جماعة « برييل » وهى قوة تقدر بسرية من نصف المسرفات (المجنزرات) وكانت مهمتها ابقاء الطريق مفتوحا بين البردية ومستودعات التموين وورش الاصلاح الخاصة بالفيلق الافريقى الالمانى والتى تقع شمالى (فيابالبيا) وعلى مسافة أميال قليلة من كامبوث •

وكان من فرط سوء طالع « جودوين ــ أوستن » ، الذىكان حريصا على عدم توسيع « فرايبرج » لجبهته ان نهاه عن مد نشاطه شمال الطـريق • وفى الاسبوع التالى كانت التشـكيلات الادارية « لكرويل » تفتقر الى دفاع على مسافة بضعة أميال من النيوزيلنديين • وهكذا ضاعت فرصة رائعة مثلما أهمل « رومل » فرصة مشابهة • ولو كان كل جانب قد بذل جهـدا أكبر لكشف مواطن الضعف فى الجانب الآخر واختار مهاجمة نقاط الضعف بدلا من نقاط القوة لدى الخصم لأمكن تحقيق نتائج ذات شأن • وفى نهاية يوم ٢٣ كان اللواء الرابع قد استقر استقرارا وطيدا بمنطقـــة المطارات جنوبى كامبوت مباشرة • وعند منتصف الليل وصل مركز رئاسة « فرايبرج » ومعه الكتيبتان ٢٠ ، ٢١ واللواء الاول دبابات جيش الى بير شليتا حيث استولى « باروكلو » على مركز رئاسة « كرويل » فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم • وقد دهش (باروكلو) عندما وجد صباح يوم ٢٤ هادئا كما شجعه اقتراب « فرايبرج وانجليس » فضلا عن تأكيدات بأن اللواء الثانى والعشرين المدرع كان يستر يساره ومؤخرته •

ومن ثم فقد واجه مشكلة استكمال مهمة تأمين النقطة ١٧٥ • وقد نجح هجوم للسرية ب من الكتيبة ٢٤ فى استرداد النقطة نفسـها فى الصباح نظير خسـائر طفيفة • غير انها تبينت ــ كما تبينت الكتيبة ٢٥ فى اليوم السابق ــ ان المشكلة

الفعلية تأتى من الوادى العميق وراء «رقبة العبيدات» وما يسمى بـ (الحصن) القائم على الارض المرتفعة غربها • وكان من الواضح ان الاستيلاء على كل هذا خارج امكانيات الموارد الناضبة للكتيبتين ٢٤ ، ٢٥ فانتظر « باروكلو » وصول الكتيبة ٢١ كدعم قبل اقدامه على ذلك • وكان « فرايبرج » قد أصدر اليها أمرا بذلك بعد الظهر مباشرة ، ولكن قائدها لم يقدم نفسه الى « باروكلو » حتى الليلة الماضية •

ولا شك ان لغموض الموقف العام صلة بذلك التأخير ، فقد اكتشف مركز رئاسة الفرقة بعد وصوله مباشرة فى الليلة السابقة ان ثمة عدوا بالجرف الواقع بينه وبين اللواء الرابع • وأرسلت الكتيبة ٢٠ بقيادة « كينبرجر » ومعها السرية (أ) من كتيبة الدبابات الملكية الثامنة للتعامل معه فى الصباح • وتم تخطيط هجومها بسرعة وجرأة فائقة وكان نتيجته الاستيلاء على مدفع عيار ٨٨ مم ومدفعين آخرين • اما الخسائر فكانت طفيفة وان فقدت سبع دبابات أثناء قيامها بنشر قوة لا تجاوز مفرزة واحدة من وحدة الاستكشاف رقم ٣ • وفى هذه الاثناء كان اللواء الرابع فى الشمال يتوقع هجمات لحشد من مركبات شوهدت فى اتجاه شمال الغرب ولكنه كان فى الواقع خط من خطوط تموين للفيلق الافريقى وكان الهجوم الوحيد الذى شن على اللواء الرابع هجوم صغير من جانب جماعة « بريل » عند بدء تحركه فى رحلة طولها عشرة أميال فى اتجاه زعفران • وقد أتى به هذا على مسافة بضعة أميال شمال اللواء السادس الذى كان يظن خطأ ان « أنجليس » سوف يهاجم النقطة ١٧٥ من ذلك الاتجاه وقد حرك « فرايبرج » مركز رئاسته أيضا وفقا لهذا فاصطدم بأحد جيوب العدو نتيجة لذلك • وفى ذلك المساء عقد مع عمدائه مؤتمرا تقرر فيه ان يقوم اللواء السادس بتطهير « الرقبة » (و) « الحصن » بهجوم سريع قبل أول ضوء يوم ٢٥ بينما يتقدم اللواء الرابع فى الفجر الى خط يمتد جنوبا من زعفران ليصل الى « باروكلو » فى طريق كابوتزو • وقد أرسل « فرايبرج » الاشارة التالية الى « جودوين ــ أوستن » قبيل منتصف الليل •

« ما زالت جيوب كبيرة للعدو فى مؤخرتنا نحن نهاجم غربا ونحتل الآن خطا يمتد شمالا وجنوبا خلال النقطة ١٧٥ • لو كان لدينا وقود وذخيرة لأصبحنا فى

طبرق غدا صباحا . أما والحال كذلك فاننا نأمل ان نصل هناك مساء غد وان كان تحديد الوقت متعذرا .

ثم مضى الى فراشه ، وهو واثق أن الالمـان جميعا قد اختفوا من أمامه ثقة « رومل » ــ الذى كان مختبئا فى ذلك الوقت فى مركبة « كرويل » (ماموث) بين خطوط « مسرفى » ــ من أن فرقة « فرايبرج » قد وقعت فى شرك شمال سافونا » .

أما العقيد وستفال الذى ترك فى مركز رئاسة مجموعة البانزر الرئيسى قرب العدم وعلى غير اتصـال « برومل » فقد تنبه الآن الى التهـديد الذى يشكله « فرايبرج » . ولمواجهته كان ثمة جنرالان ألمـانيان على رأس خليط من الجنود . وكان « بوتشر » ومعه معظم مشـاة سومرمان قد تلقى أوامر من « رومل » بالاستعداد لمهاجمة طبرق ولكن كان عليه أن يعدل أوضاعه مع الكتيبة ٣٦١ فى « الرقبة » اذ امتد جنبها الأيسر غربا ليتصل بالكتيبة ١٥٥ بين زعفران وبلحمد التى يشغلها المهندسون حيث كان بوتشر نفسه ينبغى ان يكون . وبالنذر القليل الذى تبقى « لسومرمان » من فرقته وباحدى الكتائب الايطالية غطى المنطقة التى تقع شمال هذه المنطقة عبر « فيابالبيا » الى الساحل . وهكذا أصبح احتلال الجـرف الثالث واهنـا حيث كان يرجى ان يتسلمه فيلق « تريستا » من فيلق « جامبارا » . لهذا كانت هذه القوة يوم ٢٦ شديدة التعرض لهجوم مركز من طبرق من الخلف ، بواسطة الفيلق ٣٠ من الجنوب والنيوزيلنديين من الشرق .

ولكن ثمة هجوما لم يشن الا من الاتجـاه الاخير وقد جاء ذلك فى الصباح . وتقدمت الكتيبة ٢٤ غربا عبر « الرقبة » نحو « الحصن » فاذا بها تتعرض لمتاعب جسيمة عندما تحولت حمالات الكتيبة ٢٦ ــ التى كانت قد تقدمت دون مقاومة عبر الارض المكشوفة على اليسار ــ لتستولى على الحصن من الخلف . وفى هذه الأثناء ظهرت الكتيبة ٢٠ أيضا شمال مدخل « الرقبة » وقد تقدمت فصيلة منها الى الحصن . وعند الساعة الحادية عشرة كانت المقاومة قد انهارت وأسر ٢٠٠ أسير على الأقل ولكن مقابل بعض الخسائر ، خاصة من جانب الكتيبة ٢٤ . وعلى مسافة أبعد الى الجنوب وبعد ذلك بقليل تقدمت الكتيبة ٢١ دون مقاومة لتأمين الطرف الشرقى للجرف الثالث لتصبح على بعد ثلاثة أميال جنوب شرقى

الكتيبة ٢٦ التى كانت موجودة الآن بمطار سيدى رزق • اما اللواء الرابع فقد تقدم شمالا دون مشقة الى زعفران ، ولكن كتيبة الدبابات الملكية رقم ٤٤ فقدت ثمانى دبابات « ماتيلدا » وهى تحاول تطهير الهضبة الصغيرة الواقعة بين اللواء « وبلحمد » •

وكان « جودوين أوستن » الآن عاكفا على مهمة عسيرة وهى تنسيق عمل كل من « سكوبى » و « فرايبرج » حتى تلتئم خطوطهما ولا يحارب أحدهما الآخر بنوع الخطأ أو يشن هجوما لا يشاركه اياه زميله • ولما كان « سكوبى » لا يريد توسيع بروزه الحالى حتى لا يتردى فى موقف تستعصى عليه فيه الحركة مرة أخرى فقد اقترح تحويل المجهود فى اتجاه شمال الغرب ولكن « جودوين أوستن » كان مصرا على ضرورة انضمام الاثنين فى « الدودة » • وأكد ضرورة عدم تحرك « سكوبى » حتى يضمن « فرايبرج » وجوده فى « الدودة » لمقابلته • ومتى انشىء ما وصف بانه « ممر طبرق ــ سيدى رزق ــ الدودة » يستطيع الاثنان التقدم غربا الى طريق طبرق ــ العدم • وكان استخدام كلمة « ممر » استخداما غريبا ــ ان كان المعنى الحقيقى هو المقصود ــ اذ يوحى بوجود طريق محدد من الجانبين لمرور شخص • ولكن من المؤكد ان أحدا لم يكن يعنى فى هذه المرحلة ان يتحرك « سكوبى » من خلاله مبتعدا عن طبرق أو ان يتحرك « فرايبرج » أو غيره عن طريقه لتعزيز الحامية رغم ان « فرايبرج » قال فى تلك الليلة « لجنترى » ضابط أركانه رقم ١ : « ينبغى ان ندخل وننضم الى طبرق ، ليس ثمة شك ان علينا ان ندخل ولكن ربما تعين علينا الدخول مساء غد » • ولعل تفكيره الأساسى كان منصبا على موقفه من حيث التموين فقد كانت المؤن الواردة من الخلف قد انقطعت مع وجود « رومل » قرب مركز الاعاشة الميدانى شرقى شفرزن ، حيث يتعين عليه ان يسحب مؤنه ، ولم يكن هناك خط مأمون لاخلاء الخسائر ، وكان من شأن فتح الممر اعطاؤه خط تموين بديل ، رغم ان طبرق لم تكن لتستغنى الا عن قدر ضئيل من الذخيرة • ان ضم قوته لقوة « سكوبى » واغلاق الباب وراءه غير كفيل بفك الحصار عن طبرق • فالخسائر التى تكبدتها المشاة والدبابات فى الهجمات النهارية ، وندرة مساعدة مدفعيته ، ونقص الذخيرة ، وقوة العدو ، كل هذا أقنعه ان يعلق آماله على هجوم ليلى • كان واقعا تحت تأثير مواجهة اللواء السادس بشدة للمقاومة حول سيدى رزق ،

ولكنه تبين أنه لا يمكن ان ينتظر منه التعامل مع الجرف الثالث أيضا ، وكلفه بمهمتين طموحتين وهما الاستيلاء على سيدى رزق والدودة بينما يستولى اللواء الرابع على بلحمد تاركا كتيبة بزعفران ومعه سريتان من كتيبة الدبابات الملكية الرابعة بينما كان مع « باروكلو » سرية واحدة من الكتيبة الثامنة • وكان من المنتظر من اللواءين ان يسيطرا سيطرة حاسمة على أهدافهما عند أول ضوء ، وهو الوقت الذى كان يريد فيه « فرايبرج » من « سكوبى » بدء هجومه من الشمال صوب الدودة •

كان الوقت ضيقا بالنسبة للاستعدادات التفصيلية المطلوبة وكانت الساعة قد بلغت العاشرة فى ذلك المساء قبل ان تبدأ الكتيبة ١٨ فى اليمين والكتيبة ٢٠ فى اليسار تقدم اللواء الرابع صوب الغرب مباشرة • لقد قطعوا مسافة طويلة قبل التقائهم بالعدو فى بلحمد ذاتها • وعند الساعة الواحدة كانت الكتيبة ١٨ قد استولت على النصف الشرقى وبعد ساعة استولت الكتيبة ٢٠ على النصف الغربى ولكن « كبنبرجر » بمركز رئاسة كتيبته كان قد انحرف شمالا ووصل الى (الممر الجانبى للمحور) وكر عائدا ليستريح قرب الكتيبة ١٨ حيث خرج فيما بعد • وكان الموقع الالمـــانى الوحيد الموجود داخل الهدف يضم جماعة صغيرة من المهندسين الذين فروا صوب الشمال • اما الموقع الرئيسى فى هذه المنطقة فكان يقع فى الحقيقة فى منتصف المسافة بين « بلحمد » « وسيدى رزق » •

ولم يتبين أحد ذلك بعض الوقت كما ان أحدا لم يعرف أن « سكوبى » قد قام بهجوم ناجح بالفرقة فى تلك الليلة على الجنب الشرقى للبروز ليصبح على مسافة تزيد قليلا عن ثلاثة أميال من « بلحمد » • ولم يعد يفصل بينه وبين « انجليس » الآن سوى موقع مزود بالجنود الايطاليين ولم يكن ثمة شك فى امكان تحقيق لقاء بين الاثنين بسهولة فى ذلك اليوم لو أعدت العدة لذلك •

ومن المؤكد بالمثل ان « باروكلو » لم يكن لديه أمل فى الوصول الى الدودة نظرا للمقاومة التى اعترضته فى المنطقة التى تفصل بينه وبين نقطة اللقاء المختارة • كان لديه مهمة أكثر تعقيدا بكثير من مهمة « انجليس » بل ووقت أقل لوضع الخطة وتنفيذها • وفى الساعة الحادية عشرة تحركت الكتيبة ٢٤ غربا مع ما تبقى من الكتيبة ٢٥ تحت القيادة واحتلت منطقة مستطيلة كانت حافتها الغربية تقع على مسافة ميلين غربى المطار وحافتها الشمالية على مسافة ١٠٠٠ ياردة جنوبى

الجرف الذى كان يمر فيه الدرب الممتد من المطار الى مقبرة سيدى رزق عبر طريق كابوتزو الى « الممر الجانبى للمحور » شرقى الدودة مباشرة وعلى بعد أربعة أميال منها • وعلى جانبى هذا الدرب فى مرحلة ثانية كان على الكتيبة ٢٦ (على اليمين) ان تتحرك من الحصن غربا بحذاء قمة الجرف وكان على الكتيبة ٢١ (على اليسار) القادمة من جنوب الشرق رأسا التقدم بعد ذلك الى الدودة •

وكان الأمر بالتقدم الى المقبرة لبدء المرحلة الثانية قد صدر قبل معرفة ان تقدم الكتيبة ٢٤ لم يجل العدو عن حافة الجرف الى الشمال • وقد جاء وجود العدو كمفاجأة مربكة للكتيبة ٢٦ عندما بدأت تقدمها الذى أوقفه عندئذ قائدها المقدم « بيج » متذرعا بأن الكتيبة ٢٤ لم تصل الى هدفها وتطهره بعد حتى يمكن بدء المرحلة الثانية • ولما كان المقدم « ألن » قائد الكتيبة ٢١ لا يعرف شيئا عن هذا فقد مضى فى طريقه وعندما لم يجد أدلة فى نقطة المقابلة ترجل وتقدم شمالا ليخلى طريقه عبر الجرف • وبهذا أصبحت سراياه متباعدة ثم صادفت مقاومة شديدة حتى دب الخلل فى صفوف الكتيبة كلها • وعند فجر يوم ٢٦ كان اللواء السادس وهو أبعد ما يكون عن السيطرة على الدودة غير مستحوذ حتى على الجرف بسيدى رزق كما كانت تشوبه حالة فوضى •

كان الموقف مضطربا فاستولى على « فرايبرج » انطباع بان اللواء السادس قد استولى على سيدى رزق ــ جزئيا بغير شك حيث لم يكن من الواضح ان كان « سيدى رزق » يعنى المطار أم الجرف أم المقبرة الواقعة شماله • وبعد ان اطمأن « فرايبرج » الى سلامة مؤخرته بزيارة من سكوت ــ كوكبرن الذى أعطاه صورة متفائلة مضللة عن موقف الفيلق ٣٠ أصبح همه الشاغل اللواء الرابع • ومع انبلاج الضوء ووصول الدبابات والمدافع المضادة للدبابات وقعت بلحمد تحت نيران حامية من النقطة القوية الواقعة بينها وبين سيدى رزق ومدافع بوتشر ناحية • وكان الالتباس بشأن مهمة كتيبة الدبابات الملكية الرابعة والاربعين قد أدى جزئيا الى فقدها لسبع دبابات « ماتيلدا » بفعل نيران المدفع ٨٨ • ولما كان « انجليس » مازال يجهل الموقع الحقيقى للنقطة القوية الالمانية فقد ظن ان مصدر هذه النيران هو الدودة وطالب بغارة جوية عاجلة عليها • واستجاب « فرايبرج » للطلب • وكان لذلك عواقب أليمة على قوة

« ويلسون » التى كانت تستعد ــ بناء على مبادرة « سكوبى » ــ للقيام بهجوم على الدودة هى والكتيبة « اسكس » الاولى وجميــع الدبابات التى يمكنها جمعها من كتائب الدبابات الملكية الاولى والرابعة والسابعة وكان من المقرر ان تبدأ الساعة ١٠ر١٢ وقبل مرور ساعة على اشارة الفيلق ١٣ الآتية :

« أفادت الفرقة النيوزيلندية ان بلحمد وســيدى رزق قد تم الاستيلاء عليهما ولكن القتال العنيف ما زال دائرا بكلتا الجهتين • موقف الذخيرة حرج • ركزوا أكبر ضغط ممكن صوب بلحمــد والدودة لتخفيف الضغط على الفرقة النيوزيلندية » •

ورغم شدة النيران فقد قطعت الدبابات ٥ر٤ من الاميال نحو الدودة ، ولم تفقد سوى اثنتين ، وأمرت كتيبة « اسكس » الأولى بالتقدم • وعنــدما أصبحت على مسافة مائتى ياردة فقط من الجرف سقطت قنابل الغارة الجوية ــ التى أمر بها (فرايبرج) ــ فوقها وأنزلت بها خسائر قدرها ٤٠ شخصا • غير أنها لم توقفها • وبخسارة بلغت جملتها ٦٥ شخصا ، وصلت الدودة ، وتحت نيران حامية من المدفعية استولت عليها • وكان اللواء النيوزيلندى الرابع ببلحمد على مسافة ميلين الآن ، ولكنه لم يتبين ان « الدودة » قد تم الاستيلاء عليها الا بعد ذلك بوقت كبير •• وكانت أول أنباء « فرايبرج » اشارة مقتضبة من (سكوبى) الساعة ١٥ر٣ تقول : « نحن فى الدودة ــ تأكدوا من عدم القصف بالقنابل » •

ولم يكتشف « فرايبرج » من هــذا ان الغارة الجوية قد أصابت الاصــدقاء لا العدو ، فراح يفكر فى كيفية دمج قوته بقوات طبرق • كانت زيارته للواء السادس قد أقنعته بأن من الممكن ان ينتظر منه ما يزيد بعض الشىء على اكمال الاســتيلاء على ســيدى رزق وهو ما كلف به « باروكلو » كمهمة له فى تلك الليلة • كانت آماله فى تحقيق الاتصال بسكوبى تتوقف الآن على اللواء الرابع وقد أبلغ « انجليس » فى نحو الساعة الرابعــة ان عليه الانضــمام الى قوات « ويلسون » فى « الدودة » تلك الليلة • وكانت مهمة الكتيبتين ١٨ ، ٢٠ مقصورة على بلحمد التى كان من الضرورى الاحتفاظ بها أيا كانت الحال •

كانت خطته تقضى بالتقدم ليلا بكتيبة هارتنل التاسعة عشرة ثم التوجه الى زعفران تسبقها وتصحبها سرية من دبابات « ماتيلدا » التابعة لكتيبة الدبابات الملكية الرابعة والاربعين بقيادة الرائد « جيبون » • وكان طريقها يمتد فى اتجاه

الغرب رأسا جنوبى « بلحمد » وشمالى النقطة القوية المشاغبة ، وهى مسافة تقدر بستة أميال من خط الابتداء ، وبعد بعض التردد ازاء هذه الحركة الجريئة غير المألوفة ، أقبل عليها الجميع بحماس شديد ، ورغم ضيق الوقت والمسافة التى كانت الجنود سوف تجمع منها ، فقد تحركت أولى الدبابات فى تمام الساعة ٩ر٣٠ وسرعان ما تبعتها المشاة راجلة ، وكان ثمة قدر وفير من اطلاق النار فى الطريق ، وخاصة من جانب الدبابات القائدة ، ولكن لم تكن هناك مقاومة فعلية تذكر • وبعد ساعة وربع الساعة كانت قد لحقت بكتيبة « اسكس » الاولى وعند الساعة الواحدة من صباح يوم ٢٧ من نوفمبر كانت الكتيبة ١٩ بأكملها هناك ، وكان نبأ نجاحها قد وصل الى « انجليس » الساعة الرابعة ، بواسطة خط ممتد وراءه ، ووضع « ويلسون » الكتيبة فى الاحتياط بين الدودة وبلحمد •

وعلى نقيض ذلك قضى اللواء السادس ليلة ليلاء ، كما كان يخشى « باروكلو » بسبب المقاومة التى كان يعرف أنها من شماله ، وكان على كتيبة « بيج » السادسة والعشرين مواصلة السير غربا بحذاء الجرف الى المقبرة ، بينما كان على كتيبة « شاتلويرث » الرابعة والعشرين المتعبة والمزودة ببقايا مضعضعة من الكتيبتين ٢٥ ، ٢١ الهجوم شمالا فوق الصحراء المكشوفة على الجرف غربى الدرب ، وكانت ساعة الصفر حوالى الساعة الحادية عشرة وكانت المقاومة التى جاءت من اللواء التاسع « برساجليرى » وجانب من اللواء ٣٦١ مقاومة شديدة منذ البداية وخاصة من الايطاليين • وبعد قتال متلاحم عنيف فى الوديان أصبحت الكتيبة ٢٦ فوق هدفها تقريبا ولكن الزمام أفلت عند محاولة اعادة التنظيم فى موقع أفضل فوق قمة الجرف ، وعادت سريتان الى خط الابتداء وأعيدت السريتان من جديد فى النهار ووصلتا الى غايتهما بغير مشقة ، وقد خاضت الكتيبة ٢٤ معركة أعنف ووقعت تحت نيران حامية قرب المقبرة عند طلوع الفجر ، ولكن هذه النيران توقفت عندما هجمت السرية (أ) من الكتيبة ٢١ على الجرف واستولت عليه فى النهاية •

وهكذا انتزعت سيدى رزق ــ المطار والجرف ثم المقبرة أخيرا ــ من العدو فى النهاية وان مضى بعض الوقت قبل تكشف هذا النبأ وكان « باروكلو » ينتظر أنباء الهجوم بصبر نافد طوال الليل ، وعند أول ضوء تقدم الى الامام ليقف

على حقيقة الأمر بنفسه • أما روايته التى كتبها بعد بضـعة أيام ، فقد أوردها « مورفى » بالسجل التاريخى الرسمى النيوزيلندى كالآتى :

كشف الاستطلاع النهارى الذى أجراه قائد اللواء لموقع سيدى رزق عن مدى عنف القتال هناك ، فقد أدى الهجوم الليلى بقواتنا الى المواقع التى اختارتها كأهـداف ، ولكنه تركها فى حيز أضيق من الحيز الواجب احتلاله عند طلوع النهار ، وقد تم الاستيلاء على لب الموقع فى الظلام • غير أنه كان ما يزال من الضرورى مواصلة قتال أشد عنفا خلال حركة الانتشار التى بدأت عندما توفر الضـوء •

وسرعان ما اتضح ان كلا من الهجوم الليلى ، وما تلاه من حركة انتشار قد قوبل بأعنف مقاومة ممكنة ، فقد كانت قوات العدو تضم عددا من الالمـان ، ومن جنود كتيبة « برساجليرى » التاسعة (الايطالية) وكان كل منها مزودا بكمية وفيرة من المدافع الرشاشة ، والمدافع المضادة للدبابات ، كما كان من الواضح أن على قواتنا ان تتقدم حتى فوهات هذه البنادق ، قبل امكان تشتيت أفرادها واسكات بنادقها ، وكان هناك عدد ضخم من القتلى ، والجرحى ، فى أنحاء ميدان المعركة ، ومن السمات البارزة مشهد كثير من الجنود المصابين بطلقات المدافع المضادة للدبابات المسددة من مسافات قريبة • فقد مزقت هذه المقذوفات أجزاء كبيرة من اللحم من أجسام ضحاياها التعسـاء ، ومن الصعوبة بمكان تصور منظر أبشع ، ولقد قاتلت كتيبة « برساجليرى » بعزيمة أقوى مما هو مألوف بين القوات الايطالية ، حيث يدل عدد قتلاها ، والأوضاع التى انطرحوا فيها على أنهم ظلوا يستخدمون أسلحتهم حتى النهاية ، والواقع ان كثيرا من جنودنا قد ذكروا ان الالمـان هم أول من انهار تحت هجومنا ، وان « البرساجليرى » آخر من استسلموا • ضد هـذه المقاومة شق جنـود الكتيبتين ٢٤ ، ٢٦ المتعبون المستنزفون طريقهم الى النصر وكان نصرا مؤزرا •

كان اللواء السادس الآن مجهـدا للغاية ، كما كان واهن العـزم بسبب الخسائر الشديدة التى منى بها فى الايام القلائل المـاضية ، اما اللواء الرابع ، فقد كان منتعشا نسبيا ، ولكن عملية استغلال اتصال القوات الذى تحقق فى الدودة أهدرت نتيجة لجهل قائدى الفرقتين « فرايبرج وسكوبى » بالنجاح الذى

أحرز ، ولم يقر الاخير بأن الاتصال قد تم حتى الساعة ٣ر٢٠ من عصر يوم ٢٧ من نوفمبر • كان التقدم نحو العدم غير وارد من قبل ، حتى ولو كان الموقف فى جهة أخرى يقضى بذلك ، ودون علم « فرايبرج » كان اللواء الخامس ـ الذى كان يرجو ان يكون قد انضم اليه الآن ـ مهددا تهديدا شديدا بمنطقة الحدود •

قبل ذلك بيومين وفى نهاية يوم ٢٥ من نوفمبر سوف يتذكر الناس أن فرقة البانزر الخامسة عشرة المتعثرة قد اكتشفت مركز رئاسة « هارجست » بسيدى عزيز ، أثناء محاولتها العقيمة دفع الفرقة النيوزيلندية التى لا وجود لها أمام دفاعات الحدود من الغرب ، حيث قررت التعامل معها يوم ٢٦ وهى فى طريقها الى البردية للتزود بالمؤن • أما فرقة البانزر الحادية والعشرون الأشد تفككا والتى لم يعد بها سوى حفنة من الدبابات ، فقد تناثرت جنوبى الدفاعات من شفرزن الى الحلفاية التى لم تكن بعيدة عن جنوب الكتيبة النيوزيلندية الثالثة والعشرين بكابوتزو ، والكتيبة الثامنة والعشرين الموجودة برأس الممر بالسلوم ، وقد تبين « هارجست » ان كتيبته قد تتعرض للهجوم وكان واثقا من قدرته على التصدى له ، ولكنه ذعر عندما تبين له فى آخر ضوء ان مركز رئاسته قريب قربا ينذر بالخطر من حشد كبير للعدو • ولقد كان التهديد خطيرا بالفعل ـ فقد كانت فرقة البانزر الخامسة عشرة بأكملها على مسافة لا تزيد الا قليلا عن عشرة أميال فى اتجـاه جنوب الغرب ، وعلى نفس المسافة جنوبى مركز رئاسة الفيلق ١٣ بير الحريقـة ، ومن حسن حظ « هارجست وجودوين ـ أوستن » ان المستشارين فى الجانب الالمـان كانوا أكثر انقساما مما كانوا من قبل ، وكان « رومل » مازال يناضل من أجل تحقيق خطته الوهمية ، وهى ضغط البريطانيين بين شقى الرحى على جانبى الحدود ، وان كان قد تبين الآن ، بمجرد ان فعل ذلك ، ان عليه الاسراع بالعودة الى طبرق تلبية لطلب « واستفال » للنجدة ، وكان « كرويل » يود لو أنه لبى طلب النجدة ، فحاول جهده الاستجابة له بأن أمر « نويمان ـ سيلكوف » بمهاجمة كابوتزو وسيدى عزيز ، والعودة بعد ذلك للاجهاز على « سيدى عمر » وهو ما أمر « رومل » « ميلدبراث » بالقيام به مرة أخرى • وكان الاخير من الفطنة بحيث لم يقدم على ذلك ، فقضى معظم اليوم وهو يحاول حماية مركز رئاسة « كرويل » من ارتال جماعة السند من ناحية جنوب الغرب بينما راحت وحدة الاستكشاف رقم ٣٣ تحاول عبثا القيام بهذه المهمة بدلا منه ، وتمشيا مع

هجوم فرقة البانزر الخامسة عشرة على كابوتزو كان على « فون رافنشتاين » بكل ما استطاع جمعه قرب الحلفاية الهجوم شمالا فى الوقت نفسه •

أما « نويمان ــ سيلكوف » نفسه فكانت له خطة أخرى ، كان ينوى التزود بالمؤن فى البردية بأسرع ما يمكن ، ثم العودة فى اتجاه جنوب الغرب ، والالتئام مع « الآريت » قرب قبر صالح ، ثم شق طريقه الى سيدى رزق ، ولم يستطع ان يمضى فى أوامره الى هذا الحد ، ولكنه شرع فى تنفيذ بغيته الاولى ، وبينما كان يفعل ذلك ، مر بقوته امام مركز رئاسة « هارجست » مباشرة ، وعلى مسافة قريبة جدا من مركز رئاسة « جودوين ــ أوستن » دون اصطدام باحدهما •

وفى هذه الاثناء ، قامت جماعة « بريل » ومعها بضع دبابات حصلت عليها من ورشة فرقة البانزر الخامسة عشرة بمحاولة فتح الطريق الى البردية من الغرب ، ولكنها ردت على أعقابها بواسطة المدافع المعاونة للكتيبة النيوزيلندية رقم ٢٢ بمناستير ، ولهذا ، فقد أبلغت بأن أقصر خطوط تموين الفيلق الافريقى الالمانى قد قطع قطعا تاما • ولم تكن البردية مهيأة لتزويد احدى فرق البانزر بالمؤن ، فاستغرقت العملية وقتا طويلا • لهذا فقد تخلى « كرويل » عن تكليفه لفرقة البانزر الخامسة عشرة بالعودة الى سيدى عمر • وكان يرجو الآن لو ظهرت « الآريت » للقيام بتلك المهمة ، فطلب من « نويمان ــ سيلكوف » اخلاء منطقة كابوتزو ومسعد ، والالتئام مع « فون رافنشتاين » الذى لم يكن هو ذاته على اتصال به • وقد عهد « نويمان ــ سيلكوف » بمهمته بأكملها للكتيبة المشاة رقم ١١٥ التى لم تبدأ الهجوم الا قبل آخر ضوء بساعة واحدة • وقد أدى بها هجومها الى الجنب الشمالى للكتيبة النيوزيلندية الثالثة والعشرين التى تصدت لها بعنف ، وقد قامت احدى الفصائل تحت امرة العريف « منسون » بهجوم مضاد باسل عطل العملية كلها ، مما دعا « رومل » ، الذى ظهر على غير انتظار واستشاط غضبا لذلك الهجوم المجزأ ، الى الغاء العملية كلها ، وفى نيته الاقدام على هجوم شامل فى اليوم التالى ، وفى هذه الأثناء قرر « فون رافنشتاين » بغية الحصول على مؤن من البردية شق طريقه اليها رأسا عن طريق « مسعد » التى ربما ظن أنها كابوتزو اعتقادا منه بأنها فى أيدى الالمان • وقد بدأ تقدمه الساعة ٤ر٣٠ • ولكنه سرعان ما اصطدم بالكتيبة رقم ٢٨ (ماورى) • وتلت ذلك عملية ضارية استمرت الى ما بعد الظلام ، ولكن الماورى كانت تغطى منطقة واسعة

أما قوات « فون رافنشتاين » فقد مضت فى طريقها بعد ان فقدت كمية كبيرة من العتاد ، وسبعة وستين قتيلا بأرض المعركة ، ولدهشتها الكبرى صادفت فرقة البانزر الخامسة عشرة وهى فى طريقها الى البردية . هذا بينما لم تتكبد الماورى سوى ثمانى خسائر ـ قتيلان وأربعة من الجرحى ومفقودان . وكان من حسن طالع الكتيبتين ٢٨ ، ٢٣ ان عمليات العدو فى منطقتهما كانت رديئة التنسيق ، وكان « هارجست » بدوره حسن الحظ ، ولكن لم يقدر لحظة الحسن ان يستمر .

ولم يعد بوسع « رومل » مواصلة تجاهله لطلب « وستفال » للنجدة ولكنه كان قد بيت العزم فى عناد على القيام بمحاولة أخرى لتخليص دفاعات حدوده من الخطر قبل عودته الى طبرق ، وفى تلك الليلة كان بالبردية مع كل من « نويمان سيلكوف وفون رافنشتاين » بينما كان « كرويل » يبعد مسافة أربعين ميلا فى اتجاه جنوب الغرب حيث كان بوسع القوات البريطانية المحيطة به ان تطويه بسهولة . وكانت أوامر « رومل » تقضى بهجوم فرقة البانزر الخامسة عشرة على مواجهة واسعة جنوبا فى اليوم التالى ، بينما تقوم الجماعة الصغيرة التى مع « كرويل » بالاستيلاء على سيدى عمر . وكان عليها بعد ذلك التقدم رأسا فى اتجاه شمال الغرب نحو طبرق . أما « نويمان ـ سيلكوف » فكان يريد التوجه الى هناك فورا ، بحيث لا يتوقف الا للاستيلاء على ما يعتقد انه مستودع مؤن بسيدى عزيز . وكان من المنتظر ان يوافق « رومل » على توجه قوة « فون رافنشتاين » الصغيرة الى هناك فى الحال . غير ان نداءات « وستفال » المتكررة لفرقة البانزر الخامسة عشرة الى جانب رغبة « نويمان ـ سيلكوف » فى كسب حيز أكبر لمناورته ، أدت به صباح يوم ٢٧ الى الوقوف وجها لوجه أمام مركز رئاسة « هارجست » بسيدى عزيز وكانت تحميه السرية ب من الكتيبة ٢٢ ، والسرية (هـ) من كتيبة المدفعية النيوزيلندية الخامسة . وفيما يلى رواية « مورفى » لما حدث .

« مع اقتراب نحو أربعين دبابة دون أثر لساتر لحاملات المدافع العالية لم يجد مدفعيو المدافع المضادة للدبابات وجها لامساك نيرانهم ففتحت الفصيلة ٤ النيران على مسافة نحو ١٢٠٠ ياردة وتلتها بسرعة الفصائل الثلاث الاخرى . وبدأت الدبابات الالمانية ترد ، وهى ما زالت على مسافة تزيد على ١٠٠٠ ياردة

مركزة مدافعها الرشاشة ، وأسلحتها الأكبر على حاملات المدافع الأربع ، ومسجلة اصابات مباشرة بها جميعا • وقد سجل المدفعيون بدورهم اصابات مباشرة ولكن المسافات كانت بعيـــدة والدبابات من الكثرة بحيث لا يمكن ســوى تحديس النتائج ، ورغم ان المدفعيين كانوا يدركون تماما ان الفارق الكبير فى القوة يبعث على اليأس فقد أدى المدفعيون واجبهم وفقا لنظام التدريب بأرض الطابور ، وراح المدفعى « نيفن » ــ رقم ١ بالفصيلة (٤) ــ يصدر أوامره بهدوء ورصانة متيحا اطلاق ثلاث طلقات على كل دبابة يتم الاشتباك بها الى ان أصيب المدفع وتحطمت معدات تحـريكه أفقيا ورأسيا ، وفى هــذا الوقت كانت النيران قد اشتعلت بالمدفع رقم (١) بينما قتل أحد أفراده ، وجرح آخران ، اما الفصيلة (٣) فقد جرح ثلاثة من مدفعييها ، وكانت جراح أحدهم قاتلة ، بينما تحطمت المعدات • وبالفصيلة (٤) قتل اثنان ، كما دمرت حاصرة جهاز التصويب • ولم يكن « نيفن » قد أصيب بعد ، فسار الى المدافع الاخرى ، وساعد الجرحى على اعتلاء المدفع رقم (٤) وأمر السائق بأخذهم الى محطة التضميد الامامية •

ثم أنزل الجرحى (وكان السائق قد أصبح من بينهم) ، والقتلى ، وبعد ان أخذ مكان السائق قاد الحمالة من موقع فى مستوى خندق « هارجست » تقريبا •

وراح « هارجست » يراقب « نيفن » فى دهش واعجاب ، وهو يشتبك بمفرده بالدبابات بنيران مدمرة • رآه « يعمر ، ويسدد ، ويطلق النيران ، ثم يعمر ويسدد ، ويطلق النيران ، مرة بعد أخرى » مجتذبا قوس مدافع الدبابات الالمـانية نحو المدفع رقم ٤ كما لو كان ممغنطا •

وأصيبت الحمالة فى جنبها واشتعلت النيران بها ، ثم أصيب ما وراء المدفع ، كما أصابت طلقة ثالثة الدرع ، وأطارت فوهة المدفع عاليا حيث ظلت مصوبة الى السماء • وتسلل « نيفن » من المركبة واختفى دون ان يصاب بأذى • ولكن جهود « نيفن » لم تنته هنا ، فقد وجد طريقه الى أقرب مدفع صالح للعمل عيار ١٨ رطلا ثم الى مدافع البوفرز ، وراح يبذل ما فى وسعه مع كل منها ثم توقفت عن اطلاق النيران فظل مع السرية (هـ) من كتيبة الميدان الخامسة فى وقفتها الاخيرة •

ولكن الفارق كان كبيرا جدا ، وقد تلقى « هارجست » التهنئة من كل من « كرامل ورومل » نفسه على بسالته التى أبداها فى القتال • وقد قتل ٤٤ وجرح

٤٩ بينما أقتيد ٤٦ ضابطا و ٦٥٠ جنديا الى البردية • اما محطة التضميد وكان بها ٨٠ مريضا فقد تركت بسلام • وكانت الكتيبة ٢٢ بمناستير قد سمعت صوت هذه المعركة وتبينت ما حدث من الصمت الذى تلاها « على الهواء » • وفى عصر ذلك اليوم هوجمت الكتيبة من الغرب هذه المرة • كان « فون رافنشتاين » يحاول العودة الى طبرق عن طريق « فيابالبيا » • ولمدة اربع ساعات راح يحاول شق طريقه ، وفى الوقت الذى شعرت فيه الكتيبة ٢٢ أنها لم تعد قادرة على صده انعطف جنوبا فى أثر فرقة البانزر الخامسة عشرة وهكذا تأخر يوما كاملا فى عودته الى طبرق • أما باقى اللواء الخامس والكتيبة ٢٣ بكابوتزو والكتيبة ٢٨ شرقيهما فقد أنقذها تسليم « رومل » بأن أسر مركز رئاسة « هارجست » ولم يترك سوى بضع مفارز حول كابوتزو ، وكان من رأيه ان كتيبة من المهندسين كافية لتدميرها • وبعد أن أرسل « نويمان ــ سيلكوف » غربا بقى هو ليشهد كتيبة المهندسين رقم ٣٣ وهى تتعامل مع كابوتزو ، وقد بدأت هجومها بعد الظهر ، وأحرزت بعض النجاح فى بادىء الأمر ، حيث ضربت سرية نقل ، وبالتالى تعطل الدفاع بسبب محاولة عدم اصابة جنود موالين •

ولكنها عند آخر ضوء لم تحقق مكاسب الا فى منطقة واحدة من مناطق سرايا الكتيبة ٢٣ فقط ، دون ان تخترق الدفاعات الرئيسية متكبدة فى سبيل ذلك ١٠٠ من الخسائر • وعلى عكس أوامر « كرويل » ورغباته كر الفيلق الأفريقى الالمانى عائدا الى طبرق على اجزاء وقد زاده ضعضعة لقاؤه بالنيوزيلنديين • وكان « كرويل » يريد الآن التحرك جنوبى طريق كابوتزو لكى يصبح فوق جرف سيدى رزق ولكن « رومل ونويمان ــ سيلكوف » عادا فيما بينهما يطلقان لنفسهما العنان باتجاههما غربا بحذاء (الطريق)قاصدين « بيرشليتا » رأسا • وكان من حسن حظ « جودوين أوستن » ان نقل اليها مركز رئاسته فى مساء الليلة السابقة بعد ان أخطأه بالكاد يحرك « نويمان ــ سيلكوف » الى البردية • وكان من شأن قوات نورى المدرعة التى قضت اليومين السابقين فى اعادة تنظيم وتعويض مدرعاتها ان تنقذه •

وكان اللواء السابع المدرع قد أخرج من المعركة ، وتم حشد جميع الدبابات المتيسرة ــ ٤٥ دبابة قتال باللواء المدرع الثانى والعشرين و ٧٧ دبابة

ستيوارت مع « جيتهاوس » . وكانت جماعة السند التى نظمت فى ارتال مشغولة بازعاج « الآريت » التى كانت قد وصلت على بعد ١٥ ميلا جنوب غربى « سيدى عزيز » . أما كيف ومتى وصلت هناك فأمر سوف يظل سرا ، اذ لابد وأن تكون قد تجنبت اللواء الرابع المدرع فى الطريق . وكانت ارتال « جوك كامبل » منتشرة فى قوس واسع بين طريق العبد وكابوتزو فى مواجهة الشرق .

وبعد ان هاجمت فرقة البانزر الخامسة عشرة « سيدى عزيز » بقليل ، استدعى « نورى » « سكوت ــ كوكبرن » ، خلافا لرغبة « جودوين ــ أوستن » من مهمة حمايته لمؤخرة النيوزيلنديين وأعاده الى قيادة جوت . وعند الساعة الواحدة كان من الواضح ان قوة كبيرة تتحرك غربا بحذاء « طريق كابوتزو » . وقد فسر الجيش الثامن هذا التحرك كالعادة بأنه تقهقر « لرومل » فأمر « جوت » الكتيبة ٢٢ بايقاف رأس الرتل ، بينما هاجم اللواء الرابع المدرع الجنب الجنوبى . ووجد « سكوت ــ كوكبرن » موقعا طيبا على مسافة ثلاثة أميال شرقى « بيرشليتا » حيث يتلاشى الطرف الشرقى لجرف « سيدى رزق » ، وعند الساعة ١٫٤٥ دارت عملية هنا ضد سبع وثلاثين دبابة متوسطة وثلاث عشرة دبابة خفيفة من لواء البانزر الثامن . ورغم ضعف معاونة المدفعية « لسكوت ــ كوكبرن » فقد تمكن من صدها لمدة ساعتين حتى ظهر « جيتهاوس » من الجنوب ــ وكان عليه ان يتحرك مسافة ٢٠ ميلا ــ وهاجم جنبها ومؤخرتها التى شملت مركبات تموينها ، ولكن المدافع المضادة للدبابات كانت على الجنب كالعادة . وقد تمكن « نويمان سيلكوف » بواسطة الفتح السريع لهذه المدافع ، ووصول تسع دبابات اضافية من الورش مصادفة من تعطيل تسع عشر دبابة بريطانية ، ومنع « جيتهاوس » من الاقتراب . وعندما أقبل الظلام فى الساعة ٦٫٣٠ تحرك الاخير بقوته مسافة خمسة أميال جنوبا ليضرب معسكرا للمبيت بينما توغل سكوت ــ كوكبرن الى مسافة أبعد قليلا فى اتجاه جنوب الغرب . وهكذا أهدرت ثمار أول فرصة استطاعت فيها المدرعات البريطانية بز المدرعات الالمانية بحشد قواها ضد جزء منها ، فقد تخلت دون مقاومة عن الوضع الملائم الذى أحرزته بحمايتها لمؤخرة الفيلق ١٣ ، ومنع عودة « رومل » للتدخل . وقد دهش « نويمان ــ سيلكوف » وشعر بالارتياح ، ولا عجب ، عندما وجد ان من الممكن التحرك ستة أميال أخرى غربا جنوبى جرف سيدى رزق الى بير « صفصاف » بعد حلول الظلام . ولم يكن

يبعد هنا سوى بضعة أميال جنوب غربى رئاسة الفيلق ١٣ والفرقة النيوزيلندية اللتين تحركتا غربا أثناء نشوب المعركة بعد الظهر •

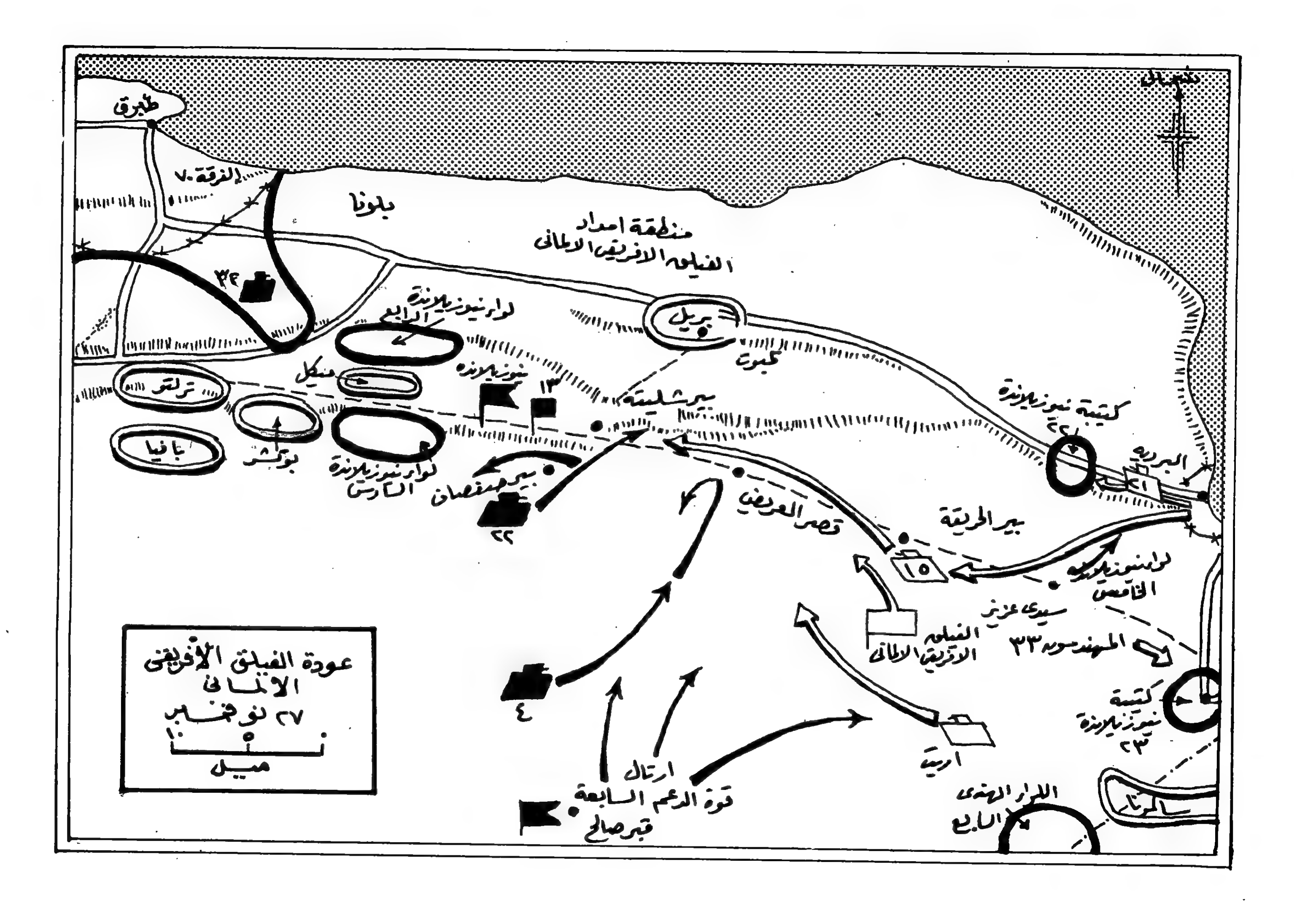
ومع استعواض قوة دباباته ، وتغيير قيادة الجيش الثامن ، وضع « نورى » خطة لشق طريقه نحو العدم ، لتشكيل ذات التهديد الذى كانت ستشكله رغبته الاصلية وهى شق طريقه نحو سيدى رزق فى بدء معركة « كروسيدر » • هنا سيكون فى موقف عصيب خلف جميع قوات « رومل » المتحركة وبعض قواته الثابتة أيضا • غير ان الحاجة لصد فرقة البانزر الخامسة عشرة فى (طريق كابوتزو) يوم ٢٧ دعت الى تغيير ذلك وراح « ريتشى » يلح الآن على أهمية « منع العدو من الهرب غربا » • واستخدمت الفرقة السابعة المدرعة مرة أخرى بالجروف المحيطة بسيدى رزق ولجأ الى الخطة السابقة وهى ضم لواء جنوب أفريقيا الاول الى « فرايبرج » • لهذا كانت النية يوم ٢٨ من نوفمبر هى صد « جوت » للفيلق الافريقى الالمانى « والآريت » شرقى النيوزيلنديين على ان ينضم اليهم « بينار » بسيدى رزق •

كان « ريتشى » يستخف استخفافا خطيرا بقرار « رومل » عندما تصور أنه لم يكن معنيا الا بمحاولة الخلاص من الشبكة التى كان يبدو ترديا فيها ، وفى مؤتمر مع « كرويل » خلال ليلة ٢٧ اقترح ان يتحرك الفيلق الافريقى الالمانى شمالا الى « فيابالبيا » ويهاجم « فرايبرج » من ذلك الاتجاه ، وبذلك يبعده عن طبرق • ولم يوافق « كرويل » ، وبينما كان « رومل » عائدا لمقابلة « واستفال » فى العدم أعد العدة ليكيل ضربة من جنوب الشرق حيث كانت فرقة البانزر الخامسة عشرة ترابط (وقد نفد منها الوقود كالعادة) عندما لحقت به « الآريت » لحماية يسار مؤخرته ، كما انضم اليه « رافنشتاين » أيضا • وكان من شأن الفرقة السابعة المدرعة القريبة من جنبه الجنوبى ان تفسد خططه ، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن • فبدلا من الاستيلاء على أرض مناسبة وضرب العدو عند ترديه فيها ، وجدوا أنفسهم مشتبكين مع مدافع تحف بالجرف مرة أخرى ، وقد فقد اللواء المدرع الثانى والعشرون ٢٤ دبابة فى ذلك اليوم ، بينما يبدو ان اللواء الرابع المدرع لم يفقد شيئا • كان خصمهم فى الصباح هو لواء المشاة رقم ٢٠٠ وبعد الظهر جزء من « الآريت » مدعم بالمدافع الالمانية التى هنأت جماعة

السند نفسها لانها جعلتها (تلوذ بالفرار) • ولم يمكن استخدام أية دبابة من دبابات الفرقة البانزر رقم ١٥ أو رقم ٢١ بالمرة حيث تعطلت قرب جسر العريض وقد نفد منها الوقود •

ولعل عدم اللجوء الى اجزاء عاجل راجع جزئيا الى أن « جودوين أوستن » « وسكوبى » لم يكونا منتبهين الى التهديد المستفحل فى مؤخرتهما • كانا يجدان صعوبة شديدة فى تنسيق محاولاتهما لاجلاء العدو الذى كان ما زال صامدا بين الدودة وبلحمد وسيدى رزق • وقد ثبت ان التعاون بين « سكوبى وفرايبرج » متعذر تحقيقه ، ولكن الهجوم الذى قامت به الكتيبة النيوزيلندية الثامنة عشرة بالدبابات طراز « ماتيلدا » التى استخدمت ببراعة تمخض عن ازالة النقطة القوية الحرجة ، وأسر المقدم « ميكل » و ٦٣٧ جنديا من لواء المشاة رقم ١٥٥ مقابل حفنة من الخسائر فى الافراد • وكما كان الحال من قبل فان مشـــاكل اللواء السادس لم تكن تلقى العناية التى تستحقها •• ففى بادىء الأمر كان العــدو يزعجه من الجرف الثالث جنوب غربيه بالاضافة الى موقع شرقى المقبرة • ولكن بينما كان اللواء مازال يتعامل مع العدو أصبح وجود العــدو جنوب شرقيــه بدباباته وعدد كبير من مدافعه مصدر قلق متزايد • وحتى عندما اجتيحت محطة التضميد الرئيسية بالوادى غربى النقطة ١٧٥ فى الساعة الرابعة ، وهى تضم عددا كبيرا من المرضى على الجانبين ظن « فرايبرج » أنها لا تعدو ان تكون عملية منفصلة بقوة صغيرة من العدو •

والواقع أنه كان أول تحرك لمشاة « نويمان ــ سيلكوف » للهجوم وللقضاء على فرقته • وقد أدى بهم تحركهم الى مكان قريب من مركز رئاسة « فرايبرج » ومركز رئاسة « جودوين ــ أوستن » وارتال تموين الفرق • ولم يعد من الممكن تجاهل التهديد فقرر « جودوين ــ أوستن » نقل مركز رئاسته (الذى كان نورى مازال ملحقا به) والوحدات الادارية النيوزيلندية الى طبرق بعد ان أصبحت الآن المصدر الوحيد للمؤن ، وان كان مازال مصرا ، حتى بعد هذا ، على (ضرورة ابقاء الممر مفتوحا بأى ثمن) • لهذا لم يضم « فرايبرج » قوته الى قوة (سكوبى) كما اقترح « باروكلو » كان يتوقع فى كل لحظة ان يرحب « ببينار » كدعم للواء السادس فى شدته ، ولكن للمرة الثانية كان وجود العدو يعوق جنود جنوب


عودة الفيلق الأفريقي
الألماني
٢٧ نوفمبر
١٠ ٥ ٠
ميل
شمال
طبرق
الفرقة ٧٠
بلونا
منطقة امداد
الفيلق الافريقي الالماني
بريل
كمبوت
كتيبة نيوزيلاندة
البردية
لواء نيوزيلاندة
الرابع
منكل
نيوزيلاندة
١٣
بير شليتة
ترلتو
بوتش
باقيا
لواء نيوزيلاندة
السادس
بير صفصفان
٢٢
٣٤
قصر العرضي
بير الحريقة
١٥
لواء نيوزيلاندة
الخامس
سيدي عزيز
المهندسون ٣٣
الفيلق
الافريقي الالماني
كتيبة
نيوزيلاندة
٢٣
اريتة
ارتال
قوة الدعم السابعة
قبر صالح
٤
اللواء الهندي
السابع
سالوم

أفريقيا • فكما حدث فى المرة السابقة وبدلا من أن يتحـرك « بينار » خلال الصحراء الساكنة وجنبه الايسن فى حمى ستار من الدبابات شك (ولم يكن مخطئا) ان العدو قد وضع نفسه بين لوائه والمكان الذى يقصـده • لهذا فقد توقف للمبيت بعد موافقة نورى بسوقعه القديم عند « طيب الاسم » على مسافة عشرين ميلا جنوبى « باروكلو » • وعلى مسـافة أبعد شرقا كانت قافلة ذخيرة ومؤن نيوزيلندية من ٢٦٠ شاحنة قد تحركت من قبر صالح بقيادة « جورج كلفتون » تحت حماية بضع دبابات « ستيوارت » من الكتيبة الثامنة الهوسار • وسارت شمالا أثناء الليل ، ثم هبطت جرف سيدى رزق على مسافة ميلين شرقى النقطة ١٧٥ ، ووصلت الى « فرايبرج » قبل الفجـر بوقت طويل دون ان تطلق عليها رصاصة واحدة ، رغم انها كانت قد عبرت منطقة تحتلها « الآريت » وربما جزءا من فرقة البانزر الحادية والعشرين كذلك •

كان « رومل وكرويل » مازالا على طرفى نقيض فى نواياهما ، فبينما كانت خطة الاول تقضى بضرورة عزل « فرايبرج » عن طبرق وتطويقه كان « كرويل » يريد حشد موارده لشق طريقه نحو الدودة • وكان على « فون رافنشتاين » ان يشق طريقه غربا صوب « بلحمد » بينما كان على « نويمان ــ سيلكوف » ان يستولى على سيدى رزق ويهبط الجرف هناك ، ويتجه نحو الدودة ، فى حين تتحـرك « الآريت » وراءه لحمـاية مؤخرته واحـكام الشبكة • وقد أحبط « نويمان ــ سيلكوف » خطته أولا ، لأنه بدلا من ان يهبط جرف سيدى رزق ، قرر مواصلة السير غربا الى حيث يتلاشى الجرف ، قبل ان يتجه شمالا صوب الدودة : وقد أحبطها « فون رافنشتاين » ثانيا من جهة لأنه لم تكن لديه القوة على اكتساح اللواء الرابع النيوزيلندى ولواء دبابات الجيش الاول أمامه ، ومن جهة أخرى ، لانه بينما كان يقوم باستكشافه من أجل ذلك وقع هو نفسه فى الأسر • وكانت النتيجة ان فرقة البانزر الخامسة عشرة اتجهت غربا حتى جنوبى اللواء الساس فقط وكان قد أعيد تنظيمه الآن لاحتـلال جرف سـيدى رزق ليواجه الجنوب على مرأى ومشـهد من جمهرة مميزة من الناس فوق الجرف الثالث ، منها « رومل وكرويل » وجميع كبار القادة الايطاليين ومنهم « باستيكو » وفى الساعة الواحدة شن الهجوم على الدودة التى كانت تحتلها كتيبة (نيكولز) اسكس الاولى والكتيبة الاسترالية الثانيـة من اللواء الثالث عشر تعاونهما



شكل ٢٣ ـ المشاة تحفر فى طريق مرور قوات المحور

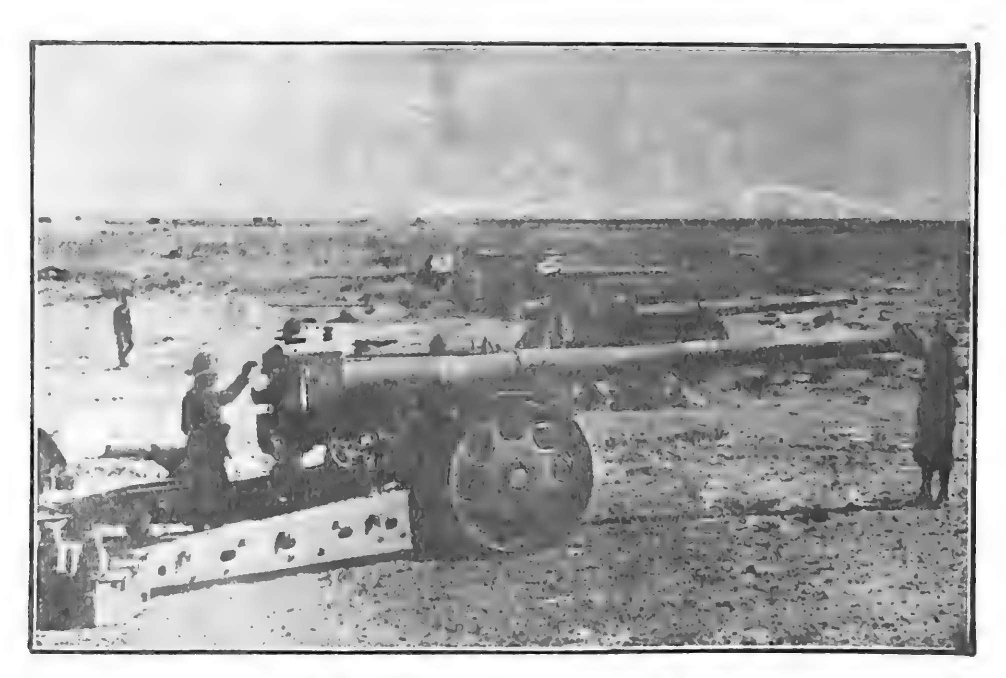


شكل ٢٤ ـ شكل (٢٤) العميد ويلسون يزور فرقة الدبابات الملكية رقم ١

الدبابات الاربع والعشرون الباقية من كتيبة الدبابات الملكية الرابعة تحت امرة « أوكارول » • وقد تحركت الكتيبة النيوزيلندية التاسعة عشرة لاحتلال « مسر المحور » الواقع بينها وبين « بلحمد » • ودار صراع عنيف طوال العصر منيت فيه الكتيبة اسكس الاولى وكتيبة الدبابات الملكية الرابعة بخسائر فادحة ولكن الهجوم المضاد الذى قام به الاستراليون أعاد الموقف الى ما كان عليه ، فانسحبت فرقة البانزر الخامسة عشرة بعد حلول الظلام وهى تلعق جراحها ، ونظرا لالتباس الأوامر عليها فقد انطلقت صوب العدم •

ولم يتعرض الموقع الرئيسى للواء السادس بسيدى رزق للهجوم ولكن الكتيبة الحادية والعشرين التى احتلت النقطة ١٧٥ فى أعقاب اعادة التنظيم مرت بيوم حافل • وكان أول الاحداث المثيرة هو أسر « فون رافنشتاين » الذى كشفت أوراقه عن مدى التهديد المتوقع من جهة جنوب الشرق • ولم يقع شىء يذكر بالمنطقة معظم باقى اليوم ، وكان كل تحرك صوب الجنوب يلاقى ترحيبا باعتباره الحرس الامامى « لبينار » وهو توقع زاده فى الساعة ١٥ر٣ حضور الملازم « بيلى » فى سيارة مدرعة واحدة مهد الاول طريق اتصال مباشر بين « فرايبرج وبينار » وهو طريق حفل بحركة مرور كبيرة فى الايام القليلة التالية • وعندما ظهرت فى عصر ذلك اليوم مجموعة من المركبات على رأسها ما يبدو وكأنه سيارات مدرعة فلا عجب ان يدخل فى روع الكتيبة الحادية والعشرين أنها للواء جنوب أفريقيا الاول • ولكنها لم تكن سوى « الآريت » ولم تكتشف الكتيبة خطأها الا بعد فوات الأوان • اما الايطاليون فكانوا يتوقعون ان يجدوا النقطة ١٧٥ فى أيدى الالمان وقد أفادهم تراخيهم ، وعدم حذرهم بميزة تكاثف الظلام •

وعندما ارخى الظلام سدوله كانت النقطة ١٧٥ قد أصبحت فى أيديهم تماما ، كما تقلصت الكتيبة ٢١ الى أقل من ٢٠٠ جندى • وهكذا حققت « الآريت » ما يفوق كل توقعاتها • ذلك أنها لم تستولى فحسب على الموقع الحاكم بسهولة ، وانما طردت بغير عناء القوات المشتركة لكل من اللواءين الرابع والثانى والعشرين وكانا مكلفين بالاشتباك مع أية دبابات تهدد مؤخرة الفرقة النيوزيلندية بسيدى رزق والنقطة ١٧٥ • ولكن عملها لم يتجاوز نيران المدفعية بعيدة المدى ، كما لم يؤثر على احداث اليوم • والواقع ان « الآريت » لم تتأثر بها تأثر فرقة البانزر الحادية والعشرين بقصف ارتال « كامبل » لمؤخرتها بالنيران عندما قامت بمحاولات



شكل ٢٥ ـ مدفعة ابطالية ثقيلة



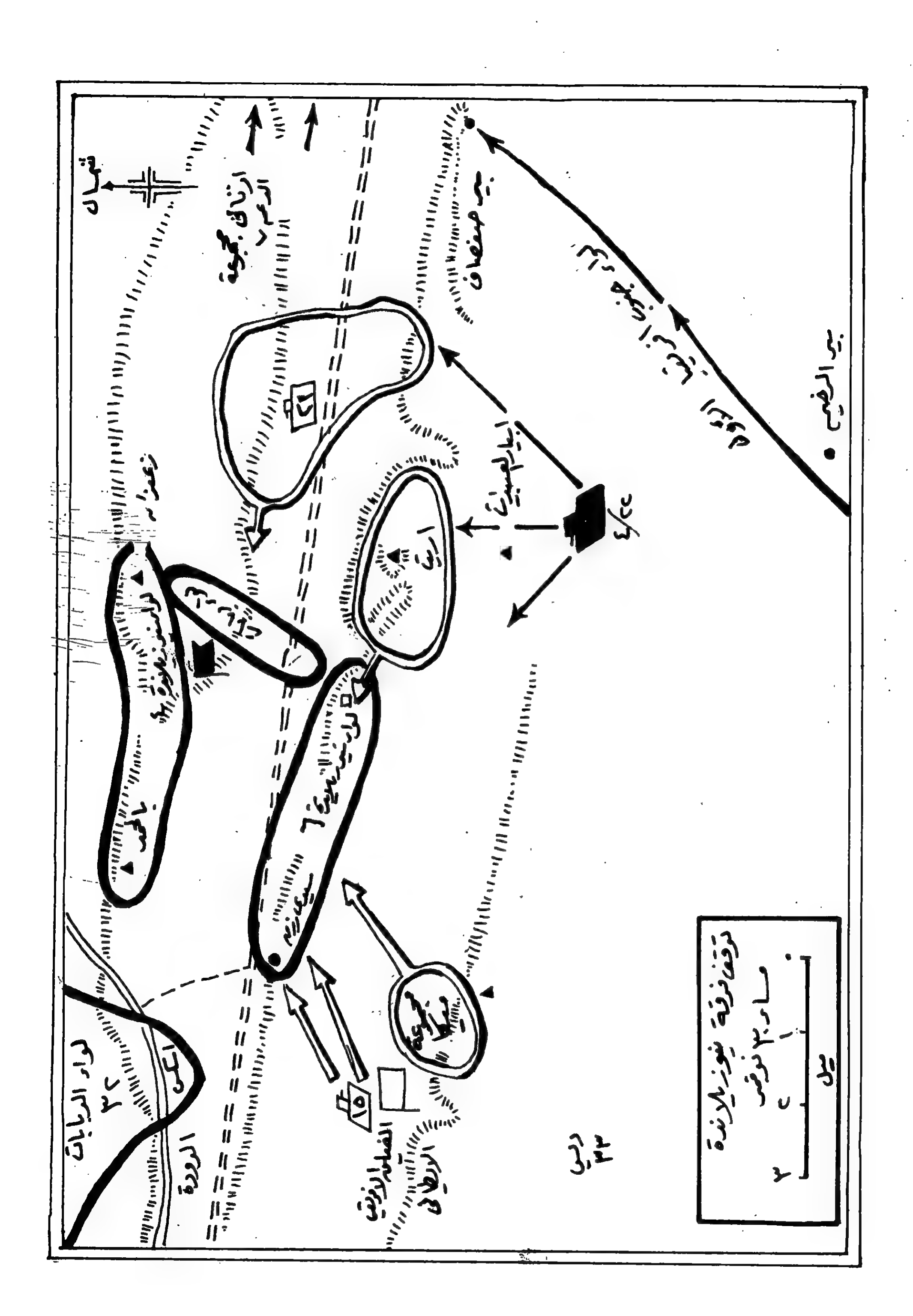
شكل ٢٦ ـ موقع مدفع الماني ثقيل عيار ١٧٠ مللمتر

متكررة غير فعالة لشق طريقها خلال ستار « انجليس » الرقيق من جنوبى زعفران الى النقطة ١٩٥ فأحبطت محاولتها مدافع كتيبة مدفعية الميدان النيوزيلندية رقم ٢٦ ودبابات « فالنتاين » التابعة لكتيبة الدبابات الملكية الثامنة .

وبعد أن ظل « بينار » طوال اليوم فى انتظار انجلاء المنطقة الحافلة بالدبابات ، والواقعة شماله ، راح يستعد للتحرك الليلى بعد ان وضع تحت قيادة (فرايبرج) بمجرد ان أقام المواصلات معه عن طريق « بيلى » . كان هدفه الاصلى النقطة ١٧٨ بالجرف الثالث وفى رسائل « ريتشى » التى كان يدعو « نورى » فيها لارساله لتلك النقطة كان من المعتقد ان الهدف مازال منع « رومل » من الهرب .

غير ان « فرايبرج » أمره بالتوجه الى النقطة ١٧٥ لمساعدة الكتيبة ٢١ على منازلة « الآريت » . وقبل ان يعدل « بينار » خططه سمع من « بيلى » ان النقطة ١٧٥ قد سقطت فأبلغ « نورى » ان « فرايبرج » قد ألغى التحرك ، وهو ما لم يفعله قط . وكان من شأن البلبلة التى سادت الساعات الست والثلاثين التالية من حيث غموض المكان ، والمهمة المطلوب لها « بينار » والقيادة التى يعمل تحت امرتها ، ان تزيد نفوره من التحـــرك الى المجهول ، واحتمـــال ملاقاته لنفس مصـــير « ارمسترونج » .

وكانت أوامـــر « نورى » فى اليوم الثلاثين من الشـــهر تقضى بأن يقوم « جوت » الذى كان قد حشد جميع دباباته الآن ، وجملتها ١٢٠ دبابة ، تحت قيادة « جيتهاوس » بازعاج العدو والقضاء عليه عندما تسنح الفرصـــة ، مع حماية لواء جنوب أفريقيا الاول الذى كان مكلفا بالتقدم واسترداد النقطة ١٧٥ من العدو . وبالتالى أمر « جوت » « جيتهاوس » « بالمحافظة على الممر المؤدى الى الفرقة النيوزيلندية قرب النقطة ١٧٥ وحماية لواء جنوب أفريقيا الاول » . ولهـــذا الأمر بالتأكيـــد طابع دفاعى أكبر وقد فسر على هـــذا الأساس . وهكذا قضى اللواء المدرع الرابع القوى اليوم كله فى منازلة « الآريت » الأقل شأنا فى الدبابات كما وكيفا دون ان يعمل ولو على ابعادها من المنطقة جنوبى سيدى رزق ناهيك عن انزال خسائر جسيمة بها ، وان كان النقيب « دويل » من كتيبة الدبابات الملكية الخامسة قد ادعى أنه دمر ١٦ دبابة (ام ١٣) . ولمـــا كانت معـــركة الدبابات قد استمرت طوال اليوم وسدت الطريق المباشر للنقطة ١٧٥ ، فقد فسر



« بينار » الأوامر الصادرة اليه بارسال كتيبة لميدان معركة ارمسترونج القديم ولكنها عندما قصفت بالنيران كلف بالعودة ولم يجر أي تحرك آخر •

وهكذا لم يكن لنشاط الفيلق ٣٠ يوم ٣٠ من نوفمبر تأثير يذكر على (روما) ورغم ان « كرويل » كان قد قدم اليه تقريرا سيئا عن الموقف ، الا ان « روما » أصر على ضرورة اتباع خطته ومحاصرة « فرايبرج » • وكان على مجموعة بوتشر (التى تولى قيادتها الآن « ميكل » كما تولى بوتشر قيادة فرقة البانزر الحادية والعشرين) الاستيلاء على سيدى رزق من جهة الغرب بينما تكمل « الآريت » تطهيرها للجرف شرقى المقبرة ، وكان على فرقة البانزر الخامسة عشرة ــ وقوتها ٢٨ دبابة متوسطة و ١١ دبابة خفيفة ــ معاونتها بهجوم من الغرب بينما كان على فرقة البانزر الحادية والعشرين ــ وقوتها ١٥ دبابة متوسطة ، وست دبابات خفيفة ــ تجديد الهجوم من الشرق • وانقضى الصباح فى قصف شديد لمواقع النيوزيلنديين من جميع الاتجاهات • ولم تتمكن مدفعيتها من الرد بسبب نقص الذخيرة • وكان ثمة نقص فى الجنود والدبابات أيضا : فقد كان لدى « باروكلو » ٢٦ ضابطا و ٨٢٩ جنديا فى كتائب لوائه الاربع ، وكان لدى « واتكنز » ٢٣ دبابة فقط منها ثمانى دبابات خفيفة • ورغم ان « كرويل » كان يعتقد ان معاونة المدفعية له « خفيفة » فقد كان اللواء السادس يشعر بتزايد وطأة القصف • وكان من الواضح بما لا يدع مجالا للشك ان ثمة شيئا خطيرا يدبر فى الخفاء وكانت كل آمال « فرايبرج » بل « وباروكلو » بصفة خاصة معلقة على النجدة التى قد تظهر من الجنوب موفدة من « جيتهاوس » أو « بينار » وحبذا لو كانت من كليهما ولكن شيئا لم يصل حتى كر « كرويل » بكل ما استطاع حشده ضد مسكة « باروكلو » المتقلقلة لهضبة سيدى رزق • وكانت الساعة الرابعة تقريبا عندما شن الهجوم ، وعند حلول الليل ــ بعد ساعة ونصف الساعة ــ لم يبق من اللواء شيء يذكر ، وطلب « باروكلو » الاذن بدخول الناجين الى طبرق ولكن « جودوين أوستن » ــ وكان مازال يتوقع وصول « بينار » ونجدة من « جوت » ــ رفض ذلك فاضطروا لقضاء الليل جنوبى بلحمد •

وكان « بينار » فى الواقع قد تحرك فى النهاية بينما كان « نورى » نفسه يعمل كدليل كشاف منعا للجدل حول ما يكمن لهم فى الطريق • وقد وصلت

كتيبته الأماميــة الى الجرف عند « بير صفصاف » على بعــد سبعة أميال شرقى النقطة ١٧٥ قبل الساعة الرابعة ، ولكن الظلام كان قد حل قبل اجراء أي تحرك جهة الغرب ، وكانت القوة المرسلة للاســتيلاء على هذه النقطة الحاكمة مكونة من سريتين من احدى الكتائب ، وسرية من كتيبة أخرى • وبعد التردد بسبب وجود مركبات فى الشمال شن الهجوم بواسطة فصيلتين ، غير انه عند ملاقاة المقاومة ، وسماع صوت الدبابات مرة أخرى من جهة الشمال انسحبت القوة كلها الى « صفصاف » بعــد أن تكبدت خســارة فى الأفراد بلغت ٢٤ فــردا ، وفى وقت لاحق من تلك الليلة وصل ضابطان من فرقة الفرســان النيوزيلندية الى مركز رئاسة « بينار » برسالة شخصية من « فرايبرج » : « سقطت (سيدى رزق) عصر اليوم • لا يمكننا الاحتفاظ بموقعنا ما لم تتمكنوا من استردادها قبل فجر يوم أول ديسمبر ، لهذا يتعين عليــكم ان تنفذوا هــذه المهمة فورا » • وكان « نورى » مازال مع « بينار » فاعتبره تحت امرته ، لهذا فقد أمره بالقيام بمحاولة أخرى للاستيلاء على النقطة ١٧٥ فى الصباح ، ومواصلة السير الى سيدى رزق ، وانطلق السعاة عائدين لابلاغ « فرايبرج » •

وكان « جودوين ــ أوستن » فى هذه الاثناء يلتمس من « ريتشى » النجدة بواسطة « بينار وجوت » قائلا : انه سوف يواصل الاحتفاظ بالدودة وبلحمد ، غير أنه اذا لم يمكن الحيلولة دون شن المزيد من الهجوم عليه فسوف يضطر الى سحب « سكوبى وفرايبرج » الى المحيط الاصلى لطبرق • ولكن قبل ان يواصل « بينار » مسيرته ثانية كان « نويمان ــ سيلكوف » قد تقدم عبر (طريق كابوتزو) ليصبح قريبا من (بلحمد) عند أول ضوء •

وقد كتب مورفى يقول : « كان الغموض الشديد يسود الخطوط النيوزيلندية • فغالبا ما كان جنود اللواء السادس لا يعرفون ما ينتظر ان يحدث ، وكانت وحدتا اللواء الرابع ببلحمــد لا تكادان تعرفان شيئا ، الى حــد أن ستة من مدافعهما الأحد عشر كانت موجهة توجيها خاطئا • ولم تبث أية ألغام مضادة للدبابات ، رغم ان الموقف كان يفرض ذلك ، فضلا عن ان ثلاث شاحنات محملة بالألغام كانت على أهبة الاستعداد • وقد أبلغ ضابط مراقبة امامى من كتيبة مدفعية الميدان الرابعة القريبة من مركز رئاسة الكتيبة ١٨ عن وجود دبابات للعدو فى

اتجاه الجنوب الساعة ٦ صباحا ، ولكن ضابط مراقبة كتيبة مدفعية الميدان السادسة الامامى ، الذى كان يراها أيضا ، ظل فى شك من هويتها ، ورفض الاشتباك بها لبضع دقائق حرجة . وكانت المشاة ترى وهى تتشكل قرب الجامع ، ثم بدأت الدبابات تتحرك ، ولكن النقيب « كراوفورد ــ سميث » من سرية مدفعية الميدان رقم ٤٧ . وكان أقرب المدفعيين رؤية لها ظل يعتقد ان « الدبابات دباباتنا » لان « الدبابة الثانية كانت ترفع الشعارات المميزة لنا » (الواقع ، وخلافا لرأى واضعى خطة « الكروسيدر » ، ان الدبابة القائدة كانت احدى دبابات الماتيلدا المستولى عليها) . ثم جاءت القعقعة الهادرة الطويلة ، وراح ضجيجها يزداد ارتفاعا بينما كانت خلخلة القذائف الثقيلة الرعدية عيار ٢١٠ مم ، وهى تطلق فى مجموعات من ثلاث قذائف ، تضغط الجنود فى خنادقهم ثم تمتصهم الى أعلى ، وتعود فتسقطهم ثانية فى سلسلة مروعة للحواس .

وكانت هذه الانفجارات الضخمة مميزة بسحب مكفهرة من الدخان ، والغبار الذى كان ينتشر مع كل انفجار على مساحة نحو فدان من الصحراء ، وكانت المدافع المتوسطة والأخف منها تكثف هذه النيران الهائلة ، وقد انضم اليها عدد لا يحصى من المدافع الرشاشة ، لتستبدل الضباب بالدخان والرمال المتطايرة ، وفى تقدير العقيد « دير » « ان سريتى مدفعية بدأتا فى قصفنا بمعدل بطىء يكفى بالكاد لاثارة الغبار » ، غير ان الغمة من جانب الكتيبة ١٨ كانت أكثف من ان يمكننا اختراقها ، وان كان من الممكن الرؤية خلالها فى اتجاه الجنوب ، حيث كانت « ٢١ دبابة ومدافع ومشاة محملة بشاحنات تقترب » . وفى سرية مدفعية الميدان رقم ٢٩ كان ثمة مدفعيان مكلفين بدفن جثث ألمانية فى متراس أحجار قريب . وكانا قد فرغا لتوهما من هذه المهمة عندما استدعيا للمدافع على عجل لاطلاق النيران بالتسديد المباشر على الدبابات الالمانية . وكانت الطلقات تطن فى الهواء « كالنحل الغاضب » عندما انحنيا وهما يعدوان مسافة الثلاثين ياردة الى موقع المدفع .

كانت أقرب سريتى مدفعية للعدو هما سرية مدفعية الميدان رقم ٣٠ على اليمين ، والسرية ٤٧ على اليسار تدعمهما بعض المدافع عيار ٢ رطل ومدافع البوفرز والبرن . وقاتل مدفعيو الميدان من أوضاع طارئة مضادة للدبابات ، فراحوا يفصلون المدافع عن قاطراتها تحت النيران ويقومون بتشغيلها فى ضباب

الدخان والغبار المتكاثف مما أضفى على هذه العملية طابع الكابوس البغيض • وعلى سبيل المثال ، كان المدفعى « لونان » من سرية المدفعية رقم ٣٠ يحاول تناول كوب من الشاى أثناء انطلاق جماعته بالمدفع بسرعة جنونية لاختيار مكان عاجل له ، ولكنه سكب معظمه •

(ويقول) ان المدفع كان قد هيىء فى الوضع الصحيح ، وأن المسددات كانت واضحة المعالم ، ومجهزة ، ولكن الذخيرة لم تكن على أهبة الاستعداد • وكان اثنان من الآخرين يحاولان انزال الطلقات الخارقة للدروع من المقطورة •• واذا بى أحدق بعد ذلك خلال المسددات المكشوفة فى الدبابات التى كانت قريبة جدا الآن • وكانت طلقات مدافعها الرشاشة الخفيفة تخترق الدرع وتتطاير فى جميع الاتجاهات •

وقام « جيوف أوليفر » ، رقيب المدفع ، بتعديل ذيل المدفع وأطلقنا الطلقة الأولى — أما مدى تأثيرها فهو مالا أعرفه • فبعد كل طلقة كان علينا أن ننتظر بضع ثوان حتى ينجلى الغبار •

وكان مركز رئاسة « فرايبرج » ذاته الآن فى أتون المعركة وباستخدام الجهاز الموجود بسيارة « بيلى » المدرعة قام مرة أخرى بالتماس النجدة من « نورى » • وتستمر رواية « مورفى » •

كانت نيران المدافع الرشاشة الداخلة الى المنطقة قد بلغت الآن أوج ضراوتها • وبينما كانت الطلقات تتساقط محدثة رنينا على جانب السيارة المدرعة كان اللواء يواصل حديثه اللاسلكى برباطة جأش • وأقبل الرقيب (سميث) من السيارة الى حيث كان « أجار » (قائد اشارة الفرقة) يقف بجوار ضابط الاشارة • وأشار بابهامه فى اتجاه اللواء ، وبصق على الارض معبرا « هذا الرجل مجنون ! لماذا لا يدخل بالسيارة ؟ » •

كان هذا قبيل الساعة ٧٫٤٥ مباشرة عندما تحدث « فرايبرج » الى « نورى » ؛ وعلم ان الجنوب أفريقيين لم يصلوا بعد الى هدفهم (كما ذكر فى دفتر يومياته) • ويقول « نورى » فى تقريره : « ان « فرايبرج » (أعاد ذكر ما حدث وأنه هوجم ثانية ، وبحاجة للمساعدة) • ثم أرسل « فرايبرج » للفيلق ١٣ الاشارة التالية :

« انتزع البت فى الأمور من أيدينا • فهاجم بشدة من الجنوب والغرب فشل لواء جنوب أفريقيا الاول فى أخذ النقطة ١٧٥ ليلة أمس ولكنه سيحاول مرة أخرى صباح اليوم • أنا على اتصال « بنورى » •

وفى الوقت نفسه اتصل العميد « باروكلو » هاتفيا ليقول : « ان مركز رئاسته (فى شدة وأن عليه ان ينسحب) •

وكان انسحاب مركز رئاسة المعركة قد أغفل الى وقت متأخر ينذر بالخطر فعلا حتى انتاب القلق بعض أفراد هيئة الأركان •

وعنـدما صاح النقيب « فيربراذر » قائلا : « المدفعيون فى الامام رافعو الأيدى » ــ على مسافة لا تزيد عن ١٥٠ ياردة ــ أمر « فرايبرج » المجموعة فى النهاية بالتفرق شرقا ، والالتقاء بمركز رئاسة اللواء الرابع • كانت النيران حامية فقتل سائق العقيد « جنترى » لساعته ولم يكن ثمة وقت لاضاعته •

كان « جوت » قد حرك « جيتهاوس » الى جنوب شرقى « سيدى رزق » بالفعل فأمره الآن بدخول الحلبة وشن هجوم مضاد على دبابات العدو بأى ثمن وقد أرسلت كتيبة الدبابات الملكية الخامسة الى الامام للاتصال بباروكلو واستجلاء الموقف ووضع خطة لمعالجته • وأطلقت النيران على اللواء من اليسار واليمين وهو منطلق بمركباته انطلاقا يوحى بأنه تكرار لهجوم اللواء الخفيف ببالاكلافا • وقد أثار وصوله آمالا كبارا ولكن تأثيره سرعان ما تبخر فى سحابة من سوء الفهم • لقد اعتبر الجنود مهمتهم مهمة انقاذ للنيوزيلنديين واعادتهم من حيث أتوا • وكان رجال « باروكلو » يأملون ان يرد « جيتهاوس » العدو على أعقابه ، ولكن اذا كان الانسحاب هو الأمر اليومى فسوف يتوجهون شرقا للانضمام « لفرايبرج وانجليس » • وكانت الدبابات تعرف ان النقطة ١٧٥ يحتلها العدو ، ومن ثم لم تكن ستذهب فى ذلك الطريق • وهكذا انفصل الاثنان ، النيوزيلنديون المرهقون المنهارو العزيمة يشقون طريقهم بعناء نحو الشرق للانضمام لزملائهم فى « زعفران » ، ودبابات « جيتهاوس » باقية للاشراف على رحيلهم ، على ان تعود بعد ذلك لمكانها الدائم جنوب شرقى سيدى رزق ، بينما تستكمل فرقة البانزر الخامسة عشرة استيلاءها على بلحمد • أما فرقة البانزر الحادية والعشرون فلا تفعل شيئا على الاطلاق •

وفى وقت لاحق من بعد ظهر ذلك اليوم ، ولم يكن قد تبقى من ضوء النهار الا ساعة وبضع الساعة ، هجمت فرقة البانزر الخامسة عشرة من بلحمد شرقا فى اتجاه « زعفران » حيث كانت الفرقة النيوزيلندية تتشكل للتحرك الليلى شرقا ثم فى اتجاه جنوبى الشرق الى حيث بدأت « الكروسيدر » • وقد تعطل الهجوم بفعل القصف (من الجانبين) وصدته ببسالة مؤخرة من المدفعيين والدبابات وفى الوقت نفسه كانت فرقة البانزر الحادية والعشرون تتحرك غربا بهدوء بجوار « طريق كابوتزو » وبذلك أبعدت نفسها عن الباب الخلفى الذى كان « فرايبرج » يعتزم الانسحاب من خلاله ، بينما كان « بينار » يتحرك أيضا •

وانتهى « فرايبرج » من القتال • ومرة أخرى بدأ الأمر وكأنه كارثة ، ولكن الخسائر التى أنزلها بقيادة « كرويل » قضت بأن « الكروسيدر » فى صالح « ريتشى » لا فى صالح « رومل » •

رد .. ريتشى

ديسمبر ١٩٤١ - يناير ١٩٤٢

كان قرار « فرايبرج » بالانسحاب خارج منطقة القتال قد اتخذ بناء على مبادرة منه ، وموافقة من (نورى) الذى كان مع (بينار) وعلى اتصال به • ولم يؤخذ رأى (جودوين ــ أوستن ، أوريتشى) لانهما لم يكونا فى متناول الاتصال اللاسلكى فى ذلك الوقت من اليوم ، ولكن ريتشى وافق عليه بأثر رجعى ، ولم يكن له خيار فى ذلك • كان ذهنه ــ فى ذلك الوقت ــ موجها مثل ذهن « نورى » عنـدما قطعت عودة « رومل » سلسلة أفكاره بعنف الى دفع قوة لشق طريقها نحو « العدم » من جهة جنوبى الشرق ، وهى دفعة من شأنها ان تؤدى نفس الغرض الذى كانت تستهدفه الدفعة الى سيدى رزق ، وان كانت قد اخفقت فى تحقيقه • لهذه الغاية كان يحاول اخلاء الفرقة الهندية الرابعة من الحدود ، واحلال فرقة جنوب أفريقيا الثانية بدلا منها • وكان اللواء الهندى الحادى عشر قد تحـرك بالفعل للانضمام الى « نورى » عند « قبر صالح » أما اللواء الهندى السابع فكان قد أتم الاستيلاء على « سيدى عمـر » واحتل اللواء الهنـدى الخامس « السلوم العليا » وبعد ان حل محل اللواء النيوزيلندى الخامس ركز اهتمامه على « فيابالبيا » غرب البردية • وكان أمل « ريتشى » هو ان يغرى تهديد العدم مدرعات « رومل » بالخروج الى الصحراء المكشوفة حيث تكون هزيمتها أسهل وهى بعيدة عن المدافع المضادة للدبابات المنتشرة فى الجرف حول سيدى رزق • ولا ريب ان سوء فهم التكتيكات الالمـانية ــ كانت المدافع المضادة للدبابات تصحبهم أينما ذهبوا ــ مع الرغبة فى حشد أكبر قوة ممكنة من الدبابات لشق الطريق نحو العدم ، وراء تردد اللواء المدرع الرابع فى القاء نفسه فى المعركة قرب سيدى رزق خلال الايام القليلة السابقة •

وبينما كان « ريتشى » يحاول اعطاء نورى أكبر قوة يمكنه جمعها محليا لتولى هذا الرد كان « أوكنليك » بايعاز من « تشرشل » يبذل كل ما فى وسعه لارسال المزيد من الدعم من دلتا مصر الى الامام • كان اللواء ١٥٠ من الفرقة ٥٠ فى طـريقه وكذلك كانت العناصر القـائدة من الفرقة الاولى المدرعة التى وصلت أخيرا • وللتأكد من أن القوة الدافعة لم تتبدد ، عاد « أوكنليك » الى مركز رئاسة الجيش الثامن يوم أول ديسمبر وظل هناك عشرة أيام •

ثمة مبررات قوية للثقة كانت فى جانب « ريتشى » رغم اللطمات الساحقة التى كيلت « لفرايبرج » وحقيقة الامر الواقع ، هو ان « رومل » قد أصبح الآن السيد المطلق لمنطقة سيدى رزق وان طبرق قد طوقت تماما مرة أخرى بينما تباعدت دفاعاتها بسبب البروز الممتد الى الدودة وضوئلت قوة دباباتها ، ورصيد ذخيرتها الى حد بعيـد ، وزادت حاميتها أفواها كثيرة غير منتجة • وليس ثمة شك فى ان « رومل » قد تكبد خسائر فادحة ، فضلا عن أنه لم يكن له أمل يذكر فى تلقى دعم عاجل •

فقد أغرقت اربع عشرة سفينة بلغت حمولتها ٦٠٠٠٠ طن فى شهر نوفمبر — منها احدى عشرة أغرقتها البحـرية الملكية بينما أغرق الثلاث الباقيات السلاح الجوى الملكى الذى يعمل من مالطا • وكان « باستيكو » قد نبه « رومل » فى ٣٠ من نوفمبر الى عدم توقع امدادات تذكر فترة من الوقت مع احتمال انقطاع الامدادات تماما • كانت قواته الالمـانية قد فقدت ١٤٢ دبابة من دباباتها ال (٢٤٩) التى بدأت بها المعركة ، ونحو ثلث مجموع مدافعها ، بينما شح الوقود ، والذخيرة ، وتدهورت الحالة الميكانيكية لباقى الدبابات تدهورا سريعا ، وكان لدى « رومل » كل مبرر للبحث عن موارد جديدة ، وانتهاج الحرص ، وهو ما لم يكن من صفات « رومل » قط • وكانت خطته التى أطلع عليها « كرويل » عصر يوم ٢ من ديسمبر ، تقضى بأن ترسل كل من فرقتى البانزر مجموعة كتيبة ميكانيكية شرقا ، وفرقة البانزر ٢١ على امتداد « فيابالبيا » ، وفرقة البانزر ١٥ على امتداد « طريق كابوتزو » بأمل ارهاب القوات البريطانية المحاصرة للبردية ، والسلوم وابعادها • أما الجنب الجنوبى فكان على فيلق « جامبارا » الايطالى أن يتولى أمره • وكان « كرويل » سيزور « بلواء مدعم » على أهبة الاستعداد

لمتابعة هاتين المجموعتين ، بينما تشترك باقى القوات الالمـانية مع الايطاليين فى ازالة البروز الممتد من طبرق • وكان هذا فى نظر « كرويل » تكرارا قبيحا للهجمة السابقة المشئومة على الحدود •

فقد قال : « يجب ألا نكرر خطأ تسليم العدو ميدان معركة أحرز فيه الفيلق الافريقى النصر لنقوم بعملية أخرى على مسافة ما ، بدلا من القضاء على العدو قضاء مبرما » •

كان يعتقد ان بروز الدودة هو الهدف الاول ، فأراد حشد كل شيء ضده (كان « جودوين أوستن » فى الوقت نفسه يهدد بالتخلى عنه اذا لم يساعده « نورى » فى القضاء على التهديد الذى يشكله « كرويل » ، ولكن « نيكولز » الذى كان يدافع عن البروز أثناه عن ذلك) • ولئن كان « رومل » يعتبر تطهير (الجبهة الجنوبية) أحق بالأولوية فقد كان يتعين حشـد فيلقه بالكامل لهذا الغرض ومعه « سومرمان » الذى أطلق على فرقته الآن اسم (الفرقة التسعين الخفيفة) • وكان كفيلا بأن يتمكن من بدء العملية صباح يوم ٣ من ديسمبر ، وان كان على أية حال سيضطر الى ترك دباباته لمواصلة اصـلاحها وصيانتها •

ولكن « رومل » استبعد رأيه ، وفى مساء ذلك اليوم اجتمعت المجموعتان بحذاء ــ كامبوت ــ مجمـوعة « جايسلر » على « فيابالبيا » ومجموعة « نيب » على طريق كابوتزو ــ وكانت كلتا المجموعتين تحت امرة « نويمان سيلكوف » •

وفى فجر يوم ٣ تحركتا شرقا وبعد بضع ساعات أخرى كانتا مشتبكتين فى القتال ، فقد اصطدمت مجموعة « جايسلر » بكتيبة « ماورى » رقم ٢٨ وكانت احدى سراياها مختفية شمال الطريق ، وقد أمسكت بنيرانها حتى أوغل العدو فى الموقع ثم أطلقت العنان لنيرانها • وكانت النتيجة القضاء على كتيبة الدراجات البخارية الخامسة عشرة حيث قدر النيوزيلنديون الخسائر بـ ٤٧٠ واعترف الالمـان بـ ٢٤٠ منها ، مقـابل اثنين من القتلى وتسـعة من الجـرحى بين « المـاورى » • وعلى مسافة أبعد الى الجنوب كان « نيب » قد اصطدم بكتيبة مدفعية الميدان رقم ٣١ وكتيبة الحصان الهندى من الفرقة الهندية الرابعة ولم يتمكن من مواصلة التقدم ازاءهما • لهذا ، فقد سحب « نويمان سيلكوف » قوته الى كامبوت وجسر العريض ، وكان السـلاح الجوى الملكى نشطا فى ذلك

اليوم ولم يبد أن ثمة أحدا بالجانب الالمانى متحمس للقتال حيث أكد (سومرمان) انه لن يكون مستعدا لمهاجمة الدودة حتى يوم ٤ •

كان يوما غير مثمر « لرومل » وكانت الأوامر الخاصة بيوم ٤ حلا وسطا بين طلبات الحدود وطبرق • وكان على « نويمان سيلكوف » ان يعيد شق الطريق الى البردية بكامل فرقته (دون دبابات) بالتعاون مع الآريت ، بينما انضم جزء من فرقة البانزر ٢١ الى مجموعة ميكل التابعة لسومرمان من هجمة مركزة على الدودة التى كانت فى يد كتيبة اسكس الاولى الضعيفة وبعض عناصر من الكتيبة الاسترالية الثالثة عشرة والكتيبتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة النيوزيلنديين ، وتشكيلة من الأسلحة المعاونة • كان يوما باردا كئيبا يوم أن شنت مجموعة « ميكل » هجومها من الغرب فى الصباح الباكر ، وقد أمكن صدها هنا ، ولكن بعد بضع ساعات نجح هجوم موجه من جنوب الشرق فى الاستيلاء على جزء من الطريق الجانبى • وظن الالمان أنهم أحرزوا النصر ، ولكن تفاؤلهم كان سابقا لأوانه • ولم يتحقق شىء آخر بعد الظهر • وفى هذه الاثناء لم تكن ارتال « جوك كامبل » تقصف المهاجمين فحسب ، بل أدت الاحداث فى أماكن أخرى الى التخلى عن منطقة شرقى العدم بأكملها •

كذلك فقد استدعيت فرقة البانزر الخامسة عشرة وكانت قد ردت القوة الصغيرة التى تحمى سيدى عزيز على أعقابها • ولكنها هى وفرقة الآريت التى كانت تصحبها استدعيتا قبل ان تتمكنا من مواصلة التقدم للتعامل مع اللواء النيوزيلندى الخامس • ورغم عدم فعالية هذه العملية ، فقد دعت « ريتشى » لالغاء عملية التقدم نحو العدم بعد اثنتى عشرة ساعة من قرار تحويل « نويمان سيلكوف » ذاته جهة الغرب ، وان كان هذا القرار قد ألغى قبل ان ينقضى عليه وقت يجعل مفعوله يمتد الى أكثر من الحد من اندفاع « نورى » نحو الغرب بعض الشىء •

وعند عودة « نورى » الى مركز رئاسته المتقدم ـ الملحق بمركز رئاسة « جوت » ـ يوم ٢ من ديسمبر علم بخطة « نورى » بشأن شق الطريق نحو العدم • وألغى عملية صغيرة كان جوت قد دبرها للاستيلاء على بير غبى يوم ٣ بغية اعداد عملية اختراق أقوى بقوة أكبر ، ولم يشأ ان يذهب الى العدم ذاتها

حتى تتيسر له فرقة « ميسرفى » بأكملها وهو ما لم يكن منتظرا قبل يوم ٦ • وفى هذه الأثناء كان يعتزم تطهير الموقع الايطالى ببير غبى باللواء الهندى الحادى عشر الموضوع تحت قيادة « جوت » لهذا الغرض • ولم تكن هناك معلومات كافية عن القوات الموجودة هناك : والواقع أنها كانت مكونة من كتيبة من شباب الفاشيست ومعهم حفنة من الدبابات الايطالية ، وجماعة من المدافع المضادة للدبابات لحماية أحد المستودعات • وكان أمام العميد « أندرسون » مسافة طويلة ، مسيرة ليلة طولها ٤٧ ميلا قطعها فى ست ساعات ليصبح لواؤه غربى الموقع • وبعد ذلك شنت الهجمات فى الصباح الباكر يوم ٤ من ديسمبر بواسطة كتيبة الكاميرون الثانية ومعها ثلاث دبابات فالنتاين فقط فى المعاونة على النقطة ١٧٤ التى يحتلها شباب الفاشيست هذا فضلا عن سريتان من كتيبة المهراتا الخامسة تدعمهما ١٣ دبابة ضد المستودع • وقد نجحت الاخيرة نجاحا تاما ولكن كتيبة الكاميرون التى كان يعوزها مراقب مدفعية مع المشاة منيت باصابة دباباتها القلائل وتعرضت للشدائد • وقد أحبطت محاولة لتكليف المهراتا بمساعدتها عند ظهور بعض دبابات العدو فى اتجاه الشمال الشرقى • كذلك بذلت محاولة أخرى بسريتين من كل كتيبة فى عصر ذلك اليوم ولكن هذه المحاولة أخفقت أيضا مع خسائر جسيمة للكاميرون •

وفى غضون ذلك كانت دبابات « جيتهاوس » الثمانى والتسعون على مسيرة مسافة قصيرة فى اتجاه الشمال الشرقى : كانت قد اشتبكت بالدبابات الايطالية التى أزعجت المهراتا ودمرت احدى عشرة دبابة منها • وعلى مسافة سبعة أميال فى اتجاه الشمال الغربى وجدت سرية من السيارات المدرعة عدة مستودعات وقود ، وقوافل تموين فألحقت بها أضرارا جسيمة قبل ان يقصيها مزيد من الدبابات الايطالية •

وزغم ما أصابه « نورى » من تفوق ساحق فى كل سلاح بمنطقة بير غبى فقد أدى عدم تركيزها ، وتنسيق عمل جميع الاسلحة بالتفصيل الى اتاحة الفرصة لمجموعة كتيبة ايطالية لاحباط عمل فيلقه بأكمله وانزال خسائر جسيمة بأحد ألويته • كذلك فقد أزعجه من المؤخرة قلق الجيش الثامن بشأن تهديد الحدود من جديد • وكان « ريتشى » نفسه قد طار الى طبرق ليضع مع « جودوين

أوستن » خطة لزحف الاخير نحو الغدم يوم ٥ من ديسمبر • وعند الظهر سأل الجيش الثامن « نورى » عما فعله بشأن « دبابات العدو بسيدى عزيز » وقد نبه الى ان مهمته هى تدمير مدرعات العدو « بغض النظر عن الحدود » • وقد أجاب نورى بأن ارتال « جوك » بتلك المنطقة تفى بالغرض تماما واحتج ضد أى أى تحرك للواء الرابع المدرع شرقا وقال : ـ وله كل الحق فى ذلك ـ ان تنفيذ خطة اللواء « ريتشى » أهم بكثير من العمل وفقا لكل حركة من جانب « رومل » •

ولكن الضغط استمر وكلف بتحريك « مركز ثقل الفرقة السابعة المدرعة الى الخلف حيث كان » • وكان من نتيجة ذلك للأسف تحريك « جيتهاوس » الى الخلف بعد عملية غبى الى « بير بالأرانب » على مسافة نحو عشرين ميلا الى الشرق • وفى وقت مبكر من صباح يوم ٥ أرسلت أوامر أكثر تحديدا نصها :

« نظرا لتحركات العدو نحو البردية يعتبر اخضاع منطقة الحدود أمرا ضروريا قبل التعرض لطبرق وبذلك يقل احتمال تزود العدو بالوقود من البردية والعمل فى مؤخرتنا • لهذا يتعين عليكم الاستعداد لبحث خطة هذه العملية مع ضابط الاركان الذى سيصل اليوم » •

ومن حسن الحظ أنه فى الوقت الذى حلت فيه شفرة الرسالة وصل ضابط الأركان ، ومن الواضح تماما ان التهديد قد أزال نفسه بنفسه • لم يتخذ « نورى » أية خطوات نحو اعادة فتح قواته وكان يناقش خطط المستقبل مع « مسرف ، وجوت » ، بينما كان اللواء الهندى الحادى عشر العاثر الحظ قد دفع بكتيبته الثالثة (بنادق راجواتانا السادسة) فى هجوم رابع لم يقدر له النجاح على بير غبى تدعمه من الفيلق قوة أقل مما كانت فى اليوم السابق • هذا بينما كان اللواء الرابع المدرع ـ ومعه الآن ١٣٦ دبابة ـ يستريح فى « بير بالأرانب » فضلا عن ان لواء « الجاردز » الثانى والعشرين ، ولواء جنوب أفريقيا لم يشتركا على الاطلاق • وكان لهذا التراخى نتائج وخيمة على لواء « أندرسون » الحادى عشر •

ونظرا لعدم نجاح نشاطات هذا اللواء فانه بالتالى لم يسبب أى قلق « لرومل » ، الذى تصور ان قوة الفيلق ٣٠ كلها مشتركة فى عملية تطويق ضخمة تمتد من الجرف الثالث الى بير غبى •

وفى عصر يوم ٤ ، وهو اليوم الذى أبلغه فيه القائد الأعلى بفقد الأمل تماما فى وصول امدادات عبر البحر الابيض المتوسط بعض الوقت ، اصدر أوامر بالعدول عن أية عمليات شرقى العدم وآلى على نفسه القيام بفصل القوات التى ما زالت صامدة فى الحدود بصفة مؤقتة ، كما قرر ان يضرب مؤخرة « نورى » قرب بير غبى ابان اعادة فتح وحداته الادارية القادمة من شرقى طبرق . وبعد هزيمته « لنورى » ببير غبى كان سيتقدم شرقا ، ويستولى على مستودعات التموين التى تبين الآن أنها تقع على خط طريق العبد ، ثم يظهر ثانية بسيدى عمر لينضم الى القوات الموجودة بالحدود . ولكنه فى هذه المرة سوف يحشد كل ما تيسر من قواته خفيفة الحركة . كان « كرويل » سيتجه جنوبا الى غربى درب العدم ــ ببير غبى ، بينما كان فيلق « جامبارا سيبشكل » شرقيه . وكان « رومل » يأمل أن يتحرك صباح يوم ٥ من ديسمبر ، ولكن الآريت تأخرت بفعل القصف (من الجهتين مرة أخرى) فضلا عن نيران المدفعية من ارتال « كامبل » ومن الدودة . وفى الساعة ٢٫٣٠ عندما لم يعد بوسع الفيلق الافريقى الالمانى الانتظار وقتا أطول ، انطلق وحده وهو يتوقع ملاقاة الفرقة السابعة المدرعة وجها لوجه فى أية لحظة ، وفى الساعة الرابعة كان قد كال ضربته(للمهراتا) وعند حلول الظلام كان قد اكتسح اللواء الهندى الحادى عشر وعقد الخناصر مع « شباب الفاشيست » الذين كانوا مازالوا صامدين وقد أساء الطرفان تقدير الموقف اساءة بالغة . فقد أبلغ « جوت » « نورى » ان الأمر مقصور على عشر دبابات معادية فقط ، وانه ليس ثمة شيء ذو شأن يواجه اللواء الهندى الحادى عشر : ولهذا فقد اتخذت الاجراءات لاستبداله بلواء « ماريوت جاردز » . ومن جهة أخرى ، فقد ظن « كرويل » انه قد اصطدم بقوة معادية قوية ــ من الفرقتين السابعة المدرعة والهندية الرابعة ــ وهى تزحف زحفا مؤزرا فى اتجاه الشمال الغربى ، لهذا فقد قرر الابتعاد والتحرك نحو الشمال الغربى فى الظلام ، حتى ينجو مما وصفه بـ « عش الدبابير » وبينما كان يفعل ذلك ، اختلطت فرقتاه بعضهما البعض . وكانت الليلة مفعمة بهدير الدبابات ، والاستعراض المألوف للاضواء الملونة التى تصاحب أى تحرك ليلى ألمانى . وقد أحدث هذا هياجا شديدا فى كل من اللواء « الهندى الحادى عشر » و « الجاردز الثانى والعشرين » ، « وجنوب أفريقيا الاول » وكانت جميعها على مسافة قريبة . والواقع ان

« كرويل » كان قد استقر به المقام فى منطقة حشد اللواء الهندى الحادى عشر . وقد ورد وصف هذه الواقعة فى « النمر يقتل » :

كانت ليلة مثيرة للواء الحادى عشر ، فقد كانت الليلة الثالثة على التوالى التى لم يحظ فيها أحد بقسط من النوم ، وكانت الطلقات الكاشفة لمعسكر المبيت الالمـانى تشق عنان السماء ، ثم تتساقط هنا وهناك . وكان دبيب المحركات وصوت الحفر يسمع من كل جانب . أما بقية « المهراتا » فكانت معزولة تماما ولكن الهاتف لم يكن مقطوعا ، وكان قد سبق قطعه ، ولكن أحد جنود الاشارة الهنود خرج وأصلحه على مسافة خمسين ياردة من دبابتى بانزر ، وقد قام المقدم « م. ب. لانكستر » بالتعليق على ما حدث بالاردية ، تحسبا فى حالة ما اذا كان الالمـان يتصنتون ، وذكر كيفية اعادة تنظيم كتيبته ، ومكان العدو وما ينوى عمله ، وفجأة قال لرائد اللواء : « الزم الصمت . ثمة ألمـان هنا » . وأعقب ذلك خمس دقائق من الصمت الرهيب . ثم عاد المقدم الى الخط ثانية بنبأ أسر ضابطين ألمـانيين . وقد مر أحد ارتال البانزر على مسافة ستمائة ياردة من مركز رئاسة اللواء ، كما سمع صوت رتل آخر وهو يمر على مسافة تقل عن مائتى ياردة من « راج ريف » ، وفى وسط الفيلق الافريقى كمن اللواء الحادى عشر فى هدوء الفأر .

وفى الفجر تصاعدت جلبة كر وفر شديدين قبل ان ينجلى الموقف ، وعند ذلك كان الجانبان يواجهان بعضهما بعضا فى جبهة عريضة على كلا جانبى بير غبى ففى الشمال الشرقى كان اللواء الرابع المدرع ، يغطيه ستار من السيارات المدرعة ، يواجه وحدة الاستكشاف رقم ٣٣ ، وعناصر من الآريت . وفى اتجاه الجنوب الغـربى ، وخلف ستار من السيارات المدرعة أيضـا كانت سلسلة من الارتال المشكلة من الفرقة الهندية الرابعة ولواء الجاردز رقم ٢٢ تواجه الفيلق الافريقى الالمـانى ، وكان كلا الجانبين يعامل الآخر بحذر ، ولم يقع طوال النهار شىء يذكر سوى بضع هجمات ، وقصف لاختبار قوة الخصم . ولم يفكر « نورى أو ريتشى » فى القيام بعملية كبيرة بل علقا أملهما على حركات الالتفاف بالارتال والسيارات المدرعة . وكان « كرويل » فى انتظار فيلق « جامبارا » قبل ان يشن هجومه فى النهـاية عند الساعة الثالثة . وقد قصف الفيلق الافريقى الالمـانى

قصفا شديدا عند تحركه فجرح « نويمان سيلكوف » جرحا قاتلا قبيل الساعة الخامسة ، بينما كان فى انتظار هجوم بطائرات « شتوكا » لمساعدته على مواصلة التقدم ، وقد استمر الهجوم حتى حلول الظلام حيث زعم الفيلق الافريقى أنه أخــرج البريطانيين من مواقعهم فى بير غبى ، فى حين أنهم لم يلتحمــوا فى الواقع بقواتهم الرئيسية بالمرة . ولعل العمل الوحيد الهام الذى قام به البريطانيون فى ذلك اليوم هو اقامة الاتصال مع حامية طبرق بداورية الهوسار الحادية عشرة قرب سيدى رزق بعد انســحاب العــدو الى خط يقع غرب الدودة مباشرة . وهكذا انتهى حصار طبرق نهائيا .

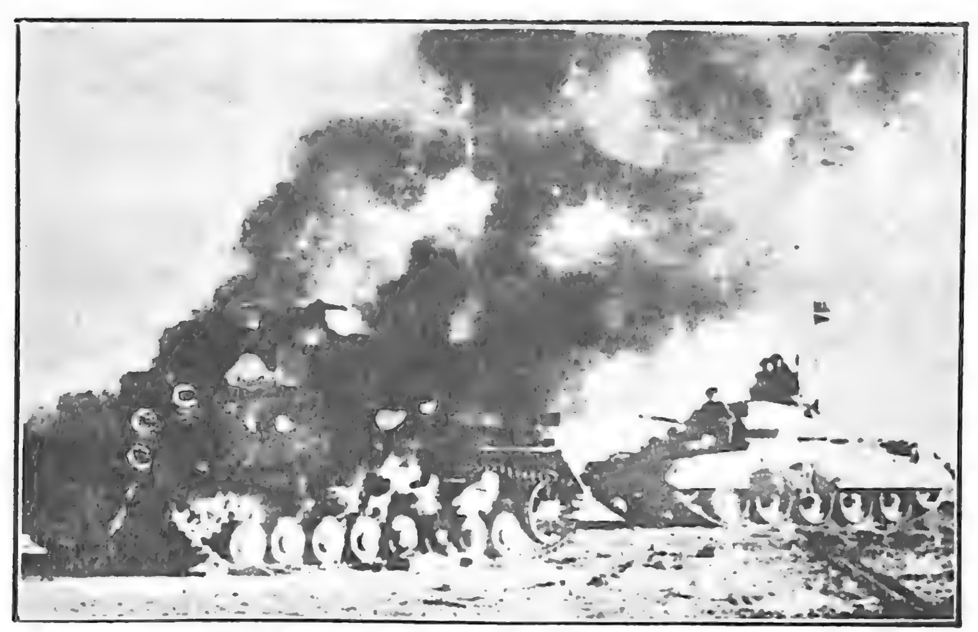
كان قد دخل فى روع « كرويل » أن قوات كبيرة تتصدى له فخشى ان تطوقه ، وأراد ان ينسحب . ولكن « رومل » رفض ذلك وأمره بالتقدم من جديد فى اليوم التالى الموافق للسابع من ديسمبر . وكان « ريتشى » فى هذه الاثناء يتوقع الموافقة على طلب « كرويل » . كان يود ان يبدأ « نورى » زحفه الى العدم بأسرع ما يمكن وان يرسل رتل جوك الى الغزالة . وكانت النتيجة ان مر يوم ٧ من ديسمبر مثلما مر يوم ٦ من قبله . ووجد « كرويل » نفسه والقصف ينهال عليه طوال اليوم دون ان تبذل محاولة لمهاجمته مباشرة ، أو للالتفاف حول أحد أجنابه . وظل « نورى » فى انتظار انسحابه ولكن محاولات الجائه الى تلك كانت مقصورة على الهجمات الاختبارية . ولم يحدث ثمة شيء يذكر طوال اليوم ، ولكن الشيء العجيب انه كان اليوم الحاســم فى معــركة « كروسيدر » . كذلك فقــد كان أول يوم لنزول اليابانيين فى المــلايو وليلة الهجــوم على « بيرل هاربور » . وفى الوقت الذى لم يعد فيه مع « رومل » سوى نحو أربعين دبابة بالفيلق الافــريقي الالمــانى ونحو كتيبتين بالفرقة ٩٠ الخفيفة فى موقف حرج بالنسبة للامدادات من جميع الانواع قيل له أخيرا : انه ليس ثمة أمل فى تلقيه لأى دعم أو تموين ذى شأن لمدة شهر على الأقل ، وأدرك ان تدمير قوة « نورى » المدعمة والزحف مرة أخرى نحو الحدود لاعادة الوضع الى ما كان عليه يوم ١٨ من نوفمبر أصبح الآن أمرا مستحيلا ، وعندما ظهر بمركز رئاسة « كرويل » فى الساعة ٩٫٣٠ من صباح ذلك اليوم قال :

« اذا لم يهزم العدو اليوم فسوف يتعين علينا التخلى عن جبهة طبرق والعودة الى موقع الغزالة ، وقد اتخذت ترتيبات تمهيدية لهذا الغرض فى الليلة السابقة ، حيث سحبت المدفعيــة الثقيلة من جبهة طبرق ، كما سحبت الفــرقة التسعون الخفيفة ، والتشـكيلات الايطالية • ومن الضرورى أيضا التخلى عن جبهة السلوم ••• ولكن على الفيلق الافريقى الصمود اليوم وصد العدو مع القيام بالهجوم المضاد اذا اشتد ضغط العدو ، ثم الانسحاب أثناء الليل مسافة ٣٠ ــ ٣٥ كم فى اتجاه الشمال الغربى » •

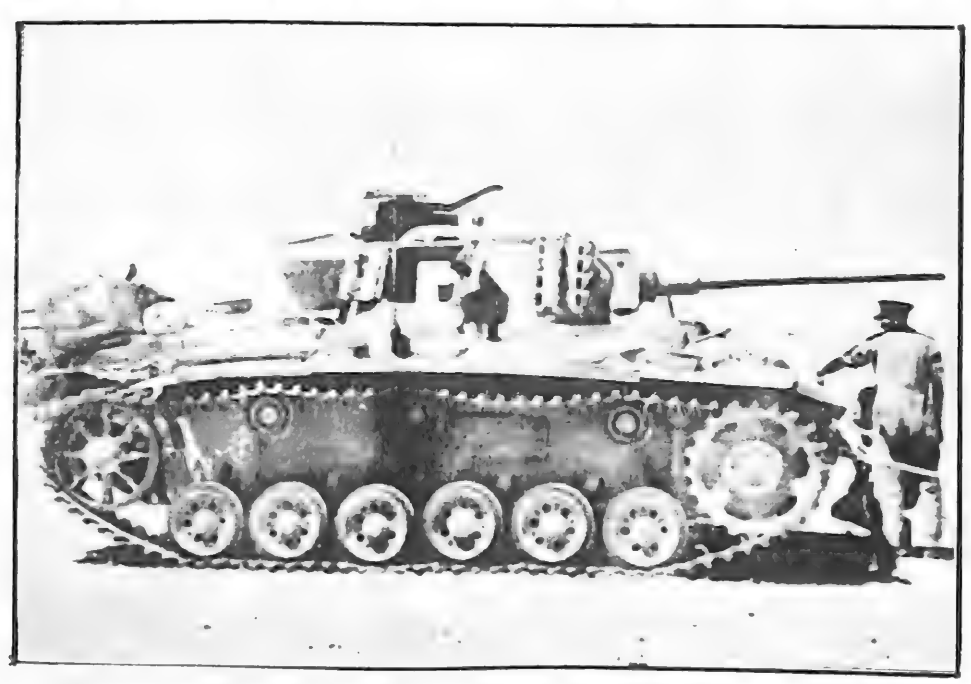
وفى عصر يوم ٧ من ديسمبر صــدر القرار ، وازدادت الدلائل على ان مجموعة البانزر بأكملها كانت تستعد للتحرك الى موقع جديد بالغزالة • وأمر « ريتشى » « جودوين أوستن » بالهجوم غربا من الدودة الى العدم فى تلك الليلة • وتولت كتيبة ديرهام الاولى (المشاة الخفيفة) تنفيذ ذلك ، حيث تحركت فى الســاعة ٨٫٣٠ وأسرت ١٣٠ أسيرا من فرقة بافيا التى أمر « روملِ » فيلق نافارينى الحادى والعشرين بسـحبها الى العدم • غير ان « جامبارا » بوصفه رئيس أركان « باستيكو » ألغى هذا الأمر وصدرت اشارة من القائد الأعلى بعمل كل ما يمكن للتشبث ببرقة ، وقد أدى ذلك الى وقوع مشهد غير كريم صباح اليوم التالى ، عندما فقد « روملِ » أعصابه مع « باستيكو » وهو حانق لاضطراره للاعتراف بالهزيمة فى معــركة « كروسيدر » وهــدد بسحب الفرق الالمــانية من ليبيا • وكان هذا بداية لمناقشة الاسبوع التى جرت بين « روملِ وباستيكو » بشأن سياسة المستقبل • وقد وافق « باستيكو » على وضع جميع القوات الموجودة ببرقة تحت قيادة « روملِ » وان كان قد أصر فى الوقت نفسه على ضرورة الدفاع عن منطقة برقة من جهة الشرق ما أمكن • وقد تم الوصــول الى حل وسط وهو اعادة ما تبقى من الفرقة التسعين الخفيفة الى أجدابيا لمنع أي حركة التفاف من « جالو » أو عبر الصحراء من « طبرق » من قطع الطــريق بين بنغــازى وطرابلس • وتحــركت القوة ليلة ٩ من ديسمبر وقتل « سومرمان » نفسه فى غارة جوية بالطريق • وكان « روملِ » لا يثق كثيرا بقدرته على صد « ريتشى » مدة طويلة بموقع الغــزالة ، خاصة وأن الموقف فى الجو قد تحول ضده تحولا شديدا فى الاسبوع السابق ، ويوحى بأنه يزداد سوءا • لهذا فقد واصل الضغط لتفويضه بالانسحاب من « الجبــل » تماما • وكان رد القائد

الأعلى على هذا هو ذكر الاسباب التى من أجلها لا يحتمل ان يتمكن البريطانيون من التقدم الى ما وراء طبرق بمسافة كبيرة فترة من الزمن ، ويترك القرار بعد ذلك لـ « قائد الموقع » وهو المنصب الذى يدعيه لنفسه كل من « باستيكو ورومل » •

وبينما انقسمت آراء المحور بهذه الصورة قرر « ريتشى » مواصلة العمليات غربا بالفيلق ١٣ وحده ، وكانت قاعدته بطبرق ، بينما سحب الفيلق ٣٠ وتولى مهمة اخضاع الحاميات التى كانت لاتزال صامدة بالبردية والسلوم • وكان هذا قلب للمهام التى أعد وتدرب عليها مركز رئاسة الفيلق • واحتج « نورى » بطبيعة الحال ، ولكن احتجاجه رفض ، وحشدت الفرقة السابعة المدرعة بجميع دباباتها وكانت نحو تسعين دبابة فى ذلك الوقت تحت قيادة « جيتهاوس » أي أنها تحولت لتصبح تحت امرة « جودوين أوستن » • ولم يجد « كرويل » صعوبة تذكر فى صد « جوت ومسرفى » ابان انسحاب الفرق الايطالية من الحدود الخارجية لطبرق ، وفى ١١ من ديسمبر كان « رومل » قد وزع قوته بأكملها على مواقعها • كانت فرق المشاة الايطالية تحت قيادة « نافارينى » تغطى الطريق الساحلى بالغزالة وتمتد فى اتجاه الجنوب الغربى مسافة عشرة أميال فوق الجرف الشديد الانحدار الى « علم حمزه » حيث انضمت الى الفيلق الراكب (الميكانيكى) الذى كان يقوده الآن « اللواء بيازونى » قائد فرقة تريستا • وكان يغطى جنبه الأيسر الفيلق الافريقى بنحو أربعين دبابة قرب « سيدى برغس » ، وكانت خطة « جودوين أوستن » تقضى بوضع اللواء النيوزيلندى الخامس على الطريق الساحلى ، وان يتقدم اللواء البولندى الكارباتى الموجود جنوبى الجرف نحو العدو مباشرة بصده بالمواجهة ، بينما كان على الفرقة الهندية الرابعة التابعة « لمسرفى » ، ومعها كل ما يمكن جمعه من دبابات المشاة الباقية ، الالتفاف حول جنب العدو وتأمين « التميمى » على الطريق الساحلى، وعلى مسافة عشرين ميلا شمال غربى الغزالة وملتقى طريق يسمى « بير حلق العلبة » على مسافة نحو عشرين ميلا جنوب غربى « التميمى » بعد ذلك كان على « مسرفى » أن يتقدم نحو درنه على مسافة اربعين ميلا أخرى • وكان على « جوت » ان يحمى جنبيه المكشوفين مع الاغارة ان أمكن على خطوط تموين العدو بالتميمى والمخيلى •



شكل ٢٧ ـ دبابة كروسيدر وهى تمر بجانب دبابة المانية طراز مارك ٤ وهى تحترق



شكل ٢٨ ـ دبابة المانية طراز مارك ٣ (ج) وقد تم الاستيلاء عليها سالمة

كانت المهمة بالتأكيد من تلك المهام التى تطمح اليها فـرقة مشاة خاصـة وان الصعوبات الادارية قد أرغمت « مسرفى » على ترك لوائه الحادى عشر المضعضع .

وكانت خطة « مسرفى » تقضى بتحريك فرقته بأكملها معا (لواء « رسل » الخامس فى اليمين ولواء « بريج » السابع فى اليسـار) الى « بير حلق العلبة » رأسا وعلى مسافة تبعد أكثر من ستين ميلا :

وكان على اللواء الخامس عندئذ التحرك الى الشمال الشرقى لقطع الطريق الساحلى عند « تميمى » . غير ان هذا الطريق المباشر ، وكان أبعد ما يكون عن الالتفاف حول العدو ، أدى به لسوء الحظ الى مواقع الفيلق الايطالى الراكب (الميكانيكى) العشرين يوم ١٣ من ديسمبر .

وهكذا ، تحول التحرك الذى لم يكن ينتظر ان تصادفه مقاومة الى اقتحام للأرض الحاكمة (لعلم حمزة) ، والذى أسند الى اللواء الخامس مهمة الاستيلاء عليها . وكان هدفاه الرئيسيان هما النقطة ٢٠٨ فى الشمال الشرقى والنقطة ٢٠٤ فى الجنوب الغربى وتفصلهما مسافة اربعة اميال .

وهاجمت كتيبة البنادق الرابعة (راجبوتانا) النقطة الاولى فى وقت مبكر بعد الظهر ، ولكنها سرعان ما ان تعرضت لنيران حامية وتكبدت خسائر جسيمة . وعندئذ طلب من الكتيبة الاولى « بافس » القيام بمحاولة الاستيلاء على النقطة ٢٠٤ لتخفيف الضغط . وقد تمكنت من ذلك بغير صعوبة ، كما صدت فى وقت لاحق من ذلك اليوم هجوما مضادا يحتمل ان تكون الآريت هى التى قامت به . وفى هذه الاثناء وعلى مسافة أبعد غربا كان اللواء الهندى السابع بقيادة (بريجز) قد صادف متاعب فى محاولته الوصول الى « سيدى برغس » وهو أمر لا يكـاد يدعو للدهشة ، خاصة وان تقدمه قد أدى به الى منطقة الفيلق الافريقى رأسا .

وكان اللواء قد اكتشف منخفضا عميقا قبل « سيدى برغس » وحاول الالتفـاف حوله . وقد انتهى به هذا الالتفاف الى شمال موقع العدو ومؤخرته ، وكان من المعتقد ان ارتال جماعة السند من الفرقة السابعة المدرعة سوف تشتبك به . وعندئذ صدر الأمر « لبريجز » بمهاجمته من الشمال ، وقد تطلب هذا تحركات معقدة لحافلات جنود كتيبة السيخ الرابعة قبل ان تتمكن من اتخاذ وضع التشكيل للهجوم ، ولهذا فقد أرسلت مدافع كتيبة مدفعية الميدان الخامسـة والعشرين



شكل ٢٩ ـ دبابة ماتيلدا ودبابة ألمانية طراز مارك ٢



شكل ٣٠ ـ مدفع ألمانى عيار ٨٨ ملم مضاد للدبابات بالقرب من بير جوبى
(كل حلقة على السبطانة تشير الى تدمير دبابة . وتوجد ٢٥ حلقة)

للعمل كستار مضاد للدبابات للمشاة أثناء نزولها من الحافلات ، ولتمكينها أيضا من بدء تسجيل أهدافها للهجوم ، ولكنها لم تكد تبدأ فى تسجيل أهدافها حتى ظهرت من الغــرب قوة وصفت بأنها اربعون دبابة معادية مدعمة بالمدفعيــة ، ومصحوبة بمشاة محملة بشاحنات • كانت تلك القوة هى فرقة البانزر الخامسة عشرة بكل تأكيد • وانسحب « السيخ » بحذر ، ولكن المدافع دعمت باثنتى عشرة دبابة فالنتاين من كتيبة الدبابات الملكية الثامنة ، ومزيد من المدافع المضادة للدبابات قبل ان تفتح كتيبة مدفعية الميــدان الخامسة والعشرون نيرانها على مسافة ١٢٠٠ ياردة • وقد أعقب ذلك قتال ضار أدعى فيه المدفعيون تدمير اثنتى عشرة دبابة نظير فقد سبعة ضباط وثمانية وخمسين جنديا وهى خسارة جسيمة لمثل هــذه الوحدة • وقد وصف هذه العملية الرائد « فيليب تاور » فى كتاب المدفعية الملكية التذكارى :

« بعد تقلبات كثيرة فى المعركة التى بدأت فى نوفمبر عام ١٩٤١ وتحقق هدفها الرئيسى ، وهو فك الحصار عن طبرق ، وكان الجيش الثامن يتقدم الآن غربا ، ولم يحدد التقدم تحديدا واضحا ، وبعد الهزيمة الحاسمة التى منى بها الفيلق الافــريقى ، بدأ الناس يتطلعون بسرور الى درنة وبنغــازى بمناســبة عيد الميــلاد •

كانت الفرقة الهندية الرابعة هى عماد القوة الممكن تدبيرها لهذا التقدم • وبحماية اللواء الرابع المدرع لجنبها انجنوبى كانت الفرقة تتحرك فى التشكيل الصحراوى السليم نحو الغزالة صباح يوم ١٣ من ديسمبر عام ١٩٤١ • ونظرا للخبرة الطويلة بالفيلق الافريقى فان أحدا بالفــرقة لم يفاجأ حقا عندما أفادت الانباء فى الصباح الباكر بوجود موقع تعطيلى صغير للعدو فى طريق مجموعة لواء المشاة الهندى السابعة التى كانت تشكل الجزء الجنوبى لتشكيل الفرقة المتحرك •

وأمر العميد « بريجز » ، قائد اللواء السابع ، كتيبة السيخ الرابعة بازالة هذا الموقع لامكان مواصلة التقدم • وسارعت كتيبة مدفعيــة الميدان الخامسة والعشرون ــ وهى جزء من مجموعة اللواء ــ بمساعدة هجومها • وبينما كان السيخ متقدمين فى شــاحناتهم حمولة ثلاثة أطنان وصلت ١٢ دبابة فالنتاين من كتيبة الدبابات الملكية الثامنة للمساعدة عند الحاجة • وما كاد السيخ يرقون بسركباتهم الارتفاع المنبسط المؤدى الى هضبة « سيدى برغس » التى كان يقع

خلفها موقع العدو وصلت رسالة مزعجة تفيد وجود بضع دبابات المـانية ، وهو أمر لم يكن متوقعا على الاطلاق •

ولم يكد هذا النبأ يستوعب ، حتى وردت أنباء أخرى تفيد بأن الأمر غير مقصور على بضع دبابات المـانية ، وانما يرجح ان يصل عددها الى ٢٥ دبابة على الأقل مصحوبة بمدافع ذاتية الحركة ومشاة محملة بشاحنات ، وانها لا تبعد عن ٦٠٠ ياردة وأنها تتقدم نحو اللواء السابع تقدما حثيثا ، وبنية عدائية سافرة •

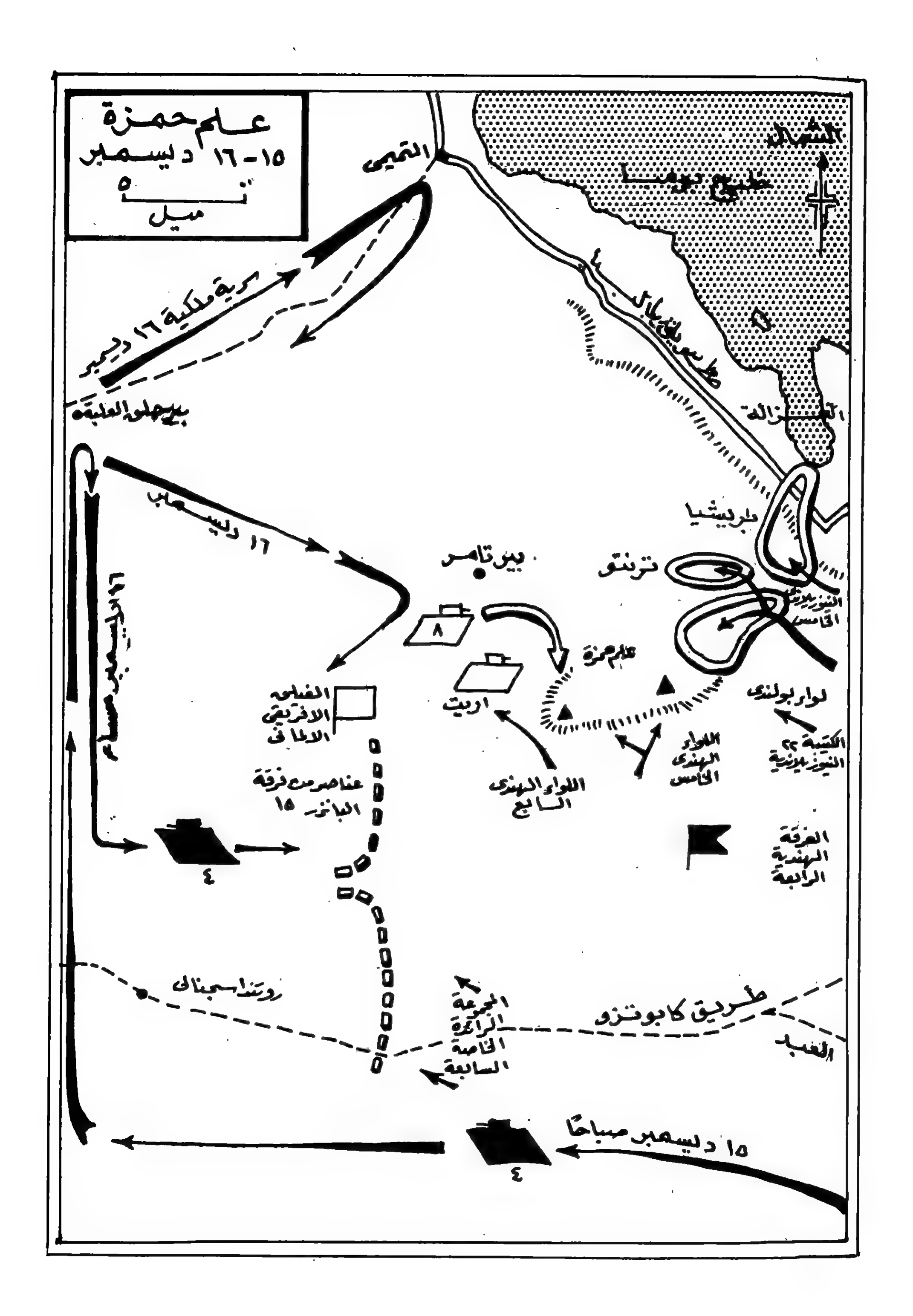
وكان من الواضح ان السيخ الذين كانوا ما يزالون بشحناتهم وعلى أهبة الاستعداد للهجوم لا يستطيعون أن يفعلوا بشاحناتهم شيئا على الارض الصحراوية المنبسطة المكشوفة لصد الدبابات الألمـانية ، لهذا أمرهم العميد (بريجز) فورا بالانسحاب الى منطقة رئاسة اللواء على بعد نحو ١٠٠٠ ياردة خلف موقع كتيبة مدفعية الميدان الخامسة والعشرين • وبهذا أصبحت الصحراء مفتوحة لمعـركة بين قوة ألدبابات الالمـانية وكتيبة مدفعيـة الميدان تدعمها ١٢ دبابة ، وبعض مدافع البوفرز المقطورة ، ومدافع ٢ رطلا المضادة للدبابات • تلك كانت القوة التى حالت دون الالمـان وتحقيق هـدفهم وهو شل تقدم الجيش الثامن نحو الغـرب •

وقد دخلت كتيبة مدفعية الميدان الخامسة والعشرون هذه المعركة بأنسب طريقة لمعاونة هجوم السيخ ، ولكن كالعادة بتشكيل اختير بعناية لملاقاة الدبابات وكانت سرية المدفعية رقم ٣١ / ٥٨ فى الامام ــ الفصيلة (د) فى اليسار والفصيلة (هـ) على مسافة ٥٠٠ ياردة يمينها ، وكانت سرية المدفعية ١٢ / ٢٥ على نحو ٩٠٠ ياردة فى الخلف ، وكانت فصيلة مدافع بوفرز من كتيبة المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات رقم ٥٧ ومجموعة من الدبابات فى اليسار ، بينما كانت المدافع ٢ رطلا التابعة للكتيبة « يومانرى نورفولك » موزعة فى مواقع مناسبة بالثنيات الارضية التى يجدها المرء بالصحراء المكشوفة ــ كانت هذه المنطقة أقل انبساطا من المعتاد ، وكان بها رقع من الحشائش هنا وهناك •

كانت سرعة تقدم العـدو أبطأ مما كان متوقعا ، ولم تبدأ نيران العـدو فى السقوط بغزارة بين المدافع حتى الساعة الثالثة مساء • وسرعان ما أفادت نقاط الملاحظة ان العدو كان يزحف مباشرة نحو الفصيلة (د) من الجانب الايسر •

وبدأ النقيب « لنتون » قائد الفصيلة والرائد « نيول » قائد السرية الذى انضم اليه فى الانسحاب تدريجيا نحو المدافع • وازداد القصف وأصبح أكثر دقة ، بينما كانت الدبابات تتقدم ببطء تحت نيران المدافع ذاتية الحركة بمؤخرتها ، وواصل مدفعيو السرية ٣١ / ٥٨ امساك نيرانهم حسبما تعلموا وبهذا تجنبوا كشف مواقعهم بالضبط لدبابات العدو التى بدأت الآن تظهر من وراء القمة الصغيرة التى تبعد ٢٠٠٠ ياردة للامام • وازداد ظهور الدبابات فوق القمة حتى أمكن رؤية ما لايقل عن ٣٩ دبابة وهى تزحف الى الامام • وأخيرا اصبحت على مسافة قريبة وآن للفصيلة (د) ان ترد على بعض النيران التى عانتها طويلا فى صمت • واشتدت حرارة المعركة وكان الرائد « ولنتون » قد عاد وأصبح بين مدافع الفصيلة (د) حيث تسببت نيران المدافع الرشاشة المسددة من الدبابات فى وقوع خسائر جسيمة ، فقد عطل أولا مدفع الرقيب (ليجات) وعندما اقتربت الدبابات بعد ذلك بدأت المقطورات تشتعل واحدة بعد أخرى ، وتصاعد عدد الجرحى • ولكن المدافع الثلاثة الباقية من الفصيلة (د) واصلت القتال ، وسرعان ما احرق عدد كبير من الدبابات • وراحت تقترب وتقترب وفى النهاية تم اسكات جميع المدافع بفعل وطأة التفوق العددى المحصن ، وقد جرح الرائد « نيول » كما جرح قائد فصيلته وغيره من الجنود ، ولكنه أمر الجرارات والشاحنات التى كانت ما زالت صالحة للتحرك بنقل الأحياء من الموقع •

وطوال هذا الوقت الذى كان يبدو طويلا وان كان فى الواقع قصيرا كانت الفصيلة (هـ) مختفية جزئيا عن العدو بفضل نتوء صغير فى الارض الى جانب غبار المعركة ودخانها • وكانت الفصيلة (د) تقترب بسرعة من نهاية مقاومتها عندما انضمت الفصيلة (هـ) اليها فى المعركة • وفى هذه الاثناء كان النقيب « جورج ماسترزر » قد انضم اليها بعـد تركه لنقطة الملاحظة كارها ، وبدأ الجميع قتالا جـديرا بفصـيلة شقيقة • ولكن الموقف لم يتغير عما كان عليـه ، فقد كانت الدبابات الالمـانية لا تزال كثيرة العدد ، وكانت المدافع ذاتية الحركة والمشاة المحملة فى شاحنات ترى وهى تزحف وراءها ، وعند اقترابها مارة بحطام مدافع الفصيلة (د) وجـراراتها بدأت وطأة المدافع الرشاشـة ونيران القذائف تنال تدريجيـا من الفصيلة (هـ) وان ظل جنـودها يطلقون النيران بعنف وضراوة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وأخيرا ومن خلال الغبار والدخان ووسط أكوام



علم حمزة
١٥-١٦ ديسمبر
ميل
الشمال
خليج بومبا
التميمي
بيرحلو العلبة
الغزالة
طريق بلبو
طريق كابوتزو
الغبد
تمبيشيا
ترنتو
بيرتامر
علم حمزة
اوريت
الفيلق الافريقي الالماني
عناصر من فرقة البانزر ١٥
اللواء الهندي الرابع
اللواء الهندي الخامس
لواء بولندي
الكتيبة ٢٢ النيوزيلندية
الفرقة الهندية الرابعة
المجموعة الدائرة الخامسة السابعة
رونتا سجناك
١٦ ديسمبر
١٥ ديسمبر صباحًا
١٦ ديسمبر مساء
سرية ملكية ١٦ ديسمبر

أظرف « الخراطيش » الفارغة كان من الممكن رؤية « ماسترز » الجريح والرقيب « بارتون » ــ رقم ١ الوحيد الباقى ــ وهما يطلقان آخر مدفع فى الفصيلة ، ثم أصيب المدفع ، ومرة أخرى وسط المقطورات والمركبات المحترقة انتزع الجرحى على مرأى ومسمع من الدبابات الالمانية الظافرة • لقد حانت الآن اللحظة الحاسمة للعدو • كان يبدو له ان لا شىء يستطيع ان يحول دون اختراقه لقلب اللواء السابع غير المحمى والذى لا يبعد سوى ٤٠٠٠ ياردة أمامه •

لا شىء حقا ، كان يستطيع ذلك سوى سرية المدفعية رقم ١٢ / ٢٥ التى كانت حتى الآن مشتبكة مع المدافع والمشاة فى المؤخرة ، وبينما كانت الدبابات الالمانية مندفعة الى الامام ، فتحت المدافع الثمانية الجدد نيرانها عليها فجأة ، وكانت مدافع البوفرز ، وحاملات المدافع ٢ رطلا الباقية من المعركة السابقة ، بالاضافة الى دبابات فالنتاين تزودها بالنيران من المواقع الجانبية • وواصل الالمان تقدمهم • ترى هل كانت سرية المدفعية رقم ١٢ / ٢٥ ستكتسح بدورها ؟

ولكن وطأة القتال اشتدت على العدو فقد ترك وراءه كثيرا من الدبابات المحترقة ، ولم يكن ليتحمل خسارة المزيد منها • ولما كان عليه ان يواجه مدافع السرية ١٢ / ٢٥ ويتغلب عليها ، فقد قرر وقف القتال ، وعند هبوط الليل على الصحراء خفت حدة نيرانه وبدأت أشباح دبابات الفيلق الافريقى الداكنة تختفى •

لقد عطلنا ١٤ دبابة للعدو ، وخسرنا سرية مدفعية ، ولكن مدافعها أصلحت لقد انقذت كتيبة مدفعية الميدان الخامسة والعشرون اللواء السابع ، كان اليوم يوم انتصار لنا وفى اليوم التالى استمر التقدم نحو الغرب من جديد •

كان الظلام قد هبط الآن وولى الالمان الأدبار نحو الغرب ، بينما كان المدفعيون يجمعون الخسائر ، ويصلحون المدافع التى اشترك معظمها فى القتال فى اليوم التالى •

لقد اتضح الآن على الاقل ان « مسرفى » لم يلتف حول مواقع العدو وان فرصته ضئيلة فى الوصول الى أهدافه الاصلية دون الاستعانة بالغير ، وكانت دبابات « جوت » فى هذه المرحلة على مسافة بعيدة الى الجنوب الشرقى ، بينما كان مجموع الدبابات الموجودة مع الهنود لا يجاوز الاربع والعشرين دبابة ،

وربما كان أقل من ذلك ، لهذا كانت الخطوة الاولى « لجودوين أوستن » هى دعوة جوت الى دفع « جيتهاوس » الى الامام ، حتى يصبح فى وضع يسمح له بالقيام بمهمة الالتفاف المسندة أصلا الى « مسرفى » مع ارسال جميع دبابات المشاة الممكن وصولها هناك فى حينه ــ دبابات ويلسون الاثنتان والعشرون ــ للانضمام الى ألوية « مسرفى » • ولكن المسافات كانت شاسعة ، وكانت الدبابات فى مراحلها الاخيرة ، أما التموين الذى تواصل ارساله الى طبرق أخيرا ، فكان مصدر عناء مستمر • ولم يفد أى تحرك من هذه التحركات فى مساعدة « مسرفى » مساعدة تذكر يوم ١٤ وطلب منه بذل محاولة للاستيلاء على هضبة « علم حمزة » الهامة أثناء النهار • وكانت محاولات الهجوم بالمشاة المدعمة تدعيما بسيطا بالمدفعية والدبابات بالصحراء المكشوفة فى وضح النهار غير فعالة ، وباهظة التكاليف كالمعتاد ، وهكذا تركت كتيبة « بافس » بالنقطة ٢٠٤ شبه معزولة وسط القوات الميكانيكية للعدو الذى اكتفى بالاستكشاف ، والهجمات الاختبارية بواسطة الآريت • وقد تم صدها بغير صعوبة •

وكانت خطة « جودوين أوستن » ازاء فرقة البانزر الخامسة عشرة تجديد الهجوم المباشر على طول خط الغزالة مع التفاف الفرقة السابعة المدرعة حول جنبها المكشوف والانقضاض عليها من المؤخرة ، وكانت ارتال جماعة السند قد أبلغت عن وجود قوات معادية ــ لا شك أنها وحدات استكشاف ــ بالجنوب حتى طريق العبد ، وعلى مسافة خمسة عشرة ميلا جنوبى « سيدى برغس» • لهذا كان على « جيتهاوس » ومعه نحو تسعين دبابة التحرك غربا وعلى مسافة أبعد الى الجنوب ، ثم التحول شمالا مسافة عشرين ميلا تقريبا ، والتوجه الى « بير حلق العلبة» الذى كان من المنتظر ان يصل اليه حوالى الساعة الحادية عشرة يوم ١٥ بعد رحلة طولها سبعون ميلا يتزود فيها بالوقود مرتين • وكان المقصود من ذلك مساعدة الهجوم الجديد للواء الهندى الخامس على « علم حمزة » ، على مسافة اربعين ميلا الى الجنوب الشرقى ، والذى كان من المقرر بدؤه فى ذلك الوقت وانتهاؤه عند الظهر ، وفى الشمال كان على النيوزيلنديين (الذين نهاهم « فرايبرج » عن الهجوم دون معاونة كافية من المدفعية ــ وكان تدخلا بعيد المدى أدى الى نزاع) والبولنديين محاصرة المواقع الايطالية بالجرف شمالى الغزالة • وكان على « مسرفى » عندئذ ان يسير قدما الى أهدافه الاصلية •

وقد سارت الاحداث سيرا مختلفا كل الاختلاف عن الخطة ، فقد وجد اللواء الرابع المدرع ان الطريق أسوأ بكثير مما كان متوقعا. ولم يبطىء هذا من مسيرته فحسب ، بل جعله أيضا يستخدم وقودا أكثر بكثير مما كان مقدرا ، ولم يصل الى غايته حتى الساعة الثالثة ، ورغم تزوده بالوقود مرتين ، فقد كاد معينه من البنزين ينضب ، حيث لم تزود أنساقه التى كانت ما تزال على مسافة بعيدة • وقد وصف « سيرل جولى » تحرك اللواء فى كتاب « خذ هؤلاء الرجال » :

كانت شمس الصباح قد بدأت ترسل أشعتها الاولى لتضىء السماء شرقا عندما تحركنا غربا ، وعندما غمرت الضياء السماء وامتدت الاشعة الذهبية تدريجيا لتغمر مساحات أكبر من الصحراء ، كنا قد انتشرنا وتباعدت الشقة بيننا أكثر فأكثر • وفى الامام بينما كانت دبابتى تعلو كل قمة على خط السير ، كنت أرى سريتى وقد انتشرت مسافة ٥٠٠ ياردة عن يمينى ويسارى • وكنت أرى قادة الفصائل الثلاثة وقد أحاطت بهم دباباتهم وهى تفتش الارض التى امامها بحثا عن العدو وتشق طريقها بحذر خلال الاراضى الوعرة ، وفيما وراء قواتى كنت ألمح بين حين وآخر سيارة مدرعة وهى تستكشف وتنقب على مسافة ميلين أمامى • وعندما نظرت خلفى رأيت الصحراء حافلة بأعداد كبيرة من المركبات من جميع الانواع ، وخلف مجموعة الدبابات الصغيرة التابعة لمركز رئاسة « كينيرد » كانت مركبة القيادة المدرعة الرملية اللون تتهادى ببطء وكأنها دجاجة أم • وعن يمين مركز رئاسة اللواء ويساره ، كانت المدافع والمشاة •• الجنب الشمالى تحميه كتيبة الدبابات الاخرى وقد تناثرت فى خط منتشر ، يمتد من جنبنا الخارجى حتى المؤخرة • وكان مشهدا ملهما • ومما زاده الهاما ، أننا جميعا ميالون الى تنفيذ احدى المهام التقليدية للتشكيلات المدرعة ، وهى الالتفاف حول جنب العدو المكشوف ومهاجمته من الخلف ، لقد ذكرنى ذلك بالمسيرة الى « بيضافم » وودت لو كانت النتائج حاسمة مثلها •

واستمرت مسيرتنا طوال النهار ولم تتخللها سوى وقفة واحدة للتزود بالوقود ، وخلال وقفة العشرين دقيقة القصيرة وأثناء قيام شاحنات البنزين بعملية التوزيع تمكنا من تناول الشاى مع وجبة سريعة من لحم البقر المعلب والبسكوت ، ثم استأنفنا مسيرتنا ثانية • وكان الطريق يمر جنوبى المناطق التى

لم يرها أحد منا من قبل،وبعد الصحراء السهلة نسبيا جنوبى طبرق أدهشنا وضايقنا ان تتعطل مسيرتنا بسبب اضطرارنا الى عبور جوانب الوديان الشديدة الانحدار والتى كان من المتعذر العثور على طرق أسفلها ، ثم كان علينا ان نبحث عن الطرق الصالحة للسير عند صعودنا ثانية على الجانب الآخر ، لا للدبابات الخفيفة الحركة نوعا ، ولكن لشاحنات الذخيرة والوقود الثقيلة الحمولة ، ولقاطرات المدافع أيضا •

وقبيل الظهر اعترضت طريقنا مساحة كبيرة من المياه • وكان وجود المياه أصلا مفاجأة لنا أما حجم المنطقة المغطاة بالمياه فكان مفاجأة أكبر • كانت الارض فى الجو الجاف عبارة عن مقلاة من الطين ، غير ان الوقت لم يسمح لامطار نوفمبر الغزيرة بالتسرب فى القشرة الطينية شبه الصامدة للمياه بعد ان قددتها الشمس •

وأبلغ « كينيرد » اللواء بوجود عائق ، وكانت ثمة وقفة مؤقتة حتى تلقينا الأوامر الجديدة • وقال أخيرا :

« سننعطف شمالا هنا • تحركوا الآن ، سوف ننعطف يمينا ونسير فى نفس التشكيل على الخط الجديد ، أسرعوا ما استطعتم حيث أننا نحتجز كل من وراءنا لحين وصولنا الى مكاننا وبمجرد ان نصل جميعا الى الخط الجديد ، سوف نتوقف ونتزود بالوقود من جديد • هيا » •

ولم تكن المناورة معقدة كما بدت ، ولكن طبيعة الارض الوعرة تسببت فى بعض التأخير • وانتهت فى النهاية وتحركنا قدما بسرعة أكبر فوق منطقة انبسطت فجأة وأصبحت خالية من الموانع •

واختفى بطء مسيرتنا الاخيرة وصعوبتها فى سرعة تقدمنا وسهولته ، وهنا توقفنا مرة أخرى للتزود بالوقود •

وقبيل الظهر واصلنا مسيرتنا وسرعان ما أصبنا الحافة الجنوبية لمنطقه مغطاة بالصخور والاحجار الضخمة • وأبطأت المسيرة بعض الوقت ، بل لم تكن ملحوظة فى بعض الأحيان حيث كانت الدبابات القائدة تبحث عن المسالك الصالحة للمرور •

وعندما عدت بفكرى الى تقدمنا الى « بيضافم » أدركت أن هذه المنطقة ربما كانت الحد الشرقى للحزام الوعر الذى عطل تقدمنا فى تلك المناسبة • ومع

اضطرارنا للتحرك ببطء انتظمت المسيرة . وبعد نحو ساعتين صاح بيتر فرحا : شكرا لله فقد أصبحت الارض ملساء لا أثر فيها للصخور الضخمة وان تخللتها النباتات .

ولكننا لم نتمكن عندئذ من التحرك بالسرعة التى نريدها ، حيث كان علينا أن نساير حركة حشد المركبات المتحرك وراءنا وكان بعضها وخاصة شاحنات التموين متهالكا مثقل الحمولة ، وفى النهاية وبعد مزيد من التأخير أمرنا بمواصلة السير ، وترك المركبات لتلحق بنا بأسرع ما يمكنها .

لم تقابل هذه القوة العدو ، ولم يكن لها تأثير مباشر على المعركة التى اشترك فيها « مسرفى » . ورغم استخدام عدد أكبر من الدبابات وكتيبة جديدة هى كتيبة البنجاب الثالثة (من اللواء الاول) فقد اقتصرت النتيجة على زيادة كشف الخسائر فى الجنود والدبابات على السواء . أما البولنديون والنيوزيلنديون فقد كانوا أفضل حالا فى الشمال ولكنهم اخفقوا فى زحزحة أعدائهم ـ بافيا وتورنتو وبرشيا . فقد صد الايطاليون كلا الهجومين ، مما أطلق الحرية (لكرويل) لاستخدام فرقة البانزر الخامسة عشرة بدباباتها الثلاث والعشرين (كانت فرقة البانزر الحادية والعشرين تملك ١٩ دبابة فى ذلك اليوم) ضد كتيبة « بافس » العاثرة الحظ بالنقطة ١٠٤ . وتحت ستار قصف المدفعية والدبابات ماركة ٤ حاصرت الفرقة الموقع بأكمله حتى أصبحت كتيبة مدفعية الميدان رقم ٣١ تحت رحمة نيران المدافع الرشاشة ـ وبعد فترة من القصف العنيف بالنيران من جميع الأنواع ومن كل صوب وحدب زحفت الدبابات رأسا ، يتبعها عن قرب مشاة البانزر الذين تكبدوا خسائر فادحة . وقد استمرت العملية من الساعة ٢ حتى الساعة ٣٫٣٠ وقد تم أثناءها اكتساح الموقع تماما وسقط نحو ألف جندى فى أيدى العدو بين قتيل وجريح وأسير .

وكان « جودوين أوستن » يعلق آماله الآن على « جيتهاوس » . وكان قد طلب من « جوت » الهجوم من مؤخرة العدو المواجه « لمسرفى » الذى كان عليه أن يعزز موقعه . وكان يتعين ارسال رتل أيضا لقطع الطريق بتميمى . غير ان هم « جوت » الاول كان تزويد « جيتهاوس » بالوقود . وكانت الطريقة الوحيدة للتعجيل بذلك ، تحرك الاخير جنوبا نحو خطوطه . وقد قام معظم اللواء بذلك

بينما توجهت سرية منه الى تميمى حيث أصابت بضع دبابات وأسرت أسيرا واحدا قبـل ان تنسحب بسبب نقص الوقود ، كذلك فقد تحـركت سرية من كتيبة الدبابات الملكيـة الثالثة ، بكل ما أمكن توفيره من وقود وذخيرة ، شرقا نحو « بير تمراد » •• وكان من المعتقد ان « رومل » موجود بها ، وقد أدى بها هذا التحرك الى مؤخرة فرقة البانزر الخامسة عشرة حيث فقدت عددا من الدبابات ثم انسحبت الى الجنوب الغربى ، وكان باقى اللواء قد تحرك ١٥ ميلا الى الجنوب قبل ان يتزود بالوقود ، كما تحرك بعد ذلك عشرة أميال شرقا ليواجه بعض مدافع (لعلها تابعة لفـرقة البانزر الحادية والعشرين) تبـادل معها نيران غير هادفة باقى اليوم •

وكانت النتائج المباشرة لهذه المناورات مخيبة للآمال ، ومؤيدة « لرومل » فى رأيه القائل : بأنه لن يضيع لحظة واحدة فى سبيل الابقاء على جيشه •

وقد كتب « رومل » للقائد الأعلى يقول : بعد اربعـة اسابيع من القتال المتواصل الباهظ التكاليف ، ظهرت بوادر التداعى على القوة القتاليـة للجنود ــ رغم الانجازات الفردية الرائعـة ــ وقد تفاقمت الحال مع نضوب الامداد بالاسلحة والذخيرة تماما • وبينما يعتزم الجيش مواصلة الاحتفاظ بالغزالة خلال يوم ١٦ من ديسمبر فسوف يكـون التقهقر عن طريق المخيلى ــ درنه ــ أمـرا لا يمكن تجنبه فى موعد أقصـاه ليلة ١٦ من ديسمبر ، اذا قدر له الافلات من محاصرته والقضاء عليه بواسطة جيش يفوقه •

وكان هذا مما دعا « كافاليرو » الى الاسراع الى مركز رئاسة « رومل » فى اليوم نفسه ، وقد وصف « رومل » فى يومياته ما حدث :

« فى اجتماعى الساعة ١٥ر١٥ بالفريق « كافاليرو » ذكرت أنه نظرا لتطور الأمور فانه لم يعد امامى سوى حل واحد وهو وقف القتال جنوبى خليج عين الغزالة وتميمى على التوالى • فقد حاصر العدو هذه الجبهة بأكملها وأصبح طريق النجاة الوحيد الباقى شريطا ضيقا خلال تميمى • هذا الى جانب ان الجنـود الايطاليين كانت تعوزهم الروح القتالية ، ولم يبد « كافاليرو » أى اعتراض فى ذلك الوقت •

غير أنه ظهر فى الساعة ٢٣٠٠ بمركز رئاستى ثانية ، وكان يصحبه فى هذه المرة المشير « كيسلرنج » وصاحب السعادة « باستيكو » والفريق « جامبارا » وفى صوت حافل بالانفعال طلب سحب أمر الانسحاب حيث لم ير ضرورة لذلك ، وكان على أية حال يخشى ما سيترتب على ذلك من أزمات سياسية « للدوتشى » اذا سقطت برقة ، وقد أيده « كيسلرنج » بشدة وقال : ان من المتعذر عليه تماما التخلى عن مطار درنة • ولكننى تمسكت بموقفى ، وقلت ان الوقت قد فات وانه لم يعد بوسعى تغيير قرارى ، فقد صدرت الأوامر بل وتم تنفيذها فعلا فى بعض الجهات ، واذا لم تشأ مجموعة البانزر ان تواجه القضاء عليها قضاء مبرما فانه لم يعد امامها سوى القتال لشق طريقها عائدة من خلال العدو أثناء الليل ، وكنت ادرك تماما ان هذا يعنى سقوط برقة وانه يترتب على ذلك أزمات سياسية •

ولكن لم يكن أمامى خيار سوى البقاء حيث كنت ، والتضحية بمجموعة البانزر — وبهذا أفقد كلا من برقة وطرابلس معا — أو البدء فى الانسحاب تلك الليلة وشق طريقى عائدا عن طريق برقة الى منطقة اجدابيا ثم ادافع فى النهاية عن منطقة طرابلس • ولم يسعنى سوى اختيار الحل الاخير • وفى ذلك المساء ثار صاحب السعادة « باستيكو » و « جامبارا » ثورة عارمة فى غرفتى حتى اضطررت فى النهاية الى سؤال « باستيكو » عن رأيه فى علاج الموقف بوصفه قائدا عاما لقوات شمال أفريقيا • وتجنب « باستيكو » سؤالى وقال : ان هذا ليس من شأنه كقائد عام وانه لا يسعه ان يقول شيئا سوى انه يتعين علينا المحافظة على استمرار وجود قواتنا معا • وأخيرا غادر الوفد مركز رئاستى دون ان ينجز شيئا •

كان « ريتشى » و « جودوين أوستن » قد تبينا الآن أن « رومل » ينسحب فبعثا الى « جوت » برسائل عاجلة للتصدى له • وكانت قوة الصحراء الجوية التابعة « لكونجهام » مستعدة ومتعطشة للقتال ولكن المناورات المعقدة المزمع اجراؤها عند مؤخرة العدو وتوقع عودة تشكيلات المشاة الى خط الغزالة حرمها من حرية مهاجمة العدو ، كما كان بوسعها ان تفعل • كان عليه الآن ان ينسحب خلسة ليلا بحيث يتولى « كرويل » قيادة بقايا الفيلق الافريقى وفيلق بياتزونى الميكانيكى غربا بحذاء الحافة الجنوبية للجبل ، بينما تلتف فرق مشاة نافارينى من الطريق الساحلى وتتوقف فى المخيلى ودرنة على التوالى •

وفى يوم ١٧ حاول « باستيكو » و « كافاليرو » ايقاف « رومل » على هذا الخط ولكن ما ان تواترت الانباء بأن أحد ارتال (جوك كامبل) قد وصل الى (تنجدر) على مسافة اربعين ميلا جنوبى المخيلى (كان فى طريقه اليها ، ولكنه لم يكن قد وصل بعد) حتى واصل انسحابه مرة أخرى متجاهلا احتجاجاتهما ، ولم يكن (ريتشى) يتوقع مثل هذا الارتداد المفاجىء عن عين الغزالة • لهذا فقد كلف « جوت » بالتوجه الى « المخيلى » « ومسرفى » الى (لملودة) غربى درنه كما وضع لواء حرس ماريوت تحت قيادة (ريتشى) مباشرة لارساله الى بنغازى رأسا • هـذا بينما كان على «ريد » ان يستأنف زحفه الذى طال تأجيله من جالو الى اجدابيا • وكان رحيل « رومل » العاجل يعنى أنه رحل قبل امكان بدء تنفيذ أية مهمة من المهام سالفة الذكر ، وقد كلف « جوت » بتحريك « كامبل » من المخيلى غربا الى (الخروبة) ثم الزحف على بنغازى ذاتها • وقد تكالب الجو والطريق والمؤن جميعا على النيل من أية قوة مهما كانت سرعتها وقد زاد من اضعاف رءوس السهام تباعد الشقة بين مهامها مع تكرار تغيير الأوامر •

وكانت النتيجة العامة انه برغم المتاعب التى لاقتها قوة « روملى » فقد استطاعت ان تسبق مطارديها • ففي يوم ٢٢ من ديسمبر وصل الفيلق الافريقى الى منطقة « بيضافم ـ عنتيلات » وقد دعم بوصول ٢٢ دبابة فى حينها الى بنغازى بحرا يوم ١٩ (وصلت ٢٣ دبابة أخرى الى طرابلس فى نفس اليوم كما أغرقت ٤٥ دبابة أخرى يوم ١٣) • وقد انضمت فرق تورنتو وبافيا وبولونيا الى الفرقة التسعين الخفيفة بأجدابيا بينما كانت « بريشيا » ما تزال فى بنغازى • وكانت « ترينتا » بـ « سلوق » بينما كانت الآريت جنوبى الفيلق الافريقى • وانقسمت الارتال الخفيفة للسيارات المدرعة والمشاة الميكانيكية ذات القوة الهجومية البسيطة لمواجهة العدو • وقد استطاعت « بريشيا » النجاة من بنغازى ليلة ٢٣ دون ان تتعرض لأدنى ضرر ، وكانت الدبابات الوحيدة التى ارسلت الى الامام هى دبابات الكتيبة الملكية الثالثة التى أدمت فرقة البانزر الخامسة عشرة أنفها فى ذلك اليوم قرب « عنتيلات » فقد أخطأ « ريتشى » و « جودوين أوستن » التوفيق عندما توهما ان القوة الرئيسية للعدو ما زالت على مسافة أبعد شمالا قرب بنغازى •

وعلى هذا الافتراض كان من المرجو ان تكون ليلة عيد الميـلاد تكرارا للعملية الاعتراضية الناجحة التى قام بها « أوكونور » ببيضافم فى العام السابق • وهكذا تحرك اللواء الثانى والعشرون المدرع المجدد ومعه ثمانى دبابات قتال وثلاثون دبابة « ستيوارت » من (المخيلى) يوم ٢٣ ووصل الى (ساونو) حيث نفد منه الوقود ولم يتزود بشىء منه لمدة ٢٤ ساعة • وكانت هذه القوة تمثل الحرس الامامى للفـرقة الاولى المدرعة التى كانت بسبيلها الآن لتغيير الفرقة السابعة • وفى هذه الاثناء كان « كرويل » قد حشد قواته على مسافة أبعد الى الجنوب قرب « أجدابيا » حيث ارسل « جودوين أوستن » لواء الحرس الثانى والعشرين لمهاجمته بينما التف اللواء الثانى والعشرون المدرع حوله من جهـة الجنوب يوم ٢٧ • ولم يفد هذا بشىء ولكن عنـدما اكتشف « كرويل » بعد الشقة بين اللواءين قرر أن يستغل الموقف ، لهذا فقد هجم يوم ٢٨ بجميع دباباته الستين (١٦ خفيفة و ٤٤ متوسـطة) ضـد دبابات سكوت كوكبرن التسعين (٥٥ دبابة قتال و ٣٥ دبابة ستيوارت) • ونظير خسارته سبع دبابات أطاح بسبع وثلاثين دبابة من قوة الاخير • واعادة الكرة بعد يومين عندما عطل ثلاثا وعشرين دبابة من اثنتين وستين • وكان من نتيجة هاتين اللطمتين العنيفتين ابعاد « جودوين أوستن » عن مؤخرته وواصل « رومل » انسحابه الى مكان راحته المختار عند « العقيلة » فيما بين يومى ١ ، ٦ من يناير وقد ساعده على ذلك سوء الاحـوال الجوية •

وبينما كان نجاح « الكروسيدر » يتبدد تحت الأمطار وبين الكثبان الرملية والمستنقعات الملحـة قرب « العقيلة » كان « نورى » يقوم بتطهير المنطقـة من الحاميات العاثرة الحظ التى تركها « رومل » وراءه عند الحدود • وهوجمت البردية بواسطة فرقة جنوب أفريقيا الثانية ، ولواء دبابات الجيش الاول فى آخر أيام السنة ، وبعد خسائر بلغت ١٣٩ قتيلا و ٢٩٥ جريحا استسلمت الحامية يوم ٢ من يناير وأفرجت بذلك عن ١١٧٧ أسيرا بريطانيا من بينهم كثير من جنوب أفريقيا ونيوزيلنده • وبعد أسبوعين آخرين استسلمت حامية الحلفاية المنعزلة أيضا قبل مهاجمتها ليصبح مجموع من وقع فى الأسر فى هاتين العمليتين ١٣٨٠٠ أسير • وقد أدى هذا الى رفع مجموع خسائر المحور منذ ١٨ من نوفمبر الى

٣٨٣٠٠ من قوته الاجمالية وقدرها ١١٩٠٠٠ • وقد قتل ٢٣٠٠ (مناصفة بين الالمـان والايطاليين تقريبا) وجرح ٦١٠٠ معظمهم من الالمـان وفقد ٢٩٩٠٠ منهم ١٩٨٠٠ ايطالى • وكانت القوة الاجماليـة للقوات البريطانية مطابقة لقوة المحور تقريبا حيث بلغت ١١٨٠٠٠ • وقد تكبدت خسائر أكبر فى القتلى والجرحى ــ ٢٩٠٠ ــ ٧٣٠٠ ولكن المفقودين كانوا أقل بكثير ــ ٧٥٠٠ ــ بل هو أقل بكثير من المفقودين الالمـان وحدهم • غير ان خسائر البريطانيين المـادية ــ اذا استبعدنا الخسائر البـحرية ــ كانت أكبر حيث كانوا يملكون امكانيات أكبر واستعواضات أكبر ، ولم تكن هذه الموازنة فى صالحهم فحسب بل تم أيضـا ازاحة خصومهم من برقة واسترداد مطارات (النتوء) الهامة • لهذا كانت معركة « كروسيدر » نصرا هاما لا شك فيه •

وليس بوسع أحـد ان يدعى أنها كانت معـركة مرضية ، أو سلسلة من المعـارك • لقد كانت مرهقة أليمة بل ومخيبة لآمال المشتركين فيها حيث كانت تبدو لهم وكأنها سلسلة لا نهاية لها من المفاجآت والاحداث المشوشة المثيرة ، لقد قاتل معظمهم بجرأة وعزيمة ندر ان بلغوا شأوها فيما بعد ــ وكان الثمن فادحا أما المكاسب فكانت غير واضحة للعيان • وصاحبت هذا عقدة النقص ، بكل سلاح ووحدة تقريبا ، فى مواجهة الدبابات الالمـانية • وقد تضخمت هذه العقدة حتى حجبت حقيقة الأمر وهو التفوق الالمـانى فى المدافع المضادة للدبابات نوعا وكما بالنسبة للاسلحة الاخرى مشفوعا بفعالية أشد للتكتيكات المشتركة ، للاسلحة والعتاد • ورغم انتهاء معركة « كروسيدر » بنفس المنطقة فانها لم تؤت نكهة النصر التى حظيت بها معركة « بيضافم » منذ نحو عام تقريبا •

رومل يعود

يناير - مايو ١٩٤٢

كان رد « سكوت كوكبرن » على أعقابه مرتين نذيرا سيئا لما وراءه ، ولكن « جودوين أوستن وريتشي » كانا مشغولين فى ذلك الوقت بالمشاكل الادارية ، لا من حيث اعاشة القوة التى تم دفعها الى الامام فحسب ، وانما من حيث تعزيزها أيضا ، ورغم المشاكل الملحة التى تمخضت عن نشوب الحرب ضد اليابان فى الشرق الاقصى ، حيث تم تحويل الطائرات ، والقوات البرية ، والبحرية اليها والتهديد المحتمل للحدود الشمالية الشاسعة للشرق الاوسط ، والمترتب على تقدم الالمان بجنوب روسيا ، فقد كان من المقطوع به على جميع المستويات من « تشرشل » فنازلا أن الجيش الثامن سوف يواصل تقدمه غربا ، لتطهير ساحل أفريقيا الشمالى ، وبعد ان ادخلت بيرل هاربر الولايات المتحدة فى الحرب ، أسرع « تشرشل » الى واشنطون لتنسيق العمل مستقبلا مع « الشخصية البحرية السابقة » الاخرى بالبيت الابيض • كان رؤساء الاركان البريطانيون قد وضعوا مؤقتا خطة لعملية تسمى « جيمناست » وهى عملية انزال بتونس ، أو الجزائر ، بدعوة مرجوة من الفرنسيين الموجودين هناك ، وعلى رأسهم الفريق « ويجاند » وكان المقصود توقيت هذه العملية توقيتا يتفق والتقدم التالى للجيش البريطانى الى طرابلس والمعروف باسم « أكروبات » وفى واشنطون كان « تشرشل » يتفاوض بشأن توسيع نطاق « جيمناست » بحيث تضم عمليات الانزال الامريكية بالجزائر ، والمغرب على الارجح ، والمسماة « سوبر جيمناست » ، لهذا فقد ساءه أن يسمع وهو هناك — ان « رومل » قد نجا من الشبكة التى نصبت له جنوبى بنغازى وأنه تلقى مزيدا من المؤن بحرا ، وأنه يرد الصاع صاعين لقوات « ريتشى » الامامية • بل كان من شأنه أن يزداد غضبا قبل مرور عدة أسابيع •

لقد ساعد « رومل » على استرداد قواه ، ذلك النجاح الذى أحرزه الاسطول الايطالى فى ديسمبر ، ولم يقتصر الامر على اغراق بوارج الفريق البحرى

« كانتجهام » فى ميناء الاسكندرية بفعل نسيفات بشرية ايطالية حيث تكبدت فى معركة قوة سرت الاولى (كـ) ، ـ وقاعدتها مالطا ـ خسائر فادحة عندما اصطدمت بحقل ألغام غير مسجل ، بينما نجح الاسطول الايطالى بأكمله فى حراسة قافلة بحرية هامة من الادرياتيكى الى بنغازى وطرابلس ، و فى هذه الاثناء خفضت العمليات الجوية فى روسيا أيضا فى بسبب الاحوال الجوية شتاء ، ودعم الاسطول الجوى الالمانى بالبحر الابيض المتوسط ، ونتيجة لذلك ازدادت الهجمات الجوية على مالطا، والممرات البحرية المؤدية لها ، زيادة كبيرة • وكان من أثر هذه العوامل تحسن مستقبل امداد « رومل » وتعزيزه مع اثارة قلق شديد بشأن مستقبل مالطا، حيث ستصبح القوات البحرية ، والجوية التى لها قواعد بالجزيرة ، أقل قدرة على القيام بعمليات حربية ضد خطوط « رومل » البحرية والاسهام فى حملة شمال أفريقيا ، فقد أصبح التشبث ببروز برقة الآن أشد الحاحا من قبل ، وقد جاء بتقويم المخابرات البريطانية لقدرة « رومل » على استئناف العمليات الهجومية ، انها ضئيلة ، ولكن ضابط مخابرات « رومل » فون ملينش ـ قدر أن قائده سوف يحقق التعادل على الأقل ، مع تفوق محلى عام قبل نهاية يناير • هذا بينما كانت

الفرقة الاولى المدرعة قد وصلت حديثا ، ولم تتجاوز الفرقة الهندية الرابعة بنغازى بالاضافة الى أن كلتيهما كانتا تعانيان صعوبة التموين • لهذا فقد قرر « رومل » تكرار العملية التى قام بها فى العام الاسبق • وكان عليه لكى ينجح ، ولكيلا يمنعه رؤساؤه من القيام بمحاولته أن يبقى عودته الى الهجوم سرا مغلقا ، وهكذا لم يعرف بخطته أحد سوى هيئة أركانه ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يكتب لزوجته يوم ١٧ من ينساير ما يلى : الموقف يتطور لصالحنا ورأسى ملىء بخطط لا أجسر على الافصاح عنها هنا حتى لا يخالوننى مجنونا ، ولكننى لست كذلك ، فأنا أرى أبعد مما يرون فحسب ، أنت تعرفيننى ، اننى أضع خططى فى الصباح الباكر من كل يوم وكم تم تنفيذها خلال الاعوام السابقة ، وبفرنسا فى غضون ساعات قلائل ، هذا ما ينبغى أن يكون وسوف يكون مستقبلا •

وقبل ذلك بثلاثة أيام كتب « ريتشى » « لاوكنليك » يقول :

ليس من المأمون الاعتماد على امكان شن الهجوم ضد مواقع العدو الحالية حتى ١٥ من فبراير تقريبا ، انه ليسوؤنى أن أضطر الى التسليم بأننى لا أعرف

كيف يمكننا ، فى موقف الامداد الحالى ، ان نكون فى وضع يسمح لنا بالقيام بالعمليات الهجومية على نطاق واسع قبل ذلك التاريخ بوقت طويل ، والواقع أننى أعتقد أن بوسع المرء المغامرة والتجاوز بعض الشيء عن الاحتياط ، حتى يمكن بدء الهجوم حوالى يوم ١١ أو ١٢ ، ان الامر متوقف الى حد كبير على بنغازى ، والجو هناك حيث ظل حتى اليومين السابقين سيئا للغاية • انها ميناء رديئة من حيث الجو والاسوأ من هذا وذاك بطبيعة الحال أن يتحرك العدو ثانية ••• وفى يوم ١٩ وقع « أوكنليك » أمر عمليات ذكر فيه « لريتشى » أنه كان يعتزم مواصلة الهجوم فى ليبيا بهدف الاستيلاء على طرابلس ، فان « ميوعة الموقف السوقى العام » قد تدعوه الى التحول الى الدفاع ، وفى هـذه الحالة فانه يأمل الوقـوف على خط « العقيلة ــ مرادة » وكان فى يد « رومل » فى ذلك الوقت ــ غير أنه اذا لم يتمكن (ريتشى) من تأمين هذا الخط ، أو الاحتفاظ به ، فان عليه ان ينسحب عائدا الى الحدود المصرية ، وقال : ليس فى نيتى محاولة الاحتفاظ بطبرق ، أو أي موقع آخر غربى الحدود بصفة دائمة • ومضى يسرد المواقع الدفاعية التى يتعين الاحتفاظ بها أو اعدادها على الحدود وعلى الطريق حتى العلمين ، وكان هذا بعد أسبوع واحـد من ارساله خطابات مشجعة (لتشرشل) فى أمريكا صور فيها « رومل » بصورة من أنهكت قواه « وريتشى » بأنه لا ينتظر سوى دعم امداداته قبل بدئه لعملية « اكروبات » •

وعندما ضرب « رومل » ضربته يوم ٢١ لم تصادفه سوى قوات برية ضئيلة منتشرة على نطاق واسع ، وكان (مسرفى) الآن قائدا للفرقة الاولى المدرعة ، حيث جرح (لمسدن) بمجرد وصوله • وكان لواؤه المدرع الثانى ــ بقيادة ضابط آخر باسم (بريجز) ــ بالمنطقة الواقعة بين (عنتيلات) و « ساونو »على مسافة ثمانين ميلا وراء الحـدود موزعا للتدريب ، وليس معه سوى كمية احتياطية ضئيلة من الوقود ، وفى المنطقة الامامية شرقى مرسى البريقة كان للواء « الجاردز» (سمى الآن باللواء ٢٠٠) أرتال تقدر بنحو كتيبة بالطريق الساحلى ، والى الجنوب بينما كانت كتيبته الوحيدة الاخرى تبعد الى الخلف مسافة ٤٠ ميلا حول اجدابيا، وعلى يسار « الجاردز » كان لجماعة السند الاولى التى وصلت حديثا أرتال على ضفتى وادى « فارغ » ذى الارض المعشوشبة الوعرة ، وكانت معظم السيارات المدرعة قد سحبت لاصلاحها ، كما استبقيت جميع أسراب السلاح الجوى الملكى

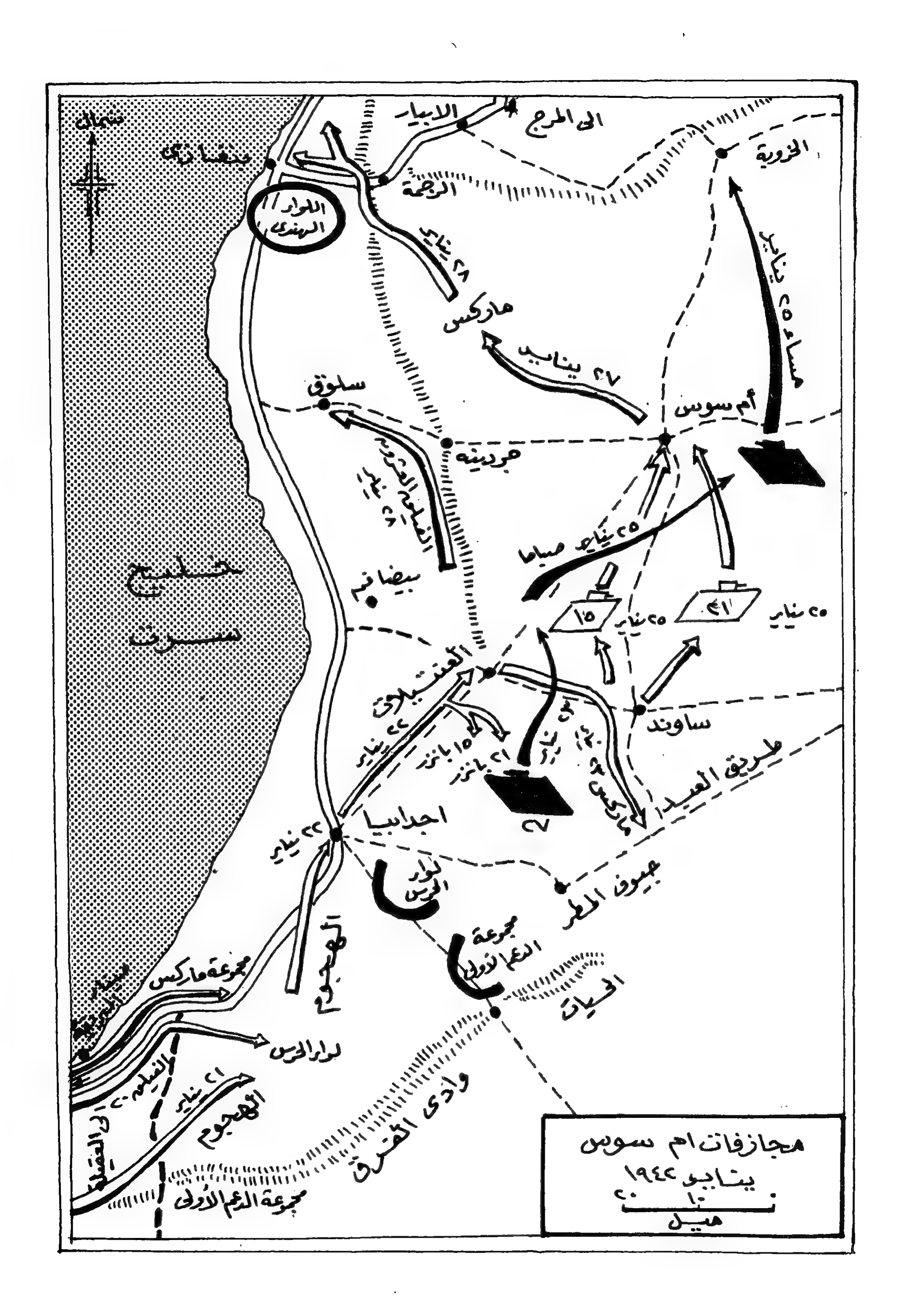
التسعة بعنتيلات على الارض بسبب المطر ، فلا عجب اذ أن (روميل) عنـدما تقدم فى وقت مبكر من يوم ٢١ من يناير بين الطريق الساحلى ، ووادى « فارغ » ومعه نحو ١٠٠ دبابة ألمانية ومثلها ايطالية لم يجد صعوبة فى تنحية الارتال جانبا ، بل ومطاردتها ، واللحاق بها . غير أنه لم يتحرك الى الامام سوى نحو ١٢ ميلا فقط فى اليوم ، حيـث وجد مشـقة فى الطريق أيضـا ، وقد وصف تقدمه بأنه « استكشاف بقوة » ، ولعله كان « حلم ليلة من ليالى منتصف الشتاء » فى هذه المرة ، وكان (مسرفى) متخوفا من الثغـرة الموجودة بين (الجاردز) وجماعة السند خاصة وقد فقدت الاخيرة عددا كبيرا من المركبات التى غرزت فى الطريق الرعر ، أو تعطلت فأمر « ماريوت » بالبقاء جنوبى اجدابيا ، وفى هذه الاثنـاء صدرت الأوامر (لبريجز) بجمع كتيبته معا ، والتحرك الى (جيوف المطر) على مسافة أربعين ميلا شرقى اجدابيا ، حيث يمكنها ضرب أي عدو حولها أو وراءها وفى هذا المكان تكونان على مسافة نحو عشرين ميلا شمال جماعة السند .

ولم يجد « روميل » صعوبة فى الوصول الى اجدابيا عند السـاعة الحادية عشرة يوم ٢٢ . وهناك التقى (بكرويل) ووضع خطة لتطويق قوات (مسرفى) من غربها وشمالها . كان سيتحرك رأسا الى (عنتيلات) على مسافة أربعين ميلا الى الشمال ثم يتحول شرقا الى « ساونو » ، وأخيرا الى الجنوب مرة أخرى ، وعلى طول الطريق كان سينزل قواته ليحكم الشبكة . وعندما تبين « جودوين أوستن » ما حدث انتابه القلق بشأن المؤن بـ « سوسه » و « بنغازى » ، وقد أسـند الى (مسرفى) سد الطرق المؤدية الى (سوسه) من الجنوب « وتوكر » وباعتبـاره متوليا لقيادة الفرقة الهندية الرابعة الآن ، صدرت اليه الاوامر بسـد الطريق الساحلى جنوب بنغازى باللواء الهندى السابع الموجود هناك ، مع الاسـتعداد لتغطية اخلاء الميناء ، وكان « ريتشى » فى القاهرة ، ولم يعد الا أثناء العصر ، كان ينظر الى الأمور نظرة تفاؤل ظنا منه بأن (روميل) انما كان (يشرئب بعنقه) فقط بقوات استطلاع فحسب شرقى « اجدابيا » ، وكان يوم ٢٣ حافلا بالاضطراب فقد نجح (كرويل) فى الليـلة السـابقة فى الالتفاف خلف ألوية (مسرفى) بمنطقة (عنتيلات) ، وعندما بدأت الأخيرة التحرك شمالا اصطدمت أولا بفرقة البانزر الحادية والعشرين ، ثم بفرقة البانزر الخامسة عشرة ، وقد تم الاشـتباك

بكتائب (بريجز) واحدة بعد الأخرى ، وتكبدت كتيبة الهوسار العاشرة بصفة خاصة خسائر جسيمة ، وانخفض عددها الى ثمانى دبابات فقط فى نهاية اليوم ، بينما انخفض عدد دبابات كتيبة « لانسرز التاسعة » الى ٢٨ دبابة • ولم تشتبك كتيبة (بييز) اشتباكا جديا ، فظلت أقرب ما تكون الى قوتها الكاملة ، ويبدو أن الفيلق الافريقى قد فقد ما جملته نحو عشرين دبابة •

وفى هذه الاثناء وصل الى « رومل » وفد ذو سـلطات عالية مكون من (كافاليرو وكيسلرنج) يحملان اليه أوامر بالحد من نشاطه وسحب قوته الرئيسية الى مرسى البريقة ، ورفض (رومل) اطاعة الأمر وقال ان هتلر وحده هو الذى يستطيع منعه • ورغم صلابة عزيمته فقد كان يوم ٢٤ يوما ضائعا الى حد بعيد • كان يعتقد ان قوة (مسرفى) مازالت جنوب (كرويل) فضاع وقت طويل فى التحرك جنوبا ، والبحث عنها فى الوقت نفسه ، الذى كان « جودوين أوستن » يطلب فيه الاذن من (ريتشى) بالانسحاب ـ اذا دعت الحاجـة ـ الى المخيلى حيث كان يشعر أن (توكر) لا يمكنها الصمود لبنغازى وأن (مسرفى) أضعف من أن يرد العدو عن « سوسه » • وعاد « ريتشى » يقول : أن رومل لا بـد وأن يكون قد بلغ ذروة تقدمه ، وأنه لن يسمح الا بتعديل الاوضاع محليـا مع سحب المؤن بحذر وكان هذا مما دعا ضابط الاتصال البحرى ببنغازى الى ابلاغ قائده العام أن ثمة استعدادات قد اتخذت لاخلاء الميناء فضلا عن درنة • وقـد تلقت القيادة العامة للبحرية هذه الاشارة واطلعت عليها (تشرشل) الذى رد عليها بالاشارة التالية :

لقد أزعجنى كثيرا ذلك النبأ الذى تلقيته من الجيش الثامن عن اخلاء بنغازى ودرنه ، لم يحدث قطعا ما يدعونى الى الاعتقاد بأن هذا الموقف قد ينشأ ، فكل هذه التحركات التى يقوم بهـا الافراد غير المقاتلين شرقا مع التصريح بأن أعمال النسف ببنغازى لم يصدر بها أمر بعد ، تضع الحملة فى مستوى مخالف لما قدرناه، هل منيتم حقا بهزيمة ساحقة بمنطقة عنتيلات ؟ هل عجزت مدرعاتكم الحديثة عن منازلة الدبابات الالمانية المرممة ؟ يبدو لى أن هذه أزمة خطيرة لم تكن متوقعـة بالنسبة لى ، لماذا ينسـحبون جميعا بهذه السرعة ؟ لماذا لا تصمد الفرقة الهندية (البريطانية) الرابعة ببنغازى كما صمدت فرقة هنز بالحلفاية ؟ ان الانسـحاب


شمال
بنغازي
الابيار
الى المرج
الرجمة
الخروبة
اللواء الهندي
٢٨ يناير
ماركس
٢٧ يناير
مساء ٢٥ يناير
سلوق
أم سوس
جرديينه
بيضافم
خليج
سرت
٢٥ يناير صباحا
١٥
٤١
٢٥ يناير
العنتيلات
ساونيد
طريق العبد
اجدابيا
٢٢ يناير
جيوف المطر
الهجوم
مجموعة ماركس
الحسيات
وادى الفرغ
٢١ يناير
مجموعة الدعم الأولى
مجازفات ام سوس
يناير ١٩٤٢
٢٠
١٠
ميل

الذى يتضح الآن ان الضباط المرؤوسين يفكرون فيه ، يوحى بفشل (كروسيدر) والقضاء على « كروبات » .

وكان من شأن هذا تعجيل (أوكنليك) بالذهاب الى الجيش الثامن يوم ٢٥ لمناظرة سلسلة الاوامر والاوامر المضادة التى كان لها نتيجتها التقليدية .

وكان (جودوين أوستن) قد أبلغ (مسرفى) ان عليه ان يعطل العدو ما أمكنه ، دون تعريض قوته للخطر ، اذ أنه يود تجنب قتـال تراجعى ناشىء عـن سلسلة من الانسحابات المحلية ، غير أن بوسعه الانسحاب مرة واحدة الى «مخيلى» اذا تهدده خطـر . وهكذا فانه عندما قام « رومل » فى وقت مبكر من يوم ٢٥ بتوجـيه ضربته العنيفة شمالا بالفيلق الافريقى (ساونو) لم يبـدأ (مسرفى) تقهقره الا بعد اشتباك كتائب (بريجز) وخاصة كتيبة (بييز) اشتباكا عنيفا بالدبابات المتقدمة . ولعل التجربة التى مر بها جون بالينجال وهو قائد فصيلة بكتيبة الهوسـار الحادية عشرة نموذج حى للتجـارب التى مر بهـا كثير من قادة الفصائل فى هذا اليوم المضطرب وان كانت على الارجح أشد اثارة من معظمها

عند أول ضوء يوم ٢٥ من يناير تحركنا فى اتجاه الجنوب الغربى للعودة الى الأرض المرتفعة ، الواقعة شمالى شرقى (عنتيلات) ولكننى لاحظت ونحن فى الطريق حركةقرب حصن « عنتيلات » ، وكانت ثمة مركبات قلائل فى بادىء الامر ، ثم تزايد عددها حتى شكل فى النهاية رتلا كبيرا قادما من الحصن ومنحدرا مـن التل على طريق (سوسه) . وكان التمييز مستحيلا حيث كانت هناك مركبات بريطانية وألمانية من جميع الأنواع وقد اختلطت بحيث يتعذر تمييزها ، ولم تظهر أية دبابات ، رغم وجود كثير من المدافع المضادة للدبابات ، وكان الرتل ينحدر من التل قادما من الحصن ، ليسلك طريق « سوسه » ، بحيث يمر على مسافة ٥٠٠ ياردة تقريبا الى الغرب منى . ولم نكن نعـرف ما اذا كانت الدبابات ـ التى بلغ عددها نحو ٢٠٠ دبابة ، بريطانية أم المانية ؟ ولعلها كانت جزءا من اللواء المدرع الثانى والعشرين أثناء انسحابه .

وبينما كنت أراقب ، وأبلـغ تلقى مركز رئاسـة السرية (بلاغا وديا) باللاسلكى عن وجود ٥٠ دبابة غير معروفة الهوية بموقع على مسـافة ميل الى

الجنوب منى ، وعلى نفس المسافة شرقى عنتيلات ، وكانت الدبابات فى أرض ميتة بالنسبة لى ، ورغم أننى ظللت أشك فى أنها قد تكون من اللواء المدرع الثانى والعشرين ، الا اننى وضعتها تحت مراقبة دقيقة •

وقد حدث أن رأيت فيما بعد راكبى دراجات بخارية من الالمان فى الرتل الذى كنت أراقبه ، فعرفت على وجه اليقين انه رتل ألمانى ، وعندما بدأت المركبات تصعد المنحدر نحوى ، فتحت النيران على مسافة نحو ١٠٠٠ ياردة ، وكان من شأن هذا ان يكون شيئا ممتعا ، ذلك انه حتى لو استطاع العدو رؤية مركباتى الثلاث ، فقد كانت جميعها مستترة بحيث يتعذر اصابتنا ، وكان ان توقف الرتل وهو فى حالة من الاضطراب ، وأعتقد أننا قد ألحقنا به بعض الخسائر ، قبل ان يتمكن من احضار المدافع المضادة للدبابات للاشتباك بنا ، وبينما كنا نفكر فى الانسحاب — حيث لم يكن بوسعنا ان نصد مثل هذا الرتل الكبير مدة طويلة — أزعجنى ان أرى عددا من الدبابات (لا يقل عن عشرين دبابة) يصعد من الارض الميتة الواقعة جنوبى ، وكانت الدبابات تتقدم بسرعة نحونا ، وهى تطلق النيران على مسافة تقل عن ميل منا •

ورغم الدبابات المطاردة ، والنيران الجانبية للمدافع المضادة للدبابات ، فقد أتيحت لنا فرصة للافلات عن طريق عنتيلات — «أم سوس» • وقد أبطأ الطريق الوعر المخصص للجمال من مسيرتنا الى حد بعيد ، وان كنت أعتقد انه قد أنقذنا من الاصابة بنيران الدبابات المطاردة التى كانت تفتقر الى الدقة ، غير أنه لم تكد تمر بضع ثوان حتى أصيبت سيارة العريف « كليفر » واشتعلت فيها النيران ، وكان من دواعى ارتياحى ان خرج الطاقم من السيارة دون ان يصاب بسوء ، ولما كان أفراد الطاقم على مسافة ١٠٠ ياردة خلفى فى ذلك الوقت ، فقد استدرت عائدا لملاقاتهم ، وهم يعدون نحو سيارتى ، وعندما قفزوا فوق غطاء المحرك وخارج البرج تبينت أننى لن أستطيع اطلاق النار نظرا لان ادارة البرج كفيلة بالاطاحة بهم على الارض • ولم يكن الأمر ذا أهمية تذكر ، لان المدفعين الرشاشين لم يكونا بالشىء الذى له شأنه فى تلك المحنة • وعلى أية حال ، فاننا لم نكد نقطع بضعة ياردات أخرى ، حتى تمكن العدو من ملاحقتنا عندما توقفت سيارتى بطلقة فى المحرك ، أو بأجهزة نقل الحركة ، لم يعد ثمة نزاع فى أننا كنا فى حالة

سيئة فقد لحقت الدبابات الالمـانية القائدة بسيارة الرقيب « كريستماس » التى كانت تسبقنا بمائتى ياردة ، ثم توقفت عندما وصلت الى طريق « أم سوس » .

وتلت ذلك وقفة تقدر بنحو ربع ساعة ، قامت فيها جماعتان من الالمـان باسـتجوابى أنا وفصيلتى ، وفى هذه الاثناء تعـرضنا لنيران متقطعة للمدافع البريطانية عيار ٢٥ رطلا ، وسرعان ما استؤنف التقدم ، وصدرت الينا الأوامر باعتلاء ظهـور الدبابات الالمـانية لتعذر وجود وسيلة أفضل للمواصـلات . وتشبثنا بها بكل قوانا ، لنشارك فى تقدم ألمـانى فوق دبابات ألمـانية ! وبخلاف القصف لم تكن هناك مقاومة تذكر .

وتمكنت من اتلاف الاوراق التى كنت أحملها وألقيتها على الارض ، كما أشرت لزملائى ان يتخذوا حذوى ، وبعد نحو ساعة من هـذه المسيرة ، لحقنا بمجموعة أو مجموعتين من فلول البريطانيين الذين حملوا بدورهم فوق ظهور دبابة مختلفة ، وقبيل وصولنا الى (أم سوس) (حسب اعتقادى) انعطفنا شرقا لنترك « أم سوس » عن يسارنا .

وكانت ثمة وقفة طويلة عند الظهر ، عنـدما أقبلت المركبات على اختلاف أنواعها ، للتزود بالوقود . وكنا فى هذه الاثناء قد أصبحنا فى بقعة غير مطروقة من الصحراء حوالى ١٥ ميلا شرقى « أم سوس » على ما أعتقد . وكان القصف قد انتهى ، وساد الهدوء ، وتم استجوابنا وتفتيشنا تفتيشا أدق ، واستطاع أحد الضباط ان يعرف من أغطية رءوسـنا أننا من كتيبة الهوسـار الحادية عشرة ، وجرى بيننا وبين آسرينا حـديث ذكروا فيه أنهم مسرورون لاحـداث الشرق الأقصى فضلا عن بنغازى التى سقطت فى يدهم .

وعندما اكتشفوا أننى ضابط نقلونى باحـدى السيارات بضع مئات من الياردات الى دبابة مميزة عن باقى الدبابات بحاجز حول غطاء المحـرك ، وكان بداخل هذه الدبابة ضابطان أو ثلاثة من بينهم قائد الفرقة الذى ناقش من قاموا باستجوابى مناقشة دقيقة .

وعندما استؤنف التقدم وضعت فى سيارة مع ضابط حراسة ، بينما ركب الجنود الشاحنات ، وكانت معاملتهم لنا حسنة ، مع توخى اللياقة المطلقة ، وان

كان بودنا اصابة بعض الطعام فى المساء ، حيث فاتنا تناول الافطار صباح ذلك اليوم •

وعنـد الغسق أقيم معسـكر كبير للمبيت على مسافة ٣٠ ميـلا شرقى « أم سوس » • وفى الساعة العاشرة مساء أخذونى الى حيث كانت تقف شاحنتان مملوءتان بالأسرى البريطانيين والهنود ، وانضممت الى أفراد فصيلتى باحدى هاتين الشاحنتين ـ وكانوا بخير رغم تعبهم وجوعهم واحساسهم بالبرد • وكان بكل شـاحنة جنـديان أو ثلاثة من الالمـان المسلحين بالبنادق • وقد تعثرت شاحنتى منذ البداية ، وبعد نحو سـاعة تعطلت تماما ، ولم تلبث أن سحبتها شاحنة أخرى • وكانت المسيرة بطيئة ، ولكن البرد كان أشد من ان يسمح للمرء بالنوم ، وأغفيت بين الفينة والفينة ، حتى خطر لى ان الالمـان قد يغفون أيضا ، وبعد ذلك ظللت متيقظا على أمل مفاجأة أحدهم وهو غافل والحصول على بندقيته ولم يحدث ذلك ولكن الذى رفع معنوياتى ، أننى تبينت عن طريق النجوم التي كانت تنجلى عندما تصفو السماء ، أننا متجهون شمالا ، ولم نلبث ان تحولنا بعد ذلك الى الشمال الشرقى ، وطالت الوقفات ، وازدادت حدة المشاورات التى كانت تصحبها بين الالمـان ، وازداد اتجاهنا انحرافا بالمثل ، وقبل بزوغ الفجر بوقت طويل اتضح أننا قد ضللنا الطريق • وعلى أثر ذلك سألنى الالمـان النصح ، وقد استبد بهم الخوف وأشرت عليهم بمواصـلة السير فى نفس الاتجـاه نحو « الغرب » (كنت واثقا عندئذ أننا متجهون صوب الشمال الشرقى ، ولكن هذا لم يخطر لحراسنا) • وعندما طلع النهار كانت السماء ملبدة بالغيوم تماما ولم تشرق الشمس ، والحمد لله ، ليرى الالمـان كم كانوا مخطئين •

وفى الساعة الثامنة صباحا ، شاهدت مركبتين أو ثلاثا على مسافة ميل أو أكثر عن يميننا ، وكانت المركبات مموهة تتحرك فى اتجاهنا ، ولكن الالمـان لم يروها ، فاذا حدث ان كانت المـانية فانها لن تصيبنا بضرر أشد من غيرها من المركبات الالمـانية أما اذا لم تكن كذلك فان هذا لصالحنا ، ورآها جنديان كانا يجلسان بجوارى بالشاحنة فخلعنا أغطية رءوسنا بحذر ، وبدأنا نلوح لها من ظهر الشاحنة حتى لا يرانا الالمـان •

وعندما تبين الالمـان ان ثمة شيء يحدث كنا قد استطعنا تمييز المركبات ، وعرفنا أنها سيارات جنود مدرعة تسمى « مارمون هارنجتون » ، وكان الوقت قد فات ، بحيث لم يعـد أمام الالمـان شيء سـوى الوقوف والاستسلام ، وعندما وصلت السيارات ـ كتيبة سيارات جنود أفريقيا الرابعة ـ الينا كنا قد تبـادلنا المراكز مع الالمـان وبنـادقهم • ورحب بنا زمـلاؤنا من الجنـوب ـ أفريقيين ـ أشد ترحيب ـ وكنا نعـرف بعضا منهم ، وقدموا الينا طعـام افطارهم وساعدونا فى العودة الى وحدتنا دون ابطاء •

عندما عاد اللواء المدرع الثانى الى(أم سوس) عند الظهر كان يعانى نقصا كبيرا فى قوته المنحلة ، وقد استؤنف الانسحاب بعد ذلك لمسافة اربعين ميلا أخـرى الى الشمال عند «خروبة» ، ولكن « كرويل » زحف شمالا حتى « أم سوس » فقط ، وقد وجد « جودوين أوستن » ان مخاوفه قد تحققت الآن فأمر (توكر) بالانسحاب من بنغازى بينما تحرك « مسرف » شرقا الى « مخيلى » • وقد عاد

« ريتشى » فألغى هذه الأوامر أثناء الليل ، عندما أمر (توكر) بارسال ارتال للعمل ضد خطوط مواصلات العدو « شمال شرقى اجـدابيا » ، بينما كلف (مسرف) بالتصدى لأى تقدم آخر للعدو فى اتجاه الشمال ، و « حماية الجنب الايسر » للفرقة الهندية الرابعة فى الاربعين ميلا الواقعة بين (خروبة) و (الأبيار) على الطريق بين بنغازى و (المرج) •

وقد احتج « جودوين أوستن » على نقض أوامره ، خاصة وان الأوامر الجـديدة قد صـدرت لـ (توكر) مبـاشرة ، وأيده فى رأيه قائدا فرقتيه « مسرف » لأنه لم يتبقى له سوى احدى واربعين دبابة واربعين مدفعا • لم يكن بوسعه أن يفعل شيئا بالاضافة الى التشبث بخروبة •• و (توكرة) : لانه كان يقدر ذلك ، ولم يكن يثق بقدرة « مسرف » على منع « كرويل » من التوغل بينهما وعزله • غير ان « ريتشى » أكد مرة أخرى ان « روملى » قد بلغ أقصى ما يستطيع ، وكرر ضرورة القيام بـ (أكبر عملية هجومية مع تحمل أشد الاخطار) ، وقد أعدت الخطة التالية للقيام بهجوم متلاق على « أم سوس » بواسطة اللواء الهندى السابع من بنغازى ، والفرقة المدرعة الاولى المستنزفة من «خروبة» ، واللواء

الهندى الحادى عشر من (مرادا)، وذلك من مواقع تبعد نحو ستين ميلا بين كل لواء وآخر من الألوية الثلاثة •

وأنصت « روميل » الى جانب كبير من هذه المناقشات وكون فكرة واضحة عما كان يجرى ، وقرر ان يقوم بمفاجأة أخرى بتحويل زحفه الى الشمال الغربى ، وليس الشمال الشرقى ، كما كان الجميع يتوقعون ، وبذلك يعزل بنغازى من الخلف ، وقد أعد عدته لتنفيذ هذه الخطة يوم ٢٨ حيث يقوم الفيلق الافريقى الالمـانى بتحرك مخادع مسبق نحو (مخيلى) ، وكان الحظ العاثر (لريتشى) بالمرصاد حيث منع سوء الاحوال الجوية الذى استمر يومى ٢٦ ، ٢٧ السلاح الجوى الملكى من رؤية أية تحركات أخرى للعدو ، بخلاف تحرك « كرويل » المخادع نحو « مخيلى » ، وقد اتضح فى وقت متأخر من يوم ٢٧ ان ثمة تحركا آخر كان يجرى نحو بنغازى ، وان غلب على الظن انه تحرك فرعى ، ربما قام به الفيلق الايطالى ، فى حين كان من المعتقد ان الفيلق الافريقى سيقوم بالزحف الرئيسى الى « مخيلى » ، وقد أصـدر « ريتشى » أوامر تقضى بانه فى الوقت الذى يقوم فيه « توكر » بضرب العدو المتقدم نحوه ، يهاجم « مسرفى » مؤخرة القوة التى كان من المعتقد أنها تتحرك شرقا الى جنوبه الشرقى ، وقال ريتشى : « لقد جزأ العدو قواته ، وهو أضعف منا فى كلتا المنطقتين ، ان الكلمة التى لها دلالتها ، هى العمل الهجومى فى كل مكان » • وكانت نتيجة هذا الأمر ، هو ابعاد المسافة بين الفرقة المدرعة الاولى والفرقة الهندية الرابعة عما كانت عليه •

أما الواقع فهو ان ثلاث عمليات اختراق كانت موجهة نحو بنغـازى • الفرقة التسـعون الخفيفة على الطريق السـاحلى ، والفيلق الايطـالى العشرون من « جـردينة » عن طريـق « سلوق » ، و « مجموعـة ماركس » المكونـة من كتيبتى بانزر ووحدة استكشاف يصحبها « روميل » نفسه وكانت فى طـريقها ــ كما يبدو ــ الى « الأبيار » من «أم سوس» ، ولكنهـا كانت فىالواقع تشق طريقـا مقتربـة من بنغـازى عند « الرجـمة » ، ولم تكـن ترتيبات القتـال اتخذها « توكر » مصممة للدفاع عن بنغـازى ، وانما لتوفير الارتال الخفيفة الحركة ، لتضييق الخناق على خطوط مواصلات « روميل » من ثلاث جهـات يوم ٢٩ ، لهذا فقد كان قلقا بطبيعة الحال على الموقف ودعا بشـدة الى ضرورة

تصدى « مسرفى » لزحف القوات الالمانية شرقا على الأقل ، وقد علم من الجيش الثامن الذى كان ما زال يعمل تحت قيادته المباشرة ان هذا سوف يتم ، ولكن الفرقة الاولى المدرعة ـ وكانت لا تزال تحت قيادة الفيلق ١٣ ـ كانت تتحرك فى الاتجاه المضاد تنفيذا للأوامر الصادرة اليها .

وكان « توكر » قد بدأ يعد العدة للدفاع عن بنغازى ولكنه عندما تحدث الى « ريتشى » بعد الظهر وأحيط علما بحقيقة تحركات الفرقة الاولى المدرعة تبين أنها أصبحت فى غير متناوله ، وكل ما كان لديه هو اللواء الهندى السابع المثقل بالاشتباك مع العدو فى أماكن متباعدة جنوبى بنغازى ، تجاوزه العدو فى كثير منها حيث سلك طرقا جانبية ، الى جانب قوة صغيرة من المشاة والدبابات تحت يده ، وعاد لواؤه الخامس من « المرج » دون مركبات حيث زود بها اللواء السابع لزيادة خفة حركته ، لهذا فقد طلب « توكر » الاذن له باخلاء بنغازى فأجابه « ريتشى » الى طلبه بغضاضة ، مؤكدا ان العدو لا يمكن ان يكون الا من الايطاليين ، راجيا الا يكون ذلك ضروريا ، ولم يكن الوقت ليسمح بالتأخير حتى يمكن انجاز نسف الميناء والستة آلاف طن من ذخيرة المحور المكدسة هناك ، وسحب اللواء السابع قبل عزله ، وقد تمكنت الطليعة الاولى من الجنود ، ومن بينها مركز رئاسة « توكر » ان تتفادى العدو ـ وكان من « مجموعة ماركس » التى أصبحت الآن خلف بنغازى وان كانت لابد وان تكون قد ضربت نطاقا رقيقا جدا حولها ، ولكن انساق تموين « بريجز » عندما أرادت اللحاق بالانساق المقاتلة بعد هبوط الظلام ، وجدت الطرق مسدودة ، وقرر العميد عندئذ ـ وكان قد فقد الاتصال بـ « توكر » ـ العودة عن طريق الصحراء المفتوحة عبر المنطقة التى انتشرت فيها قوات « روميل » انتشارا واسع النطاق ، وقد بدأ هذا التحرك قبل منتصف الليل بالمجموعات الثلاث التى قسم اليها اللواء للقيام بدوره الهجومى الاصلى ، وقد روعى صمت اللاسلكى صمتا مطلقا ، مما ترتب عليه انتشار تكهنات مختلفة عن مصير اللواء ، واثارة قلق شديد بشأن تطويقه ، واكتساحه ببنغازى ، وقد دعا هذا الى وقف انسحاب التشكيلات الاخرى ، على أمل انقاذ اللواء بأكمله ، أو جزء منه على الأقل ، والواقع ان قوته لو كانت مركزة على طريق واحد لسهل عليه التغلب على المقاومة ، ورغم الصدمات العابرة بقوات

العدو الارضية والبرية ، ومن ثم المرور بلحظات عصيبة ، فقد انضم اللواء الى الفيلق ١٣ بـ « مخيلى » و « تنجـدير » فى الجنوب ، واستكملت قوته مرة أخرى فى اليوم الاخير من أيام الشهر •

كان من شأن أهمية المطارات القـريبة من درنة بالنسبة لمستقبل مالطـا ، والاحساس بأن التحـرك المضاد الذى قام به « رومل » لا يمكن ان يتجاوز بنغازى ان رفض « ريتشى » تحت ضغط « أوكنليك » التخلى عن « النتوء » دون قتال ، وكان « توكر » بعد فقده مؤقتا لأشد لواءاته فعالية قد أعطى عشرة خطوط متتالية ، كى يحاول ان يصد عليها أى هجوم لاحق وكان هذا ضد نصيحة « جودوين أوستن » الذى كان يريد الانسحاب من الجبل كلية •

وكانت الآراء منقسمة فى الجانب الآخـر كذلك • فقد كان الايطاليون يعتبرون العمليات الدائرة شرقى « مرسى البريقة » بمثابة مناوشات أمام الموقع الرئيسى ، نظرا لأن اعتبارات التموين وحدها تفرض الحذر ، وتجعل الاندفاع الى الامام بمثابة حماقة ، وفى ذلك الحين لم يكن لدى « رومل » وقود كاف لمواصلة التقدم الى ما بعد بنغازى حيث كانت « مجموعة ماركس » تعانى بالفعل من عمليات النسف والألغام • كان واثقا من أن « ريتشى » لن يكون فى وضع يسمح له باخراجه من هذا الميناء النافع طوال ستة أسابيع على الأقل ، وفى هذه الأثناء سوف ينتهز أية فرصة للتقدم الى منطقة الغزالة مع الفيلق الافريقى ، على أن يظل الفيلق العشرون الايطـالى ، ومعه فرقة واحـدة ببنغازى ، وفـرقتان بـ « عنتيلات » ، وفرقتان فى الخلف عند « مرسى البريقة » ، وبعد ان قـرر « رومل » ذلك بيومين ــ يوم ٤ من فبراير ــ تداعى (ريتشى) كارها تحت « جودوين أوستن » الذى كان يعضده كل من « توكر » و « ومسرفى » (قال الاخير أنه لا يمكن التعامل مع قوة تزيد على خمس وعشرين دبابة ألمـانية) ووافق على الانسحاب الى خط « الغزالة ــ بير حكيم » الذى تم احتـلاله فى ٦ من فبراير ، والذى كان مقدرا للجيش الثامن ان يبقى به ثلاثة أشهر ونصف أخرى قبل رده على اعقابه ثانية ــ هذه المرة على طول الطريق حتى العلمين •

وأمر « أوكنليك » بتقوية هذا الخط ما أمكن للمحافظة على طبرق كقاعدة لهجوم جديد ، أما اذا اضطر « ريتشى » الى الانسحاب مرة أخرى فقد كان من رأى « أوكنليك » يؤيده فى ذلك زملاؤه قادة العموم أنه لا ينبغى التشبث بطبرق على حساب محاصرتها وانما يتعين اخلاؤها ، وتدميرها ، ليكون خط الدفاع الثانى هو الحدود المصرية • وقد ارسل هذا القرار الى لندن يوم ٧ من فبراير ، دون ان يوضح به شىء عن الموعد المرتقب للعودة الى الهجوم ، سوى القول بأنه يتعين تحقيق تفوق عددى يقدر بثلاث دبابات الى دبابتين قبل امكان القيام به ، وكانت هذه البرقية اساسا لجدل طويل بين القاهرة ، ولندن ، حيث كانت الاخيرة تقيم حججها على أساس اعداد الدبابات المرسلة الى مصر ، والمعروف أنها بمسرح العمليات ، بينما كانت الاولى تبرر دعواها بأن تأخذ فى الاعتبار الحاجة الى تعديل جميع الدبابات لدى وصولها قبل ان تصبح صالحة للقتال ، وأعداد الموجود منها بالاصلاح ، أو فى انتظاره ، والحاجة الى اعادة التنظيم والتدريب فضلا عن العوامل الاخرى المؤثرة على امكان ارسالها الى المنطقة الامامية بالميدان •

وبينما كان رؤساء الاركان يفندون ارقام « أوكنليك » ويلحون على العودة للهجوم اضطروا تحت ضغط الاحداث بالشرق الاقصى — حيث سقطت سنغافورة يوم ١٥ من فبراير — الى أخذ طائرات وسفن من قوات الشرق الاوسط لمواجهة التهديد الجديد ، هذا فى وقت كان يبدو فيه ان الخطر على الجبهة الشمالية الطويلة الجرداء سوف يزداد بمجرد أن ان يتحسن الجو فى روسيا ،

ولكن لندن لم تكن تنظر الى الشرق فقط ، وانما الى مالطا أيضا ، وكانت امدادات ألمانيا الجوية لصقلية وخسائر بريطانيا البحرية قد جعلت من المتعذر عليها الآن امداد الجزيرة من الغرب ، وكان الأمل الوحيد الباقى فى القيام بذلك معلقا على اعادة غزو برقة ، ووضع قوات جوية فى « النتوء » ، وفى الوقت نفسه الذى ارسلت فيه اشارة من « أوكنليك » الى لندن فى أواخر شهر فبراير قال فيها : انه لا يستطيع القيام بهجوم شامل قبل اول يونيو دون التعرض لهزيمة ساحقة وتهديد أمن مصر ، صدرت اشارة من رؤساء الاركان تلح على ضرورة استرداد برقة ، فى وقت يسمح بارسال قافلة الى مالطا خلال الفترة غير المقمرة من شهر أبريل غير ان الموقف السياسى فى انجلترا ، حيث عبرت السفن الحربية

(شانهورست) و (ينسنو) و (برنس أوجين) القتال البريطانى ، وكان لبريطانيا لطمة أخرى بالاضافة الى الكوارث التى وقعت بالشرق الأقصى ، لم يسمح للجنة الدفاع بالنظر الى سقوط مالطا الا بالقلق البالغ فلربما تم ذلك دون هجوم فى وقت تقف فيه جميع قوات الشرق الاوسط جانبا وهى تشحذ أسلحتها دون استخدامها حتى أواسط الصيف ، وكانت اللجنة تعتقد ان « أوكنليك » يبالغ فى تقدير قوة العدو وأنه يتخذ موقف الحذر الشديد بالنسبة لامكانياته ، وعندما أصر قادة العموم بالشرق الاوسط على رأيهم فى أوائل مارس طلب « تشرشل » من أوكنليك العودة الى لندن للتشاور فى الأمر ، ولما كان « أوكنليك » قد أفاد من الخبرة التى استمدها من زيارته السابقة ، وتقديرا منه للضغط الذى سوف يتعرض له بالاضافة الى وعيه التام بمسئوليات مركزه الجسيمة ، فقد أجاب بالرفض واقترح قيام رئيس الاركان العامة ، ورئيس أركان القوات الجوية بزيارة للقاهرة ، وثار « تشرشل » ثورة عارمة • وشاء فى البداية ان يفصله ، ولكنه لجأ بدلا من ذلك الى خليط من التهديد والمداهنة ، ملمحا الى سحب جانب كبير من القوات اذا لم تستخدم حتى يونيو أو يوليو ، فضلا عن مواصلته لمعركة الارقام الخاصة بالقوة

النسبية للدبابات لدى الطرفين ، وظل « أوكنليك » متشبثا برأيه ــ وكان هذا بغير شك لغير مصلحته الشخصية ، وأمكن الوصول الى حل وسط ، يقضى بأن ينضم الفريق « ناى » نائب رئيس الاركان العامة ، الى « ستافورد كريبس » بالقاهرة ، حيث يمحصان جميع الحقائق والارقام ، ويرفعان تقريرا بما يتوصلان اليه عند عودتهما •

وكانت النتيجة بالغة السوء بالنسبة « لتشرشل » ولجنة الدفاع ، وتم « تحوير » الوفد ولم تقبل لندن منتصف مايو كموعد لوضع خطة بالهجوم المضاد الا بغضاضة شديدة ، ولكن القاهرة لم تضمن هذا الموعد ، فثار جدل آخر استفزه التهديد اليابانى للهند وسيلان • وقد أشار رؤساء الاركان أنفسهم الى انه اذا استشرت هذه الحال ، فان الامداد والتموين بالشرق الاوسط كله سوف يتعرض لاضرار جسمية ، وكان هذا فى نظر « أوكنليك » وزملائه أمرا يتطلب اعادة تقويم حذرية للاسبقيات ، ففى مثل هذا الموقف كان يبدو من السخف المخاطرة بالاخفاق فى الصحراء ــ حيث حشدت القوات البرية والجوية الوحيدة ذات الشأن بالمسرح كله ــ فى سبيل التعجيل بفك الحصار عن مالطا التى

لم تكن تسهم بشيء يذكر الآن حتى بالنسبة لحملة الصحراء ، غير ان لندن كان لها وجهة نظر مختلفة ، حتى بلغت الأمور أشدها فى برقية ارسلها « تشرشل » فى ١٠ من مايو نيابة عن مجلس الوزراء ورؤساء الاركان :

« نحن مصممون على عدم السماح بسقوط مالطا دون معركة يخوضها جيشكم بأكمله للاحتفاظ بها ، ان العمل على اجاعة هذه القلعة سوف يترتب عليه استسلام ما يزيد على ٣٠٫٠٠٠ جندى من الجيش والقوات الجوية بالاضافة الى بضع مئات من المدافع ، ان الاستحواذ على هذه القلعة من شأنه ان يهيىء للعدو جسرا وطيدا الى أفريقيا بكل ما قد يترتب على ذلك من عواقب ، كما ان فقدها كفيل بقطع الطريق الجوى الذى تعتمدون عليه أنتم والهند فى جانب كبير من امدادكم بالطائرات ، والى جانب ذلك فسوف يعرض للخطر أى هجوم ضد ايطاليا ، فضلا عن الخطط التى سيتم تنفيذها مستقبلا مثل « أكروبات » و « جيمناست » وبمقارنة حتمية وقوع هذه الكوارث بالمخاطر التى أشرتم الى أنها تتهدد سلامة مصر ، فاننا نرى ان الاخيرة أخف وطأة ، ومن ثم فنحن نقبلها .

وكان ثمة اصرار على الهجوم فى شهر مايو ، وتكشف « لاوكنليك » الآن أن أية مقاومة أخرى من جانبه سوف تستتبع فصله . وكانت هناك دلائل تشير الى ان (رومل) نفسه يعد العدة للهجوم فى المستقبل القريب ، ومن ثم لم يعد من الممكن تجنب المعركة بأية حال . ولما كان الدفاع على خط الغزالة المجهز تجهيزا جيدا يختلف تمام الاختلاف عن مواجهة المخاطر المترتبة على القيام بمحاولة لاسترداد برقة ، فقد كان « أوكنليك » أقل تخوفا لاضطراره الى اللجوء للدفاع .

لهذا فقد أذعن وهو شبه واثق من أنه لن يضطر الى تنفيذ الأمر . وكان ان ضغط عليه « تشرشل » لتولى قيادة الجيش الثامن نفسه ولكن « أوكنليك » رفض مرة أخرى ادراكا منه للتهديدات التى قد تتعرض لها القوات التابعة له بالجهات الاخرى .

كان لهذا الضغط المستمر من أجل العودة الى الهجوم فى أقرب وقت ممكن أثر بالغ على المعارك التى تلت ذلك بفترة وجيزة . وكان أول شىء هو تكديس احتياطيات هائلة من المخزونات والمؤن ، ليس داخل حدود طبرق وانما خارجها قرب « بلحمد » التى مد اليها سكة حديد الصحراء ، وخط أنابيب المياه من

« مشيفا » التى كان قد مد اليها قبل معركة (كروسيدر) وقد أدت الحاجة الى ابعاد العدو فى جميع الاوقات عن ذلك المخزن الثمين المعـروف بالقاعدة الامامية رقم ٤ فضلا عن تحديد « خط ابتداء » مناسب للهجوم المقترح الى دفاعات منتشرة على نطاق واسع مع اتخاذ قرارات غير حكيمة تعرضت لنقد شديد • ومن الجدير بالذكر ، الاشارة الى الخطة المقترحة للهجوم ، والمعروفة بـ « عملية باكشوت » ، كان « ريتشى » مصمما على عدم التورط فى عملية زحف بطيئة منهجية خلال أرض « الجبل » الوعرة ، وكان يريد ان يقلب الاوضاع على « رومل » ويعزله بدوره ، وكانت الخطة العامة تقضى بأن يقوم الفيلق ١٣ بقيادة « جوت » ـ بعد استبعاد « جودوين أوستن » بناء على طلبه ـ باحتواء قوة « رومل » من الامام ، بينما يتقدم الفيلق ٣٠ بقيادة « نورى » على الطريق السهل الممتد غربا من « بير حكيم » على مسافة خمسين ميلا جنوب غربى طبرق ، وفى كل ثلاثين ميلا كانت احـدى مجموعات ألوية المشاة ستشكل فى دفاع صندوقى ، فاذا شاء « رومل » الرد على ذلك فان عليه ان يحرك فرقة من البانزر جنوبا بحيث تبتعد بعدا كافيا عن الفرق الايطالية الثابتة ، وعندئذ تشتبك به فرق « نورى » المدرعة المتحركة بين هذه الدفاعات الصندوقية ، اما اذا لم يشأ الرد وفضل ان يحشد قواته ضد « جوت » فان على « نورى » ان يعزله عن امداداته بنشر فرقه المدرعة بالارض التى شهدت المعارك القديمة بـ «أم سوس » و « جردينة » وتهديد بنغازى ذاتها ، وكانت خطة طموحة وكان الكثيرون ومنهم « جوت » و « نورى » يعتقدون انها غير عملية • والنقطة الهامة هى ان متطلبات الخطة مع الرغبة فى ابعاد « رومل » بعدا كافيا عن القاعدة الاماميـة جذبت الطرف الجنوبى لخط دفاع الجيش الثامن ، لينحرف انحرافا كبيرا جنوب غربى طبرق •

عندما تم احتلال خط الغزالة فى بادىء الأمر اعتبره « جوت » خطا للتغطية يتعين معه ان تكون المواقع الدفاعية الرئيسية على الحدود بناء على أمر (أوكنليك) الصادر فى ٤ من فبراير • غير ان الضغط المتواصل من أجل شن هجوم مضاد ، وتزايد قوة الجيش الثامن سرعان ما ألغى هذا الأمر ، وتطور الخط الى دفاع رئيسى اتخذ مبدئيا بقصد استئناف الهسوم ، ومن النقطة التى ينحنى عندها الجرف ، والطريق الساحلى قرب مدخل « عين الغزالة » ، كانت فرقة جنوب أفريقيا الاولى

بقيادة « بينار » تحتل مواقع قوية تحميها حقول الألغام حماية جيدة ، وتمتد هذه المواقع جنوباً مسافة خمسة عشر ميلا الى « علم حمزة » مسرح المعركة الضارية التى خاضتها الفرقة الهندية الرابعة فى شهر ديسمبر • وهنا كانت تبدأ المواقع الدفاعية لفرقة « رامسدن » الخمسين التى سحبت من قبرص •

كانت ألويته الثلاثة ١٥١ ، ٦٩ ، ١٥٠ تمتد فى اتجاه الجنوب الشرقى • كان اللواء ١٥٠ جنوبى « الطريق » وعلى مسافة غير بعيدة من « سيدى مفتاح » ،وكانت واجهته رقيقة جدا لا تغطيها سوى ألغام متناثرة ، وكانت « طريق العبد » الواقعة جنوبه بمثابة حد فاصل بين الفيلقين ١٣ ، ٣٠ ، وكانت هاتان الفرقتان مدعمتين على التوالى بلواء دبابات الجيش رقم ٣٢ بقيادة « ويلسون » ولواء دبابات الجيش الاول بقيادة « أوكارول » ومعهما ١٦٦ دبابة فالنتاين و ١١٠ دبابة ماتيلدا ، غير أن اللواءين لم يحشدا حيث كانت كتائب « فالنتاين » بلواء « أوكارول » بصفة خاصة موزعة لدعم المواقع الموجودة بمؤخرة فرقة جنوب أفريقيا الاولى التى تغطى « عكرمة » والجرف الواقع غربها ، كذلك فقد أرسلت سرية دبابات لمعاونة لواء المركبات الهندى الثالث الذى كان يعمل مع « نورى » ، ولكنها لم تصل اليه قط ،

وكانت فرقة جنوب أفريقيا الثانية بقيادة « كلوبر » تحتل طبرق نفسها بلواءين من ألويتها ، ولواء من الفرقة الهندية الخامسة ألحقت كتيبة من كتائبه لاحتلال « العدم » حيث اتخذ « جوت » مركز رئاسة له ، وكان موقعه الثابت الوحيد داخل حقول الألغام هو لواء فرنسا الحرة بقيادة « كوينج » ببير حكيم يفصله عن اللواء ١٥٠ شمالا خمسة عشر ميلا من حقول الألغام غير المدافع عنها ، ومن الغرب كانت السيارات المدرعة وارتال لواء المركبات السابع بقيادة « رنتون » والتابع لفرقة « مسرفى » المدرعة السابعة توالى الاتصال بالعدو ومناوشته حتى « روتندا سجنالى » و « روتندا مطيفل » فوق « طريق العبد » •

وفى حالة هجوم (رومل) كان فى النية سحب اللواء ، ليحتل موقعا فى « ريتما » على مسافة عشرين ميلا شرقى « حكيم » • وفى نهاية شهر مايو وبناء على أوامر « أوكنليك » الشخصية أرسل لواءان آخران لتجهيز المواقع وهما لواء « رايد » الهندى التاسع والعشرون بـ « بير غبى » وفى آخر لحظة أرسل لواء « فيلوز » الهندى الثالث الآلى على مسافة بضعة أميال جنوب شرقى « حكيم »

عند النقطة ١٧١ • ولكن معظم مدافعه الميدانية والمضـادة للدبابات التى كانت ما زالت فى طريقها يوم ٢٧ من مايو هى والدبابات المخصصة للمعاونة لم تصـل قط ، وكان تحريك الألوية الهندية الى هذه المنطقة بدافع من رغبة « أوكنليك » فى اخلاء الفرقة المدرعة السابعة للعمل شمالا ، اذا دعت الحاجة الى ذلك ، وفى داخل هذا الأطار كان على فرق (نورى) المدرعة ان تقوم بمناوراتها • وكان لواء الـ « جاردز » رقم ٢٠١ بقيادة « ماريوت » ، بعد ان أصبح الآن اللواء الآلى التابع للفرقة الاولى المدرعة ، قد حفر موقعا لاحتلال تقاطع الطرق الهام المعروف باسم « نايتسبريدج » وراء منتصف الجبهة كلها ، غير أنه ظل تحت امرة (لمسدن) بعد اعادته الى تولى القيادة وكان عليه ان يعمل كمحور ارتكاز مناورة لمدرعاته ، أما لواء « بريجز » المدرع الثانى فكان يحتل المنطقة الواقعة شرقه مباشرة ، وتحت قيادة (لمسدن) أيضا كان لواء (كار) المدرع الثانى والعشرون على مسافة سبعة أميال جنوبى الـ « جاردز » رغم ان خطة « نورى » تقضى بامكان سرعة تحويل هذا اللواء الى قيادة « مسرفى » والانضمام الى لواء (ريتشاردز) المدرع الرابع •

وكان هذا اللواء هو أقوى الألوية بالفيلق ٣٠ ، حيث أعيد تسليح كتائبه بحيث زودت كل كتيبة بسريتين من دبابات (جرانت) الامريكية بمدافعها عيار ٧٥ مم بالاضافة الى المدفع عيار ٣٧ مم ، بينما كانت السرية الثالثة مازالت مزودة بالدبابة الامريكية (ستيوارت) • وكانت قوة « نورى » الاجماليـة من الدبابات ١٦٧ « جرانت » و ١٤٩ « ستيوارت » و ٢٥٧ « كروسيدر » • وبهذا وصلت القوة الاجمالية لدبابات (ريتشى) فى ٢٦ من مايو الى ٨٤٣ دبابة بالاضافة الى ان اللواء المدرع الاول كان فى طريقه للانضمام اليه ، ومعه ٧٥ دبابة جرانت و ٧٠ دبابة ستيوارت أخـرى •

وفى مقابل ذلك كان لدى « رومل » ٥٦٠ دبابة منها ٢٢٨ دبابة ايطاليـة • ومن الدبابات الالمـانية الـ ٣٣٢ التى كانت مقسمة بالتساوى بين فرقتى البانزر رقم ١٥ ، ٢١ كانت ٢٢٣ دبابة من المـاركة ٣ (اتش) بمدفعها القديم القصير عيار ٥٠ مم وان كانت جميعها تقريبا قد زودت الآن بدروع اضافية فى المقدمة • وكانت ثمة ١٩ دبابة من تلك الدبابات الرهيبة ماركة ٣ (جيه) بمدفعها الطويل عيار ٥٠ مم بفرقة البانزر ٢١ • وكانت هناك أربعون دبابة من المـاركة ٤ القديمة

وخمسون من المـاركة ٢ الخفيفة • وفى الاحتياط كانت توجد ٧٧ دبابة ألمـانية أخرى من جميع الانواع وكانت فرقة « ليتوريو » الايطالية المدرعة فى طريقها الى الوصول للمناطق الخلفية ، وهكذا أحرز (ريتشى) من الناحية العددية تفوقا قدره ثلاثة الى واحد بالضبط وهو ما كان « أوكنليك » قد طالب به •

وبالنسبة لنوع الدبابات فلا يمكن القول بأنه كان أدنى مرتبة ، وبالنسبة للمدافع المضادة للدبابات ، فقد تلقى تعزيزا قويا من المدافع ٦ رطل المتفوقة فى قوة الاختراق على المدافع الالمـانية عيار ٥٠ مم ، وكان لديه من هـذه المدافع ١١٢ مدفعا وزعها على سرايا المدافع المضادة للدبابات والكتائب الآلية التابعة للفرق المدرعة التى لم تتح لها فرصة تذكر للتدريب عليها قبل بدء المعركة ، وكان لدى « رومل » ٤٨ مدفعا من المدافع عيار ٨٨ مم التى يخشى بأسها فضلا عن بضع مدافع تشيكية عيار ٧٦ مم بالاضافة الى طاقمه الكامل من المدافع المضادة للدبابات عيار ٥٠ مم •

وقد أثارت مشكلة أوضاع الألوية المدرعة وقيـادتها قلقا شديدا على جميع المستويات ، كان الجميع يدركون الميزة الكبرى لتركيز المدرعات ما أمكن ، ولكن ثمة عوامل أخرى كانت تناهض هذا الاتجاه ، فقد أثبتت معركة « كروسيدر » أن مجرد تركيز المدرعات فى مكان واحد ، كما كان الحال بالنسبة لدبابات اللواء المدرع الرابع ، أمر غير مجد ما لم يمكنها التدخل بسرعة وفعالية عند الحاجة اليها •

كذلك فقد أثنت ذكريات تلك المعارك القادة عن السماح « لرومل » بتوطيد أقدام الفيلق الأفريقى بمدافعه القوية المضادة للدبابات بمنطقة العدم ، لقد دفعهم مصير لواء جنوب أفريقيا الخامس ، واللواء النيوزيلندى الى ضمان عدم ابتعاد المدرعات عن المواقع ، كما حدث لقوات فرنسا الحرة ببير حكيم ، وللواء ١٥٠ بسـيدى مفتاح ، وللألوية الهندية التى وصلت مؤخرا ، كل هذه العوامل كان لها وزنها فى الكفة المضادة لحشد المدرعات بمنطقة واحدة صغيرة • ولو كان فى وسع المرء التأكد من اتجاه ضربة « رومل » عند وقوعها لهانت المشكلة ، ولكنه كان مخيرا بين أحد أمرين ، كان بوسعه اما ان يزحف شرقا من المنطقة التى كان الفيلق الافريقى محتشدا بها حول « سجنالى » ، أو يقوم بعملية التفاف واسعة الى الجنوب حول « بير حكيم » لتفادى حقول الألغام ، فاذا اختار الحل الاول فسوف يكون عليه

ان يعبر حقول الألغـام فى مواجهـة شيء من المقاومة بمكان ما جنـوب غربى « نايتسبريدج » ، وكان التأخير الذى ستفرضه عليه حقول الألغام والمقاومة المبدئية كفيلين بأن يتيحا وقتا كافيا للواء المدرع الرابع للتحرك مسافة الخمسة عشر ميلا ، ليصل الى المنطقة التى اتخـذ فيها لواء « لمسدن » مواقع حاكمة لمواجهـة هذا التهديد ، أما اذا اختار « روميل » عملية الالتفاف الواسعة فسوف تكون امامه مسيرة طويلة ، حيث تقدر المسافة بين « سجنالى » وجنوب غربى « بير حكيم » بخمسين ميلا بالاضافة الى خمسة وثلاثين ميلا من جنوب غربى « بير حكيم » الى « العدم » • وسوف يكون عليه ان يتزود بالوقود مرة واحدة على الأقل فى الطريق كما ان من المعقول افتراض اكتشاف ارتال اللواء الآلى السابع والسيارات المدرعة لتحرك أية قوة كبيرة حول هذا الجنب ، كذلك فان من الممكن اكتشافه من الجو خاصة وان هناك دلائل على الموعد التقريبى الذى سيبدأ فيه تحركه ، لهذا يتعين توفر الوقت لتحريك اللواء المدرع الثانى والعشرين على الأقل ، ان لم يكن لتحريك الفرقة المدرعة الاولى بأكملها للانضمام الى « مسرفى » • ولقد ثار معظم الجدل حول كيفية مواجهة هذا الاحتمال ، فبعد ان استرد « لمسدن » فى النهاية قيادة اللواءين المدرعين التابعين أصلا لفرقته أصبح حريصا على عدم التخلى عن واحد منهما • لم ترق له فكرة الحاق « كار » على « مسرفى » خاصة وأن (ريتشاردز) ــ قائد أحـد ألويته ــ كان لديه من دبابات « جـرانت » عددا يعادل ما لدى « لمسدن » بلواءيه • لقد أصبح ميالا للتقليل من شأنخطورة الالتفاف حول جنبه ، وأكد الحاجة الى تكتل فرقتـه بأكملها بالمنطقة الواقعـة بين « نايتسبريدج » و « العدم » ، وكانت المشكلة التالية المكان الذى يتعين فيه على لواء (ريتشاردز) المدرع الرابع ان يقابل العدو • كانت هناك منطقة مناسبة قريبة من مواقعه وعلى مسافة ١٢ ميلا تقريبا شمال شرقى « بير حكيم » • هناك يكون اللواء على مسافة قريبة قربا مناسبا من الألوية المدرعة الاخرى ، ولكنه لن يخوض غمار المعركة ، حتى يتجاوز العدو قوات فرنسا الحرة والألوية الهندية بمسافة كبيرة • كذلك يمكن للعدو تجاوزه بالانفلات من حوله فى طريقه الى « سيدى رزق » و « بلحمد » •

لهذا كانت المواقع المختارة لمقابلة زحف العدو جنوبا متطرفة الى الجنوب بين مواقع اللواء الهندى الثالث الآلى واللواء السابع الآلى على مسافة اثنى عشر ميلا من منطقة المبيت المعتادة •

وثمة اعتبار آخر ، وهو انه اذا ركزت جميع المدرعات سلفا لمقابلة أحد تحركى « رومل » المرتقبين فسوف يتنبه الى ذلك ويختار التحرك الآخر • وفى رسالة طويلة كتبها « أوكنليك » بالقاهرة فى ٢٠ من مايو لـ « ريتشى » صور له تفصيليا توقعاته لتصرف « رومل » • فقد رسم صورة لهجوم رئيسى بالفيلق الافريقى على الطريق الشمالى شرقى « مطيفل » موجه الى « نايتسبريدج » و « العدم » مباشرة ومصحوب بهجوم مخادع بالفيلق الايطالى العشرين على الارجح فى اتجاه « بير حكيم » ، وكان شديد الحرص على ضرورة توفر قوة كافية فى الشمال للحيلولة دون نجاح مثل هذا الهجوم ، ودعا « ريتشى » لحشد جميع مدرعاته فى الشمال ، ولتمكينه من ذلك أخلى لواءين هنديين ، لدعم الفرنسيين فى « بير حكيم » والدفاع عن أحد المواقع فى « بير غبى » •

ولا عجب ان يتأثر تفكير « ريتشى » وقادته تأثيرا بالغا بهذه التنبؤات المسبقة عن نوايا « رومل » عند تفسيرهم لتحركاته الاولى خاصة وان مصادر المعلومات المتيسرة للقائد العام كانت معروفة بالدقة • غير أنهم لم يكونوا مقتنعين تماما بأنه يحق لهم المقامرة بكل ما لديهم اعتمادا على احتمال اختراق « رومل » لحقول الألغام ، وشعروا ان الاوضاع التى اختاروها سوف تمكنهم من حشد قواتهم فى الشمال فى حينه اذا صدق حدس « أوكنليك » ــ وهو ما لم يحدث •

●

صدام المدرعات

٢٧ من مايو - ٢ من يونيو

بينما كان (أوكنليك) مشغولا بتبادل العبارات اللاذعة مع (تشرشل) نجح « رومل » فى أن يدعو قيادة الجيش الالمانى الى اعتبار ليبيا كأكثر من مجرد عرض جانبى ، وكان يدين بهذا الى حد كبير الى تدخل أمير البحر « رايدر » الذى أقنع (هتلر) بأن احتلال الشرق الأوسط برأسى حربة من روسيا ، وليبيا كفيل بأن يحرم بريطانيا من مواردها النفطية ، ويحقق نتائج حاسمة بالنسبة للعمليات البحرية ، والجوية والبرية ، وقد تم قبول هذا المشروع وسمى رأس الحربة المصرى (الموجه الى مصر) بـ (عملية عايدة) • ولكن الخطة وحدها لم تكن لتكفى • كانت مشـكلة اضفاء فعالية عليها هى عملية نقل القـوات الاضافية عبر البحر الأبيض ، وتزويدهـا بالمؤن على طول خطوط المواصـلات الممتـدة باستمرار عند وصولها ، وكانت العقبة الرئيسية فى سبيل تحقيق ذلك ، هى القوات البريطانية البحرية ، والجوية بمالطا ، والتى كان اخضاعها أمرا جوهريا لنجـاح « عايدة » ، ولعله اعتراف بصعوبة هذه المهمة أن يطلق عليها اسم « عملية هرقل » كانت المعضلة ، هى كيفية ، وموعد تسديد الضربة ، وتعهد الألمان بالتكفل بالقوات الجوية ، وتوقعوا من الأيطاليين أن يوفروا القوات البحرية المطلوبة ، فضلا عـن القوات البرية اللازمة للقيام بالهجوم ، سواء شن من الجـو ، أو البحر ، أو من الجهتين ، ولم يكن بوسع القوات الجوية الالمانية دعم الهجوم على مالطا مع الهجوم فى الصحراء فى آن واحد ، وكان يتعين وجود فاصل زمنى واضح بين الاثنـين • وضغط « رومل » من أجل تقدم عملية « هرقل » على عملية (عايدة) فاذا أمكن الاجهاز على مالطا اجهازا سريعا نهائيا فان مشاكل تموينه سوف تنتهى ، ويمكنه شن هجومه بالصحراء ، وهو واثق من أنه لن يتوقف لحظة بسبب نقص المؤن ، أو المعاونة الجوية ، حتى يصل الى النيل •

غير أن عدم تحمس الايطاليين للهجوم على الجزيرة ، مع خبرة قيادة الجيش الألمانى بتكاليف الاستيلاء على كريت ، بالاضافة الى ما قرره (كيسلرنج) من

أن هجمات الاسطول الجوى الالمانى رقم ٢ وحده ، قد جعلت من مالطا جزيرة لا يخشى بأسها ، أقنع كل من « هتلر وموسولينى » بأنه ينبغى ترك عملية « هرقل » لحين استيلاء (رومل) على طبرق وهو ما صدر اليه الأمر بتنفيذه ، مستهلا اياه بهجوم على الغزالة فى نهاية مايو ، وكان عليه بعد ذلك أن يظل فى موقف الدفاع على الحدود المصرية ، فى حين يشن هجوم ألمانى ايطالى مشترك بالمظلات على مالطا ، فى فترة اكتمال القمر فى شهر يوليو ، حيث يستأنف بعدها الزحف الى النيل . لهذا فقد وجه « رومل » انتباهه الى المهمة التى أمامه . وفى هذه الاثناء كان قد حرك فرقه الايطالية لتصبح قريبة من فرق (جوت) وكان الفيلق الايطالى الحادى والعشرون الذى يضم فرقتى (صبراتا) و (ترنتو) يواجه (بينار) ، بينما كان لواء البنادق الالمانى الخامس عشر يحمى المنطقة الهامة بالطريق الساحلى وامام اللواءين الشماليين لفرقة « رامسدن » الخمسين كان الفيلق الايطالى العاشر، الذى يضم فرقتى « بريشيا » و « بافيا » . وكان (رومل) ينوى عند قيامه بالهجوم ان يضع كل هذه القوات الثابتة تحت قيادة (كرويل) ، وكان باجازة حتى ٢٥ من مايو حيث تولى (نيرنج) قيادة الفيلق الافريقى الالمانى الذى كان (رومل) نفسه يصاحبه وكانت الخطة التى أصدرها يوم ٢٠ من مايو ، وهو اليوم الذى ارسل فيه (أوكنليك) تنبؤاته لـ (ريتشى) تقضى بأن يزحف (كرويل) فى اتجاه البريطانيين ، ويوحى بشن هجوم رئيسى شمال (طريق كابوتزو) ، بينما تتقدم قوات (رومل) الآلية فى وقت لاحق من اليوم نفسه تقدما محدودا يتراوح بين عشرة أميال وخمسة عشر ميلا شرقى منطقة حشدها حول (سجنالى) وبعد هبوط الليل كان عليها ان تنعطف فى اتجاه الجنوب الشرقى ، بحيث يتجه الفيلق الايطالى العشرون بفرقتيه « الآريت » و « تريستا » (على اليسار) شمال (بير حكيم) ، وجنوب المكان الذى كان (رومل) يعتقد مخطئا أن حقول الالغام البريطانية تنتهى عنده ، أما الفيلق الافريقى الالمانى بفرقتيه البانزر ٢٢ على اليسار والبانزر ١٥ على اليمين فيتجه الى « بير حكيم » ، ويكتسح الفرنسيين المنعزلين (وقد قدر لهذه العملية نحو ساعة) ، ثم ينعطف شمالا وعن يساره الايطاليون ليلتف حول البريطانيين من الشمال حتى (عكرومه) مدمرا المدرعات المحيطة بـ « نايتسبريدج » وهو فى طريقه اليها ، وفى الجناح اليمينى كان على فرقة « كليمان » التسعين الخفيفة لوحدات الاستكشاف أن تشق

طريقها فى اتجاه الشمال الشرقى من « حكيم » الى « العدم » و « بلحمد » بصحبة مركبات خاصة مزودة بآليات هوائية لاثارة سحب الغبار للايحاء بأنها دبابات ، وكان على « كليمان » أن يستولى على مراكز القيادة ، ويهيىء المستودعات بهذه المنطقة ويمنع تدخل القوات الاحتياطية المتحركة من طبرق وشرقهافى تطهير « رومل » لمواقع الفيلق ١٣ من الخلف • كانت أربع وعشرون ساعة كفيلة على الارجح بكل هذا ، ليعود بعدها الى الفكرة الاثيرة المتسلطة عليه وهى مهاجمة طبرق •

كانت الخطة مذهلة فى تفاؤلها ورعونتها ، وكان هذا راجعا الى حد ما الى سوء تقدير قوة الجيش الثامن وأوضاعه حيث كان يعتقد أن الحد الجنوبى للفرقة الخمسين يقع شمال « طريق كابوتزو » وأن حقول الالغام جنوبها غير مدافع عنها ، فضلا عن أنها تنتهى شمال « طريق العبد » مباشرة ، وعلى مسافة عشرة أميال من « بير حكيم » التى بخس تقدير قوة دفاعات وعزيمة حاميتها ، وكان يعتقد بوجود كل من اللواء المدرع الثانى والعشرين ولواء « جاردز » شرقى « كامبوت » بمسافة طيبة كما كان يجهل وجود أية تشكيلات هندية (لم يكن اللواءان الهنديان الآلى والتاسع والعشرون قد تحركا بعد) ووجود اللواء الثانى والثلاثين فضلا عن لواء دبابات الجيش ، وكان غير متأكد من أوضاع اللواء المدرع الرابع وان كان قد حدد مكان مركز رئاسة « مسرفى » و « لمسدن » أيضا بين حقول الالغام و « نايتسبريدج » ، وفى آخر لحظة ، وعملا بالتقارير التى تلقاها عن وجود قوات مدرعة شمال شرقى حكيم غير « رومل » خط بداية عملية الاختراق ، وجعله على مسافة أبعد الى الجنوب وعهد الى « الآريت » بمهمة اكتساح « بير حكيم » ، بينما تشكل الفيلق الأفريقى الالمانى عن يمينها • وبضربة حظ لصالح (رومل) لم تتلق « تريستا » هذا الأمر والتزمت بالخطة الأصلية ، وهو خطأ كان له فيما بعد أثر هام فى حل مشكلة تموين « رومل »

لم يقدر للجزء الاول من خطة (رومل) وهو هجوم مجموعة (كرويل) المخادع يوم ٢٦ ــ ان يخدع الجيش الثامن بحيث يخاله ضربة رئيسية ، ربما لانه صادف هبوب عاصفة رملية حارة هى « الخماسين » التى حدت من النشاط والرؤية معا غير أنها أفادت فى تنبيه البريطانيين الذين كانوا يتوقعون الهجوم على أية حـال ، ورغم العاصفة فقد أمكن قيام الطائرات بالاستكشاف التعبوى بعد الظهر ، وكانت الاعين جميعا على « سجنالى » بطبيعة الحـال ، وقد أبلغت كل من الطـائرات والسـيارات المدرعة عند السـاعة الرابعة تقريبا عن تحرك قوات كبيرة شرقا من « سجنالى » ،، وهذا هو كل ما أمكن معرفته قبل هبوط الظلام ، وعند الساعة التاسعة تحرك « رومل » ثانية ، وكان تحركه هذه المرة فى اتجاه الجنوب الشرقى ، ولم يمض وقت طويل ، حتى أبلغت سـيارات جنوب أفـريقيا المدرعة التابعة لـ (نيوتن كنج) عن هذا التحرك ، غير أنه نظرا لوجودها بطبيعة الحال بالنطاق الخارجى للتحرك وبالتالى فانها لم تكن تصف سوى ما تراه وتسمعه فى الظلام فقد تعذر تحديد حجم القوة المتحركة ، ومعرفة ما اذا كانت ألمانية ، أم ايطالية ، وعند الساعات الاولى من يوم ٢٧ ، اتضح على الأقل ان قوة ضخمة تضم دبابات قد توغلت فى اتجاه الجنوب ، غـير أنه لم يتضح بالمثل أن ثمة شيئا لا يتحرك شرقا فوق (طريق كابوتزو) ، وكان اللواء الآلى السابع مقتنعا بأن الفيلق الافريقى الالمانى بسبيله للانقضاض عليه ، فتراجع الى موقعه بـ « الرتمة » بأسرع ما يمكنه وبما يتفق واتصالاته اللاسلكية بالسيارات المدرعة والابلاغ عن تحركات العدو . وقد وصلت هذه الانباء الى الفرقة السابعة المدرعة كما سمعت أيضا بمركز رئاسة الفيلق ٣٠ ، ولكن الاولى كانت متفائلة ولم تحـاول بناء استنتاجات متعجلة على أساس بلاغات صادرة عن قوة متقهقرة فى منتصف الليل . غير أن « ريتشاردز » كلف فى السـاعة الثانية بالتنبيه على كتائبه بالاستعداد للتحرك فجرا ، ولكن لم يصدر أمر تنفيذى فى هذا الشأن . ويبدو ان الكتائب قد تلقت هذا التنبيه فى وقت يتراوح بين الساعة ٣٠ر٢ والساعة ٣٠ر٤ .

وقد تنبه على الفرقة الاولى المدرعة بالاستعداد لارسال لواء (كار) المدرع الثانى والعشرين للانضمام الى (مسرف) طبقا للخطة الموضـوعة ، ولكن هذا التنبيه لم يستقبل استقبالا حسنا ، وتكشفت جميع العوامل المؤثرة المشار اليهـا آنفا ، لم يكن « نورى » مقتنعا بعد بأن التحركات التى ابلغ عنها لواء « رتنون »



شكل ٣١ ــ العميد برجز قائد اللواء السابع الهندى يعود من بنغازى



شكل ٣٢ ــ لواء مسرفى واحد اركانه

الآلى السابع ليست فى الواقع سوى تلك التحركات الخداعية ، التى تنبأ « أوكنليك » بكل ثقة أن الايطاليين سيقومون بها ، وأن الخطر الحقيقى الكامن فى الشمال لم يتكشف بعد ، اما رغبة (لمسدن) الغريزية فى الابقاء على تجميع قواته ، فقد أضيف اليها ــ للعجب ــ شك (مسرفى) وهيئة أركانه ، فى أن القوة التى تم الابلاغ عنها قد تحدد مكانها بدقة ، وبلغت من الضخامة حدا يستدعى أن يعهد « ريتشاردز » بموقعه الجنوبى فى المعركة خاصة اذا لم يكن « كار » رهن الاشارة أيضا ، وقد جاء أول دليل حقيقى على وجود قوة « روMل »

الاساسية جنوب « بير حكيم » من طائرة استكشاف تعبوية ، كان الفيلق ٣٠ قد كلفها بالتحليق عند الفجر حوالى الساعة السادسة ، فقد أبلغت عن وجود حشـد من المركبات ، يضم ٤٠٠ دبابة على مسـافة بضعة أميال جنوب « بير حكيم » ، وطلبت فى الحال طلعة من قاذفات القنابل ، ولكن فى الوقت الذى بوشر فيه تنفيذ هذا الطلب كان الفيلق الافريقى الالمـانى • قد قطع شوطا بعيدا وقد أزال تلقى هذا النبأ كل ما خامر ذهن (نورى) من شكوك ، فكلف (مسرفى) باصـدار الامر « لريتشاردز » باحتلال مواقعه القتالية فى الحال ، كما كلف « لمسـدن » بارسال « كار » للانضمام اليه ــ وهو أمر حاول مقاومته ، بحجة أنه لن يستطيع التحرك قبل انقضاء ساعة ونصف الساعة ، حيث لم يتلق انذارا مبكرا •

فى هذه الاثناء كان « رومل » ماضيا فى طريقه ، وحلت الضربة الاولى باللواء الآلى الهندى الثالث المنكود ، الذى كان مازال بسبيله الى اتخاذ مواقعه ، دون أن يصحب جميع مدافعه ، حيث لم يكن لديه سوى ثلاثين مدفعا من طاقمه الكامل ، الذى يبلغ ٦٤ مدفعا مضادا للدبابات عيار ٢ رطلا ، وقد هاجمته فرقة (الآريت) وجزء من فرقة البانزر ٢١ كان قد انضم اليها من الشرق ، وكان هذا اللواء من الألوية الهندية الأولى ، التى أحلت المدفعيين الهنود مكان المدفعيين البريطانيين ، وقد فتحت مدافعه نيرانها فى الساعة ٦٫٤٠ مفاجئة (الآريت) التى كانت تجهل وجودها حتى ذلك الحين • واستدار العدو يسارا ، ليواجه الهنود وفى الساعة ٧٫١٥ شن أول هجوم رئيسى بستين دبابة على الواجهتين الغربية والجنوبية الغربية من موقعهم (الصندوقى) الشكل ، وتوغل العدو بمركباته ، مخترقا الموقع ، مستأنفا طريقه فى اتجاه الشمال ، وسرعان ما أعقبه حشد آخر من الدبابات ، يقدر عدده بمائتى دبابة ، بعضها ايطالى وبعضا ألمانى واجتاحت هذه الدبابات الدفاعات ، وبعد ثلاثة أرباع الساعة من القتال الضارى العنيف صمتت جميع المدافع ، ونال العـدو جزاءه ، حيث وجدت بميدان المعركة فيما بعد ٥٢ دبابة معظمها ايطالى كما قتل ١١ ضابطا و ٢٠٠ جندى ، وجرح الكثيرون ، هذا بينما أسر ثلاثون ضابطا ونحو ١٠٠٠ جنـدى ، وكان من بين هـؤلاء شخصية معـروفة ، وهى أمير البحـر « سير والتركووان » البالغ من العمر ٧٢ عاما ، والذى كان ملحقا بكتيبة الفرسان الهندية الثامنة عشرة ، بوصفه ضابط اتصال بحرى لاشـباع تعطش لا يرتوى لمقاتلة العدو ، الامر الذى أحرز بسببه الشهرة والاوسمة فى عهد الملكة فيكتوريا،



شكل ٣٣ ـ المشاة الايطالية المنقولة بالسيارات وهى تتحرك



شكل ٣٤ ـ تدمير الرئاسات ـ وهى نموذج للانقاض الصحراوية

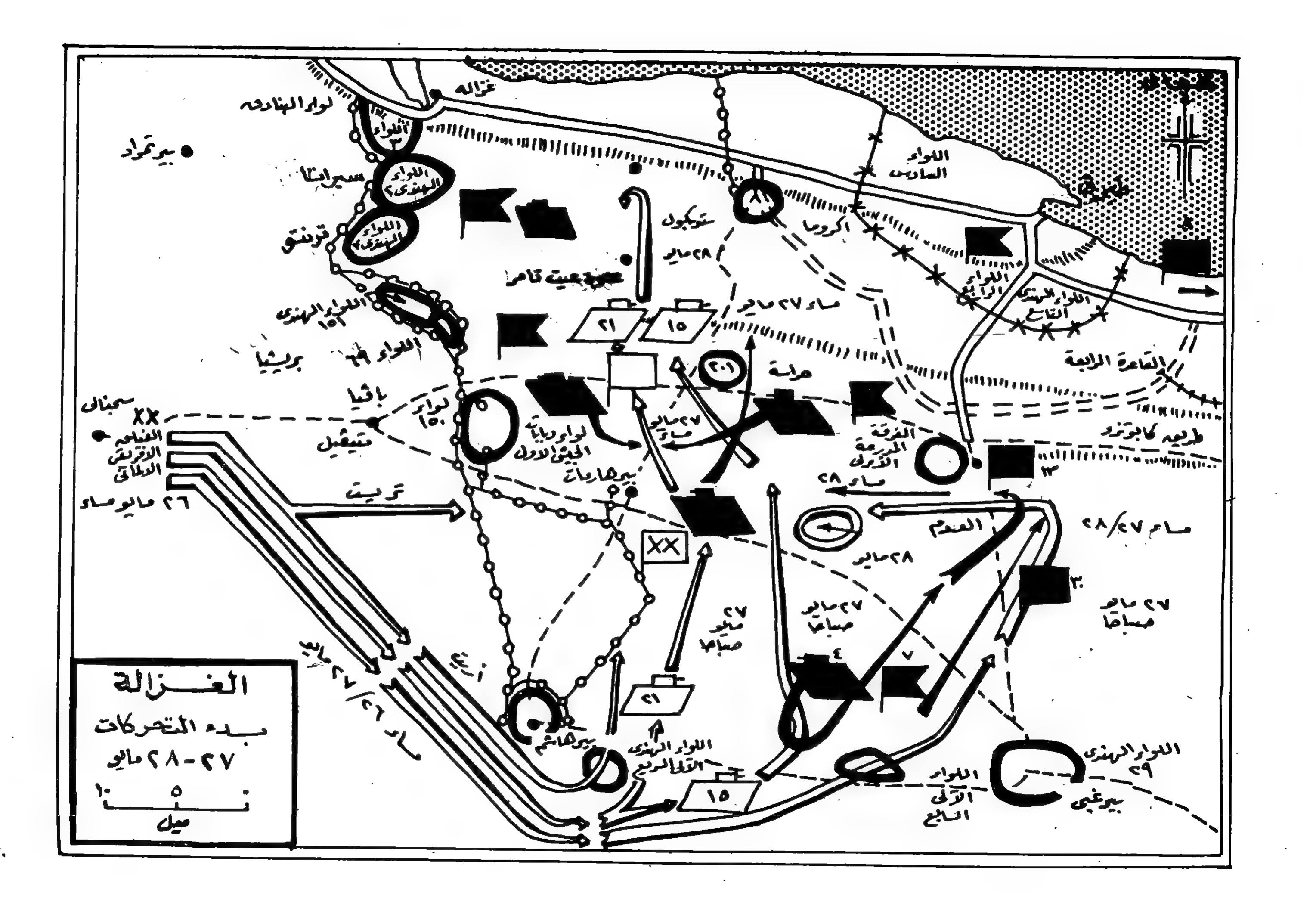
فعندما طلبت منه احدى الدبابات الالمانية التسليم رفض ، وأفرغ مسدسه فى جسم الدبابة ، وبدلا من ان يلقى حتفه فى أرض المعركة ، أسر دون أن يمسه سوء ، وقد دعا أسر أمير البحر الانباء الالمانية الى ادعاء سقوط طبرق قبل الاوان ، أما باقى اللواء فقد تمكن من النجاة ، والانضمام فيما بعد الى اللواء الهندى التاسع والعشرين بـ « بير غبى » •

وبينما كان الالمان يكتسحون الهنود ، وبينما كانت معظم فرقة البانزر ٢١ فى طريقها الى الشمال شرقيهم مباشرة ، تحرك اللواء الرابع المدرع الذى كان على مسافة أبعد الى الشرق ــ ليحتل مواقعه ، ولكنه حتى الآن لم يتبين خطورة موقفه • ويتضح هذا جليا من المذكرات التى تركتها كتيبتا اللواء الاماميتان ، وهما كتيبة الدبابات الملكية الثالثة فى اليمين ، وكتيبة الهوسار الثامنة فى اليسار ، ويصف (بيب روبرتس) قائد كتيبة الدبابات الملكية الثالثة الاحداث التى مرت به فيما يلى :

مرت ساعة التأهب حوالى ٠٥٤٥ دون أحداث ، فتجمعنا لتناول الافطار ، وفى حوالى الساعة ٠٧٠٠ اتصلت رئاسة اللواء هاتفيا ــ بعد أن استغرقها القلق بضع ساعات ، ولم يعد لديها على ما يبدو شىء تفعله الآن ــ وطلبت تزويدها بتقرير واف عن أسباب اعادة الدبابات رقم كذا وكذا الى سلاح المهمات بحالة قذرة •

وارسلت فى استدعاء كاتب الاختزال ، فقد كان لدى رد طيب يتناول ــ بألسنة حداد ــ جميع الحقائق التى لم تكن رئاسة اللواء تعلم أنها فى جانبى • وكنت متلهفا على رؤيتها وقد خطت جميعها على الورق ، غير أننى لم آكد أفرغ من الجملتين أو الثلاث الأول حتى عاد هاتف اللواء الى الرنين ثانية : « وردت أنباء عن تحرك للعدو فى اتجاه « حكيم » • سوف يحتل اللواء الموقع « سكاى لارك »

(جنوب شرقى حكيم) • سوف يتجمع اللواء بنقطة مقابلة ويتشكل عند النقطة •• (على بعد ثلاثة أميال من منطقة مبيتنا فى الطريق الى موقع المعركة) كتيبة الدبابات الملكية الثالثة قائدة ــ كتيبة الهوسار الثامنة فى اليسار ــ وكتيبة الدبابات الملكية الخامسة فى اليمين تنتظم سرايا كتيبة المدفعية الثقيلة الاولى المتحركة مع الكتائب المدرعة وفيلق البنادق الملكى فى الاحتياط فى أماكنها عند نقطة المقابلة الساعة ٨١٥ : لست أتذكر نص الامر بالضبط ، ولكن ذلك هولبه • وسأل


الغزالة
مبدء المتحركات
٢٧-٢٨ مايو
١٠ ٥ ٠
ميل
غزاله
لواء الهنادقه
بيرتماد
سيرابثا
توينتو
اللواء السادس
الكروما
توبكول
٢٨ مايو
ساء ٢٧ مايو
اللواء الرابع
اللواء الهندى التاسع
القاعدة الرابعة
طريق كابوتزو
حرمة
الفرقة المدرعة الأولى
ساء ٢٨
ساء ٢٧/٢٨
العندم
٢٨ مايو
٢٧ مايو صباحا
بيرشيا
باقثا
تيقيل
سجنال
الفاتح
الإتريتي
الوطاق
٢٦ مايو ساء
تريت
بيرهارمات
لواء ريانه الجيش الأول
بيرهاكيم
اللواء الهندى الأول الرابع
اللواء الأول التالع
اللواء الهندى ٢٩
بيرغبى
ساء ٢٦/٢٧ مايو

أركان الحرب قائلا : ما رأيك فى نوعية تحرك العدو ؟ وهل هو استكشاف بقوة ؟
وقال اللواء : نعم • انه شىء من هذا القبيل • لسنا نعتقد أنه شىء خطير •

كنا قد سرنا نحو عشر دقائق ، وكانت السرية الخفيفة على مسافة ٢٠٠٠ ياردة تقريبا للامام عندما أبلغت عن وجود غبار كثيف ، وتحرك قوات غير معروفة الهوية على مسافة ثلاثة أميال من واجهتها ، لعلها كانت كتيبة الهوسار الثامنة • ثم ورد نبأ من اللواء بأن اللواء الآلى الهندى المرابط شرقى « حكيم » قد اكتسحته الدبابات منذ نحو ثلاث أو أربع ساعات •

وواصلنا التقدم ببطء مقتربين من السرية الخفيفة باحثين عن موقع مناسب لستر جسم الدبابة • يا الهى !! ها هى ذى هناك — أكثر من مائة دبابة • نعم عشرون فى الخط الاول ، وهناك ستة بل ثمانية خطوط فضلا عن مزيد منها بالمسافة التى تليها •• فرقة كاملة من البانزر واضحة المعالم أمامنا • اللعنة !! لم تكن هذه هى الخطة بالمرة — أين باقى اللواء بحق الجحيم ؟ لم يكن هناك مجال للتردد حيث لا يوجد ثمة بديل • هالو • اليكم أوامر الكتيبة رقم — : السريتان ب ، ج (جرانت) تتخذان خط القتال بالتبة الصغيرة الواقعة على مسافة ٣٠٠ ياردة أمامنا السرية ب فى اليمين ، والسرية ج فى اليسار ، والسرية أ « هاينز » تحمى الجنب — وتترك فصيلة فى اليسار للمحافظة على الاتصال بكتيبة الهوسار الثامنة ، التى سوف تتحرك الى يسارنا فى أية لحظة •

وقد تنبه على سريتى الـ « جرانت » بامساك النيران حتى تصبح دبابات « توش » فى حدود ١٢٠٠ ياردة أو أن تتوقف ، وكان مدفعيونا فى هذه الاثناء قد سمعوا بالموقف باللاسلكى فراحوا يستعدون لخوض المعركة على مسافة قريبة خلفنا •••

وكانت دبابات العدو القائدة قد توقفت على مسافة ١٣٠٠ ياردة ، بينما راحت جميع دباباتنا تطلق النيران ، حقا لقد أصيبت دبابتان من دباباتنا ، ولكن العدو منى أيضا بخسائر ، كنت أرى دبابة تحترق والاخرى مائلة وطاقمها يقفز منها ••• بيتر (أركان حرب الكتيبة) أبلغ اللواء أننا صامدون ولكننى لا أتوقع أن تتمكن من مواصلة البقاء هنا للابد ، وأقترح انضمام الكتيبة الخامسة الى يميننا حتى تحول دون تطويقنا ، وربما أصبحت فى وضع يسمح لها بأن ترمى

العدو رميا جيـدا بالنيران الجانبية ، غير أنه يبـدو ان كتيبة الهوسار الثامنة قد حبذت وجـود الكتيبة الخامسـة بينها وبيننا حيث كانت الاولى تخـوض معركة بمنطقة مبيتها الاصلية ضد عدد كبير من دبابات العدو ، ولم يتح لها وقت ، حتى لاتخاذ تشكيل المعركة ، وكانت التعليمات الصـادرة الينا تقضى بالصمود أطول مدة ممكنة ...

وفى نهاية القتـال كانت سريتا دبابات « جرانت » التابعتان ل « روبرتس » قد اختزلتا الى عشر دبابات ، تعطلت مدافع ثلاث منها ، بينما نفدت ذخيرة مدافعها جميعا ، سواء ما كان منها من عيار ٧٥ مم أو ٣٧ مم ، أما سرية دبابات (ستيوارت) التى أنزلت الى مرتبة الاستكشاف فقد تكبدت خسـائر أقل ، وفى هذه الاثنـاء كان اللواء قد تشتت فأمر « ريتشاردز » بجمع شتاته من على طول الطريق الممتد جنوب شرقى « العدم » وكانت كتيبة الهوسار الثامنة قد تكبدت الآن خسـائر جسيمة ، بعد أن ألتقت بفرقة البانزر الخامسـة عشرة أيضـا قبل وصولهـا الى مواقعها القتالية ، وفى كتاب « رجال ذوو بسـالة » تصف « أوليفيا فيزروى » أحداث المعركة بمايلى :

فى الساعة ٣ر٣٠ صباحا يوم ٢٧ من مايو ، اتصل اللـواء المدرع الرابع هاتفيا ، للابلاغ عن تحركات أمامية للعدو ، وقال : أن على الكتيبة أن تستعد للتحـرك خلال خمس عشرة دقيقة من أول ضوء وكان قد تم اخطار جميـع السرايا بذلك حتى الساعة ٣٠ر٤ غير انه لم ترد معلومات أخرى عند الفجر ، وكان الوقت يسمح بتناول وجبة ساخنة سريعة ، وفى الساعة ٣٠ر٦ بدأ الجنود يتوافدون على المطبخ واحدا واحدا . وفى الساعة السابعة اتصل اللواء ثانية ليقول : أن رتلا كبيرا مـن ارتال العدو قد اكتسح اللواء الهندى الآلى الثالث على بعد ثمانية أميال فى اتجاه الجنوب الغربى ، وربما كان فى طريقه الى موقع كتيبة الهوسار الثامنة بـ (جوف البقر) ، لهذا فقد أمر المقدم (كيلكيلى) بقيام دورية دبابات خفيفة من السرية (حـ) للاستكشاف فى اتجاه الجنوب ، وقد التقت الدورية بالنسق الثانى للواء الهندى الذى لم تصله أنباء عن أي شيء غير موات .

وفى ذلك الوقت ، كانت الكتيبة مازالت تتوقع العودة الى اتخاذ مواقعها

القتالية الشمالية اذ تخيلت ان أية تحـركات فى اتجاه الجنوب لابد وأن يكون طابعها الاستعراض ، أو الخداع ، حيث كان من المتوقع ان يجرى الهجوم خلال حقول الألغام شمال الغزالة • غير ان اللواء ارسل فى نحو الساعة ٧٫٢٠ بالكلمة الرمزية (أغلبية) وتعنى « تحرك الى المواقع القتالية الجنوبية » ، وتلاها أمر بالتحرك الى (نقطة الابتداء) الواقعة شرقى منطقة المبيت مباشرة ، وأثناء تحرك الكتيبة الى هذه المواقع ، أبلغت السرية (حـ) عن دبابات معادية ــ على مسافة ٤٠٠٠ ياردة جنوبا ــ متحركة فى اتجاه الشمال الشرقى ، وكانت هذه الدبابات فوق هضـبة على جانب الكتيبة الايسر ، وتتكون من رتل كبـير من دبابات ماركة ٣ ، ٤ ، تدعمها عن كثب المدافع المضادة للدبابات •

وتشكلت الكتيبة فى خط متداخل ، واستعدت للقتال • وكانت السرية (حـ) هى التى اشتبكت أولا ، وقد أصيبت دبابة قائد السرية « الرائد هاكيت » فى الدقائق الاولى ، كما أصيب هو بحروق شديدة ، ولكنه ركب دبابة أخرى ، وواصل قيادة سريته • وفى هذه الاثناء كانت السريتان أ ، ب قد تشكلتا على يسار السرية (حـ) ويمينها ودخلتا المعركة • وقد سجلت الطلقة الاولى التى أطلقها « نلسون » قائد السرية (أ) اصابة مباشرة لمدفع مضاد للدبابات عيار ٨٨ مم ، ولكن نظـرا لوجوده بالجنب الجنوبى للكتيبة ، فقد تحملت سريته الوطأة العظمى لهجوم العدو ووقعت تحت وابل لا هوادة فيه من نيران المدافع عيار ٨٨ مم ومدافع الدبابات ماركة ٣ ، ٤ •

وقد كتب النقيب « هوث » يصف المعركة بما يلى :

فتحنا نيراننا جميعا فى الحال عندما اتضـح ان الرتل بأكمله ينعطف الى اليمين ، ويتقدم نحونا رأسا •

واستمر القتال نحو خمس عشرة دقيقة ، أصيبت خـلالها جميع دباباتنا ، أو تعطلت فيما عدا اثنتين ، وكنا قد أصبنا كثيرا من دبابات العدو ، ولكننى لم أستطع فى ذلك الوقت تقدير خسائر العدو ، وان كنت قد شاهدت ثلاثا أو اربعا وقد اشتعلت بها النيران •

ولم أكد أطلق طلقتين بالمدفع عيار ٧٥ مم حتى اخترقت دبابتى طلقة من

عيار ٨٨ مم فقتل على الفور كل من السـائق ، وكيل العـريف « ديكسون » ومدفعى المدفع عيار ٧٥ مم : الجندى (برسكوت) •

كذلك فقد أصيب المدفع عيار ٣٧ مم فغادرنا الدبابة ، وقتل فردان آخران من الطاقم ، واستطعت بعد ذلك أن أعتلى ظهر دبابة الملازم ثان « كولمـان » • وفى هذه الاثناء كانت السرية تنسحب ، وهى تطلق النيران فى الوقت نفسه حيث كان العدو متفوقا عليها تفوقا عدديا ساحقا •

وعند نهاية الدقائق الخمس عشرة كان النقيب « نلسون » قد جرح • أما بالنسـبة لقادة الفصـائل الثلاث فقد قتل « ديفيد اليوت » بينما جـرح « نيجل جيبز » ومات فى غضون ساعة كما جرح « فرانسيس كولمـان » أيضا وكان هناك ١٢ قتيلا و ١٢ جريحا تقريبا بين الرتب الأخرى بالسرية •

وكانت الدبابتان الوحيدتان الباقيتان من السرية (أ) فى النهاية هما دبابة رقيب الفصـيلة رقم ١ : الرقيب « موريس » (نجمة القطب الشـمالى) الذى أخلى المـلازم « جيبز » والمـلازم « أيمز » • وارتد موريس فى مسيرته الى الوادى ، وهو يطلق النيران ، ويحمل معه فى طريقه بعض أفراد الاطقم الذين هجـروا دباباتهم ، وتكدسوا فوق القمة حتى اشتبك هو والمـلازم « هول » بدبابة ماركة ٣ كانت بمثابة هدف عريض طيب • واضطر « هول » فيما بعد الى مغادرة دبابته بعد كسر جنزيرها ، فالتقطه « أيمز » هو والملازم ثان (تيلور) ونحو ثمانية أو عشرة جنود وأخرجهم من المعركة •

ورغم ان السرية (ب) لم تكن موغلة فى الاشتباك الى هذا الحد فقد تعرضت بدورها للمتاعب • ويتابع الملازم ثان « تيلور » الرواية فيقول :

فى الساعة ٧ر١٠ أبلغت السرية (حـ) عن اقتراب دبابتين معاديتين ماركة ٣ من معسكر مبيتها • وفى الساعة ٧ر١٥ عبرت السرية (ب) الارض المخصصة للألعاب الرياضية ، وتشكلت فى خطوط للاشتباك مع نحو خمسين دبابة معادية ، وألقى الجنود بطعام الافطار ، كما سارعوا برفع رشاش الـ « تومى » المثبت فوق دبابة قائد السرية استعدادا للتدريب على (الميدان المصغر) ، وكانت الفترة الواقعة بين الساعة ٧ر١٥ و ٧ر٤٥ فترة لا تنسى ، فقد فقدت دبابات « جرانت »

جنازيرها وعجلاتها ، بينما تركت الدبابات الالمـانية مشتعلة ، ولكنها دعمت بواسطة لواء الدبابات الثامن ، أو « هوسار رأس الموت » الذى لا تقل قوته عن ١٥٠ دبابة ، وكانت المدافع الالمـانية عيار ٨٨ مم والمدافع الاخرى المضادة للدبابات قد تصدت بشدة للسرية (أ) ، ولكن المدافع المضادة للدبابات لم تكن قد اشتبكت بعد بالسرية (ب) التى كانت فى يمين مؤخرتها مواجهة للجنوب الغربى ، غير ان معظم دبابات السرية (ب) كانت تعانى اما من استعصاء مدافعها أو خلع جنازيرها أو نفاد ذخيرتها ، لهذا فانه عندما وصل الامر بالانسحاب شرقا فوق التل لم تتمكن من الخروج سوى دبابة واحدة بقيادة الرقيب « مورجان » .

أما الباقون فقد خاضوا المعركة حتى أكرهوا على اخلاء دباباتهم ، حيث قام نحو ٢٤ من أفراد الاطقم ، وعلى رأسـهم الرائد « ثرلفول » والنقيب « جوين » بمختلف أنواع (رياضة سرية الدبابات) عبر ركام الطين وسفح التل بما فى ذلك سباق موانع تتخلله قذائف شديدة الانفجار ، تطلقها الدبابات ماركة ٤ بدلا من شباك التمويه ، ولسبب ما لم يطلق الالمـان نيران المدافع الرشاشة على هؤلاء الجنود ، واستطاع الجميع العودة عبر الطرق المختلفة الى بر الامان ، اما الرائد « ثرلفول » والنقيب « جوين » فقد رفعهما معه ضابط اتصال الكتيبة بعد ان قطعا مسيرة ثلاثة ارباع الميل ، واستطاعا ان يضعا قائد اللواء (فى الصورة) ، هذا بينما تولى النقيب « ايمز » رفع الملازم « هول » والملازم « تيلور » وغيرهما من أفراد الاطقم . وفى صباح ذلك اليوم دخلت المعركة تسع دبابات منها اثنتان تحت الاصلاح وانتهى الامر بترك ثمانى دبابات بميدان المعركة . ولعلها أصيبت بتلف أشد من ان يتيح للالمـان اصلاحها ، حيث قامت جماعات الاصلاح التابعة لنا بجمع معظمها أو تدميره بعد ذلك ببضعة أيام .

وكانت السريتان أ ، ب قد قاتلتا عدوا متفوقا عليهما تفوقا ساحقا ، حتى توقفتا تماما ، أما السرية (حـ) فقد واصلت القتال ، وعنـدما اتخذت موقعا جانبيا تمكنت من تعطيل عشر دبابات المـانية على الأقل ماركة ٣ ، ٤ ليصـل مجموع خسائر العدو الى ٣٠ دبابة معطلة أو مدمرة ، وتسلل عدد من الدبابات الالمـانية ماركة ٣ ، ووجد طريقه حول الاجناب حتى اشتبك مع مركز رئاسة الكتيبة الذى تراجع الى الارض العالية شرقا ، على أمل جمع شتات الكتيبة هناك ، ولكن ذلك كان متعذرا ، حيث لم يتبق لدى السريتين أ ، ب معا سوى

ثلاث دبابات ، وان كانت السرية (حـ) قد ظهرت فيما بعد .

ونجح المقـدم « كيلكيلى » فى تعطيل دبابة ماركة ٤ حيث اشتعلت بها النيران على مسافة ثلاثين ياردة ، ولكن السرية فقدت جميـع دباباتها ، وقد تحملت دروع دبابات « جرانت » نيران الدبابات الالمـانية المضادة للدبابات ، ولكن الاسلحة الارضية (٨٨ مم ، ٢٠ / ٢٨ مم) اخترقتها ، كما تعطل الكثير منها بسبب تلف جنازيرها ، وتم أسر الرائد « فيليب » قائد ثان الكتيبة والملازم ثان « جيمبلت » ضابط الاشارة ، ورغم ان بعض أفراد الاطقم ساروا عائدين على الاقـدام ، فقد قتلت مجموعة منهم كانت بصحبة اركان الحـرب النقيب « بولدوين » بنيران المدافع الرشاشة .

كان قتالا باسلا استطاعت الكتيبة خلاله تدمير ثلاثين دبابة من مائة دبابة ألمـانية أو يزيد ، وواصلت القتال حتى غلبت على أمرها ، ونظرا لسرعة التقدم ، وعدم تلقى الكتيبة انذارا مبكرا (رغم ان سيارات وحدات الفرقة المدرعة كانت قد وافت مركز رئاسة الفرقة بمعلومات دقيقة عن تقدم هذا الرتل أثناء الليل ، ولأسباب غير معروفة حتى اليوم ، لم تؤخذ هـذه المعلومات مأخـذ الجد) استطاع العدو القيام بهجوم مفاجىء ، والاشتباك مع الكتيبة ، والقضاء عليها قبل امكان دعمها ، أو ارسال مدفعية لمساعدتها .

وبينما كانت فرقة البانزر الخامسة عشرة مشتبكة مع اللواء المدرع الرابع متكبدة فى غضون ذلك خسائر فادحة ، اصطدمت الفرقة التسعون الخفيفة باللواء الآلى السابع ، وشتتته ، قبل ان يتاح له الوقت لتنظيم نفسه للدفاع عن موقع « رتما » الصندوقى بعد انسحابه الليلى الطويل ، أو حتى لتناول طعام الافطار ، واندفعت شرقا صوب موقع اللواء الهندى التاسع والعشرين بـ « بير غُبى » .

وعن يسار « كليمان » انقضت وحدة الاستكشاف رقم ٣٣ رأسا على مركز رئاسة الفرقة السابعة المدرعة ، وعطلت احدى مركبات القيادة كما أسر (مسرف) نفسه و (بيمان) أركان حربه لشئون العمليات (تمكنا من الهرب فيما بعد ، حيث أخفيا رتبتيهما) أما من لم يؤسروا فقد تشتتوا فى اتجاه الشمال الشرقى ، ثم تجمعوا فيما بعد مع « ريتشاردز » جنوب شرقى العدم ، حيث أفادت الفرقة التسعون الخفيفة منذ الساعة العاشرة بأنها تدفع أمامها بمركز رئاسة الفيلق ٣٠

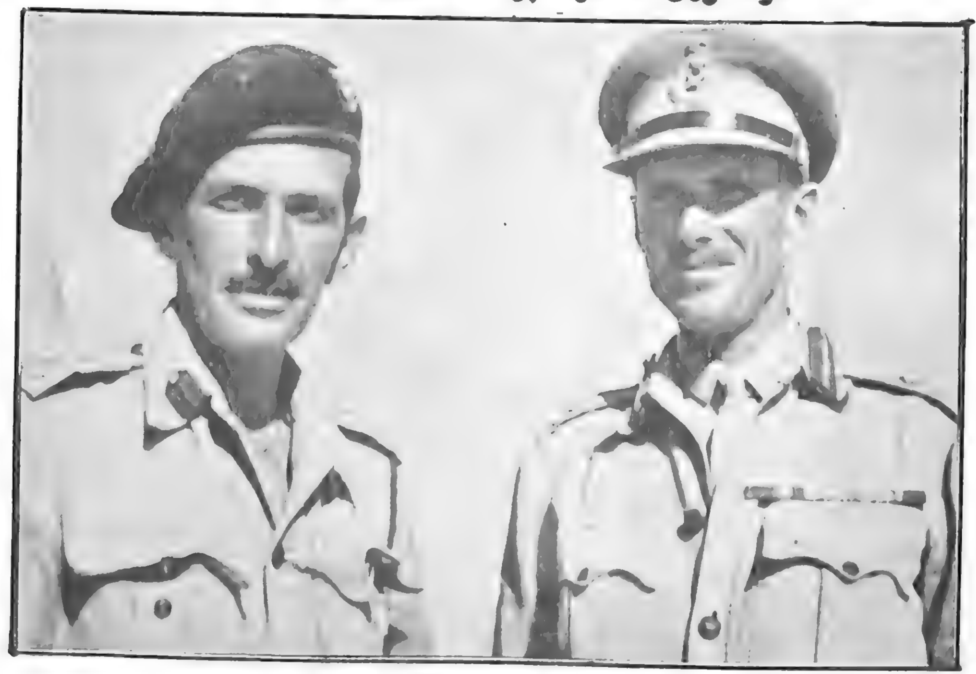
الذى لقيته فى طريقها مباشرة ، وانضم « نورى » نفسه الى « جوت » بالموقع الدفاعى « الصندوقى » بالعدم ، وانهار جناحه الأيسر بأكمله وباختفائه لم يتمكن من الوقوف على ما حدث .

وبينما كانت فرقة البانزر رقم ١٥ بقيادة « فون فايرست » مشتبكة فى معركة مع « ريتشاردز » كانت فرقة « فون بسمارك » الحادية والعشرون ، قد تسللت وتجاوزتها غربا ، رغم اشتراكها جزئيا فى هزيمة اللواء الهندى الآلى الثالث ، واندفعت الى الشمال رغم ذلك ، واصطدمت باللواء المدرع الثانى والعشرين بقيادة « كار » مفاجئة اياه ، حيث لم يكن قد صدع بعد للأمر القاضى بانضمامه الى « ريتشاردز » رغم ان الساعة كانت قد أصبحت أقرب الى التاسعة منها الى الثامنة ، وتكبد اللواء عددا من الخسائر ورد على اعقابه فى اتجاه الشمال الشرقى ، وفى الساعة ٩٫٤٥ استدعى « بريجز » قادة كتائب اللواء المدرع الثانى ، واعطاهم الأوامر للتحرك جنوبا ، وهو تحرك يستهدف ضرب جنب الدبابات المعتقد أنها تدفع أمامها « كار » فى اتجاه الشرق ، وسرعان ما ان اكتشفوا خطأهم بمجرد تحركهم فى الساعة الحادية عشرة واستداروا يمينا ليواجهوا من الغرب (كتيبة « بييز » فى اليمين ، وكتيبة الهوسار العاشرة فى الوسط ، وكتيبة « لانسرز » التاسعة فى اليسار) ، وكانت الساعة قد بلغت الثانية عندما شن هجوم منسق يبدو أنه انصب على لواء المشاة المحملة بشاحنات والتابع لفرقة البانزر الخامسة عشرة ، وأنزل به خسائر فادحة . واستمرت المعركة طوال العصر ، وعند آخر ضوء تقهقر العدو غربا ، بينما عاد « بريجز » الى مواقعه الاصلية شرقى « نايتسبريدج » ولكن « نيرنج » لم يهاجم عند جنبه الأيمن فحسب ، فقد تحركت قوات « أوكارول » خفيفة الحركة مع كتيبة الدبابات الملكية الرابعة والاربعين من « بير أصلج » وضربت يسار « فون بسمارك » حيث قضت تماما على احدى كتائبه ، وقد فقدت ١٨ دبابة ماتيلدا فى هذا السبيل .

وربما بدا موقف (نورى) حرجا فى نهاية اليوم ، ولكنه رغم خسائره كان أبعد ما يكون عن ذلك ، كانت عقبته الكبرى تعذر اكتشاف طبيعة سير الأمور ، وخاصة عند محاولة معرفة المكان الذى وصل اليه العدو بمناظرة المعلومات الضئيلة المتيسرة له . وكل ما كان يعلمه ان جانبا كبيرا من العدو قد يكون مازال



شكل ٣٥ - اللواء ريتشي (من الشمال الى اليمين) البريجدير ايرسكيني
اللواء نوري - اللواء جوت - النقيب جرانت سنجر.



شكل ٣٦ - العميد برجز واللواء لمزدن

فى مكان ما جنوبى العدم ، والواقع أنه رغم الخسائر التى حدثت باللواء المدرع الثانى والعشرين لم تصب فرقة « لمسدن » بسوء تقريبا ، بل وكادت ان تطوق الفيلق الافـريقى ، وان لم تتبين ذلك . وكانت احـدى كتائب اللواء المدرع الرابع ــ وهى كتيبة الدبابات الملكية الخامسة ــ مازالت محتفظة بقواها ، كما كانت القوات القريبة من « العدم » كافية للتعامل مع الفرقة التسعين الخفيفة التى أصبحت الآن منعزلة تماما فى تلك المنطقة ، والواقع ان « رومل » وهو فى طريقه لمحاولة الاتصال بـ « كليمان » كاد ان يؤسر فى عصر ذلك اليوم .

لقد كان موقفه دقيقا بالفعل ، وكانت الفرقة التسعون ووحدات الاستكشاف قد تطرفت تطرفا شـديدا ، ولم تستول الا على مستودع صغير لا أهمية له : وكان الفيلق الافريقى قد خسر ما يزيد على ثلث دباباته ، وكانت فرقة البانزر الخامسة عشرة ، ومعها ٢٩ دبابة صالحة للعمل فقط الى جانب ١٤ دبابة مصابة بأعطال مؤقتة ، كانت فوق هضبة « رجل » شمال غربى « نايتسبريدج » وقد نفد منها الوقود وكادت ان تنفد منها الذخيرة ، وكانت الفرقة الحادية والعشرين على مسافة بضعة أميـال الى الغـرب ومعها حوالى ٨٠ دبابة . وكانت انساق امدادها ــ ومعها « رومل » الذى انفصل هو و « نيرنج » عن هيئة أركانه ــ جنوبى (بير حرمت) قد عزلت بفعل عمليات الفرقة الاولى المدرعة ، وكتيبة المدرعات الملكية الرابعة والاربعين التى وقعت بعد الظهر ، (من حسن حظ (رومل) ان سحبت هـذه التشكيلات أثناء الليل) . وكانت الآريت على مسافة أبعد الى الجنوب وقد تعثرت فى الحافة الشرقية لحقول الألغام الواقعة شمال (حكيم) بينما كانت « تريستا » تحاول ان تشق طـريقها من الغـرب ، وكان يتعين على « رومل » ــ وفقا للمنطق السليم ــ ان يحاول تركيز امكانياته ، وتعديل وضعه ، لكى يقلل من تعرضه لضربة من قوة « نورى » بأكملها بجنبه الايمن ، غير انه وهو يحمل فى ذهنه الصورة الاصلية التى تخيلها لقوة الجيش الثامن وأوضاعه ، فانه لابد وان يكون قد حسب انه قد تخلص بالفعل من غالبية الفيلق ٣٠ ، وكما حدث فقد أمعن فى جعل وضعه أشد تعرضا للخطر بأن أمر بمواصلة الزحف شمالا الى (عكرمه) فى اليوم التالى . والواقع ان فرقة البانزر الحادية والعشرين هى التى قامت وحدها بهذه المهمة ، حيث ظلت الفرقة ١٥ غير قادرة على الحـركة ، وبعد ان شتتت كتيبة الدبابات الملكيـة الثامنة جنوبى (علوة التمر) ، عطلت



شكل ٣٧ ـ دبابات جرانت تتحرك نحو الجبهة الامامية



شكل ٣٨ ـ دبابات فالنتين تتقدم للهجوم على كولدرون

تسعا من دباباتها الـ « فالنتاين » مضت فى طريقها شمالا واشتبكت مع « كومنويلث كيب » واكتسحتها ثم وجدت نفسها فوق الجرف المطل على الطريق الساحلى ، حيث أطلقت النيران على مزيد من مواقع جنوب أفريقيا .

وهكذا امتدت قوات « رومل » يوم ٢٨ على طول المسافة من الجرف الساحلى حتى « بير حكيم » الى الخلف : كانت فرقة البانزر الخامسة عشرة قد شلت حركتها فكان همه الاكبر الآن فتح طريق امداد للفيلق الافريقى ، بينما راح هو نفسه يقوم بتحركات محفوفة بالمخاطر للامام والخلف بين (بير حرمت) و (هضبة رجل) . اما (الأريت) التى عهد اليها بمهمة فتح الطريق بين (حكيم) والفيلق الافريقى فقد وجدت نفسها مشتبكة مع اللواء المدرع الثانى فى اليمين ، ولواء دبابات الجيش الأول فى اليسار .

كانت أوامر (لمسدن) بالنسبة لذلك اليوم دفاعية بحتة ، حيث وضعت لمقابلة الزحف المتوقع للفيلق الافريقى من المنطقة التى قضى بها الليل الى الشرق فى اتجاه (العدم) حيث كان من المرتقب ان يحاول « رومل » ضم صفوفه الى صفوف الفرقة التسعين الخفيفة ـ لهذا فقد كلف (كار) بمنع العدو من التحرك شمالا عبر الممر الواقع شمال شرقى « نايتسبريدج » ، بينما يقوم « بريجز » بستر الـ (جاردز) من أى هجوم من الجنوب ، ونظرا لان (فون فايرست) لم يتحرك ، ولم يقع هجوم على (نايتسبريدج) فان فرقته لم تفعل شيئا طوال الصباح ، وفى هذه الاثناء كانت الفرقة التسعون الخفيفة التى استدعيت من جنوب (العدم) للانضمام الى « رومل » قد تبينت ان اللواء الرابع المدرع يطاردها ، وهو يسلك نفس الاتجاه فى طريقه للانضمام الى (لمسدن) ، لهذا فقد توقف (كليمان) عند (ناضورة الغسواسك) على مسافة ثمانية أميال شرقى (بير حرمت) وعلى نفس المسافة جنوب شرقى (نايتسبريدج) حيث واصل (ريتشاردز) اشتباكه معه باقى اليوم .

وعند الظهر كان لدى (نورى) صورة أوضح عن العدو وعن قواته . وكانت قد اتضحت الآن أهمية عزل (رومل) فى منطقة (بير حرمت) وكلف (لمسدن) بسد الثغرة هناك بينما قام (أوكارول) بنفس الشىء من الغرب ، ولم يبدأ انجاز ذلك حتى وقت متأخر من بعد الظهر تحركت (الآريت) أثناءه الى

المنطقة ، وكلف (بريجز) بالمهمة فوقع عبؤها على عاتق كتيبة الهوسار العاشرة التى قامت بالهجوم قبيل حلول الظلام مواجهة الشمس الغاربة ، وخسرت سريتها الوحيدة من دبابات « جرانت » بفعل نيران المدفع ٨٨ مم دون مقابل يذكر ، وكانت أهم عمليات ذلك اليوم فى الواقع ايطالية أيضا • فقد نجحت فرقة « تريستا » الموجهة أصلا الى جنوب موقع اللواء ١٥٠ قرب (سيدى مفتاح) نتيجة للخطأ فى تنفيذ الأوامر الصادرة اليها — نجحت فى شق طريق لها خلال حقول الألغام • ولم يكن من شأن هذا اكمال تطويق لواء « هايدون » فحسب — حيث كان الفيلق الافريقى يحيط به من الشمال والشرق — بل وأتاح امكانية مد خط تموين تبادلى الى « رومل » — الذى كان يقوم بارشاد الشاحنات القادمة عن طريق (حكيم) فى ذلك المساء — حتى الحافة الشرقية لحقول الألغام •

وبينما كان « رومل » يختبر هذا الطريق أقدم (وستفال) على دفع الايطاليين شمالا للقيام بعملية اختراق ، وقد قامت فرقة (صبراتا) بمحاولة لم يكد يلحظها خصمها ، وكان « كرويل » على غير اتصال بالأحداث ، وفى محاولة لاكتشاف مجريات الأمور استقل طائرة خفيفة من طراز (فيزلر ستورتش) للبحث عن « رومل » و « وستفال » • وقد سقطت طائرته بمنطقة اللواء ١٥٠ حيث تم أسره • وقد شغل مكانه (كيسلرنج) بصفة مؤقتة ابان زيارته للجبهة •

وبدأ « رومل » أخيرا يقدر خطورة موقفه ، بينما بدأ خصومه يرون بدورهم ان ثمة فرصة قد عرضت لهم • واستدعى (رومل) (فون بسمارك) من جرف (علوة التمر) وكلفه بارسال مجموعة قتال لمساعدة (فون فايرست) فى الاشتباك مع (بريجز) بينما تحركت فرقة(الآريت) تحت ستار هذه العملية الخداعية الى غرب (نايتسبريدج) واحتلت مكانها فى (بير حرمت) الفرقة التسعون الخفيفة أثناء الليل ، وتنيجة لهذه التحركات اشتدت المقاومة التى واجهها (لمسدن) عندما زحف غربا يوم ٢٩ محاولا اكمال المهمة التى لم يتم انجازها فى مساء اليوم السابق ، وهى ضم صفوفه الى صفوف اللواء ١٥٠ بمنطقة (عصلج) جنوب غربى (بايتسبريدج) ووجد نفسه مواجها بعناصر من فرقتى البانزر تقدر بنحو ١٠٠ دبابة ألمانية فضلا عن عدد مماثل لها تقريبا من الدبابات الايطالية بفرقة (الآريت) ، واستمرت المعركة طوال اليوم فى هذه المنطقة ، حتى لم يبق من كتيبة (الهوسار) العاشرة سوى ثلاث دبابات سلمتها الى كتيبة

(لانسرز) التاسعة التى كانت قد فقدت جميع دباباتها من طراز (كروسيدر) ، رغم ان سرية دباباتها من طراز (جرانت) كانت ما تزال قوية ، ومن سجل الوحدة التاريخى قدم (جوان برايت) نبذة عن العمليات التى جرت فى ذلك اليوم •

بدأ اليوم التاسع والعشرون من شهر مايو الساعة ٣٠ر٥ صباحا ، وهو يوم لن ينساه أحد ممن اشتركوا فى أعنف قتال فى ذلك اليوم ، وقد أعدت المدافع للضرب ، حيث كانت تبيت وبدأ اللواء يتشكل مواجها الغرب ، ولم يكد هذا يتم حتى سقط وابل من القذائف على كتيبة المدفعية الحادية عشرة ، وسرعان ما شغل الضابط الطبيب فى تضميد جراح المدفعيين :

وكانت الكتائب الثلاث قد اتخذت مواقعها على شكل مثلث تتوسطه المدافع ، ويستند رأســه الشمالى على (صندوق) (نايتسبريدج) الدفاعى الذى وقع بدوره تحت قصف وهجوم متواصلين •

فقد واصلت البانزر الالمــانية شن هجومها طوال اليوم من جهــة ثم من أخرى ، وكلما اشتد الضغط على احدى الكتائب ارسلت الكتيبتان الاخريان سرايا لنجدتها ، وراحت دبابات (جرانت) تطلق نيرانها ببراعة ، وتعطل الدبابات السوداء ماركة ٣ ، ٤ مرة بعد أخرى ، ولمــا كان الالمــان قد اعتادوا على المدافع عيار ٢ رطل فانهم لم يتبينوا الا بعد لأى ان مدفعا جديدا يدقهم دقا عنيفا •

وأقبلت أشــد فترات ذلك اليوم حــرجا ، عندما سمعت كتيبة الهوسار العاشرة على الهواء وهى تطلب النجدة ، بعد ان كانت قد فقدت جميع دباباتها من طراز (جرانت) تقريبا فى اليوم السابق • كان العدو يدفع بها فوق سرية مدفعيتها ، ومن ثم فقد كان الموقف حرجا ، وأمر المقدم (ماكدونل) السريتين (أ) ، (حـ) بالهجوم تحت ستار دخان تقيمه السرية (ب) • وتشكلت السريتان وهاجمت العدو المحاصر لقواتنا ببسالة فائقة ، وتمكنت من استرداد السيطرة على الموقف ، ولكن نظير ثمن فادح ، فقد قتل الملازم (توم جزفست) ، كما عطلت فصيلته بالكامل ، أما الملازم (جون ماردن) الذى بدأت دبابته الـ (جرانت) تخترق فقد قتل وهو يحاول اطفاءها بجهاز الاطفاء اليدوى ، وعادت السرية (أ) وهى تضم خمس دبابات والسرية (حـ) بست دبابات • هذا ، بينما ظلت سرية

دبابات (جرانت) (ب) سليمة وان أعوزتها الذخيرة بشدة • وانتشر النسق (أ) خلف خط المدافع ، وكان السائقون منبطحين فى الخنادق ، وكل منهم لا يكاد يبعد ســوى بضع ياردات من ثلاثة أطنان من المتفجــرات ـ هى مهمة لم يكن يحسدهم عليها أحد ، فضلا عن أنها لم تنل تقديرا يذكر •

واقتيدت شاحنتان حتى دبابات (جرانت) حيث عبئت صناديق الذخيرة تحت ستار الدخان ، غير ان الالمــان لابد وان يكونوا قد رأوها ، حيث فتحوا نيران رشاشاتهم الثقيلة ، وقد قتل الملازم (تشارلز هيكوك) اثر اصابته بمعدته وهو يساعد فى توصيل الطلقات وكان ملاحا بارعا ، وفى أحيان كثيرة كانت تقديراته تصيب حيث تخطىء تقديرات الآخرين ، وكان موته لطمة قاسية تركت بالكتيبة فراغا تعذر ملؤه •

وعند هبوط الغسق بدأ الهدوء ، ولمدة ساعة ظللنا نراقب وننتظر ، وفى هذه الاثناء اشتعلت النيران فجأة باحدى دباباتنا الثمينة من طراز (جرانت) لغير سبب واضح ، ولكن طاقمها نجا لحسن الحظ ، وعلى خط السماء الى الغرب فتحت قوة معادية نيرانها على مدافعنا التى ردت عليها فى الحال ، بينما أمكن فى اتجاه الشمال مشاهدة رتل ضخم من مركبات العدو وهو يتحرك ببطء فى سحابة من الغبار نحو الشمس الغاربة •

كانت كتيبة (بييز) أسعد حظا ، حيث لم تخسر سوى خمس دبابات فقط • وبينما كان نصف دبابات فرقة البانزر ٢١ ـ البالغة ٩٤ دبابة ـ بعيدا ، حيث كان يقاتل كتيبة الدبابات الملكية السابعة قــرب (علوة التمر) وكان اللواء المدرع الرابع بعيدا بدوره عن ميدان المعــركة الرئيسى ، حيث كان بالاحتياط جنوب (العدم) ، غير ان الأوامر صدرت اليه عند الظهر بالتوجه غربا ، والعمل تحت قيادة (لمسدن) وكان ان هبت عاصفة رملية بعد الظهــر حالت بينه وبين لقاء (ريتشاردز) ، واحتك اللواء بالفرقة التسعين الخفيفة قرب (بير حرمت) عند الاصيل ، حيث خسر خمس دبابات (جرانت) وثلاث دبابات (ستيوارت) ، وأرسل رتل مكون من سرية مدفعية وسرية مشاة من لواء (جاردز) ـ أرسل الى الغرب من (نايتسبريدج) لمحاولة قصف الثغرات الموجودة بحقول الألغام ، وكان من الطبيعى ان يصطدم بمقاومة عنيفة ، ويفقد جميع رجاله ومدافعه تقريبا •

كان يوما غير مرض بالنسبة لـ (نورى) ولكنه أرغم (روملل) على استهلاك نسبة كبيرة من المخزون الباقى من وقوده وذخيرته ، بينما لم يصله من الغرب ما يتزود به . لهذا فقد أمعن فى اغماد قرونه فيما أصبح معروفا فيما بعد بمعركة (كولدرون) ـ من هضبة (سدره) فى الشمال الى هضبة (عصلج) فى الشرق ، وكان سوف يحتلهما بستائر قوية من المدافع المضادة للدبابات ، مع تحويل اهتمامه الى مهمة تطهير طريق خلال حقول الألغام ، والقضاء على اللواء ١٥٠ الذى كان سببا رئيسيا فى تأخير ذلك .

وكان من شأن انكماش قواته داخل هذه المنطقة ـ وكان بمثابة حشد أيضا ـ ان خاله (أوكنليك وريتشى) علامة على ضعفه ، بل وربما نيته فى الانسحاب تماما ، وكانت متاعبه الادارية محل تقدير بل ومبالغة حيث ساد الاعتقاد بأنه لو ظل مشتبكا اشتباكا عنيفا لمدة اربع وعشرين ساعة أخرى بهذه المنطقة ، فان ذخيرته ووقوده كفيلان بأن ينضبا ، وعندئذ سوف تتكفل التحركات الواسعة حول (حكيم) مع زحف الى الجنوب من قطاع الفيلق ١٣ بعزله تماما ، ليصبح مسرح القتال معدا لعملية اكتساح عبر الصحراء الى (مخيلى) و (بنغازى) بعد القضاء على قوات (روملل) خفيفة الحركة ، وعندئذ يتم كسب المعركة التى ستدور على (الارض التى اخترناها بأنفسنا) ، وكان مصدر القلق الوحيد ، هو مصير اللواء ١٥٠ الذى انضم اليه بـ (الصندوق) الدفاعى باقى دبابات (أوكارول) من طراز (ماتيلدا) ، حيث وقع بالشرك فى وسط معركة (كولدرون) وكان وجوده بمثابة مفاجأة غير سارة لـ (روملل) .

وكانت نتيجة هذا التقدير المتفائل ، قصر عمليات يوم ٣٠ من مايو على محاولات اللواء المدرع الثانى المدعم بجزء من اللواء المدرع الثانى والعشرين على اختراق الستار الواقع غربه ، والمعتقد أنه حرس مؤخرة (روملل) ، وبعد محاولتين من هذا القبيل اختزلت قوة دبابات اللواء الى ما يقل عن ثلاثين دبابة عند هبوط الليل ، وكانت النتيجة ان حشدت جميع الدبابات فى اليوم التالى بكتيبة مختلطة واحدة فأمست ضعيفة بذلك ، رغم ان نسبة دبابات (جرانت) الى المجموع الكلى للدبابات كانت عالية ، وكان اللواء المدرع الثانى والعشرين ، قد منى بالفعل بمصير مماثل ، وفى أثناء النهار ارسل اللواء المدرع الرابع لمطاردة العدو اثر ورود أنباء تفيد ان ٢٥ دبابة ألمانية جار سحبها بمكان ما جنوبى (حكيم) .

وأخذت الحلقة تضيق الآن على اللواء ١٥٠ وتبين (رومل) ان اخضاعه يتطلب هجوما مركزا ، يستخدم فيه كل امكانياته ، وتلقى نزرا يسيرا من المؤن خلال ليلة ٣٠ ، ولكنها لم تكن كافية لجعله يتطلع بثقة للاحتمالات المرتقبة ، لاضطراره لمواجهة هجوم قوى من الشرق ، وهو مشغول بمحاولة اخضاع حصن (هايدون) ، وعندما لم يظهر دليل على مثل هذا الهجوم فى صباح يوم ٣١ قرر (رومل) حشد قواته بـ (سيدى مفتاح) وبدأ الهجوم على اللواء ١٥٠ ، وكان دفاعا من أشد العمليات الدفاعية التى عرفتها الحرب بسالة . فقد قاتل اللواء بعناد واصرار لمدة يومين ونصف اليوم بمفرده تماما ، ضد القوة الساحقة التى حشدها (رومل) حتى نفدت ذخيرته تماما ، ويبدو ان محنته لم تكن محل تقدير فى بقية الجيش الثامن ، حيث لم يبذل مجهودا يذكر لتخفيف الضغط على جماعة (هايدون) الباسلة الا بعد فوات الأوان .

وكان هناك سببان لذلك ، كانت خبرة (لمسدن) فى مقارعة العدو حول (نايتسبريدج) فى الايام القليلة الماضية قد أقنعته بأن الهجوم النهارى بالدبابات وحدها ــ رغم دعمه دعما قويا بالمدفعية ، كما حدث فى الهجمات الاخيرة لكتيبة اللانسرز التاسعة ــ لا يتمخض عنه سوى انزال الخسائر بدباباته ، وكان يعتقد ان الرد على ذلك يتمثل فى هجوم ليلى بالمشاة للاستيلاء على مدافع العدو المضادة للدبابات (وتطهير الألغام ان وجدت) تتقدم الدبابات بعده بأمل أكبر فى النجاح ، وقد اقتنع (نورى وريتشى) بذلك وقد اتفق هذا مع رغبة (ريتشى) فى الاستفادة من قوة الفيلق ١٣ بالزحف غربا الى (تميمى) و (تمرد) ، بينما تلتف الارتال الخفيفة الحركة حول (حكيم) لتهدد خط مواصلات (رومل) من الاتجاه المضاد ، وكان من المعتقد ان هذا سوف يعجل بانسحاب (رومل) من (الكولدرون) أو عزله هناك ، وبهذا يمكن تجنب الحاجة للهجوم الجبهى وان كان لا يزال من الضرورى ضمان عدم استطاعة (رومل) التجول والزحف شرقا نحو (العدم) ، وللحيلولة دون ذلك كان من الضرورى حشد احتياطى قوى من الدبابات بهذه المنطقة مع استخدام الفرقة الهندية الخامسة ، لاستغلال نجاح الفيلق ١٣ فى اتجاه درنة .

وكان محددا لبدء هذا التحول الجوهرى المتفائل الى الهجوم ليلة ٣١ من مايو ، ولكن قائدى الفيلقين اعترضا على امكانية اجراء تغيير جذرى فى الخطط

فى مثل هذا الوقت القصير ، وطلبا مهلة لا تقل عن ٢٤ ساعة ، وفى هذه الاثناء كانت خبرة (لمسدن) قد تمخضت عن تقدير أشد اعتدالا للموقف ، لقد اتضح الآن ان (روملى) لم يهزم تماما ، بل ولم ينسحب انسحابا ملحوظا ، وارتدت نية (ريتشى) الى تأمين سيطرة قوية على منطقة (سيدى مفتاح ــ عصلج) التى كان من المعتقد أنها تغلق الطريق الذى يتمون منه الفيلق الافريقى غير أنه آثر فى هذه المرة ان يأخذ بنصيحة (لمسدن) ويستخدم المشاة ، وكان يتعين عدم اضاعة الوقت ، حتى يمكن كسب فائدة من وضع اللواء ١٥٠ ، وكانت خطته الاصلية تقضى بقيام لواءين بالهجوم غربا ليلة ٣١ لتأمين هضبة (عصلج) وعقد الخناصر مع (هايدون) ، غير انه اتضح تعذر ذلك فتأجل الهجوم لمدة ٢٤ ساعة تم خلالها اكتساح اللواء ١٥٠ ، ولكن (ريتشى) قرر المضى قدما ــ فى هذه المرة باللواء الهندى العاشر من الشرق فقط فى اتجاه (عصلج) واللواء ٦٩ من الشمال فى اتجاه هضبة (سدره) ٠

وكان على (مسرفى) ان ينسق أعمالهما ، ويتولى قيادة العملية ، وتقلصت قوة الفك الشمالى للكماشة لتصبح مقصورة على الهجوم بكتيبة واحدة لم تفلح فى الوصول الى الهضبة ، اما اللواء الهندى العاشر فلم يتحرك على الاطلاق ، فقد حال هبوب عاصفة رملية هوجاء دونه والاستكشاف فألغى مسرفى الهجوم حيث رأى ان قيام اللواء بالهجوم أمر غير عملى ٠

وهكذا لم يتلق اللواء ١٥٠ أية مساعدة ــ مباشرة كانت أم غير مباشرة ــ وطوال يوم ٣١ ظلت كتائبه الثلاث تصد الهجمات وتسد ثغرة بعد أخرى تدعمها كتيبة مدفعية الميدان رقم ١٢٤ وباقى دبابات كتيبتى الدبابات الملكية رقم ٤٢ ، ٤٤ وفى نهاية اليوم نجح العدو فى شق طريقه الى أكثر من قطاع دفاعى ، وفيما يلى نبذة من السجل التاريخى للفرقة ٠

عند هبوط الليل كان الدفاع « المرقع » لا يزال صامدا ، غير أنه لم يعد هناك الآن قوات احتياطية لسد مزيد من الثغرات ٠ لم يتبين سوى ثلاث عشرة دبابة ، وستة مدافع متوسطة مع كل منها عشرون طلقة واثنى عشر مدفعا عيار ٢٥ رطلا معها ما يقل عن ١٠٠ طلقة ، كانت معظم المدافع المضادة للدبابات عيار ٢ رطل قد دمرت ، بينما لم تتبق ذخيرة تذكر مع كتائب المشاة واذا لم تصل النجدة

فى باكورة اليوم التالى فقد قضى على اللواء كقوة مقاتلة .

ولم تصل النجدة . وعند أول ضوء يوم أول يونيو شن العدو هجومه من جميع الاتجاهات،وتم اكتساح اللواء وأسره فصيلة فصيلة والمعتقد ان آخر وحدة فرعية سقطت هى فصيلة من الكتيبة الخامسة « جرين هواردز » بقيادة النقيب (برت دينس) . أما العميد (هايدون) الذى تولى قيادة اللواء ببراعة وبسالة نادرتين بفرنسا والصحراء فقد لقى حتفه .

وقد أنزلت هذه العملية الباسلة التى قام بها اللواء ١٥٠ خسائر جسيمة بمشاة (رومل) وأصابت اثنين من كبار ضباط أركانه بجـراح ، وهما اللواء « جاوزى » والعقيد « فستفال » . اما الفريق « كرويل » الذى أسقطت طائرته فقد ترحل مع كتيبة (جرين هاوردز) السادسة عندما رحلت يوم ٢٩ .

عبد الرؤوف الجيتي

معركة
(الكولدرون) (المرجل)
٢ - ١١ يونيو ..

كان « أوكنليك » و « ريتشى » قد اتفقا الآن على مايريدان صنعه ، وهو استرداد المبادأة بالزحف غربا نحو « بير تمرد » وتهديد جنب « رومل » ومؤخرته وكانت الفرقة الهندية الخامسة على أهبة الاستعداد لدعم الفيلق ١٣ من هذه العملية المعروفة باسم « ليمريك » ، فبينما يحاول « جوت » القيام بعملية اختراق للفرقة الايطالية بالشمال ، يتولى نورى الحراسة بمدرعاته فى منطقة (نايتسبريدج) حتى يتم الاختراق ، ويمكنه عندئذ استغلاله فى اتجاه « سنجالى » ، فأبعد حتى « مخيلى » ، وكانت الاسهم العريضة التى ترمز الى عمليات الاختراق المزمعة تبدو جريئة مهيبة فوق خرائط واضعى الخطط بالقاهرة ، ومركز رئاسة الجيش الثامن ، ولكن المتاعب العملية كانت حقيقة واقعة سرعان ما أثارها « جوت » و «نورى » ، وكان يتعين تجميع المدافع والذخيرة المؤن الاخرى المدعمة للهجوم الى جانب الفرقة الهندية الخامسة بأكملها بالمنطقة الواقعة شرق فرقة جنوب أفريقيا الاولى وشمال الفرقة الخمسين مباشرة ، وكانت المسافة غير بعيدة من مكان حشد الفيلق الافريقى باا « كولدرون » ، بحيث تجعل هذه الفرق شديدة التعرض للخطر عند تحرك الفيلق شمالا ، ولتأمين المنطقة ضد هذا التوغل كان الامر يتطلب تحرك جميع مدرعات « نورى » جنوبا الى شمال هضبة « رجل » ، وكان من شأن هذا ان يكشف الطريق المباشر من الـ (كولدرون) الى (العدم) ، ويتيح للفيلق الافريقى ان يكيل ضربته الى قلب الجيش الثامن ، أو ان يحرم الفيلقين من تموينهما ، وكان على أية حال سوف يستغرق بضعة أيام كفيلة بأن تتكشف خلالها نوايا « ريتشى » لـ « رومل » تكشفا تاما من خلال التحركات التى سيجريها ، ولم يرض أحد عن الخطة فاقترح « بريجز » قائد اللواء الهندى الخامس البديل المفضل ، وهو عملية التفاف واسعة النطاق حول جنوب « بير حكيم » ، وخلف مؤخرة « رومل » غرب حقول الالغام ، وكان الاعتراض على هذه الخطة قويا أيضا

فقد كانت صعوبات التموين شديدة ، خاصة وأنه كان يتعين ميكنة الفرقة بأكملها ذلك أنها لم تكن كفيلة بالتأثير على « رومل » مالم توطد موضعا مأمونا لها وراءه ، وهو اجراء كان من شأنه أن يستغرق ٤٨ ساعة على الاقل ، ولكى تكون القوة فعالة كان ينبغى أن تصحبها قوة كبيرة من الدبابات ، ولم يكن هذا كفيلا بزيادة مشاكل التموين واطالة الوقت الذى تستغرقه القوة للوصول الى منطقة الهدف فحسب ، بل قد يتمخض أيضا عن اضعاف القوة المتيسرة لتغطية منطقة العدم الى حد التهور ، وقد رسخت الحجج الموجهة ضد « ليمريك » يوم ٢ من يونيو عندما وجهت فرقة البانزر الحادية والعشرون ضربتها شمالا مرة أخرى الى « علوة التمر » يحدوها الطموح الى عزل كل من الفرقة الخمسين ، وفرقة جنوب أفريقيا الاولى • وهنالك قامت بتشتيت الست عشرة دبابة طراز « فالنتاين » التابعة لكتيبة الدبابات الملكية الثامنة ، التى أرسل لنجدتها اللواء المدرع الرابع من شمال « نايتسبريدج » ، ولكن حدث أن هبت عاصفة رملية عند الظهر فأخرته بحيث لم يتمكن من الاشتباك بالعدو من الشرق الا فى ساعة متأخرة بعد الظهر عند خروجه من سحب الرمال اللفافة ، وأعقبت ذلك معركة أختلط فيها الحابل بالنابل ، وفقدت فيها كتيبة الدبابات الملكية الخامسة قائدها ، كما لم يتبق لها من الدبابات سوى دبابة « جرانت » ودبابتين « ستيوارت » فأصبحت قوة اللواء الآن لا تعادل سوى قوة كتيبة ضعيفة واحدة •

كانت العملية الوحيدة الكفيلة بتحقيق نتائج مباشرة ، والتى يمكن القيام بها دون كشف « العدم » هى محاولة ازاحة « رومل » من ال (كولدرون) ،لهذا فقد تقرر القيام بهذه العملية وأطلق عليها اسم « أبردين » • وكانت الخطة العامة تقضى بقيام الفيلق ٣٠ بالزحف من الشرق ، واختراق ستار مدفعية « الآريت » المضادة للدبابات بهضبة «عصلج » بواسطة الهجوم بالمشاة ليلة ٤ يونيو • وخلال الفتحة التى ستجرى بهذه الكيفية تمر المدرعات « الى مؤخرة العدو » وتغلق الثغرات التى فتحت فى حقل الالغام أثناء تحول انتباه العدو الى الشمال عند الهجوم على هضبة « سدرة » بواسطة الفيلق ١٣ الذى كان عليه أن يستعد أيضا لاستغلال الموقف بالتقدم نحو « تميمى » وعندما نزل تخطيط هذه العملية من سلم القيادة ، أصبح غير ذى صلة تذكر بهذه الفكرة العامة ، ذلك أنه لا يمكن أن يؤدى اختراق الجنب الشرقى للـ (كولدرون) الى مؤخرة العدو ، مالم يترتب

على ذلك تطويق القوة المهاجمة ذاتها . وكانت الخطة النهائية تقضي بأن يتحرك لواء « باوشر » الهندى العاشر من الدرب المؤدى من « بير حرمت » الى (نايتسبريدج) لشن هجوم ليلى فى اتجاه الغــرب لتأمين الطرف الشـــمالى الشرقى من هضبة (عصلج) على مسافة أربعة أميال ـ بالكتيبة الرابعة (بالوخ) من اللواء الهندى العاشر ، و« بير التمر » على مسافة ثلاثة أميال أخرى الى الشمال الغربى ـ بكتيبة المشاة الثانية الخفيفة (هاى لاند) مع الاحتفاظ بكتيبة « جركا » الثانية من اللواء الهندى الرابع بالاحتياط شمال شرقى كتيبة (بالوخ) أما الهجوم فكان سيعهد بقيادته الى الفرقة الهندية الخامسة مع دعمه بكتيبة الدبابات الملكية الرابعة . وعند الفجر كانت قيادة اللواء سوف تنتقل الى « مسرفى » الذى كان سيحرك اللواء المدرع الثانى والعشرين . الذى زيدت قوته الآن الى ١٥٦ دبابة ـ خلال اللواء الهندى العاشر مسافة خمسة أميال فى اتجاه الغرب ، وكان من شأن هذا ان يؤدى به الى قلب اا « كولدرون » غرب « سيدى مفتاح » وعلى بعد نحو أربعة أميال مــن الثغرة الشمالية لحقل الألغام بـ « طريق كابوتزو » وستة أميال شمال الثغرة التى فتحتها فرقة « تريستا » بـ « طريق العبد » وتحت هذا الستار يمر اللواء الهندى التاسع ـ التابع للفرقة الخامسة والمدعم بكتيبة الدبابات الملكية الرابعة ـ خلال اللواء العاشر الذى كان سينضم الى قوة « بريجز » ويقيم مواقع دفاعية متباعدة لكتائبه على شكل قوس يمتد من « سيدى مفتاح » مخترقا المنطقة التى تحتلهـا بالفعل فرقة البانزر الخامسة عشرة الى الطرف الجنوبى الغربى من هضبة «عصلج» وكانت ستدعم هذه الخطة أربع كتائب مدفعية ، تنتقل الى المنطقة التى يستولى عليها اللواء العاشر . وأخيرا ، عندما يوطد اللواء التاسع أقدامه تزحف دبابات « كار » شمالا وتهاجم مؤخرة القوات المتصدية ، لهجوم الفيلق ١٣ على هضبة « ســــدره » بلواء دبابات الجيش الثانى والثلاثين ، ثم تنعطف شرقا بعد ذلك وتكتســح « طريق كابوتزو » حتى « نايتســبريدج » حيث تصبح فى متنــاول « لمسدن » لاستغلالها فى الزحف غربا نحو «تمرد » ، فاذا سار كل شىء حســب الخطة الموضوعــة فان المنطقة التى يحتلها الفيلق الافريقى ، وفرقة « الآريت » سوف تجتاحها الجنود من الجهات الاربع غير أن الاسهم العريضة التى رســمها المخططون على الخرائط ، لم تكن تمثل فى الواقع سوى مجموعة من الكتــائب العاطلة من الخبرة ، والمسلحة تسليحا هزيلا بالمدافع المضــادة للدبابات ، لتضرب

بالصحراء المكشوفة ـ راكبة أو راجلة ـ قاصدة أهدافا تبعد أميالا عن بعضها البعض • ولئن كانت هناك عملية تشبه دس المرء لذراعه بعش للدبابير فتلكم هى هذا الى جانب أنها فى شكلها النهائى لم تنجح قطعا فى حشد المدرعات عند مؤخرة العدو عن طريق ثغرات حقول الالغام • وفى اللحظة الاخيرة ، أدخلت اضافة جديدة تمثلت فى ارسال الكتيبة الاولى (دى • س • ال • آى) ـ وهى كتيبة كانت قد وصلت من بغداد فى اليوم السابق ـ لاحتلال « بير حرمت » وتوفير بعض الوقاية المحلية لمراكز رئاسة كل من « باوشر » و « بريجز » و (مسرفى) وكانت جميعها متقاربة •

وكان من المقترح فى بادىء الامر أنه لما كانت العملية فى الاصل عملية مشاة فينبغى اسناد مسئوليتها الى « جوت » ، وكان لهذه الفكرة ميزة اسناد العملية بأكملها الى سلاح واحد • ولكن « جوت » كان محقا فى اعتراضه على تحميله مسئولية أنشطة الجيش الثامن باكملها • وهكذا أصبحت المسئولية من نصيب « نورى » رغم أن مسئولية الهجوم على هضبة « سدرة » من منطقة الفرقة الخمسين ظلت منوطه بالفيلق ١٣ ، لقد قيل الكثير عن الغاء الهجمات الجوية التى كان مقررا شنها يوم ٥ من يونيو على الا « كولدرون » لان الفيلق ١٣ بعث برسالة نصها : « لا قصف لمنطقة « كولدرون اليوم » ، ولكن شيئا لا يبرر موقف أركان الجيش الثامن ، وقوة الصحراء الجوية ، اذا كانوا قد قبلوا ذلك على علاته طالما كانوا يدركون وهم يفعلون ذلك أين تقع المسئولية الرئيسية وكان تفويض « نورى » ل « بريجز » و « مسرفى » متضامنين بمهمة تخطيط وتنفيذ عملية (أبردين) أشد تعرضا للمساءلة وان كانت هناك مبررات سليمة لذلك ، كانت العملية أصلا عملية مشاة تتطلب تنسيقا وثيقا مباشرا مع اللواء المدرع الثانى والعشرين ، كان « مسرفى » ضابطا بالجيش الهندى يعرف « بريجز » معرفة جيدة فكانمما لا غبار عليه أن يفترض ان التنسيق الوثيق بين عمل دبابات « كار » وموقف ألوية « بريجز » الهندية المتغير ساعة بعد ساعة أولى بأن يتحقق اذا وضع القائدان جنبا الى جنب ، وترك لهما تكييف الاوامر طبقا للمعلومات المتيسرة لهما بدلا من محاولة تحقيق نفس الغاية بادارة المعركة بالاتصال البعيد من مركز رئاسة الفيلق •

وفى آخر لحظة أرسل « أوكنليك » يلفت النظر الى ضرورة اتاحة فسحة كبيرة من الوقت للاستكشاف ـ فى خلال نفس الاربع والعشرين ساعة التى ارسل

فيها لـ (ريتشى) رسالتين قال فى أولاها : يجب ان تكيل بشدة ، على الفور ، حتى تتجنب الوقوع فى مأزق ، وعندما أحس ان (ريتشى) ربما حاول تأجيل هجومه لكى يتفق مع ابحار القافلة انى مالطا فى شهر يونيو كتب يقول : « لست اخالك تفكر فى امســـاك هجومك لا شىء الا لمزامنته مع ابحار القافلة ، اننى أرى أن هجومك يجب أن يشن بمجرد أن يسمح الموقف التكتيكى فى جبهتك بذلك ... وكلما أسرعنا بانجاز ذلك كان أفضل » . ورغم الحاح « ريتشى » على سرعة تنفيذ العمليــة ، ووضعه للجميع عند موقع الابتــداء فقــد عرض على « مسرفى » و «بريجز» أن يمهلهما أربعا وعشرين ساعة اذا كانا بحاجة اليها ، فنفيا حاجتهما اليها، فقد تعين عليهما ان يوازنا بين اخطار الانتظار ، واحتمال تغير الموقف كله من جديد خلال الاربع والعشرين ســاعة ، والفوائد المشــكوك فيها للاستكشــاف خلال العواصف الرملية ، من أجل تحديد ما يكمن فى الناحية المقابلة بصورة أوضح .

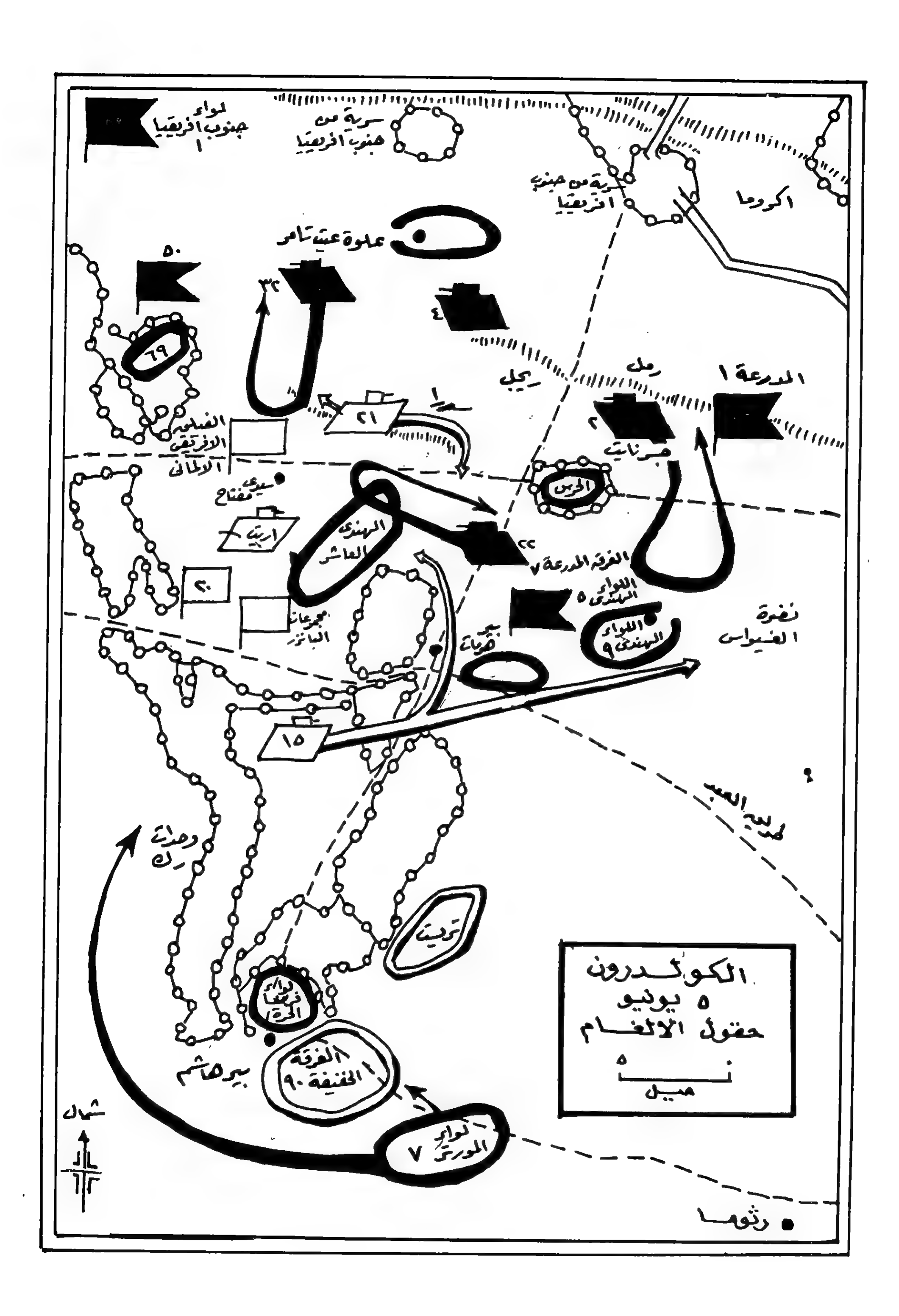
والواقع أن فرقة « الآريت » المدرعة الايطالية كانت هى العدو الذى قدر له أن يتلقى الضربة الرئيسية ، وكان من شأن هجوم من هذا النوع ضدها أن تتوافر له فرص طيبة للنجاح ، أما المتاعب فكان من المحتمل أن تنشأ فى المراحل الاخــيرة عندما تهرع فرقتا البانزر الالمانيتان لمساعدتها ، وكانت قوتهما معا فى يوم ٣ مــن يونيو ١٥٢ دبابة منها ٢٥ دبابة من الماركة ٢ الخفيفة و ٨٩ دبابة ماركة ٣ (اتسن) و ١١ دبابة ماركة (جيه) و ١٥ دبابة من الماركة ٤ القديمة و ٧ دبابات من الماركة ٤ الجديدة ، وكان من المعقول أن يفترض أن هجوم الفيلق ١٣ كفيل على الاقل بأن يحتوى فرقة البانزر الحادية والعشرين بالجنب الشمالى ، حيث لا يمكن تجاهل هجوم بسبعين دبابة ماتيلدا . وبخلاف وجود اللواء المدرع الثانى والعشرين فان شيئا آخر لم يؤخذ فى الاعتبار عند وضع الخطة لصد فرقة البانزر الخامسة عشرة وربما كان ذلك بسبب الاعتقاد خطأ بأنها مشتركة فى الهجوم على « الفرنسـيين الاحرار » بـ « بير حكيم » المحاصرة بالفعل بواسطة الفرقة التســعين الخفيفة وفرقة « تريســتا » .

عبر اللواء الهندى العاشر خط الابتداء الساعة ٢٫٥٠ صباحا يوم ٥ من يونيو ومضى كل شىء على ما يرام ، ووصلت جميع الكتائب الى اهدافهــا ، وتحركت كتائب المدفعية الاربع الى مواقعها ، واقتربت الكتيبة القائدة من اللــواء الهندى التاسع ومعها سرية من كتيبة الدبابات الملكية الرابعة من هضبة « عصلج » أيضا ،

غير أن سهولة احراز هذا النجاح كانت راجعة الى الخطأ فى تقدير مواقع العدو ، أو المسافة اليها بحيث لم يصل الهجوم الى العدو : وسقطت الكمية الضخمة من نيران المدفعية المعاونة بأرض صحراوية خالية ، ولم تؤد الا الى تنبيه « الآريت » وباقى الفيلق الافريقى الى مجريات الأمور • لهذا كانت دبابات « كار » المائة والست والخمسون مرئية تماما للعدو ، عندما عبرت هضبة « عصلج » فى وضح النهار ، وبعد ميلين آخرين تعرضت فجأة لنيران مركزة من جانب مدفعية الجيش الالمـانى ، والمدافع المضادة للدبابات ، التى استطاع الفيلق الافريقى حشدها ، وتكبد اللواء خسائر فادحة ، وتحول مبتعدا فى اتجاه الشـمال الشرقى ، وهـو الاتجاه الذى كان من شـأن الاوامر الاصلية أن تؤدى به اليه ، ولكن فى مرحلة لاحقة ، وبعد أن يمضى اللواء فى التقدم مسافة كبيرة غربا ، وفى هذه الاثناء كان هجوم « ويلسون » فجرا على هضبة « سدرة » التى تبعد سبعة أميال قد منى بالفشل مع تكبده خسائر فادحة ، وكان الهجوم بواسطة كتيبة الدبابات الملكيـة الثانية والاربعين فى اليمين ، وعن قرب من حقول الالغام ، لتحمى الجنب الايسر للواء ٦٩ ، وكتيبة الدبابات الملكية السابعة فى اليسار ، وخلفهما كتيبة « جريـن هواردز » السابعة ، وسرية من كتيبة الدبابات الملكية الثامنة ، وتم عبور المنحدر الامامى ، الواقع شمال الهضبة ، والبالغ من الطول خمسـة أميال ، تحت وقاية ستار الدخان ، ولكنه أثبت كما حدث كثيرا من قبل ، أنه سلاح ذو حدين ، فقد خرجت الدبابات منه مظللة الصورة ، ومرئيـة بالكامل لمدافع « فون بسمارك » المضادة للدبابات ، التى سرعان ما بدأت تنزل عقوبة شديدة بدبابات « ماتيلدا » ، وخاصة من جهة الشرق ، وأعقبت ذلك معركة متخبطة ، شكلت فيها حقول الالغام التى لم تكن أماكنهـا معروفة على وجه التحديد للدبابات ــ أخطارا ، وقيـودا جديدة ، وقد تولى « فوت » قائد كتيبة الدبابات الملكية السابعة ــ الذى كان قد اضطر الى تغيير دباباته مرتين ــ تولى قيادة الدبابات الاثنتى عشرة التى كانت كل ما تبقى من السبعين دبابة ، التى بدأ بها المعـركة ، ثم انسحب بناء على أوامر « ويلسون » الى هضبة منخفضة على مسافة بضعة أميال الى الخلف لهذا فقد تبين قبل الظهر بوقت طويل ، ان الآمال المعقودة على استرعاء هـذا الهجوم ، لانتباه فرقة البانزر الحادية والعشرين آمال وهمية عندما تحولت بمطلق الحـرية لتواجه التهديد الذى شكله التقدم المحدود للقوات الزاحفة شرقا ، وكان موقع

كتيبة المشاة الخفيفة الثانية (هاى لاند) ب « بير تمر » هو أقرب المواقع ، وأشدها تعرضا فلم يلبث ان عانى من المتاعب ، وقد شـمل الهجوم الذى شنه على لواء البانزر الثامن اللواء المدرع الثانى والعشرون الذى لم يشعر من الأوامر التى صدرت اليه ، أنه ملزم بالتقدم نحو الغرب مرة أخرى ، لمحاولة مساعدة كتيبة مشـاة (هاى لاند) الخفيفة ، التى ساءها ذلك كثيرا ، وكان أن رد على أعقابه حتى موقع « جركا » على مسافة ثلاثة أميال شرقا ، ومن هناك سحب من المعركة لاعادة تنظيمه وأصبح من الواضح الآن استحالة مواصلة تقدم اللـواء الهندى التاسع ، فقد أرسـلت احدى كتائبه لدعم ال « جركا » كما سحبت كتيبة « وست يوركشاير » من موقعها المعرض وراء هضبة « عصلج » ، حيث هاجمتها الدبابات ، وفقـدت احدى سراياها ،وأنضمت الكتيبة الى باقى اللـواء بمنطقة حشـد قريبة من « بير حرمت » .

ووصلت عملية « ابردين » الآن الى مرحلة توقف حاسمة ، وكان « مسرفى » يحاول الحيلولة دون اشتداد تدهورها بالحصول على مساعدة من « لمسـدن » وأمر « نورى » اللواء المدرع الثانى ــ الذى كان قد قضى الليل ب « علوة التمر » فى انتظـار التحرك الى « ناضورة الغسواسك » ــ بالتحرك شرقا للانضمام ظهرا الى « مسرفى » الذى أمره بدوره بالتحرك غربى « نايتسبريدج » بعد أن غـير وجهته عدة مرات لتوجيه كتيبته الوحيدة لصـد الهجمات المتـلاحقة على منطقة (عصلج) . وقبل أن يصل اللواء الى مسرح العمليـات انحرف الى الشـمال الشرقى مرة أخرى نتيجة الأمر الخاطىء ، وبذلك ابتعد عن ميدان القتال فى لحظة حاسمة . ذلك أن « روميل » كان يدبر الآن هجوما مضـادا ، وكان على فرقتى البانزر الحادية والعشرين و « الآريت » أن تزحفا شرقا بينما كان على فرقة البانزر الخامسة عشرة أن تستغل الثغرة الموجودة بحقول الالغام جنوب « بير حرمت » ، والتى فتحت فى اليوم السابق ، لاصلاح بعض الدبابات ، وتحاصر هضبة «عصلج» من الجنوب ، وكانت العملية الاخيرة بمثابة مفاجأة تامة ل « بريجز » و « مسرفى » حيث أكتسحت كتيبة المشاة الخفيفة « دوق كورنوول » ، وشتتت مركزى رئاسة الفريقين ، فضلا عن مركزى رئاسة اللـواء الهندى العاشر والتاسع ، ولم يمكن استدعاء اللواء الثانى والعشرين المدرع أو اللواء الثانى المدرع فى الوقت المناسب للقيام بهجوم مضاد لهذه الهجمات ، وعند هبوط الليل كان معظم اللواء الهندى


لواء
جنوب أفريقيا
١
سرية من
جنوب أفريقيا
سرية من جنوب
أفريقيا
أكوروما
علوة عيشتامر
٥٠
٣٢
٤
٦٩
المدرعة ١
رمل
ريجل
٢١
٢
جرنايت
الفصيلة
الإفريقي
الألماني
الجرس
مفتاح
أريتا
المهندي
العاشر
٢٢
الفرقة المدرعة ٧
اللواء
الهندي ٥
اللواء
الهندي ٩
نقطة
الغبواس
٢٠
مجموعات
البانزر
١٥
لواء
فرنسا
الحرة
الفرقة
الخفيفة ٩٠
لواء
الموتور
٧
شمال
الكولدرون
٥ يونيو
حقول الألغام
٥
ميل

العاشر ، والكتيبة الآلية من اللواء المدرع الثانى والعشرين ، واحدى كتائب اللواء الهندى التاسع ، وأربع كتائب من المدفعية قد عزلوا واصبحوا على غير اتصال بأية قيادة أعلى بالمنطقة المعروفة : « ضهر العصلج » • وقد وصف هذه الاحداث « كتاب المدفعية الملكية التذكارى » تحت عنوان « مقاومة كتيبة هوسار ساوث نوتس » المعروفة أيضا بكتيبة المدفعية الثقيلة رقم ١٠٧ ، والتى عاونت اللواء المدرع الثانى والعشرين بنيران المدفعية :

طوال ليلة ٤/٥ من يونيو وقف الجنود على أهبة الاستعداد ، وفى حوالى الساعة ٢ صباحا اطلقوا حشودا نارية طويلة على المناطق التى كان من المعتقد أن العدو يشغلها • ثم مضت الكتيبة فى سبيلها غربا تحت ضوء القمر ــ متحركة فى صمت ، كما فعلت منذ أكثر من عام مضى عندما أسرعت لنجدة طبرق • وعندما انبلج الفجر وبعد مرورها بالـ « بير ١٨٠ » بقليل اعتلت مجموعة اللواء الحافة الغربية لا « كولدرون » فاستقبلت بنيران حامية دقيقة ، وفى الحال دبت الحركة فى الكتيبة واحتلت كل مجموعة الوضع المخصص لها : المدفعية فى الوسط ، والمدافع المضادة للدبابات والمدافع الرشاشة على الجوانب بينما ظلت المشاة والمركبات فى المؤخرة •

وبعد قتال قصير ضار بالمدفعية ، انقطع قصف مدفعية العدو • وعند طلوع الشمس تدفقت دباباتنا من خلال المدافع ، ودخلت المعركة مع الدبابات الالمانية ناحية الغرب ، وفى حوالى الساعة ١٠٠٠ ازدادت المعركة استقرارا ، ومن أحد مواقع القيادة بالجرف الخاص بكتيبة المشاة الخفيفة (هاى لاند) تمكن النقيبان (باربر) و (تشادبرن) من سرية المدفعية رقم ٤٢٦ من استجلاء الـ (كولدرون) الذى كان يموج بالجنود الالمان من جميع الاسلحة ، وكان ذلك حلما من أحلام ضابطى الملاحظة ، وهى المهمة التى كانا يقومان بها وقتئذ بدبابات من طراز (هنى) ومن حسن الحظ ان الذخيرة كانت متوفرة لديهما فقاما بتنفيذ مهمتهما تنفيذا رائعا ، حتى تمكن العدو من صد كتيبة المشاة الخفيفة « هاى لاند » وأرغمها على الانسحاب ، وقد تحطم جنزير دبابة النقيب (باربر) واضطر النقيب (تشادبرن) الى سحبه بدبابته •

وحوالى الظهر انقضت الدبابات ، للتزود بالوقود ، وعادت ومعهـا ما تبقى من كتيبة المشاة الخفيفة (هاى لاند) التى وجدت نفسها وقد حوصرت فى وضح النهـار بين قوات دبابات الجانبين وكان بكل دبابة حمولة من الجنـود الجرحى المتعبين ، وكان قائدهم ــ وهو برتبة العقيد ــ يمر والدماء تتدفق فـوق وجهه ليجمع ما تبقى من جنوده •

واستمر العدو يقصف نيرانه طوال اليوم ، رغم أنه طالما ظلت دباباتنا ونقـاط ملاحظتنا محتلة للارض العالية الواقعة جهة الغرب ، فان الالمان لن يستطيعوا أن يطلوا على مواقع مدافعنا • ولكن نظرا لان الارض كانت مرصـوفة بقطع من الاحجار فقد تعذر الحفر واتيح لكل قذيفة أن تنزل بالموقع خسائر جسيمة •

وقبيل حلول المساء بدأت احدى كتائب الدعم تصـل ، وتتخذ موقعهـا بالـ (كولدرون) عند مؤخرة جماعة السند ، وعند هبوط الغسق أقبل قائد لواء المدرعات وأبلغ قادة جماعة السند ، بأنه سوف يسحب الدبابات ، وأن على الجماعة « أن تقف ، وتدافع حيث كانت لآخر طلقة وآخر رجل » ، ووعد أن يعود بمدرعاته فى أول ضوء يوم ٦ ، ولكن الدبابات ، تعرضت لمتاعب بمنطقة مبيتها ، ولم تتمكن من العودة ، وكان من شأن هذا أن تغير الموقف تماما فى اليوم التالى ، حيث كان يعنى أننا فقدنا السيطرة على الارض العالية بالناحية الغربية •

وعندما اقترب الظلام اشتد القتـال ، وازداد القصف ، وعند آخر ضوء تحركت احدى كتائب الـ « جات » لتحتل موقعا على الهضبة على مسـافة ٦٠٠ ياردة الى الامام ، وكان أن فوجئت وهى تنتشر فقتل جميـع ضباطهـا وتلاشى ما بقى منهـا •

وبينما كانت الدبابات منطلقة الى نقطة تجمعهـا ، هبط الهـدوء على الـ (كولدرون) وأصبح من الممكن تقييم الموقف ، وجىء بالذخيرة وأرسلت شرقا فى شاحنات حمولة ١٥٠٠ رطل ، وتناول الجنود وجبة طيبة ، وان كانت باردة ، وكانت معظم المدافع ما تزال صالحة للعمل ، وان كان الكثير منها قد أصيب ، وتم توزيع أطقم المدافع ، بحيث يكون نصيب المدفع الواحد ثلاثة جنود على الأقل ، وبوجود سرية (مدفعية) الرائد (بيركن) على اليسار ــ وهو الجنب الاكثر تعرضا ــ فقد تعرضت لخسائر فادحة ، اما سرية (مدفعية) الرائد (باربر)

فكانت تحتل منخفضا بسيطا أرضه أقل صلابة ،ومن ثم كان حظها أفضل • أما الطبيب ومساعده فلم يمسسهما سوء ، رغم احتراق الكثير من مركباته ، وفى اليسار كانت كتيبة الـ (بالوخ) ـ بقيادة أكفأ العقداء ، وأكثرهم رباطة جأش ـ قد حفرت خنادق لها ، واستعدت للقاء أى هجوم ، وفى المؤخرة كان من الممكن مشاهدة كتيبة (جركا) وهى تحفر مواقعها أثناء هبوط الظلام ، وعند المؤخرة اليمنى كان يبدو ان ثمة كتيبة مشاة أخرى وصلت ، وكانت هناك أيضا سرية من أمهر المدفعيين وأكثرهم خبرة (نور ثمبرلاند) وهم الذين تحدوا أيام السلم مدفعيى « العباسية » فى جميع صنوف الرياضة •

ومرت الليلة بهدوء ولم يتخللها سوى قصف متقطع ، وعند الفجر تناول الجميع شرابا ساخنا وافطارا طيبا ، وكان اليوم يوحى بأنه سيكون يوما مثيرا ، وكان المدفعيون متلهفين على معرفة ما سوف يتمخض عنه اطلاق نيرانهم على دبابات العدو ، كانوا يريدون ان يردوا الصاع صاعين على القصف الذى تعرضوا له ، والطائرات الغاطسة التى لا تكف عن القاء القنابل عليهم ، فضلا عن الانتقام لمن ماتوا من رجالهم الشجعان ، ومنهم الرائد (جيرى بيركن وأنجوس كار) وكثيرون غيرهما •

وفى هذه الاثناء كان الالمـان يحشدون دباباتهم ومشاتهم المحملة بشاحنات فى الثغرة الواقعة على مسافة بضعة آلاف ياردة فى اتجاه الغرب ، وعندما تبلج الفجر بسرعة فوق الصحراء بدأ القصف مرة أخـرى ، فردت عليه مدافعنا ، وحاولت مواقع الملاحظة التابعة لنا التقدم فوق الارض المرتفعة مرة أخرى ، ولكنها وجدت ان الدبابات الالمـانية قد احتلتها هى ومواقع الملاحظة بالفعل فى غيبة مدرعاتنا ، وازداد ظهور الدبابات الالمانية فى الغرب ، وانتشرت حول الموقع فى نطاقين ، وراحت تطلق النيران على ضباط الملاحظة الامامية ، وهم فى دباباتهم من طراز (هنى) ولكنها ظلت خارج مدى طلقات مدافعنا عيار ٢٥ رطلا ، وكانت توحى بأنها كلاب صيد تحاصر ابلا ولكنها لا تجرؤ على النفاذ اليها •

وفى الساعة ٨٫٣٠ صباحا تركزت نيران العدو فجأة على سرية (بيركن) ، ثم على الـ (بالوخ) ، وتحركت الدبابات الالمانية الى الامام متجهة الى الفصيلة (هـ) من السرية ٤٢٥ ، ووقع صدام عنيف وتبادل للنيران • وعندما انقشع

الغبار والدخان انسحب العدو تاركا وراءه عشر دبابات وقد تعطلت على مسافة بضع مئات من الياردات من مدافع السرية ٤٢٥ ، وابتهج المدفعيون ، وجلسوا فى انتظار الهجوم التالى • ولم يطل انتظاره • فقد أوغل العـدو غربا ليهاجم وحدات الجنب الايسر من السرية ٤٢٥ ، وانقضت بضع دقائق فى اطلاق نيران غزيرة للاسلحة الصغيرة ، والمدافع الرشاشة ، ثم ساد سكون تام ، كان الموقع قد اكتسح ، وكنت ترى حفنة من الجنود يتعثرون فى سيرهم تحت حراسـة شديدة ، وكان من شأن هذا ان أصبح الجنب الايسر للسرية ٤٢٥ معرضا وتعين معه الاسراع باعادة التنظيم ، ولكن الطائرات (شتوكا) لم تلبث ان حلقت فوق الموقع وكانت حلقة الدخان الأرجوانى ــ التى أطلقها العدو لتحديد مواقعه الامامية ــ دلالة واضحة على ان الموقع الدفاعى الصـندوقى قد أصبح الآن محاصرا تماما •

ولم يتوقف القصف لحظة واحدة ، وازدادت الخسائر رويدا رويدا • وكانت المركبات تحترق فى كل مكان ، وكان العدو بمدافعه المختفية عن الانظار يوجه نيرانه بدقة بالغة على حشد الجنود والمركبات والمدافع الموجودة أسفل بالـ (كولدرون) ، ووصل النقيب (بينت) وهو مصاب فى ساقة الى موقع القيادة ، للابلاغ عن تعذر الدفاع عن الموقع الذى تحتله جنوده ، فقد أصيب ثلاثة من أطقم مدافعه ، وان ظلت المدافع ذاتها سليمة ، وارسل على الفور رقيب أول الكتيبة (هاردى) وأحد السائقين ومعهما جماعة لسحب المدافع مسافة ٤٠٠ ياردة وهى مهمة أنجزوها ببسالة ، رغم نيران المدافع الرشاشة الثقيلة •

وشحت الذخيرة الآن ، وخاصـة الذخيرة الخارقة للدروع ، وصـدرت الأوامر للجميع بامساك النيران ، حتى يصل الهجوم الى مسافة قريبة • وأصبح الموقع محفوفا بالمخاطر ، وكانت جميع الدلائل تشير الى ان الدفاع عن الجنب الأيسر قد بات متعذرا ، وقد اقترح على العقيد (دى جراز) ــ قائد جماعة السند ــ ان تسحب القوة بأكملها الى الخلف حتى هضبة (نايتسبريدج) على مسافة نحو ثلاثة أميال ونصف الميـل الى الشرق وبهذا يصبح جنبها محتميا بحقل الألغام قبل ان يتم تطويقها ، ولكنه ازاء الأوامر الصادرة اليه لم يدرس هـذا الاقتراح •

وظل المزيد والمزيد من دبابات العدو ينتشر حول المنطقة الى ان ظهر رتل ضخم من الجنوب خلف الموقع ، ليختم مصير هذا اللواء العاثر الحظ •

وفى حوالى الساعة العاشرة صباحا ساد هدوء ، لوقى بترحاب شديد ـ ولكنه كان قصيرا ، فقد عادت القذائف تنهمر مرة أخرى ، وأصيب عدد من هيئة موقع القيادة منهم « جرهام سلين » و « جيوف تيمز » وهما ضابطان من أشد الضباط بسالة ومقدرة ، وأصيب المدفع رقم ٢ من الفصيلة (أ) من السرية ٤٢٥ عدة مرات فقتل معظم أفراد الطاقم أو جرحوا ، وكان هناك جريحان غير قادرين على الزحف والابتعاد عن الخطر ، وعندما لحقت اصابة مباشرة بالمدفع ، واشتعلت به النيران ، أسرع النقيب « لويس » قائد الفصيلة وجذبهما من موطن الخطر • وأصبح بامكان الالمـان الآن ان يراقبوا كل حركة لنا ، وفى هذه الاثناء كان العقيد « دى جراز » والعقيد « سيلى » فى مؤتمر صغير بموقع قيادة الكتيبة الذى كان يقع فى وسط الموقع الدفاعى الصندوقى تقريبا ، ورغم ان الحاضرين لم يجاوزوا العشرة أشخاص فقد بدأ العدو القصف على الفور ، وأصيب الرائد (دنيس كاون) قائد مدفعية (هوسار نور ثمبرلاند) المضادة للدبابات والملازم (تومى اتكنس) •

وجاء الهجوم التالى بسرعة ، وسرعان ما اكتسحت الدبابات الالمـانية كتيبة المشـاة من الخلف ، وكان النقيب « تريبير » ومن تحت امرته من « هوسـار نور ثمبرلاند » أبطـالا رائعين ، فقد حاولوا تحت وطأة النيران الحاميـة ان يستخدموا مدافعهم المضادة لحماية مؤخـرتنا ، ولكنها أصيبت جميعا • وعاد النقيب أدراجه ، وشاحنته محملة بالجنود الجرحى ، ليبلغ رئاسته أنه لم يتبق لديه أحـد من الجنود ، وبينما كان يتحدث انفجـرت قنبلة على مقربة منه ، وأصابته بجراح شديدة ، ومرت الاحداث بسرعة وحدثت أشياء عجيبة ، بينما حمى وطيس القتال المتلاحم ، فقد وثب رقيب من كتيبة الاستكشاف بما تبقى من جماعته فوق دبابة ألمـانية محاولا القاء القنابل اليدوية خلال البرج ، وكانت النتيجة ان قتـل الجميع رجلا رجلا ، وكانت نيران المدافع الرشاشـة شديدة وانطلقت أربع شاحنات بريطانية حمولة ٣ أطنان محملة بالالمـان أمام المدافع ، دون ان يمسها سوء ، وراح الطبيب ومسـاعدته يعملان دون توقف ، وسط

النيران القاتلة المنهمرة حول مركز القيادة ، الذى أصبح ركاما لا يضم سوى القتلى والجرحى ، ولما كان أفراد طاقم المدفع قد قتلوا ، فقد زحف جنود الاشارة والسائقون لشغل أماكنهم .

ووصل العقيد « سيلى » ـ الذى لم يكف عن المرور على كتيبته بدبابته مشجعا الجنود ـ وصل الى مركز قيادة السرية رقم ٤٢٦ بعد الظهر ، ولاحظ فجأة ظهور ثلاث شاحنات مشاة فوق الجرف ، وعلى مسافة ١٠٠٠ ياردة تقريبا شمال الفصيلة (و) . وقفز المشاة الالمان من الشاحنة ، ولكن قبل ان يتمكنوا من استخدام أسلحتهم الآلية الخفيفة قوبلوا بنيران مركزة من الفصيلة (و) والاسلحة الصغيرة لكتيبة الاستكشاف . ولم تمض بضع دقائق ، حتى اشتعلت النيران فى الشاحنات وتم أسر من بقى من الالمان على قيد الحياة .

وفى حوالى الساعة ٣ مساء بدأ الالمان يهاجمون يمين الموقع . ولم يتبق من المدافع المضادة للدبابات سوى مدفع واحد لم يوجد من يطلقه ، حتى زحف مدفعى شاب ـ بترت ذراعه من عند الكوع ـ وراح يحاول الوصول اليه بغير جدوى ، أما العقيد « دى جراز » فقد قتل لساعته بينما كان يحاول اطلاق المدفع المضاد للدبابات ، وكانت وسائل الاتصال ما تزال قائمة . ولمدة ست عشرة ساعة جلس رقيب الاشارة بمركبته وهو على اتصال باللواء بجهازه اللاسلكى ، وتحدث القائد الثانى الى العميد وأخبره أنه اذا استطاع ارسال بعض الذخيرة مع الدبابات فان فى الامكان الصمود حتى هبوط الظلام ، وتمنى له العميد حظا طيبا ، ولكن المركبة أصيبت فى تلك اللحظة وانفجرت .

وعند اقتراب المساء راحت الدبابات الالمانية تتوغل فى كل مكان . وكان لواء المشاة الهندى قد اكتسح تماما ، حتى لم يبق شىء منه . بينما اشتعلت جميع المركبات حتى حجب الدخان الكثيف السماء ، أما « هوسار نوتس » فكانوا لايزالون صامدين حيث منعوا دبابات العدو من الاقتراب ، وكاجراء يائس أخير تقرر نقل مدافع الفصيلة (هـ) التابعة للنقيب « برينجل » الى المؤخرة ، رغم رد فعل العدو المباشر على بوادر أية حركة .

وتحركت القاطرات وأسرع كل ما بقى من جنود لتثبيت المدافع بقاطراتها ولكن قبل ان تقطع مسافة ٢٠٠ ياردة اشتعلت النيران بالقاطرات الاربع ،

وأسرع الرائد « بيركنز » ليرى ما يمكن عمله فاصيبت سيارته المدرعة بطلقة خارقة للدروع ، وقتل رقيب أول الكتيبة « هاردى » وهو جالس بجواره ، وعندما وصل الى فصيلته الباقية (أ) ــ وكان مايزال بها مدفعان صالحان للعمل ــ كانت دبابات العدو فوق قمة الموقع ، وانتهت بذلك المعركة الباسلة التى خاضتها السرية ٤٢٥ •

وفى أسفل الوادى ، كانت مدافع « الان تشادبرن » ماتزال سليمة وان راحت الدبابات الالمـانية تطبق عليها من كل جانب • اما العقيـد « سيلى » وأركان حربه « بيشى بيل » فقد أصيبت دباباتهما واشتعلت بها النيران • ومات الاثنان فيما بعد بين أيدى العدو ، وكانت النهاية قد اقتربت جدا الآن فقد سقط مركز قيادة السرية فى أيدى الدبابات المتقدمة ورغم ان فصيلة « تشادبرن » (و) قد سجلت اصابتين مباشرتين على مسافة ٨٠٠ ياردة فى حركة تحد أخيرة فانها لم تستطع ان تفعل المزيد وتعذر مواصلة القتال بعد ظهور جماعات من الأسرى البريطانيين فوق الجرف فتحول من بقى من السرية ٤٢٦ فى أسى لأداء مهمتهم الاخيرة ــ وهى تحطيم أجهزة تسديد مدافعهم ، ولبضـعة دقائق أخرى ظلت طلقات المدافع الرشاشة تعكر الجو ، ثم ساد الهدوء ، وانتشر صمت عميق فوق الـ « كولدرون » •

ومن بين عدد يتراوح بين ٥٠٠٠ ــ ٦٠٠٠ جندى قاتلوا فى الـ (كولدرون) نجا ضابط واحد لم يلبث أن عاد بعد ستة أشهر مع التقدم الناجح للجيش الثامن ، عاد ليجد ان ميدان المعركة لم يمس ، كانت المدافع لاتزال فى مواقعها محاطة بمركبات محترقة ، وكان المدفعيون يرقدون حيث سقطوا وقد لاحت فى محياهم سمات الوفاء •

حقا لقد أدى جنود « هوسار ساوث نوتس » واجبهم وقاتلوا لآخر طلقة وآخـر رجل •

كان تشتت رئاستى الفرقتين المعنيتين يعنى بطبيعة الحال ان ثمة وقتا سوف ينقضى قبل ان يتبين « نورى » تماما ما حدث يوم ٥ من يونيو ــ وقد كلف « مسرفى » يوم ٦ باعادة الحال الى ما كان عليه ، ووضعت تحت قيادته ثلاثة ألوية مدرعة لهذا الغرض ، ولكنه لم يحقق بها شيئا يذكر • كان اللواء الرابع

يلعق جراحه على مسافة بعيدة الى الشمال قرب « كومنولث كيب » فلم يصل الى المنطقة التى وجه اليها ـ بين « عصلج » و « حرمت » ـ حتى وقت متأخر بعد الظهر ، حيث لم يعد هناك ما ينفذه ، وكان اللواء الثانى والعشرون (الأقرب) يبدو وكأنه لم يسترد قواه بعد فقده لستين دبابة فى اليوم السابق ، وبعد ان راح يتحرك جيئة وذهابا تلبية للأوامر الكثيرة التغير استقر فى النهاية شمال شرقى (نايتسبريدج) ، أما اللواء الثانى الذى كان قد أمر بمهاجمة قوة المانية مرابطة شرقى « نايتسبريدج » فقد احتج قائده احتجاجا شديدا ، وكان ان ارسل الى الغرب للاشتباك مع فرقة البانزر الحادية والعشرين بينما كانت الاخيرة تطهر الجزء الشمالى من منطقة « عصلج » • وفى نهاية اليوم لم يتبق شىء يذكر من القوة التى تعثرت هناك ، وكانت تغلب عليها العناصر الهندية ، وعناصر المدفعية •

وفى العمليات التى دارت فى هذين اليومين ادعى « روميل » تدمير ١١٥ دبابة وسيارة مدرعة ، بينما دلت البيانات المقدمة لـ « ريتشى » على ان قوة دبابات « نورى » قد هبطت من ٣٠٠ دبابة الى ١٣٢ دبابة بالاضافة الى خسارة ٥٠ دبابة مشاة بلواء « ويلسون » ، وقد تم أسر ما يزيد على ٣٠٠٠ أسير كما كانت الخسائر فى المدفعية جسيمة بصفة خاصة ، حيث فقد ٣٧ مدفعا مضادا للدبابات

و ٩٦ مدفعا ميدانيا ، كانت لطمة لم يفق منها الجيش الثامن فى الواقع ، وكانت خسائر « روميل » تبدو خفيفة نسبيا ، وكان الآن بالتأكيد فى وضع أفضل نسبيا مما كان فى أى وقت مضى منذ بدء المعركة ، وكان واثقا من ان بوسعه استخدام مزيد من القوات لمهاجمة « بير حكيم » بعد ان استمر الهجوم أربعة أيام دون نهاية حاسمة •

وعندما ارسلت فرقة « كليمان » التسعون الخفيفة الى الجنوب مع فرقة « تريستا » فجر يوم ٢ من يونيو كان « روميل » مفرطا فى التفاؤل • كان يتوقع انجاز المهمة فى غضون ذلك اليوم ، فأوصى فرقة البانزر الحادية والعشرين بالتحرك شمالا ، وعزل الفيلق ١٣ بعد الظهر ، على ان يعود « كليمان » الى منطقة الـ « كولدرون » يوم ٣ من يونيو ، ولكن « كليمان » فى ذلك اليوم الحافل بالعواصف الرملية وجد نفسه وقد تعثر فى حقول الألغام ، فاضطر الى تأجيل الهجوم على الفرنسيين حتى ساعة مبكرة من صباح يوم ٣ من يونيو • اما محاولة

دعوة « كوينج » الى الاستسلام دون قتال ، فقد رفضت بشدة ، وعندما شن الهجوم فى اليوم التالى اضطرته شدة نيران المدفعية ، وتشابك حقول الألغام الى التوقف على مسافة ميلين من الدفاعات •

وتتيجة للشائعات عن تقدم قوات قوية من جهة « العدم » و « بير الغبى » (وكانت فى الواقع ارتال من اللواءين السابع الآلى والتاسع والعشرين الهندى) تخلى « كليمان » مؤقتا عن الهجوم واتخذ وضعا دفاعيا • ولم يبد ان « رومل » قد علم بهذا ، ولما كان مطمئنا الى عودة الفرقة التسعين الخفيفة يوم ٤ فقد نبه على « فون بسمارك » بالاستعداد لتكرار زحفه شمالا فى ذلك اليوم ، وفى أثناء الليل دخلت قافلة من الشاحنات المحملة بالذخيرة الى « بير حكيم » ثم خرجت منها تحت حراسة لواء البنادق الثانى وهو من أحد أرتال « رتتون » التى واصلت ازعاج « كليمان » طوال يوم ٤ ، بينما كانت قوة الصحراء الجوية تقصفه بالقنابل قصفا شديدا ، وتتيجة لذلك لم يشن هجوم جدى على الفرنسيين ، كما ان الاحداث التى وقعت فى الـ « كولدرون » فى اليومين التاليين كان من شأنها ان تحول انتباه الجميع عن « حكيم » ، ولكن من يوم ٧ من يونيو فصاعدا ألقى الاسطول الجوى الالمانى ثقله بالكامل على الفرنسيين وأصبح الجو الذى يعلوهم ميدانا للمعركة بين القوات المتضادة ، حيث فقد الجانبان عددا كبيرا من الطائرات : حتى يوم ١٠ من يونيو فقد السلاح الجوى الملكى ستا وسبعين طائرة منذ بدء المعركة ، كما خسرت قوات المحور الجوية ثمان وخمسين طائرة ، وفى هذا اليوم أيضا أرسل « رومل » مجموعات قتال من فرقة البانزر الخامسة عشرة مدعمة بمدفعية الجيش لزيادة ثقل الهجوم •

ورغم ان « رومل » كان مايزال لديه نحو ١٦٠ دبابة ألمانية وسبعين دبابة ايطالية فقد كان ضعيفا فى المشاة الالمانية ولم يكن بوسعه توفير المزيد منها للقيام بهذه المهمة • كانت خطته تقضى بأن تقوم قوات الدعم بالهجوم من الشمال و « تريستا » من الشرق والفرقة التسعون الخفيفة من الجنوب ، ومضى بنفسه للاشراف على سير الأمور يوم ٨ من يونيو ، ولكن الاختراق الفعال الاول لدفاعات الفرنسيين لم يتم حتى يوم ٩ من يونيو • واستمر قصف النيران الثقيلة من الجو والمدفعية طوال اليوم حتى استولت مجموعة « بادى » على النقطة ١٨٦

الهامة التى كانت تطل على الدفاعات من الشمال • ورغم وصول قافلة من ١٥ شاحنة محملة بالذخيرة وغيرها من المؤن فى الليلة السابقة ، واخلائها للخسائر فقد رفض « كوينج » السماح بتكرار ما حدث من قبل متعللا بأنه غير عملى • ولم يمنع ذلك لواء البنـادق ــ الذى كان قد ترك معه لينظمه ــ من الرحيـل فى تلك الليلة •

كان « كوينج » قد قرر أن مواصلة الاحتفاظ بالموقع لن يحقق غرضا ذا نفع ، ومن ثم فقد طلب من « نورى » ان يأذن له بالانسحاب • ووافق « ريتشى » على ذلك ، ولكنه كان بحاجة الى أربع وعشرين ساعة أخرى ، لتنظيم عمليات اللواء السابع الآلى ، التى كانت الحاجة اليها ماسة ، لتخليص الفرنسيين الأحرار البواسل ، ورحل « كوينج » نفســه فى تلك الليلة بعد تسليمه القيــادة الى « اميلاكفارى » غير أن لواءه أضطر الى تحمل يوم آخر كامل من القتال الضارى قبل ان يتمكن من تخليصهم فى النهاية •

وفى الليلة التالية تمكن ٢٧٠٠ جندى بينهم ٢٠٠ من الجرحى ــ من أصل القوة البالغ ٣٦٠٠ جندى ــ من الانسحاب • وقد ادعى « رومل » أسره ١٠٠٠ أسير واستيلاءه على أربعة وعشرين مدفعا و (بضع مئات) من المركبات •

وكان « ريتشى » بطبيعة الحال حريصا على الاستفادة من اهتمام « رومل » بشىء لم يعد يمثل جزءا جوهريا من مواقعه ، فقد نجحت بعض الاغارات التى قامت بها الســيارات المدرعة أمام واجهــة الفرقة الخمسين فى اختراق المواقع الايطالية ، والوصول الى طريق امداد الفيلق الافريقى ، وانتعشت فكرة قطع هذا الطريق ، أو التقدم غربا نحو (تمراد) مع شن الهجمات على طريق الامداد من الجنــوب ، وكان « جوت » أقل أملا فى تحقيق ذلك ، وتعذر عليه اقناع « بينار » بتخصيص لواء بأكمله للقيام بهجوم ليلى ، فقد كان من شأن هذا ان يبعده عن دفاعاته المـأمونة ويعزله عن الجيش الثامن وسط المواقع الايطاليه عزلا أشد تطرفا مما كان ، وقد جعل « بينار » العملية فى شكلها النهائى مقصورة على سلسلة من تسع هجمات سرايا مستقلة ــ سرية من كل كتيبة من كتائب ألويته الثلاثة • وقد شنت هــذه الهجمات فى أوقات مختلفة يوم ٧ من يونيو • ولم تنجح واحــدة من هــذه الهجمــات ، وكانت النتيجة ان بلغت لخســائر

قوات جنوب أفريقيا ٢٨٠ نظير حفنة من الأسرى ، وقد أثبتت هذه العملية لكل من الفيلق والجيش أن أي اختراق على هذه الجبهة يتطلب عملية كبرى منسقة تنسيقا سليما ، على ان تتبعها باقى الامكانيات الى الهدف الحيوى • غير أنها منعت « جوت » من الاقدام على أي شيء مماثل على مواجهة الفرقة الخمسين ، حيث كانت احتمالات بلوغ هدف مفيد دون تكبد خسائر جسيمة أكثر اشراقا ، ولكن لواءى « رامسدن » الباقيين كانا منتشرين على واجهة طولها اثنا عشر ميلا وكان هو شديد الحساسية ازاء ضعف موقفه ، ولما كان « رامسدن » قد أخفق فى الماضى فى ان يعهد الى « بينار » بشغل جزء من جنبه الأيمن فضلا عن عجزه عن مساعدة اللواء ١٥٠ ، لكونه بعيدا جدا عنه ، فلم يكن من السهل اقناعه بزيادة الانتشار بالهجوم فى اتجاه الجنوب ، لهذا فان العملية الوحيدة التى أجريت ضد مؤخرة « رومل » منذ ٧ من يونيو فصاعدا قامت بها السيارات المدرعة وارتال اللواء الآلى من الجنوب •

وعندما ظهر مفعول هذه القوات ، وأصبحت مصدرا لبعض الازعاج ، بل والقلق للفيلق الافريقى حولت لتساعد فى انقاذ الفرنسيين الأحرار ، وبعد سقوط « حكيم » لم يعد من الممكن أو من المفيد اعاشتها بعد أن ابتعدت عن القوات الأساسية ، ووصلت الى « روتندا مطيفل » •

وكانت جميع محاولات « ريتشى » لاسترداد المبادأة قد فشلت الآن حيث كان « رومل » ــ رغم ضعف قواته العام ــ مايزال يملك زمامها ويعتزم استغلالها •

●

هزيمة حاسمة

١١ - ١٦ من يونيو

كان سقوط « بير حكيم » بمثابة نقطة تحول واضحة عرفت فيما بعد بمعركة الغزالة ، ورغم أن الجيش الثامن كان مايزال ـ حتى بعد كل نكساته ـ بعيدا عن الهزيمة ، فان أحدا لم يعد بوسعه أن يدعى أن بالامكان الآن العودة الى الوضع الذى كان قائما يوم ٢٦ من مايو ، كان الموقف يتطلب « عودة اليمة الى تقدير الموقف » مع تعديل سريع للآراء والاوضاع ، لمواجهة الموقف الجديد ، وكان « ريتشى » مازال يملك ٢٥٠ دبابة قتال مع « لمسدن » شمال الـ (جاردز) عند « نايتسبريدج » ، ومع « مسرفى » جنوبها ، كذلك كان لديه ثمانى دبابات مشاة جميعها تقريبا تحت امرة « ويلسون » حول « تمار » شمال (لمسدن) . أما تشكيلات مشاته ومدفعيتها المعاونة فكانت لا تزال موفورة العدد ، وسليمة الى حد بعيد ، باستثناء بعض الوحدات العاثرة الحظ : الفرقة الخمسون بلوائها رقم ١٥٠ وفرقتا جنوب أفريقيا الاولى والثانية وثلاثة ألوية هندية ، هى اللواء ١١ ، ٢٠ ، ٢٩ ، وكانت صعوبة الاستفادة بالكامل من هذه التشكيلات راجعة الى أن اعادة فتحها سوف تحرمها من ميزة استخدام المواقع الدفاعية ، وحقول الألغام التى استغرق اعدادها شهورا طويلة ، وان أي تحركمن شأنه ان يستتبع توفير كميات كبيرة من وسائل الانتقال الآلية ، وأنها عند اعادة فتحها سوف تكون معرضة لهجوم الدبابات ، فاذا تعين هزيمة « رومل » أو صده على الأقل فان الأمر يتطلب التصرف بسرعة البرق حسب الظروف المتغيرة ، بل والمضى فى ذلك ان أمكن لاسترداد المبادأة التى كانت فى حوزته دوما ، ولكن عادة تفسير أدنى المعلومات بمنظار مغرق فى التفاؤل والتمنى أدت الى تمكين « رومل » مرة أخرى من ان يكيل ضربة مؤثرة ، قبل ان يفيق خصومه من الضربة السابقة . وكان لديه الآن ٢٢٦ دبابة ، منها ٢٣ دبابة خفيفة ماركة ٢ ، وسبعون دبابة ايطالية ام ١٣ ، وخمس دبابات قيادة لا جدوى منها جميعا عند الاشتباك فى معارك الدبابات ، وللقتال

الجدى كان لديه ٩٢ دبابة ماركة ٣ (اتش) ، و ٢٤ دبابة ماركة ٣ (جيه) ، وثمانى دبابات من المـاركة ٤ القديمة ، وأربع دبابات من المـاركة ٤ الجديدة . ولم تكن مشاته الايطالية قد استخدمت بعد ، ولكنه كان ضعيفا جدا فى المشاة الالمـانية ، التى كانت رغم ضعفها مدعمة جيدا بالمدفعية ، اما فى الفيلق الافريقى ، والفيلق الايطالى الآلى رقم ٢٠ ، فقد كان لديه ٦٥ مدفع ميدان ألمـانيا ، و ٦١ ايطاليا ، بالاضافة الى عدد من المدافع المستولى عليها من عيار ٢٥ رطلا ، وأهم من هذا وذاك ٧١ مدفعا ألمـانيا مضادا للدبابات ، و ١١ مدفعا ايطاليا مضـادا للدبابات ، من النوعين المتوسط والثقيل ، وكان لديه ١٠٢ مدفعا ألمـانيا مضادا للدبابات ، و ٤٢ مدفعا ايطاليا مضادا للدبابات ، بعد استبعاد الثلاثين مدفعا عيار ٨٨ مم من الثمانية واربعين مدفعا التى بدأ بها المعركة ، ونجح الجيش الثامن فى النهاية فى اقناع القيادة العامة بتزويده بالمدافع الثقيلة المضادة للطائرات عيار ٣ر٧ لاستخدامها ضد الدبابات ، مثلما كان الالمـان يستخدمون مدافعهم عيار ٨٨ مم ، وقد يظن المرء ان وصولها الذى طال تأخره قد لوقى بالترحيب غير ان استقبالها بـ « نايتسبريدج » كان فى الواقع فاترا .

وكان الجيش الثامن ما يزال متفوقا على مجموعة البانزر فى عدد الجنود ، والدبابات ، والاسلحة تفوقا كبيرا ولكن جانبا كبيرا من قوة مشاته ومدافعه كان منتشرا بمنطقة شاسعة بالمواقع الدفاعية للفيلق ١٣ ، وطبرق والدفاعات الصندوقية بالصحراء ، وعلى شكل ارتال فى الجنوب . اما دباباته فكانت مركزة مثل دبابات « رومل » حيث حشدت جميعها تقريبا بالمنطقة الواقعة شمال وشرق (نايتسبريدج) وكانت دبابات مشاته ، من طراز « جرانت » تعادل ان لم تزد على نظيراتها من الدبابات الالمـانية ماركة ٣ ، ٤ ، بينما كان عـدد الدبابات « كروسـيدر » و « ستيوارت » يبز عدد الدبابات الالمـانية ماركة ٢ ، والايطالية ام ١٣ ، ولكن الألوية المدرعة كانت ألوية بالاسم فقط ، حيث أصبحت الآن خليطا من عدة كتائب مكونة بدورها من وحدات منقسمة داخليا عدة مرات ، وكانت الاطقم خليطا من محاربين قدماء أنهكتهم المعارك أيما انهاك ، بينما كانت التعزيزات التى وصلت حـديثا من جنود عاطلين من الخبرة تماما ، وكانت أضعف نقطة عند « ريتشى » بالقياس الى « رومل » فى المدفعية المتوسطة ، التى لم يكن يملك منها سوى النزر اليسير ، وفى المدافع المضادة للدبابات التى كانت جميعها تقريبا من

عيار ٢ رطلا ، وأصبح النتوء الكبير الذى شكله الفيلق ١٣ غربى طبرق فى اتجاه الغزالة نقطة ضعف ، فقد كان بوسع « روميل » أن يزحف رأسا الى منطقة العدم ـ متجاهلا اياه تماما ـ غير ان سحبه كان بمثابة عملية خداعية ، وايذانا بالتخلى النهائى عن الأمل فى قلب الأوضاع ضد « روميل » وتلبية هدف « تشرشل » الاستراتيجى ، والعودة الى احتلال مطارات برقة ، حتى يمكن ارسال القافلة الى مالطـا .

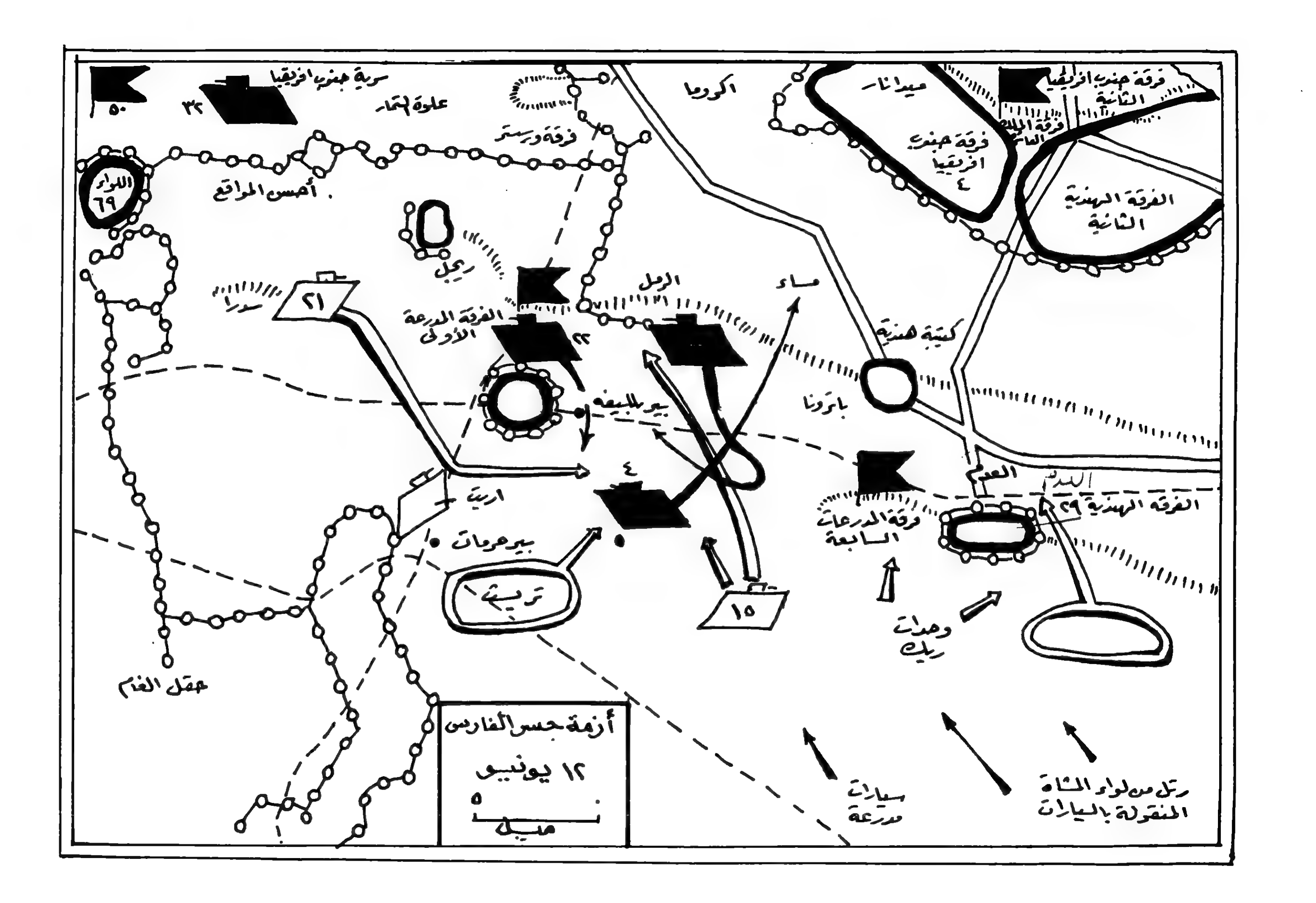
ولم تكن القوة النسبية للجانبين ـ حتى فى هذه المرحلة ـ لتترجم بمثل هذا التشاؤم ، بحيث تبرر هذا النهج المتطرف ، وبوسع المرء ان يتصور سيل الاسئلة التى كان من الممكن ان يثيرها احبـاط آمال « تشرشل » من جانب « هوايت هول » . وعلى أية حال فان « روميل » لم يمهل « ريتشى » وقتا كافيا للتفكير فحسب ، فما بالك بتنفيذ عملية ضخمة لاعادة تشكيل القوات .

وفى الصباح الباكر من يوم ١١ من يونيو أصدر أوامره بالتقـدم نحو « العدم » ، وهى عملية مشابهة لتلك التى جرت يوم ٢٧ من مايو ـ أول أيام المعركة ـ على نفس الارض ، وكان على الفرقة التسعين الخفيفة ، وجميع وحدات الاستكشاف ، ان تتوجه الى الجرف جنوب العدم ، بينما تتوجه فرقة البانزر الخامسة عشرة رأسا الى المطار .

وكان على فرقة البانزر الحادية والعشرين وفرقة « الآريت » ان « تتظاهر » شرقى الـ « كولدرون » محاولة تثبيت مدرعات « نورى » قرب « نايتسبريدج » ومنعها من التدخل ، وبدأ التحرك فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، دون ان تتدخل فيه الفرقة السابعة المدرعة تدخلا جديا رغم أن ذلك كان فى نطاق مسئوليتها ، وقام اللواء الآلى السابع ورتلان من اللواء الهندى الحادى عشر ، بعمليات ازعاج للجنب الايمن من جهة « بير الغبى » ، بينما صدرت الأوامر للواء الرابع المدرع بالتحرك من قرب نايتسبريدج فى اتجاه الجنوب الشرقى ، لملاقاة « فون فايرست » وبعد ان وصل « ريتشاردز » الى موقع مناسب لخوض المعركة عند « ناضورة الغسواسك » ، قاوم الأوامر القاضـية بهبوطه الى الارض المنخفضـة الواقعة جنوبا ، ومن حيث كان راح يتبادل النيران البعيدة المدى مع خصومه القدامى الذين كانوا يعدون عدتهم لقضاء الليل على مسافة بضعة أميال جنوبيه ، وجنوبى

شرقيه ، وكانت الفرقة التسعون الخفيفة قد أقبلت فى هذا الوقت ، لتستقر على مسافة خمســة أميال جنوب شرقى الدفاع الصندوقى للواء الهنــدى التاسع والعشرين بـ « العدم » ، حيث كان لـ « ريد » كتيبتان ، بينما كانت الثالثة على مسافة خمسة أميال فى اتجاه الشــمال الغربى ، حيث ينحدر الممر الجانبى للمحور من فوق جرف « بترونه » ، وفى باكورة اليوم التالى ـ وهو يوم ١٢ من يونيو ـ وبعد ان تبين « نورى » مدى تشتت قوات « رومل » فى ذلك الحين وجد الفرصة سانحة للتعامل مع فرقة البانزر الخامسة عشرة وهى بمفردها تماما ، وكان لدى « ريتشــاردز » ٣٩ دبابة « جرانت » و ٥٦ دبابة « ســتيوارت » بناضورة الغسواسك ، فأمر (نورى) اللواء المدرع الثانى الذى كان على مسافة بضعة أميال الى الشمال ، ومعه ١٧ دبابة « جرانت » ، وثلاث دبابات (ستيوارت) و ٢٥ دبابة « كروسيدر » بالدخول تحت قيادة « مسرفى » ، والتحرك للانضمام الى « ريتشاردز » فى هجومه على « فون فايرست » الذى كان من المعتقد أنه سوف يعرض جنبه ، أو مؤخرته ، بمواصلته التقدم الى هدفه المرتقب بـ (العدم) •

وهكذا يصبح لدى اللواء الثانى والعشرين المدرع ٢٧ دبابة « جرانت » ، وخمس دبابات « ستيوارت » ، و ٣٤ دبابة « كروسيدر » ، فضلا عن دبابات « ويلسون » وهى ٦٣ دبابة من طراز « ماتيلدا » و « ڤالنتاين » ، للتعامل مع أي تحــرك لفــرقة البانزر الحادية والعشرين ، وفــرقة « الآريت » شرق الــ « كولدرون » أو شماله • ولكن « مسرفى » كان له رأى مخالف ، وكانت فرقته قد انقسمت الآن الى نصفين بفعل عملية الاختراق التى قام بها (رومل) • أما (رتتون) الذى كان معه ١٦ دبابة « ستيوارت » من كتيبة هوسار جلاوسستر الملكية ، فكان بين « بير الغبى » ، و « العــدم » ، وكان « مسرفى » يريد ان يخترق مؤخرة قوة « رومل » المشار اليها آنفا ، باللواء الرابع المدرع ، وينضم الى « رتتون » بالجنب الخارجى ، تاركا منطقة « نايتسبريدج » لـ « لمسدن » ، وكانت أوامر « نورى » تتعارض وهذه الفكرة الخاصة ، فاعتزم « مسرفى » البحث عنه لمناقشة الأمر معه • وعلى مقربة من « العدم » فوجىء بالعدو ، واضطر الى اللجوء الى « بير جاف » ، والاحتماء به •



أزمة جسر الفارس
١٢ يونيو
٥
ميل
سرية جنوب افريقيا
٣٢
٥٠
علوة الحمراء
فرقة ورستر
أحسن المواقع
اللواء ٦٩
اكروما
ميدانا
فرقة جنوب افريقيا ٤
فرقة جنوب افريقيا الثانية
الفرقة الهندية الثانية
ريجل
٢١
سورا
الفرقة المدرعة الأولى
٢٢
الرمل
مساء
كنيسة هندية
باترونا
بير بالشيفة
٤
اريتا
بيرحرمات
تريث
١٥
فرقة المدرعات السابعة
العضم
الدبد
الفرقة الهندية ٢٩
وحدات ريك
حقل الغنم
سيارات مدرعة
رتل من لواء المشاة المنقولة بالسيارات

وكان « فون فايرست » فى الواقع يتوقع هجوما ، وبدلا من ان يواصل تقدمه ، واجه الشمال ، واستعد للتعامل مع « ريتشاردز » ، ولكن الاخير لم يتحرك • وانضم اليه لواء « بريجز » الثانى المدرع من جهة الشرق ، وانتشر فى جبهة عريضة ، تكاد تصل الى « العدم » ، وبعد ان أبلغ اللواء رئاسته بتعرضه لهجوم من جانب فرقة البانزر الخامسة عشرة ظل فى انتظار أوامر قائد الفرقة الغائب •

وكان كل من « رومل » و « نورى » قد تبين فى هذه الاثناء ان شيئا لم يحدث ، ولما كان « مسرفى » غير مشترك فى القتال ، فقد كلف « نورى » « لمسدن » بأن يتولى قيادة كل من اللواءين الثانى والرابع المدرعين ، فضلا عن اللواء الثانى والعشرين ، الذى أمره « لمسدن » الآن بالتحرك من شمال « نايتسبريدج » ، للانضمام الى اللواءين الآخرين ، وفى الوقت نفسه تقريبا كلف « رومل » « نيرنج » باصدار الأمر الى فرقة البانزر الحادية والعشرين بمهاجمة مؤخرة الألوية ، بعملية اختراق فى اتجاه الشرق جنوب « نايتسبريدج » مع عودة « فون فايرست » الى الهجوم من الجنوب •

وكان هجوم « فون بسمارك » بمثابة مفاجأة أصابت مؤخرة « ريتشاردز » الخلفية حيث دمرت نحو عشرين دبابة لساعتها ، واثر هجوم فرقة البانزر الخامسة عشرة من الجنوب ، وارتداد اللواء الرابع المدرع الى الخلف فى اتجاه الشمال الشرقى ، واختفائه بعد ذلك خلف جرف « الرمل » ، وقد أصاب هذا الهجوم أيضا يمين اللواء الثانى المدرع ، ووسطه وبينما كان « لمسدن » يتأهب للامساك بزمام القيادة ، وراح يحاول اعادة تنظيم الدبابات جميعها فى موقع قوى ، بحيث يرتكز جنبها الايمن على الدفاع « الصندوقى » للـ « جاردز » بـ « نايتسبريدج » حيث كان اللواء المدرع الثانى والعشرون مشتبكا اشتباكا ضاريا مع فرقة البانزر الحادية والعشرين ، وكان هذا قبل أن يتبين مدى المسافة التى ارتد اليها اللواء الرابع المدرع فى اتجاه الشمال ، وقد قضى اللواء المدرع الثانى وقتا عصيبا جدا ابان انسحابه فى اتجاه الشمال الغربى ، ومحاولته عقد الخناصر مع اللواء الثانى والعشرين المدرع قرب « بير بليفع » ، وفى نهاية ذلك اليوم ، كان وضع (لمسدن)

قد استقر نوعا ، ولكنه لم يكن وطيدا ، نظرا لفداحة الخسائر فى الدبابات التى ربما وصلت الى تسعين دبابة .

وكان هذا العدد يمثل نحو نصف مجموع الدبابات المشتركة فى القتال ، وقد شهد عصر ذلك اليوم انتقال ميزان قوى الدبابات نهائيا ، وبصفة حاسمة الى « رومل » .

ولم يكن « نورى » قد تبين مدى الخسائر أو عرف ان « ريتشاردز » قد توغل شمال جرف « الرمل » الشاهق ، وكان لا يزال يعتقد ان « لمسدن » قادر على الهجوم ، ولكن عندما ساءت الاتصالات السلكية واللاسلكية ــ كما حدث عند هبوط الليل ــ وتعذر الاتصال بالقائدين أصدر « لمسدن » أوامره يوم ١٣ ، وكانت تقضى بأن تدافع فرقته عن منطقة « نايتسبريدج » .

وتبين « ريتشى » الآن ان معركة المدرعات كانت تسير ضده بصورة منذرة بالخطر ، وازداد خوفه من خطر نجاح اقدام « رومل » على عزل فرقة جنوب أفريقيا الاولى ، والفرقة الخمسين هذه المرة ، ولكى يؤمن قواته تأمينا أفضل ضد ذلك ، وينسق عمل جميع الدبابات المتيسرة ، بما فى ذلك دبابات « ويلسون » قرر وضع « لمسدن » بكل ما لديه من دبابات ، تحت قيــادة « جوت » ليطلق لـ « نورى » الحرية فى تولى زمام الألوية المختلفة المنتشرة جنوب طبرق وشرقها ، وكان هو « وأوكنليك » قد فكرا فى الانسحاب الى الحدود المصرية ، ولكنهما رفض هذه الفكرة . وقد أبلغا بذلك « تشرشل » الذى أيدهما بحرارة ، ولمــا كانا يعرفان قوة « رومل » معرفة تقريبية دقيقة ، فقد كان يبدو لهما أنه لن يمكنه مواصلة التقدم دوما ، وكلف الســلاح الجوى الملكى بضرب الفرقة التسعين الخفيفة جوا ، كما كلفت الفرقة العاشرة الهندية بمهاجمتها برا . وخلال الاسبوع السابق أقيم خط ثانوى من مواقع سرايا متصلة ببعضها بحقول ألغام ، وتمتد من مواقع اللواء التاسع والستين شرقا خلال « علوة التمر » حتى « عكرمه » ، وكان الأمل معلقا على الاحتفاظ بهذه المواقع ، اذا استطاع « لمسدن » ــ بكل دبابات القتــال والمشــاة المتيسرة لديه ــ ان يؤمن مثلث « علوة التمر ــ عكرمه ــ نايتسبريدج » الذى كانت هضبة « رجل » تمثل فيه جزءا حيويا .

ولــكن « رومل » كان واضعا عينيه على المثلث أيضــا ، وكانت أوامره يوم ١٣ تقضى باستيلاء « فون بسمارك » على هضبة « رجل » من الغرب ، بينما يؤمن « فون فايرست » طرفها الشرقى ـ هضبة رمل ـ من الجنوب الشرقى . وبذلك تقع « نايتسبريدج » وجميع قوات « لمسدن » بتلك المنطقة فى الكماشة بين الاثنين ، وفى الوقت نفسه كان على الفرقة التسعين الخفيفة ان تواصل هجومها على اللواء الهندى التاسع والعشرين بـ « العدم » ، وهو الهجوم الذى شهده « رومل » يوم ١٢ من يونيو ، وانتقده نقدا شديدا ، والواقع ان هذه الفرقة المزعومة لم تكن تضم سوى ١٠٠٠ جندى ، و ١٥ مدفعا ميدانيا ، و ٤٠ مدفعا مضادا للدبابات ، اتخذت بها لنفسها موقعا بين الصندوق الدفاعى لـ « ريد » ومفرزته بالشمال الغربى ، وتقدر بكتيبة ، وكان من شأنها أن تصبح فريسة سهلة لهجوم ليلى صامت ، يقوم به اللواء الذى يفوقها عددا بكل تأكيد .

أما هجوم فرقة البانزر الخامسة عشرة من الجنوب ، فانه لم يشن بقوة وأدرك « لمسدن » ان بوسعه صده دون صعوبة ، ولكن الأزمة وقعت بهضبة « رجل » ، وكانت هجمات فرقة البانزر الحادية والعشرين تفتقر الى العزيمة غير أنها تجددت بعد الظهر بقوة أشد ، ولم تستطع كتيبة « سكوتس جاردز » الصمود والدفاع عن موقعها بـ « هضبة رجل » ، فأرسل « لمسدن » اللواءين الثانى والثانى والعشرين المدرعين لمساعدتها ، وحل محلها « فوت » بكل دبابات المشاة التى تمكن « ويلسون » من الحصول عليها ، وكان « ريتشاردز » مايزال شمال الجرف فتم تحريكه الى شمال « رجل » للمساعدة ، ولسوء الحظ فان هذا لم يصادف العاصــفة الرملية فحسب ، وانما صادف أيضا استئناف فرقة البانزر الخامسة عشرة لهجومها بايعاز من « رومل ونيرنج » شخصيا ، لهذا فقد نفذ بعزيمة أشد بكثير من الهجوم السابق ، وتمخض عن ذلك موقف دقيق على الجانبين وأرغمت كتيبة « سكوتس جاردز » على الانسحاب من « هضبة رجل » ، بينما قاتل « فوت » وبقايا اللواء الثانى والعشرين المدرع قتالا باسلا ، للاحتفاظ بأى ثمن بالممر الواقع شــمال « نايتسبريدج » ، والذى أصبح وقتئذ الوسيلة الوحيدة للوصول الى باقى لواء « ماريوت » الذى كان صندوقه الدفاعى مهددا بأن يعزل تماما ، فضلا عن أنه لم يكن من المنتظر من قوة « لمسدن » التى ازدادت ضعفا ان تصمد بموقعها المحيط بذلك الصــندوق ، لهذا فقد تم اخــلاء هذا

الصندوق بناء على أوامر « جوت » فى تلك الليلة ، وكانت الخسائر فى الدبابات طوال هذين اليومين ١٠٥ دبابة « جرانت » و « ستيوارت » و « كروسيدر » ، ولم يبق منها سوى خمسين دبابة كما بلغت الخسائر فى دبابات المشاة ثلاثا وثلاثين دبابة ، ولم يبق منها سوى نحو عشرين دبابة وقد حشدت هذه الدبابات ـ ومجموعها ٧٠ دبابة تحت امرة « لمسدن » ـ قرب عكرمه ، مع لواء « جاردز » بعد انسحابه الليلى ، وقد ترك « رومل » بعد ان استحوذ على « هضبة رجل » بأكملها ، ولكنه سحب الفرقة التسعين الخفيفة من « العدم » ، حيث كانت الارتال تزعجها ، والقوات الجوية تغير عليها باستمرار ، دون ان تلحق بها أضرارا مادية من الطرفين .

ولم يكن أحد الآن يساوره شك فى ضرورة سحب فرقة جنوب أفريقيا الاولى ، والفرقة الخمسين من النتوء المعرض ، غير ان أحداث الاربع والعشرين ساعة الماضية ، جعلت ذلك امرا أشد صعوبة مما كان ، وأصبح الطريق الوحيد الذى ترك مفتوحا ، هو الذى يمتد من خلال عنق الزجاجة الضيق من (ڤيابالبيا) الى (طبرق) نفسها .

وكان سحبها مشكلة صعبة ، أما المكان الذى سوف تذهب اليه فلم يكن مثارا للجدل ، فمنذ يناير كانت سياسة قادة العموم الثلاثة بالشرق الاوسط ، أنه مهما حدث فانه ينبغى تجنب أي حصار آخر لطبرق ، وكان شعار « يجب ألا تحاصر طبرق » محفورا فى ذهن الجميع ، وكان من المسلم به أنه اذا لم يمكن الاحتفاظ بمواقع الغزالة ، فان الخطوة التالية الى الخلف ستكون الى الحدود المصرية ، وكانت خطة الانسحاب الى هذا الخط « عملية فريبورن » قائمة منذ احتلال مواقع الغزالة فى بادىء الأمر ، وان كانت الحاجة الى تنفيذها قد اختفت عندما بدأ الجيش الثامن يبنى قوته منذ بضعة أشهر مضت ، لهذا فقد كان من الطبيعى ان يستخدم « ريتشى » هذه الخطة الجاهزة كوسيلة لاخلاء النتوء الخطر ، واعداد موقع قوى على خط الارتداد التالى المتفق عليه ، حيث يمكنه اعادة تنظيم مدرعاته والاستعداد لخوض المعركة ثانية ، ولكن هذا لم يحل مشكلة طبرق نفسها .

لم تكن المسألة خاصة بالدور الذى ينبغى ان تقوم به فرقة جنوب أفريقيا الثانية بقيادة « كلوبر » ، مثلما كانت خاصة بنقل العدد الكبير من الوحـدات الادارية ، والمركبات التى تحت الاصلاح ، والكميات الاحتياطية من التموين على اختلاف أنواعه ، والتى كانت تقع داخل الحدود الخارجية للحصن ، وخارجها قرب رأس السكة الحديد ، عند « بلحمد » ، ولم تكن مهمة اخلائها جميعا فى حينه مهمة سهلة ، أما التخلى عن طبرق ، فكان كفيلا بأن يسهل على « رومل » التحرك شرقا مرة أخرى ، وربما تم ذلك ، قبل اعداد دفاعات الحدود اعدادا سليما لاستقباله ، وطالمـا صمدت طبرق فان « رومل » ما كان ليأمل فى غزو مصر ، فقبل ان يتمكن من جمع قوة كافية ، لشن هجوم شامل ، كان بوسع الجيش الثامن العودة الى مساعدتها ، وباحتلال فرقة جنوب أفريقيا الثانية للنطاق الخارجى الغربى ، وبتأمين الفرقة العاشرة الهندية لمنطقة العدم ، ومعها ما تيسر من قوات خفيفة الحركة ، كان « رينتشى » يأمل فى صد « رومل » وقتا يكفى فيلقا يعاد تنظيمه على الحدود ، للعودة الى الهجوم •

ولكن ما كان بوسعه ان يظل متفائلا ، وتبين انه أخفق فى الاحتفاظ بهذا الخط ، أو ذاك ، وانه اذا حدث ما يخشاه ، فمن الممكن محاصرة طبرق ، وكان يرى فى ذلك مجازفة تستحق الاقدام عليها ، كان هناك تموين شهر كامل على الأقل ، داخل الحدود الخارجية وفى العـام السابق كانت تحتل الحصن حامية أصغر مما لديه الآن بمنطقة طبرق ــ العدم ، وظلت به تسعة أشهر ، وفى خلال شهر كانت قوته التى على الحدود ستعود ثانية ، ومن ثم لا يكون هناك داع للعودة والمخاطرة بارسال السفن لتموينها ، وكان يأمل ان يتمكن من مواصلة استخدام مطارات « كمبوت » كأراضى هبوط أمامية ، وان لم يكن بوسعه ضمان ذلك بعد يوم ١٤ •

صدرت الأوامر لــ « جوت » بسحب فرقتيه الاماميتين فى الساعة السابعة صباحا يوم ١٤ من يونيو ، وفى الساعة ٩٫٣٠ أبلغ (رينشى) مضمون قراراته هاتفيا لــ « أوكنليك » الذى كان قد عاد الى القاهرة فى ذلك الوقت ، وبعد ساعة واحدة ، ارسلت اشارة طويلة توضيحا لوجهة نظره ووصلت هذه الاشارة

الى مقر القيادة العامة فى الساعة ١٥ر١ • وقد اختتمت الاشارة بهذا السؤال :
« هل توافقنى على قبول المغامرة بحصار طبرق ؟ » •

غير ان « أوكنليك » كان قد ارسل بدوره اشارة فى الساعة ٣٠ر١١ ردا على المحادثة الهاتفية ، لم يكن قد تبين بوضوح ما اعتزمه « ريتشي » بل وأمر فرقتى « جوت » ـ فى الواقع ـ بالعودة طوال المسافة حتى الحدود ، وعندما عاد « ريتشى » فى الساعة الرابعة من زيارته لقائدى الفيلقين والتفاهم معهم على الاوامر المعقدة التى تقتضيها الحاجة لضمان انسحاب « بينار » و « رامسدن » ومستر « لمسدن » مع تأمين طبرق والعدم ، وجد رسالة « أوكنليك » باتتظاره وكان نصها ما يلى :

١ ـ اذا كان الموقف فى رأيك قد تدهور الى حد انه لم يعد بوسعك ترك فرقة جنوب أفريقيا الاولى ، والفرقة الخمسين بموقع الغزالة الاصلى ، دون المجازفة بقطع الامداد عنهما وعزلهما فاننى أوافق على انسحابهما كارها نظرا للميزة التكتيكية التى يقدمها لنا هذا الموقع الحصين •

٢ ـ لئن كنت قد تبينت ان قواتنا المدرعة قد هزمت ، وأصبحت الآن أضعف كما ونوعا ، من مدرعات العدو ، فلابد ان أؤكد وجهة نظرى ، وهى ان العدو لا يمكن ان يكون فى وضع يسمح له بأن يقوم بهجوم شامل لأجل غير مسمى وبنفس السرعة ، اننى أشعر انه لابد وان يكون قد خسر خسارة جسيمة ، ونحن نعرف ان ذخيرته غير كافية • أضف الى هذا اننا نفوقه جوا بكل تأكيد •

٣ ـ ولما كان الامر كذلك فانه يتعين الاحتفاظ بطبرق وعدم السماح للعدو بمحاصرتها ، وهذا يعنى انه يجب على الجيش الثامن الاحتفاظ بخط عكرمه ـ العدم ، وجنوبيه ، ومقاومة جميع محاولات العدو لاجتيازه ، ولما كانت جبهتك قد تضاءلت باخلاء الغزالة واعادة تنظيم قواتك ، فلابد وان يكون هذا ممكنا ، واننى آمرك بتنفيذه •

٤ ـ اذا شعرت انه ليس بوسعك قبول مسئولية التشبث بهذا الموقع فيجب ان تقول ذلك •

وفى هذه الساعة كان يبدو من المستحيل على « ريتشى » ان يغير أوامره فعادة ما أدى صدور الأوامر ونقضها بأوامر مضادة الى اشاعة الفوضى فى الماضى ، وفى هذه الظروف بالذات كان من الممكن ان تكون العاقبة وخيمة ، وبغض النظر عن تحديد أمر « أوكنليك » لـ « عكرمه » وليس النطاق الغربى لطبرق كقطاع شمالى للخطر الذى يتعين الاحتفـاظ به فقد كان يتفق الى حـد ما مع نوايا « ريتشى » وآماله ، ولكنه استشعر امكانية بل واحتمال اكراهه على الانسحاب فعاد واتصل بالقاهرة هاتفيا ليقول ذلك ، ويسأل مرة أخرى ان كان « أوكنليك » سيسمح فى هذه الحالة بقبول محاصرة طبرق ، ولم يتحدث الى القائد العـام نفسه ، وانما تحدث الى نائب مدير العمليات الذى كان قد عاد لتوه من الجيش الثامن ، وألم بالموقف هناك ، غير ان « أوكنليك » لم يلن ، وعاد فأرسل اشارة أخرى وصلت الى الجيش الثامن قبيل منتصف الليل مباشرة يوم ١٤ ، وفى هذه الاشـارة عقدت مقارنة بين حالة الالمـان المرهقة ، وحالة جنـود « بينار » و « رامسدن » المنتعشين نسبيا ، نظرا لأنهم لم يحاربوا تقريبا طوال المعركة ، وأكدت الاشارة ضرورة « حرمان العدو » من خط عكرمه ـ العدم ـ بير الغبى ، كما جاء بها ان « قواتنا لن تحاصر فى طبرق ، وان على جيشنا ان يظل جيشا ميدانيا خفيف الحركة (آليا) ، مع مهاجمة قوات العدو ، والقضاء عليها بمجرد جمع قوات كافية لشن الهجوم ، وكانت الأوامر التى أصدرها « ريتشى » أثناء النهار تستهدف نفس النتيجة التى يريدها « أوكنليك » ، ولكن بينما كانت عينا الاخير منصبتين فى المقام الاول على خط (عكرمه ـ العدم ـ بير الغبى) كخط دفاع رئيسى توقع ان يتولى « ريتشى » عنده اعادة تنظيم الجانب الاكبر من قواته ، فى الوقت الذى ارسل فيه « أوكنليك » تشكيلات أخرى من مصر ،

لحشدها على الحدود ، كانت عينا « ريتشى » منصبتين على الحدود ، باعتبارها مكانا أكثر أمنا ، يمكن فيه اعادة تنظيم فرق « جوت » وتأهيلها للعمليات خفيفة الحركة (الآلية) كما يمكن فى أسوأ الاحوال اقامة دفاع مأمون ، وسوف يبذل قصارى جهده للتشبث بخط (عكرمه ـ العدم ـ بير الغبى) بواسطة « كلوبر » وبما يمكن وضعه تحت امرة « لمسدن » من قوات آلية ومدرعة ، وربما شمل ذلك لواء « ريد » الموجود هناك بالفعل ، غير ان أمله فى انجاز ذلك فى حينه ، وقبل ان يطوقه « رومل » مرة أخرى لم يكن كبيرا ، وكان مصمما على الحصول

على رد صريح من « أوكنليك » فيما يتعلق باخلائه لطبرق فى هذه الحالة ، أو عدم اخلائها ، وكان فى قرارة نفسه يعتقد ان الحصار المؤقت أهون خطرا من محاولة الاخلاء ، وكان فى رأيه هذا متأثرا بغير شك بـ (جوت) ومؤيدا منه .

فعندما ووجه الأخير بمشكلة سحب فرقتيه ، كان من الواضح ان من المتعذر على كلتيهما المرور من خلال عنق الزجاجة الضيق بالطريق الساحلى ، وكان الأمر سيستغرق وقتا طويلا ، كما كان من شأن الفرقة التى سوف تضطر الى الانتظار باعتبارها الثانية فى الترتيب ان تتعرض لموقف بالغ الخطورة ، وكان الحل البديل الوحيد الذى وقع عليه الاختيار حلا خياليا ، وهو التوغل جنوبا خلال الايطاليين ، والقيام برحلة طويلة فى الصحراء جنوب « حكيم » وكان على « بينار » أن ينسحب على الطريق الساحلى ، بينما يشق لواءى « رامسدن » طريقهما بالمركبات خلال الايطاليين أثناء ليلة ١٤ ، وكانت النية قد استقرت فى الاصل على ألا يبدأ (بينار) تحركه حتى باكورة يوم ١٥ ، كى لا يتنبه الايطاليون الى ان ثمة انسحابا كان يجرى ، وذلك حتى تمر ألوية « رامسدن » من خلالهم ، وهو اجراء أقرب الى ان يفسر بأنه هجومى ، ولكنه اعترض على عواقب الانسحاب النهارى على الطريق الساحلى ، حيث لا محالة من ازدحام الطريق وتعرضه للغارات الجوية ، لهذا فقد سمح له أيضا بالانسحاب فى تلك الليلة .

وقد كلف « لمسدن » بالتشبث بـ (عكرمه) ، وعدم السماح للعدو بالاقتراب من الجرف المطل على الطريق الساحلى ، حتى صباح يوم ١٥ ، عندما ينضم لواء الـ « جاردز » ، وكل ما تبقى من دبابات « ويلسون » الى « كلوبر » بطبرق ، اما جميع الدبابات الاخرى الصالحة للقتال فقد كانت الحاجة ماسة اليها بـ « العدم » حيث كان عليها ان تنضم الى اللواء الرابع المدرع ، تحت قيادة « مسرفى » ، وكان عليها أن تتحرك بمجرد ان تتجاوز مؤخرة فرقة جنوب أفريقيا ، ملتقى ممر المحور الجانبى ، والطريق الساحلى .

وفى أثناء اعداد هذه الخطط ، كان « رومل » يحاول تسديد الضربة القاضية ، غير انه وجد صعوبة كبرى فى تحريك قواته ، بعد ان بلغت أقصى مدى يمكنها بلوغه ، وكانت أوامره تقضى بأن تتقدم فرقتا البانزر ـ رقم ١٥ فى اليمين ورقم ٢١ فى اليسار ـ فى اتجاه الشمال بمعاونة مدفعية الجيش الى

« كومنولث كيب » غربي « عكرمه » ، وعندئذ تبدأ فى قطع الطريق الساحلى وتحركت فرقة البانزر الخامسة عشرة فجر يوم ١٤ ، وسرعان ما اشتبك معها ـ فى البداية ـ اللواء المدرع الثانى والعشرون ، ثم موقع تحتله الكتيبة الاولى « ورسستر » بالنقطة ١٨٧ ، علي مسافة خمسة أميال جنوب غربى « عكرمه » حيث أمكن صدها تماما ، وفى هذه الاثناء كانت فرقة البانزر الحادية والعشرون قد تقدمت ، ووصلت الى « بست بوست » ، وهو موقع بـ « علوة التمر » تحتله كتيبة مختلطة من جنوب أفريقيا ، بقيادة المقدم (بستر) ، وهنا أيضا أمكن صد الالمـان ، ولم يقع جديد ابان وسط النهار ، وبعد الساعة الثانية ، تجدد الهجـوم ، حيث صبت فرقة البانزر الخامسـة عشرة نيرانا حاميـة على كتيبة « ورسستر » ، وعند الساعة الثالثة ، تم اختراق موقعها ، وأصيبت جميع مدافعها المضادة للدبابات ، وفى الساعة الخامسة كانت قد بدأت تنسحب الي داخل طبرق ، وكان ذلك علي ما يبدو بناء على أمر من « كلوبر » كان فى الواقع قد صدر بشأن التزود بالذخيرة ، وبعد ذلك خاضت كتيبة (بيز) بدبابة (جرانت) واحدة ،

وتسع دبابات « كروسيدر » ، وسرية من كتيبة الدبابات الملكية الثامنة ، تضم عـددا مماثلا من الدبابات ـ خاضت قتالا تعطيليـا ، وهى ترتد عائدة الى « عكرمه » ، حيث نجحت بقايا اللواءين الثانى والثانى والعشرين معا فى ايقاف فرقة البانزر الخامسـة عشرة ، ولكن هذا كان سببا فى كشف الجنب الايسر لـ « بستر » ، فواجه نيرانا مركزة ، وهجمات من الجنوب والشرق ، غير أنه ظل محتفظا بأرضه ، وأمكن صد فرقة البانزر الحادية والعشرين ، التى ظلت على مسافة من الموقع الى ما بعد هبوط الظلام .

وقبل هذه العمليه ببضع ساعات ، ورغم اعتراضه على التحرك فى وضح النهار ، كان « بينار » قد بدأ سحب لوائه الاول ، الذى كان سيقطع المسافة الأبعد نظرا لوجوده فى أقصى الجنوب ، ولم يكن هذا بالشىء الذى يرتاح اليه اللواء المجاور ، وهو لواء « نيكولز » الخامس عشر ، الذى كان عليه ان يتحرك فى الاتجاه المضاد بعد هبوط الظلام . وكان لواء جنوب أفريقيا الثالث هو التالى فى الترتيب . وفى السـاعة الحادية عشرة مساء أطلق آخر طلقاته ، ولكنه وجد صعوبة فى التعرف على طريقه المؤدى أسفل الجرف ، ولم يكن قد أتم اجتيازه

عند الفجر ، غير أنه لم يكد يفعل ذلك حتى قطع المسافة خلال طبرق ، وفيما وراءها بسرعة ملحوظة ، ويبـدو ان بعد الشقة بين اللواءين ، قد أوحى الى « لمسدن » بأن مؤخرة الفرقة قد مرت به ، وبعد منتصف الليل بعشر دقائق أمر جميـع قواته ، فيما عـدا كتيبتى الدبابات الملكية الرابعـة والثامنة التابعتين لـ « ويلسون » بالتحرك ، والمرور خلال « طبرق » الى « العدم » و (كمبوت) ، وكان على (ويلسون) أن يبقى فى (عكرمه) حتى الساعة الثامنة ، وحتى دخول مؤخرة لواء جنوب أفـريقيا الى طبرق ، وتتيجـة لخطأ ما التبس الأمر على « ويلسون » ودار بخلده ان تلك هى الساعة التى ينبغى أن يكون فيها هو أيضا داخل النطاق الخارجى لطبرق ، فكان ان تحرك بالفعل عند الفجر ، تاركا احدى سرايا جنوب أفريقيا وحدها بـ « عكرمه » •

وكانت خطة « رامسدن » الخاصة باختراق خطوط العدو ، تقضى بأن تقوم كتيبة من كل لواء بفتح ثغرة فى الخطوط الايطالية المقابلة لها ، مع ابقائها مفتوحة ، حتى يندفع من خلالها باقى اللواء ، ومن ثم يتحرك اللواءان على طريقين متوازيين حتى الحدود ، ومن الغريب ان العملية نجحت رغم ما سبق اثارته من اعتراضات ضد اجراء أى هجوم فى هذا القطاع •

واجتاز الجميع الطريق بسلام غير ان الحاجة لتوفير وسائل النقل الكافية للجنود دعت الى التخلى عن معظم المعدات ، ومنها الاجهزة اللاسلكية ، لهذا فان الفرقة التى وصلت الى الحدود لم تكن أهلا للمعركة ، وانما كانت بحاجة الى صقلها ، واعادة تزويدها بالمعدات ، وعندما حان دور الكتيبة التاسعة المشاة الخفيفة (ديرهام) للرحيل ، كان الايطاليون قد تنبهوا للأمر ، ووجدت الكتيبة الطريق مسدودا ، وهنا قرر المقدم « بيرسى » قائد الكتيبة العودة أدراجه ، والانضمام الى مؤخرة لواء جنوب أفريقيا ، وكان من شأن ذلك تأخير انجاز نسف الممرات الممتدة بالجرف ، وتعطيل المؤخرة بضع ساعات عن البرنامج المقرر •

ظل « رومل » طوال الليل وهو يحاول حث فيلقه الافريقى على قطع الطريق ولكن عنف الكفاح من أجل الوصول الى الجرف أرهق الجنود ، فناموا حيث توقفوا عند هبوط الليل ، وحتى عندما طلع الفجر ومضت فرقة جنوب أفريقيا فى سبيلها بطريق « ڤيابالبيا » لم تتحرك واحدة من فرقتى البانزر ، ولم تصل

الفرقتان الى الجرف حتى الساعة الثامنة ، وفى الساعة التاسعة بدأت مدفعيتها تشتبك ضد القوات المعادية المتحركة بالطريق • وحتى فى هذه الساعة استيقظ طاقم أحد المدافع المضـادة للدبابات ، وكان قد تخلف خطأ بموقع « بست » وتمكن من الافلات ، دون ان يلحظه أحد ، وقبل ذلك بساعة كان « رومل » قد وصل لمقابلة « فون بسمارك » فتبين ان المناورة التى كان قد عقد العزم على القيـام بها منذ ٢٦ من مايو قد اخفقت ، ولم يضيع الوقت سـدى ، فى ندم لا جدوى من ورائه ، وأمر الفرقة بالزحف الى العدم ، تاركا « فون فايرست » لعزل ما تبقى من قوات معادية غرب « عكرمه » ، وكانت هـذه القوات هى قوات المؤخرة المكلفة بنسف الممرات ، والمكونة من جماعة « برسى » ، وبعض حاميات المواقع المحيطة بـ « علوة التمر » ، ومن الساعة الحادية عشرة فصاعدا ،

بدأت الكتيبة الخامسة عشرة البانزر فى عزل هذه القوات عن طبرق ، وكانت المركبات المتباينة الانواع قد اختلطت ببعضها ، وتسببت فى احداث فوضى شديدة بالطريق ، غير أنه أمكن تحويل معظم العناصر المنظمة الى الشمال ، لمحاولة ايجاد طريق لنفسها قرب البحر ، وهنا قام (برسى) بتنظيم هجوم نجح فى شق طريق له ، ونجا معه من كان على استعداد لاطاعته ، أما الآخرون فقد قطعت عليهم سبل الفرار • وقد بلغت الخسائر ٢٧ قتيلا و ١٣٣ جريحا و ٢٣٣ مفقودا •

وكان رد « رومل » على ذلك خليقا به ، فقد أمر الفرقة التسعين الخفيفة بالهجوم من جديد على اللواء الهندى التاسع والعشرين بالعدم ، وارسل مدفعية الجيش لمعاونته ، ولم ينجح هذا الهجوم ، ولكن قبيل آخر ضوء انضم « فون بسمارك » للهجوم على الكتيبة المنعزلة بممر المحور الجانبى شمال غربى الموقع الرئيسى الذى تم اكتساحه تماما ، وقد ورد ما يفيد بأن عناصر من فرقة البانزر الحادية والعشرين قد واصلت تقدمها حتى سيدى رزق ، ولابد أنها قد ظهرت بـ « الدودة » فى اليوم التالى • وقبـل ان يبدأ « ريتشى » فى اعـداد معقل « العدم » توطئة لبناء خط المقاومة الذى أشار اليه « أوكنليك » كان « رومل » قد اخترقه بالفعل ، ولا عجب ان رسائله الليلية لزوجته كانت تحمل فى طياتها طابع الفرحة :

عزيزتى لو :

كسبنا المعركة والعدو يتداعى ٠ نحن الآن نطهر بقايا جيشهم المحاصر ٠ لست بحاجة لان أحدثك عن مدى بهجتى ، لقد قمنا بعملية اكتساح طيبة هذه المرة ، ومن الطبيعى أنها كلفتنا بعض الخسائر المؤسفة ، لقد جرح « جاوزى » و « وشتبال » ٠وسوف يعود « جاوزى » فى خلال ثلاثة أسابيع أو اربعة كما سيعود « وشتبال » خلال شهر أو شهرين ، لقد عشت فى سيارتى أياما طويلة ، ولم يسمح لى الوقت بترك ميدان المعركة فى المساء ٠ وربما أمكننا الآن ان نلتقى فى يوليـــو ٠

وفى باكورة اليوم التالى ــ ١٦ من يونيو ــ بدأ « فون بسمارك » يطهر منطقة بلحمد ــ سيدى رزق ، التى كانت تحتلها بعض مواقع منعزلة لكتائب تابعة للواء الهندى العاشر الذى وضع هو واللواء الهندى التاسع والعشرون تحت امرة « مسرفى » بفيلق « نورى » ، ويبدو ان موقع « الدودة » كان قد أخلى فى بداية ذلك اليوم ، وسرعان ما خشى (نورى) ان يؤدى ضعفه فى المدرعات الى منعه من الحيلولة دون ان يصبح المصـير المحتوم لتلك المواقع هو التطويق أو الجلاء ، وعند الظهر كان قد اتفق هو و (مسرفى) على ان الانسحاب الى الحدود هو الوسيلة الوحيدة لتلافى ذلك ، رغم ان الفرقة التسعين الخفيفة لم تكن قد أحرزت شيئا جديدا طوال اليوم ضد اللواء التاســع والعشرين ، أما محاولات اللواء الآلى السابع للتدخل ، فقد صدتها فرقة « الآريت » ، فى حين بدا الدفاع الصندوقى للعدم وقد عزل عزلة تتهدده بالخطر ، وكان « نورى » يريد سحبه ،

وفى الساعة ٥ر٣٠ مساء ، وبناء على التفويض الذى استخلصه « ريتشى » من « أوكنليك » أخيرا بالتجاوز عن عزل طبرق مؤقتا مع عدم اعطائه أهمية تذكر للتشبث بالعدم ، كما فعل القائد العام ، فقد أبلغ « نورى » ان القرار ينبغى ان يتوقف على الموقف المحلى ، وانه وحده فى وضع يسمح له بمعرفته ، وفى الحال صدرت الأوامر باخلائها فى تلك الليلة ، بعد ان كان « روملى » منذ بضع ساعات سابقة قد ألغى هجوم « كليمان » نظرا لضعف فرقته واجهادها ٠

وهكذا أصبح الدفاع الخارجي لطبرق آيلا للسقوط ، غير ان البادرة الاولى لقوة النجدة بدأت تظهر جنوب غربى سيدى رزق فى شكل لواء « ريتشاردز » الرابع المدرع ، وكانت كل من كتائبه الثلاث تمثل بقايا لواء ، وكان اللواء يضم تسعين دبابة ، وقد قضى ليلة ١٦ بمنطقة المبيت المفضلة لدى (جيتهاوس) وهى « بير الرغيم » على مسافة عشرة أميال جنوب شرقى سيدى رزق • وفى الصباح شغلت القوات بصيانة دباباتها ، وأرسل رتل من سريتين فى اتجاه الشمال لمساعدة اللواء الهندى العشرين ، الذى كان له كتيبة بسيدى رزق وأخرى بـ « بلحمد » يهددها الفيلق الافريقى الذى أمره « رومل » بمحاصرة اللواء ثم الهجوم شمالا فى اتجاه « كمبوت » • وأمر « مسرفى » « ريتشاردز » بالتحرك عصرا ، ومهاجمة الفيلق الافريقى من الجنب ، ولكنه لم يكد يفعل ذلك ، حتى التقت كتيبته القائدة ــ بقايا الفرقة الأولى المدرعة المختلطة ــ بالعدو عند « العبيدات » فوق الأرض المرتفعة ، الواقعة جنوب شرقى مطار « سيدى رزق » • وتشكلت السرية الثالثة من كتيبة الدبابات الملكية الخامسة عن يسارها ، بينما لم تكد السرية الاولى من كتيبة الدبابات الملكية السادسة تشترك على الاطلاق ، وعند آخر ضوء ، انسحب « ريتشاردز » الى الجنوب الشرقى ، بعد ان تعرض جنبه الايمن لضغط شديد ، وانخفضت قوة دباباته الصالحة للقتال الى ٥٨ دبابة ، وعاد أدراجه الى الجنوب ، ليتزود من مستودع تموين فى « طريق العبد » ، بينما تحول الفيلق الافريقى شمالا ، قاصدا « كمبوت » حيث عزل معظم اللواء الهندى العشرين ، الذى كان « نورى » قد أمره بالانسحاب أثناء الليل بعد ازالة حقول الالغام أثناء النهار •

وتم حصار طبرق أخيرا رغم كل العبارات القوية التى كانت تنادى بغير ذلك ، وحتى الساعة العاشرة من ليلة ١٧ من يونيو كان (أوكنليك) ــ جهلا منه بما حدث أثناء النهار ــ ما يزال يأمر « ريتشى » بابقاء العدو غربى خط « طبرق ــ العدم ــ بير الغبى » والتشبث بالحدود بكل صلابة ، مع القيام بهجوم مضاد بأسرع ما يمكن ، وهى العملية التى كان « ريتشى » يعد من أجلها ارتال سرايا المدفعية ، ويتوقع وجود تسع منها بفرقتى « بينار » و « رامسدن » فى الايام الثلاثة التالية ، غير ان « رومل » أصبح الآن سيد المنطقة الواقعة بين طبرق والحدود ، وسرعان ما صرف اهتمامه الى الضربة التى كان ينوى تسديدها منذ سبعة أشهر مضت ــ وهى الهجوم على طبرق •



شكل ٣٩ - اللواء فون بسمارك يراقب الهجوم من دبابة « مارك ٤ »



شكل ٤٠ ـ مدفعية عاملة عيار ٢٥ رطلا



شكل ٤١ ـ مدفع بريطانى ثقيل مضاد للطائرات عيار ٣ر٧ بوصة

سقـــوط طبـــرق

١٧ - ٢١ مـــن يونـيـو

كانت الحدود الخارجية لطبرق طويلة فقد أقامها الايطاليون فى الاصل قبل الحرب • وقد تم تصميمها لابعاد العدو بعدا كافيا عن المرتفعات المطلة على طبرق نفسها ، ضمانا لعدم رؤية المدينة الصغيرة ، والبواخر الراسية بالميناء ، واطلاق النار عليها ، وكان هناك جرفان مرتفعان ، هما « سولارو » و « بيلاسترينو » ، وكان الاول يمتد جنوب « ڤيابالبيا » مباشرة ، ومنها يدخل الى الدفاعات الموجودة على مسافة تسعة أميال من طبرق ، وحتى جنوب الميناء مباشرة ، أما الجرف الثانى فكان يتفرع من الجرف الاول على مسافة ميلين شرقى المدخل الغربى ، ثم ينحرف تدريجيا فى اتجاه الجنوب الشرقى ، حتى شمال « كينج كروس » مباشرة ، حيث يتفرع الطريق المؤدى الى العدم من الطريق الساحلى المؤدى الى البردية • ويفصل الجرفين هنا هضبة مسطحة ، تمتد مسافة ميلين ونصف ميل ، حيث يقع المدفن الحربى البريطانى ، وعند حافته الشرقية تتفرع الارض الى عـدد من الوديان المؤدية الى البحر ، والارض جنوبى « بيلاسترينو » مسطحة تماما ، لمسافة ثلاثة أميال ، أو أربعة ، باستثناء الركن الجنوبى الغربى للحدود الخارجية ، الذى يرتكز على تل « رأس المدور » الواقع على مسافة ستة أميال شرقى عكرمه ، وعلى كلا جانبى طريق العدم حيث يوجد ارتفاع ملحوظ ، وان كان تدريجيا ، وفى جنوب الحدود الخارجية ترتفع الارض تدريجيا حتى تصل الى جرف شاهق ، يمتد من هضبة « رمل » شمال العدم خلال « الدودة » و « بلحمد » •

وكان الايطاليون قد بنوا نطاقين من المواقع الخرسانية خلف خندق دفاعى ضد الدبابات ، وأسلاكا شائكة ، وفى حصار عام ١٩٤١ بنى الاستراليون النطاق الداخلى،على مسافة نحو ميلين من الحدود الخارجية الايطالية المعروفة بالخط الازرق، أما المسافة الواقعة بينهما ، فقد بثت فيها الالغام بكثافة شديدة ، غير ان أحدا لم يفكر منذ معركة الـ « كروسيدر » فى احتمال التصدى لحصار طبرق ، والدفاع

عنها ، ومن ثم لم تلق دفاعاتها عناية تذكر ، ومما يذكر ان الفرقة السبعين قد قامت بشق طريقها الى الدودة من خلال القطاع الجنوبى الشرقى ، ولم يتطلب هذا رفع الألغام ــ دون أن تبث ألغام بديلة لها ــ فحسب ، ولكن خندق الدفاع ضد الدبابات بهذه المنطقة ، لم يتم استكماله ، حتى فى أيام الايطاليين • ويقال أيضا : ان عددا كبيرا من الألغام قد نقل لاستخدامه بحقول ألغام الغزالة ، ومن المؤكد ان الدفاعات لم تكن فى حالة سيئة فحسب وانما كانت مواقعها غير معروفة على وجه التحـديد •

أما فـرقة جنوب أفريقيا الثانية ، فقد قامت تحت امرة اللواء « فيليرز » قائدها السابق بالدور الرئيسى فى اخضاع حامية البردية فى شهر يناير • وكانت هذه العملية القصيرة الحادة ، هى العملية الوحيدة التى قامت بها هذه الفرقة ، قبل انتقالها الى طبرق فى شهر مارس بلواءين فقط ، هما اللواء الرابع ، واللواء السادس ، أما قائدها الجديد ، فهو « كلوبر » الذى كان رئيسا لعمليات الفرقة من قبل ، ولقد كان دورها فى الايام الاولى لمعارك الغزالة ، هو الدعم الخلفى والاحتياطى العام ، لتأمين منطقة القاعدة ، وكان نشاطها الوحيد ، توفير عدد من الارتال ، للقيام بالعمليات الخارجية ، وكان اللواء الهندى التاسع ، قد شكل فى الاصل ، ليعمل كلواء ثالث للفرقة ، ولكن عندما ابتلعته معركة « الكولدرون » حل محله يوم ٦ من يونيو اللواء الهندى الحادى عشر بقيادة « أندرسون » ، وهكذا وضع تشكيل صقلته التجارب تحت امرة ضابط قديم صلب العود •

وكانت أوضاع الألوية قد تأثرت الى حد بعيد بأحداث الاشهر والاسابيع السابقة ، فقبل بدء المعركة ، كانت هناك مخاوف ــ لها ما يبررها ــ من نزول العدو بالساحل ، واذا نجح فى ذلك فقد كان بوسعه ان يتوغل الى طبرق رأسا متفاديا جميع الدفاعات ، وقد قام لواء جنوب أفريقيا السادس تحت امرة العميد « كوبر » بتخصيص كتيبتين ، فضلا عن كتيبة « ترنسفال سكوتش » ، لمقابلة هذا التهديد ، فضلا عن عملية الاختراق المباشرة من الغزالة على طريق (ڤيابالبيا) ، الذى كان يتولى العمل جنوبه مباشرة اللواء الرابع تحت امرة العميد (هايتون) حيث احتل الواجهة الغـربية بالكتيبة الثانية المشـاة الخفيفة (رويال ديربان) جنوبى الطريق ، وكتيبة البنادق الراكبة (أمفوتى) حول « رأس المدور » وكانت

(جماعة بليك) تغطى الاميال الستة ، الواقعة بين هذه القوات وحدود اللواء الواقعة على مسافة ميل واحد غرب طريق العدم ، وكانت هذه الجماعة عبارة عن مجموعة كتيبة مختلطة ، مكونة من سرايا ثلاث كتائب مختلفة من فرقة جنوب أفريقيا الاولى ، وكتيبة بنادق « كافراريان » ، وقد خصص باقى القطاع الواقع شرقى هذه القوات — وتزيد حدوده الخارجية على ثلاثة عشر ميلا — للواء الهندى الحادى عشر ، بينما احتلت القطاع الضيق الواقع شرق طريق العدم « جماعة بير » ، وهى خليط آخر من سرايا ثلاث كتائب مختلفة تليها الكتيبة الثانية « كاميرونز » والسرية الثانية من كتيبة « المهراتا » الخامسة ،

والسرية الثانية من كتيبة « الجوركا » السابعة ، وواجهة كل منها نحو أربعة أميال ، وهكذا أصبح الحشد الأكبر للقوات بالنصف الغربى للمنطقة داخل ثلاثين ميلا من الحدود الخارجية ، هذا بالاضافة الى وضع القوات الاحتياطية تحت قيادة « كلوبر » عند الانسحاب عن طريق طبرق يوم ١٥ من يونيو ، وهذه القوات هى لواء « الجاردز » رقم ٢٠١ ، ولواء دبابات الجيش رقم ٣٢ ، وكان « الجاردز » الآن لواء بالاسم فقط ، فبخلاف الكتيبة الثالثة « كولد ستريم » كانت الكتيبتان الأخريان ، وهما الكتيبة الاولى « شروود فورسترز » والكتيبة الاولى « ورسستر » مازالتا تعانيان من الآثار المتخلفة عن خوضهما القتال بالنقطة ١٨٧ قبل ذلك ببضعة أيام وفى يوم ١٧ من يونيو وصل الى اللواء قائد جديد هو العميد « جونسون » ، وقد وزعت كتائبه الثلاث بين « فورت بيلاسترينو » وطريق العدم خلف النصف الايسر لقطاع اللواء الرابع جنوب جرف « بيلاسترينو » ، بينما كانت دبابات « ويلسون » منتشرة تحت الجرف وشمالها مباشرة ٠

وينبغى ان نوضح أنه حتى يوم ١٤ من يونيو لم يكن أحد على أى مستوى يتوقع حصارا ثانيا لطبرق ، وان « أوكنليك » كان حتى فى ذلك التاريخ يقاوم تلك الفكرة بعناد ، وكان هناك أيضا ايعاز بأن قوات طبرق يمكنها ، بل ويتعين عليها الاسهام فى عمليات ضد العدو حول العدم ، والواقع ان اللواء الهندى الحادى عشر ، كانت له ارتال تعمل هناك يوم ١٥ من يونيو ٠ وفى رسالة سلمها « كوربت » رئيس أركان « أوكنليك » الى « ريتشى » صباح يوم ١٥ من يونيو جاء ما يلى :

جيشك الآن مركز تركيزا مناسبا (لم يتبين ان « بينار » و « رامسدن » قد عاد الى الحدود) ، ويتعين عليك استغلال هذه الميزة على الفور بحشد أكبر قوة للعمل فى منطقة العدم ، لاحظ ان الجنود ربما كانوا منهكين ، وغير منظمين ، ولكن ربما كان العدو أسوأ حالا ، على ان هذه الاعتبارات لا ينبغى ان تؤثر على حشدك لكل ما تيسر لك من قوة فى النقطة الحساسة وهى ، « العدم » فى رأيى ، اننى انتظر منك ألا تدخر جهدا لتحقيق ذلك ، يجب ان نبز العدو فى سرعة التفكير ، والعمل ، وأود ان تؤكد ذلك بشدة لجميع القادة .

ولقد رأينا بالفعل أنه فى الوقت الذى وصلت فيه هذه الاشارة ، كان جزء من منطقة العدم قد وقع فى أيدى العدو ، وانه رغم نبرة الأوامر القاطعة ، فقد تم اخلاء الدفاع الصندوقى للواء الهندى التاسع والعشرين فى تلك الليلة ، وبينما كان « أوكنليك » يضغط على « ريتشى » لضمان حرمان العدو من الخط العام « عكرمه ـ العدم ـ بير الغبى » كان يتبادل الرسائل مع رئيس الوزراء ، ورؤساء الاركان ، وعند علم « تشرشل » بنية التخلى عن خط الغزالة اثر اعتماده لقرار « أوكنليك » بالقتال حتى النهاية أرسل « لاوكنليك » الاشارة التالية فى ١٤ من يونيو :

الى أ ى موقع يريد « ريتشى » أن يسحب قوات الغزالة ؟ ضع فى اعتبارك أنه ليس ثمة بحث فى مسألة التخلى عن طبرق ، فطالما أمكن الاحتفاظ بطبرق ، فلا يمكن للعدو ان يحرز تقدما جديا داخل مصر ، لقد درسنا كل هذا دراسة دقيقة فى أبريل عام ١٩٤١ . لا نفهم ما تعنيه بالانسحاب الى « الحدود القديمة » . رئيس الاركان العامة موافق على كل هذا .

وكان هذا شيئا محرجا « لأوكنليك » الذى كان يؤكد دائما هو وزملاؤه من قادة العموم ، أنهم يفضلون فى الواقع التخلى عن طبرق على مواجهة حصار آخر ، وكان الموقف صعبا بصفة خاصة ، لأنه كان فى هذا الوقت يقاوم ضغطا من جانب « ريتشى » بتفويضه بتعريض طبرق للحصار مؤقتا عند اللزوم وذلك كبديل أوحد للاستعداد للجلاء عنها فى أسوأ الظروف .

ولم يشأ ان يفعل شيئا يشجع « ريتشى » أو مرءوسيه على قبول أحد هذين الحلين البغيضين ، كان يرى ان من الممكن ، بل ومن الضرورى الاحتفاظ بالعدم

وانه لا يجوز السماح بوجود تلك الحاجة الملحة التى تدعو الى فرض قرار سقيم عليه ، واعتقادا منه بأن ذلك شيء ممكن فقد رد على « تشرشل » فى يوم ١٥ الرد التالى :

أمرت اللواء « ريتشى » بحرمان العدو من الاستيلاء على الخط العام « عكرمه ــ العدم ــ بير الغبى » ، وهذا لا يعنى ان فى الامكان الاحتفاظ بهذا الخط ،باعتباره خطا محصنا ، وانما يعنى الحيلولة دون توطيد العدو لاقدامه شرقى هذا الخط ، وسوف تقوم الفرقتان الموجودتان بموقع الغزالة بمساعدته فى ذلك ، ورغم أننى لا أنوى السماح بمحاصرة الجيش الثامن فى طبرق ، فاننى لا أنوى التخلى عن طبرق مطلقا ، أوامرى للواء « ريتشى » هى :

(أ) حرمان العدو من الاستيلاء على الخط العام ــ عكرمه ــ العدم ــ بير الغبى .

(ب) عدم السماح بمحاصرة قواته فى طبرق .

(حـ) مهاجمة العدو وازعاجه كلما سنحت الفرصة .

وفى الوقت نفسه فاننى أنوى حشد احتياطى قوى ما أمكن فى منطقة السلوم ــ مادالينا الغرض منه شن هجوم مضاد فى أسرع وقت ممكن . لقد تحركت الفرقة النيوزيلندية بالفعل ، وينتظر ان يتم حشدها بعد نحو عشرة أيام أو اثنى عشر يوما ، ولكن طلائعها ستكون متاحة بطبيعة الحال قبل ذلك .

وقد استبانت « لتشرشل » ثغرة فى هذه الرسالة وسرعان ما أرسل الرد التالى :

يسرنا ان تتلقى تأييدكم بعدم اعتزامكم التخلى عن طبرق . وزارة الحرب تفسر معنى برقيتكم بأنه اذا دعت الحاجة فان اللواء « ريتشى » سوف يترك فى طبرق قوة تكفى الاحتفاظ بها بصفة مؤكدة .

وقد وصلت هذه البرقية الى القاهرة فى الساعة ٣٫٥٠ من صباح يوم ١٦ ، وفى هذا الوقت كان « كوربيت » قد عاد بعد مقابلته « لريتشى » وعجزه عن اقناعه بتغيير الاوضاع التى كان قد اتخذها بالفعل ، لكى تصبح قواته أقرب

ما تكون الى الوضع الذى كان يريده « أوكنليك » ، ويتخيل أنه قائم ، وكان على الاخير ان يواجه الحقيقة ، وهى ان ما دعا اليـه بشدة ، بل وأمر به كان أبعد ما يكـون عن ان يتحقق ، وتحت الضـغط المشترك من جانبى « تشرشـل » « وريتشى » وافق على سياسة (عدم الحصار) ، وفى الساعة الثامنة صباحا أرسل اشارة بالغة الأهمية « لريتشى » :

رغم أننى أوضحت لك أهمية الحيلولة دون حصار طبرق فاننى أدرك ان حاميتها قد تعزل فترات قصيرة ، لحين امكان شن هجومنا المضاد ، وبوضعك لهذا الاعتبار نصب عينيك فان لك مطلق الحرية فى التنظيم بالكيفية التى تراها أفضل مع الاحتفاظ بما تراه ضروريا من الخدمات الادارية ، والمخزونات على اختلاف أنواعها سواء لخدمة الحامية ، أو معاونة الهجوم المضاد .

ثم دخل فى مشاورة مع « كيسى » وزير الدولة وزملائه قادة العموم أرسل بعدها رده على اشارة « تشرشل » :

تفسير وزارة الحرب صحيح . سوف يضـع اللواء « ريتشى » فى طبرق القوة التى يراها كافية للاحتفاظ بها ، حتى ولو عزلها العدو مؤقتا ، صلب الحامية أربع مجموعات ألوية ، مع مخزون كاف من الذخيرة ، والطعام ، والوقود ، والماء ، أساس العملية المقبلة التى سيقوم بها الجيش الثامن هو الاحتفاظ بمنطقة العدم المحصنة كمحور للمناورة مع استخدام جميع القوات الآلية المتيسرة لمنع العدو من توطيد أقدامه شرقى العدم ، أو طبرق ، وقد صدرت أوامر قاطعة فى هذا الشأن للواء « ريتشى » وأعتقد انه سيكون قادرا على تنفيذها .

الموقف مختلف تماما عما كان عليه فى العام المـاضى حيث اننا نحن الذين نحتل المواقع المحصنة على الحدود ، وليس العدو ، ومن ثم فانه يمكننا استخدام الطائرات المقاتلة فوق طبرق ، حتى ولو أمكن حرماننا مؤقتا من استخدام أراضى الهبوط فى كمبوت ، ويبدو لى ان العدو سوف يحتاج لحصار طبرق الى قوة أكبر من القوة التى تفيد معلوماتنا أنها موجودة لديه ، ولمـا كان الأمر كذلك ، فسوف يمكننا الحيلولة دون وقوع منطقة الحدود طبرق تحت سيطرة العدو .

لقد ناقشت الأمر مع وزير الدولة وقادة العموم الآخرين الذين وافقوا على السياسة المقترحة •

وكان « ريتشى » فى هذه الاثناء قد طار الى طبرق بطائرة مستولى عليها من طراز « فيزلر ستورتش » لمقابلة « جوت » ، وكان الاخير قد التقى بـ (كلوبر) يوم ١٤ من يونيو حيث أخبره بأنه يتعين الاحتفاظ بطبرق كمحور لخط « طبرق ــ العدم ــ بير الغبى » لستر اعادة بناء الجيش الثامن على الحدود ، والانسحاب اليها من الغزالة ، وكان يوم ١٥ يوم نشاط عارم حيث راحت هيئة أركان (جوت) تراجع المخزونات والمؤن الموجودة فى طبرق ، وتعد الترتيبات اللازمة لنقل الجنود ، والمركبات والمعدات ، والمخزونات ، المستغنى عنها هناك ، والتى يتطلب الأمر وجودها عند الحدود ، مع ضمان حصول « كلوبر » على كل شىء ينبغى أن يحصل عليه فى نطاق السياسة العامة ، وحدود الامكانيات •

وقد تجول « جوت » بنفسه فى المواقع الدفاعية ، وبرفقته « كلوبر » ، وعندما وصل « ريتشى » يوم ١٦ اطمأن الى ان الموقف قد أصبح أنسب للقيام بدفاع ناجح عما كان عليه ، عندما دفع دفعا لمحاولة تنظيمه فى شهر ابريل من العام المـاضى ، كانت المؤن مكدسة وكانت الحامية أكبر ، ومزودة بعتاد أفضل من ذلك العتاد الذى صمد لحصار استمر ثمانية أشهر فى عام ١٩٤١ ، وقد اقترح على « ريتشى » ان يبقى هو بنفسه ، ويتولى قيادة الحامية ، ولكن هذا الاقتراح لم يقبل ، كان « ريتشى » يريده ان يتولى قيادة جميع القوات الموجودة بالحدود ، بينما يتولى « نورى » تلك القوات التى ستحاول السيطرة على منطقة « العدم ــ بلحمد ــ سيدى رزق » • أما طبرق ذاتها والتى كان « كلوبر » مسئولا عنها فكانت ستوضع تحت قيادة الجيش الثامن ــ ، وهى عودة طبق الاصل الى الترتيبات القيادية التى اتخذت فى بدء معركة الـ « كروسيدر » •

ومن أشد الصعاب التي واجهت « كلوبر » أنه ، نزولا على رغبة القائد العام فى الحيلولة دون محاصرة طبرق ــ وهو الأمر الذى قبله « جوت » نفسه دون تذمر ــ فقد أصبحت مهمته غير مقصورة على مجــرد الدفاع عن الحدود الخارجية لطبرق ضد المغيرين من جميع الاتجاهات ، فالواقع ان التعليمات التى أصدرها اليه الفيلق ١٣ عصر يوم ١٦ ، بشأن العملية ، تضمنت الحيلولة دون

حصار طبرق حصارا سافرا ، وذلك بعمليات ايجابية ، تقوم بها الحامية ذاتها ، (بعيدا ما أمكن عن الحدود الخارجية) والفيلق ٣٠ ٠

وكان على الأخير ان يحتل المواقع الواقعـة فى منطقة العدم ـ بلحمد ـ سيدى رزق ، وان يستخدم القوات الآلية ضد جنب العدو ومؤخرته ، وكان يرجى الابقاء بهذه الوسيلة على طريق برى ، يمتد الى داخل طبرق ، ولكن اذا أبعد العدو قواتنا عن منطقة بلحمد (وكان فى الواقع قد قام بذلك بالفعل تقريبا ، حيث احتل الدودة أثناء كتابة هذا الأمر) فانه يتعين عندئذ القيام بعملية كبرى ، اما لاعادة فتح الطريق البرى ، أو للانسحاب من طبرق ، وتلبية لهذا الأمر كان على « كلوبر » ان يعد الخطط للتعاون مع (قوات الازعاج الآلية الجنوبية) التى كانت ستستخدم فورا لاسترداد بلحمد مقرونة اما بهجوم لـ « نورى » أو بانسحاب للحامية عند الضرورة ، ورغم تعدد المهام كان « كلوبر » يبدو مطمئنا ، بل وأعرب عن اطمئنانه لكل من « جوت » و « ريتشى » قبل ان يبارحاه ، كما أعرب عن ذلك أيضا فى رسالة للواء « ثيرون » مندوب جنوب أفريقيا بالقاهرة ٠

ولدى عودة « ريتشى » الى مركز رئاسته ووجه بأنباء تدهور الموقف حول العدم وبعد ان تحدث الى « نورى » أعطى الأخير تفويضا بسحب اللواء الهندى التاسع والعشرين الذى سبق الاشارة اليه ، وقد ترتب على هزيمة اللواء الرابع المدرع يوم ١٧ ، واخلاء « بلحمد » فضلا عن « العدم » أن تقوضت دعائم الخطة التى تم وضعها منذ يومين ، وتبين « ريتشى » أنه لم يعد بوسعه الآن الدفاع بكفاءة عن الحدود ، مع اتباع سياسة هجومية فى الوقت نفسه لابقاء « رومل » خارج طبرق ٠ وطار « أوكنليك » يوم ١٨ لبحث الأمر ، وقد أكد القرار الذى تم اتخاذه وضع طبرق تحت اشراف الجيش الثامن مباشرة ، وتولى « جوت » الدفاع عن الحدود مع تشغيل الفرقة السابعة المدرعة غربيها ، وتتكون هذه الفرقة من اللواء الرابع المدرع (وبه ٦٦ دبابة) ، واللواء السابع الآلى ، واللواء الهندى الثالث الآلى ، ولواء من كل من فرقة جنوب أفريقيا الاولى ، والفرقة الخمسين ، وتعمل كأرتال ، ومجموع مدافعها ١١٦ مدفعا ، وكان على « نورى » أن يقوم بجمع احتياطى عام بمرسى مطروح يشكل ويدرب كقوة ضاربة لاستئناف الهجوم



شكل ٤٢ ــ رومل فى عربة القيادة ومعه الرائد هيمر



شكل ٤٣

اللواء كلوبر

فيما بعد ، ولم يكن « أوكنليك » سعيدا ، ولكنه عند عودته الى القاهرة أرسل الاشارة التالية الى « سمطس » عصر يوم ١٩ :

لست أنوى التخلى عن طبرق التى أرجو ان يكون عزلها مؤقتا فحسب • سوف يدافع « ريتشى » عن طبرق ، وموقع السلوم ـ الحمراء ـ مادلينا القوى الذى تم اعداده منذ وقت طويل تحسبا لهذا الطارىء الذى نشأ الآن ، وسوف يبذل ما بوسعه لابقاء الموقف مرنا فى المسافة الواقعة بين السلوم وطبرق ، باستخدام الحد الأقصى من القوات الآلية المتيسرة ، وأرجو ان تفلح هذه القوات فى اعاقة مواصلات العدو ، وفى الوقت نفسه فاننى أعد العدة للقضاء على العدو كما هو الحال دائما ، ويتولى « كلوبر » القيادة بطبرق ، وهو محل ثقة (ريتشى) وأنا ، وسوف يتخذ موقفا هجوميا ما أمكن ، وأعتقد ان لديه قوة كافية مزودة بالضرورات تحت امرته •

وكان « كلوبر » قد ترك وحده لمسئوليته الجسيمة بمركز رئاسته ، المكون من مخابىء محفورة على شكل أنفاق بجرف « سولارو » بين « بيلاستريتو » و « طبرق » نفسها ، وكان من بين مشاكله مشكلتا قيادة مدفعيته ، وأوضاعها ، وترتيبات قيادة واستخدام احتياطيه المكون من لواء الـ « جاردز » رقم ٢٠١ ، ودبابات « ويلسون » ، وكان لديه فى الواقع عدد كبير من المدافع ، وكمية وفيرة من الذخيرة • وبالاضافة الى ثلاث كتائب مدفعية كل من ثلاث سرايا كانت هناك سريتان اضافيتان من فرقة جنوب أفريقيا الاولى ، وكتيبتا مدفعية متوسطتان ٦٧ و ٦٨ ، غير أنه كانت هناك عوامل تقلل من فاعلية القوة ككل ، فقد استخدم بعضها حتى اللحظة الاخيرة على شكل ارتال خارج الحدود الخارجية ، ولم تكن أوضاعها وأجهزة اتصالها منظمة ذلك التنظيم التام ، الذى كان من الممكن ان تكون عليه توطئة للدفاع ، ففى القطاع الجنوبى الشرقى ، كان الكثير من سرايا المدفعية ، قد وضع فى أوضاع متطرفة الى الامام ، للاشتباك بالعدو ، على أبعد مسافة ممكنة ، أو للقيام بدور المدافع المضادة للدبابات ، وقد أدى ذلك الى انخفاض عدد المدافع الممكن حشدها بأحد قطاعات الحدود الخارجية ذاتها •



شكل ٤٤ — ميناء طبرق قبل قذفها بالقنابل اثناء حصارها عام ١٩٤١

وكان أهم عاملين من عوامل الفشل ، يرجعان الى ان نذرا يسيرا من الذخيرة الجمة المتيسرة ، كان مكدسا فى مرابض المدافع ، وان قائد المدفعية ، لم تكن لديه قيادة فعالة موحدة ، وشبكة مواصلات تسمح بمعاونة أحد القطاعات بنيران جميع المدافع الممكن حشدها •

وكان هناك قصور مماثل فى التنسيق فى ميدان المدافع المضادة للدبابات ، حيث الامكانيات أقل كفاية ، كان هناك ٦٩ مدفعا منها ثمانية عشر مدفعا من عيار ٦ رطل ، وكانت جميعهـــا عدا اثنين مع لواء الـ « جـاردز » ، وكان الدفاع المضـاد للطـائرات قد انخفض برحيـل ١٨ مدفعـــا من المـدافع الثقيـلة المضادة للطائرات عيار ٣ر٧ التى كانت تحمى منطقتى الميناء والقاعدة ، كانت تحت قيادة العميد « تومسون » التى كانت منطقته الفرعية رقم ٨٨ تتولى ادارة الوحدات الادارية ، بما فى ذلك مركبات « سلاح خدمة الجيش الملكى » التى تركت هناك لاخـلاء الحامية عند الحاجة ، وكان « تومسون » قائدا لمدفعيـة الحامية فى الحصار السابق •

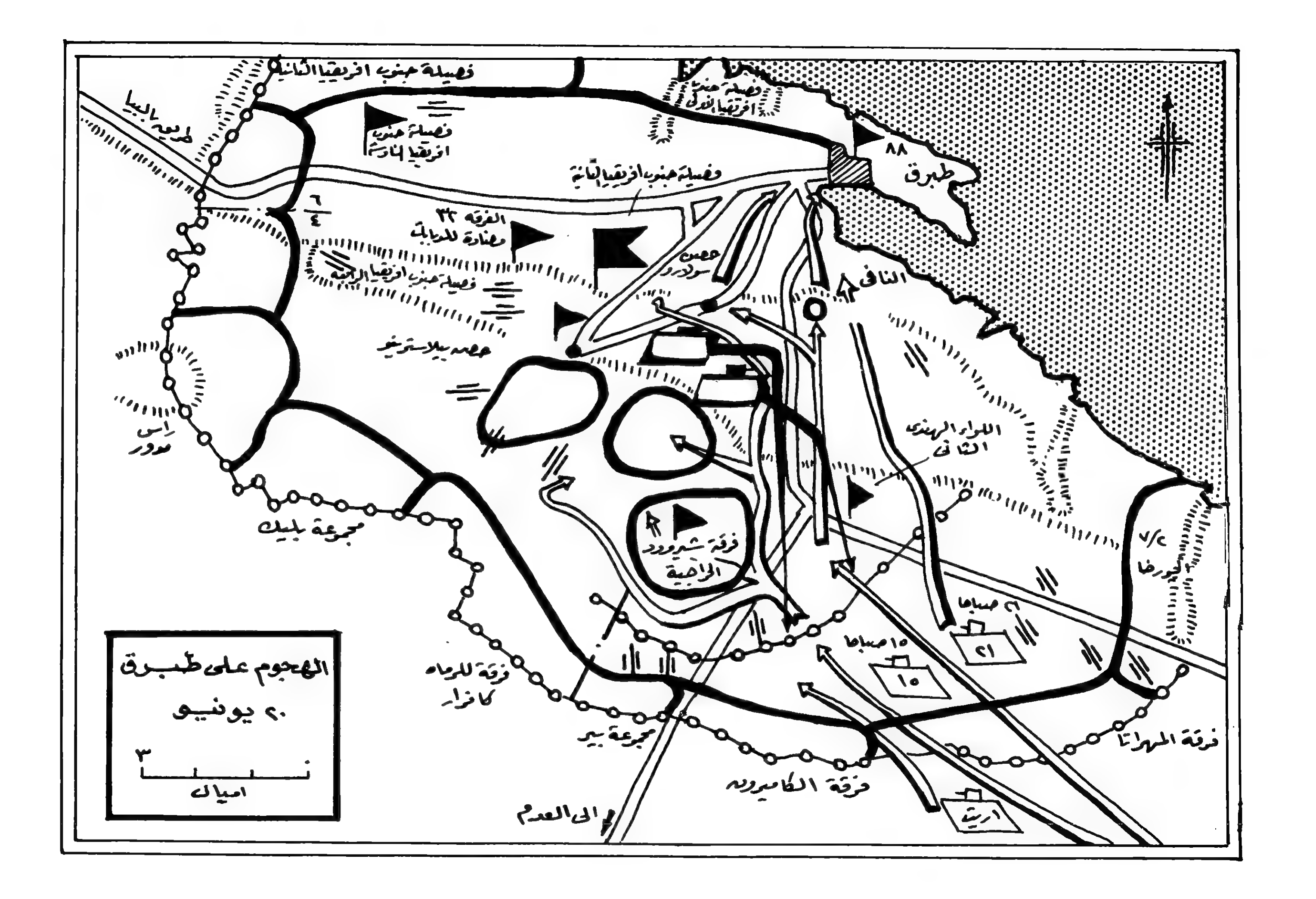
وكان « ويلسون » أيضا قد عاصر الحصار السابق ، كقائد للدبابات فلم يتأخر فى تقديم مشورته لـ « كلوبر » • وفى يوم ١٥ كان قد لفت النظر الى أوضاع اللواء السادس ، والمدفعية ، وطالب بوضع جميع السيارات المدرعة تحت قيادته ، بالاضافة الى الدبابات • وفى يوم ١٦ كان العميد « جونسون » مشغولا بوضع خطة لاستخدام لوائه كاحتياطى للهجمات المضادة ، ووافق « كلوبر » مؤقتا ـ فى حالة استدعاء لواء « جونسون » ـ على تكوين قيادة مشتركة مع « ويلسون » ، وان يكون لهما اتصال مباشر مع كتيبة مدفعية الميدان المسئولة عن القطاع الذى سيعملان به ، وكانت احدى كتائب « جونسون » ـ الكتيبة الثانية مدفعية ثقيلة قد تحركت مع الفرقة الاولى المدرعة ، كما وضعت سرية مدفعية « ويلسون » الخاصة ، وهى السرية ٢٨٧ تحت قيادة كتيبة مدفعية الميدان رقم ٢٥ المعاونة للواء الهندى الحادى عشر ، واذا حدث الهجوم شرقا ، تحتم وضع مركز الرئاسة فى « كنجزكروس » ، واذا حدث فى الغرب يوضع فى مكان قريب من مشهد العمليات ، وفى نهاية اليوم كانت قد وضعت ست خطط للهجوم المعاكس ، وكانت معالمها العامة حماية الجناح من أي اختراق ، ثم القيام بالهجوم

المعاكس قرب خط الحماية الخارجى نفسه ، لعزل جميع من اخترقوا الدفاعات •
وقام ضباط قيادة كتيبة مدفعية جنوب أفريقيا الثانية ، وضباط قيادة كتيبة مدفعية الميدان الخامسة والعشرين ، المسئولون بالترتيب عن القطاع الشمالى الغربى ، والقطاع الجنوبى الشرقى ، بعقد اجتماع بعد الظهر لوضع تفاصيل دعم المدفعية ، وزار « جونسون » جميع قطاعات الكتائب التابعة للواء « أندرسون » خلال النهار • ووجدت وحدات « جونسون وويلسون » أثناء تنفيذ عمليات الاستطلاع اللازمة ، ان حجم الألغام يشكل اعاقة كبيرة ، وخاصة فى منطقة « هايتون » •

وتبين بعد يومين ان المهمة الرئيسية للحامية هى الدفاع عن خط الحماية الخارجى للمدينة التى أصبحت حينذاك معزولة عن بقية الجيش الثامن ، وفى مؤتمر عقده « كلوبر » فى اليوم الثامن عشر ، عبَّر « ويلسون » مرة أخرى عن شكوكه ، ورأى وجوب تعيينه — كما كان أثناء الحصار — قائدا عاما لجميع القوات الاحتياطية المشاركة فى دعم مدفعيته هو ، ولكن « كلوبر » لم يحدث تغييرا عاما فى التوزيع ، والتحضيرات التى كان قد وافق عليها ، والتى توجب على « ويلسون » و « جونسون » اقامة مركز رئاسة مشترك ، وان توضع جميع المدافع تحت قيادة « قائد المدفعية الملكية » ومع ذلك فكانت ما تزال توجد قوات فى الخارج ، فقد وجدت سرية اسكتلندية ، يقودها النقيب « فرينشى » تتمركز على طرف الطريق الجانبى للمحور عند « عقرومة » ، الأمر الذى سبب (لروميل) ضيقا شديدا ، وقد قاومت السرية هجمات لواء الرماة الالمانى العاشر طيلة يوم السابع عشر ، فأصدر « روميل » أمرا صارما الى « نفرينى » بفيلقه الحادى والعشرين لازالة هذه الشوكة من طريقه ، ولكن « كلوبر » أمر السرية بالانسحاب ليلا ، فنجحت فى ذلك ، رغم شدة المحن ، ولم تتعرض الا لاصابة واحدة من الجو ، وذلك طيلة فترة كفاحها ، وهى معزولة ، وقد وجدت مختلف الارتال ، التى ارسلت لازعاج العدو فى الايام السابقة ، ان طريقها قد سدت ، وأصبح من الواضح ازدياد الحلقة ضيقا حول القلعة •

لم تكن لدى « كلوبر » الا فكرة بسيطة عما كان يدور خارج مدى المراقبة على خط الحماية الخارجى ، ولم تكن واضحة لديه يوم التاسع عشر حقيقة ان كامل المنطقة الواقعة بينه وبين الحدود خالية من الاصدقاء ، وجاء التشويش نتيجة ظن مفاجىء عند الجيش الثامن بأن الكتيبة التى وجدت شمال غربى « العدم » كانت ما تزال صامدة ، وان على « كلوبر » انقاذها ، ولكن (كلوبر) أدرك لحسن حظه أنها هزمت فى اليوم الخامس عشر ، وتخلى « كلوبر » عن رغبته الخاصة فى شن غارة فى الثامن عشر ، لدحر العدو فى الجنوب الشرقى مزيدا الى الوراء ، بعيدا عن خط الحماية الخارجى للقلعة ، وجاء تخيله عندما نصحه « جونسون » بذلك بعد زيارته « لأندرسون » • وكان من الواضح فى يومى الثامن عشر والتاسع عشر حشد العدو لقواته فى منطقة « العدم ــ بلحمد » •

والواقع ان « رومل » كان فى الثامن عشر من يونيو ، قد أصدر أوامره بالهجوم ، وفى ذلك اليوم أحكم الطوق بالاستيلاء على « كمبوت » ، وكان قد تلقى وعدا من « كسلرنج » بتقديم دعم من جميع الطائرات الالمانية (الستوكا) التى يمكنه ارسالها والتى تقرر ان تهاجم القطاع الجنوبى الشرقى عند الفجر الساعة ٢٠ر٥ من اليوم العشرين ، وكان المقرر ان يقوم سلاح الهندسة ، تحت غطاء المدفعية ، وهجوم الطيران ، باقامة طرق لعبور الحفرة المضادة للدبابات ، وحقول الألغام ، ومنها يتقدم فيلق المدفعية الالمانى ، وعن يساره الفرقة الالمانية المدرعة الخامسة عشرة ، وعن يمينه الفرقة المدرعة الحادية والعشرون ، لمهاجمة اللواء الهندى الحادى عشر ، وبينما كانت القوات (الالمانية) تتقدم ، أولا نحو « كنجزكروس » ، ثم الى طبرق نفسها ، كان من المقرر أن يتقدم الفيلق الايطالى العشرون الى اليسار ، ثم يلتف حول « بلاسترينو » • وكان على الفيلق الحادى والعشرين (الايطالى) أن يشن هجمات مضللة على المحيط الغربى من خط الحماية الخارجى ، وأن يأتى الفيلق العاشر خلف فرق المدرعات للقيام بعملية التطهير ، وكان من المقرر استغلال يوم التاسع عشر للقيام بعمليات استطلاع واجراء الاستعدادات الاخرى ، وان يبدأ الهجوم ليلا •


الهجوم على طبرق
٢٠ يونيو
٣
اميال
طبرق
٨٨
اللواء الهندي الثاني
مجموعة بليك
مجموعة بير
فرقة الكاميرون
فرقة المهراتا
الى العدم
فصيلة جنوب افريقيا الثانية
الفرقه ٣٢ مضادة للدبابات
فصيلة جنوب افريقيا الرابعة
طريق بالبيا
راس مدور
١٥ صباحا
١٥
٢١

وفوجئت مدفعية الجيش بأن وجدت المواقع التى أعدتها للهجوم الذى كان مقررا فى نوفمبر ١٩٤١ ، ماتزال كما هى تمتلىء بالذخيرة التى وضعت بها حينذاك . وكان على الفرقة التسعين ، وفرقة « ليتوريو » المدرعة التى وصلت حديثا ، و « باڤيا » ، حمـاية الجناح الجنوبى من أي غارة تقوم بها قوات « ريتشى » المتحركة ، والتى تقلصت بعد الهزيمة يوم السابع عشر الى مجرد ارتال قليلة يقودها « رينتون » الذى خلف « مسرفى » فى قيادة الفرقة المدرعة السابعة فى اليوم التاسع عشر ، ورغم الاشعار القصير الذى صدر لرجال الدبابات الالمـان ، وقلة النوم طيلة أيام ، وان عليهم التفرق والالتفاف ، وقضاء ليلة من السير فى أرض وعرة مليئة بكل أنواع بقايا الحرب ، الا ان الفـرق المدرعة تشكلت ، واحتلت مواقعها عند الساعة ٣٫٣٠ من صباح اليوم العشرين من يونيو .

أصبح يتضح لكل من « ريتشى » و «أوشينلك » فى الخارج ، (ولأندرسون) على الأقل فى الداخل ، ان احتمال تعرض طبرق لهجوم سريع من الشرق ، هو احدى الخيارات الموجودة أمام « رومل » ، ولكن أحدا لم يتوقع ان يتم الهجوم بتلك السرعة ، رغم ان « أندرسون » أرسل اشارة الى « ريتشى » ، فى السادسة والنصف من صباح العشرين ، يعرب فيها عن اهتمامه وقلقه « للطبيعة البطيئة لاستعداداته » ، ويتوقع نشوب الأزمة خلال ساعات ، لا أيام .

ولكن الأزمة قد نشبت فعلا ، فحالمـا بدأت تتبدد عتمة الصباح ، أصبحت تشاهد حشودا من الدبابات أمام نقاط مراقبة « أندرسون » ، فى الاتجاه الجنوبى الشرقى ، وبدأ فى الوقت نفسه قصف عنيف من المدفعية ، والطائرات ، للقطاع الذى تشغله وحدة المهراتا رقم ٥٢ ، وقد أعطى النقيب « شميدت » الذى كان يقود كتيبة تابعة للواء الرماة الالمـانى « ١١٥ » ، الصورة التالية عن الهجوم .

زحفت المشاة نحو مواقعها بهدوء ، وتقدمت تحت غطاء من أسلحتنا ، قوات هندسة هجومية قليلة ــ وبهدوء ــ فى اتجاه الاسلاك الشائكة ، وقامت بقطع الحاجز سلكا بعد سلك دونما حركة وأزالت عددا من الألغام ثم عادت نحونا ، وكنا نرقد على بطوننا فى انتظار العمل السريع عند الفجر .

وسمعنا فى احدى الجوانب ضربا من مدفع « فيكرز » ثم تلاه انفجار سريع من مدفع رشاش ألمـانى ، ولابد ان قوات الهجوم على جناحنا اصطدمت بالعدو ، أو باحدى الدوريات • ثم هدأ كل شىء ، ورحنا ننتظر اشارة الهجوم •

وطلع الفجر الكاذب فى السماء ، ثم طلع النهار •• وانطلقت مدافعنا ، أولاً على شكل انفرادى ، ثم بحدة متصـاعدة ، وهبطت الحمم على خط الحماية الخارجى للعدو ، وقد انفجرت أولى القذائف (الالمـانية) أمامنا على بعد ياردات قليلة ، وبدأت أجد أن علينا اطلاق نيران التحذير ، ولكن ذلك يفضح أمر مواقعنا ؛ غير ان حمم المدفعية زحفت الى الامام •

ثم سمعنا ضجيجا عاليا ، اذ كانت طائراتنا تقترب ، ورفعنا بحذر اشارات التعـريف التى أحضرناها معنا ، وكنا من قبل قد ذقنا طعم قنـابل (طائراتنا) الستوكا •

لقد بدأت المعركة • وانفجرت بعيدا ، عند الجناح الذى سمعنا منه طلقات من قبل ، نيران المدافع الرشاشة والمورتر • واندفعت الطائرات من فوق رءوسنا الى خط الحماية الخارجى للعدو ، ودوت القنابل ، وانفجرت فى حقل الألغام ، وقد ابتكر « رومل » حيلة جديدة فى الصحراء • فلم يكن يقصف العدو وانما يفجر طريقا عبر حقل الألغـام ، فكانت كل قذيفة تفجر سلسلة من الألغـام ، كالانشطار النووى ، بحيث يتوالى الانفجار بعد الانفجار الاول ، وبعد ان أفرغت طائراتنا حمولتها من القنابل ، عادت مدوية على ارتفاع منخفض فوق رءوسنا • وقد كانت تطير دون اعتراض أو عائق ، لان سلاح الجو البريطانى كان قد أبعد عن مطار « كمبوت » ، ولم تجد الطائرات الالمـانية أى مضايقة •

عندما هوت أول قنبلة ، رأينا أشباحا قليلة أمامنا تسرع عائدة نحو المخبأ ، ويبدو انهم لم يرصـدونا لأننا كنا نستلقى فى أرض منخفضـة ، وجاءت لحظة الهجوم ، فأفرغنا رصاص مدافعنا الرشاشة فى تتابع سريع فى اتجاه الارض التى اختفى فيها العدو ، وضربنا بناء وحيدا كان يوحى بوجود نقطة حصينة •

وقفزت هندستنا الهجومية وتقدمت ، وكانت تحمل متفجرات لتدمر بها مزيدا من عوائق الاسلاك ، ثم فتحت الجحيم •

وقد واجهتنا نيران غزيرة من اللواء الهندى الحادى عشر المدافع • وكانت احدى المدافع الرشاشة تضربنا بشـدة ، ولكن المهندسين واصلوا التقدم دون ابطاء ، وكانوا يطلقون أنوارا كاشفة كاشارات للمدفعية • وتقدمت نيران المدافع ، ثم أضاءوا شموع الدخان •

وكانت تلك اشارة لنا ، فاندفعنا للامام تحت غطاء من الدخان • وسقط القليل من الرجال ، ولكن سرعان ما وصلنا بضرباتنا السريعة الى أول خندق ، وقد كان خاليا ، وأصبحنا نتمتع بغطاء ونيران جيدة ، وكانت مشاتنا المحمولة تتقدم بدعم من المدافع المضادة للدبابات ، ودعم الدبابات الالمـانية ، نحو الفجوة وسط نيران من القذائف الآتية من طبرق ، والتى أصبحت خلفنا حينذاك •

وتولت هندسة الهجوم أمر الحفرة المضادة للدبابات ، وكانت الحفرة قد امتلأت فى بعض أجزائها بالطمي ، فوضع المهندسون جسورا عليها ، واندفعت مشاتنا من خندق لآخر • وعنـدما نظرت الى يميننا ، وجدت أننا انجزنا تقدما كبيرا فى أقصى اليمين ، لقد تقدمت قواتنا الى الامام ، وكنا قد أشعلنا النيران فى المواقع الموجودة أمامنا ، وكان تعرضنا لنيران مدفعية طبرق قليلا ، الأمر الذى ساعدنا كثيرا ، لان ثقل مدفعية العدو انصب على الدبابات والمشاة المحمولة من الفرقة الخامسة عشرة • ثم اقتربنا من خط الحصون الرئيسية •

وقد أعاقنا قليلا حقل غير متوقع من الألغام ، ثم اخترقت القوات المدرعة ، تتلوها المشاة والمدافع المضـادة للدبابات • وكان رد الهنود ، وخاصـة وحدة المهراتا ٢ / ٥ ، شديدا جدا • ولكن يبدو ان مباغتة الهجوم ، وقصف الطائرات قد أذهلهم • وجاءت وحـدة « الجورخا » الهنـدية ٢ / ٧ مسرعة فى حاملات « البرين » لمعاكسة هجومنا ، ولكنها ضربت ، فسقط من سقط ، واندحر جانبا من اندحر ، وارتد عائدا من عاد ، نظراً لتركيز مدافعنا الرشاشة ، والمدافع المضادة للدبابات ومدافع المورتر •

ولم تبدأ مدفعية طبرق ضربنا بحق ، الا بعد السـابعة والنصف ، ولكن الفرصة كانت قد فاتت ، وقد لاحقت مدفعية العدو الدبابات التى كانت بيننا ، ولكننا كنا حينذاك نتمتع بغطاء جيد ، فرحين بذلك الغطاء •

أصبح من الواضح عند الساعة الثامنة أن معظم ميمنة ووسط وحدة المهراتا ٢ / ٥ قد تم أسره • وتابعت مشاة الالمـان القصف عن قرب شديد ، حتى ان الكثير من المدافعين كانوا ما يزالون فى مخابىء الخرسانة عندما وصلتهم المشاة ، وهذا من مساوىء دفاعات خط الحماية الخارجى ، الأمر الذى لاحظه الاستراليون قبل سنة •

وحاول « أندرسون » انقاذ الوضع بهجوم معاكس تقوم به ناقلات وحدة الجورخا ٢ / ٧ على اليسار ، واحتياطى المهراتا ، ولكن ذلك لم يكتب له النجاح ، وكان تقريره للفرقة عند الساعة السابعة شديد التفاؤل ، لسوء الحظ ، ولم تكن بعد قد اتضحت « لكلوبر » تماما الطبيعة الحرجة لوضعه ، وسمع (جونسون) الضجيج والعاصـفة ، واقترح ان ينضم اليه « ويلســون » فى المسـيرة الى « كنجز كروس » ، ولكن الثانى امتنع عن ذلك ، وربما كان السبب وجود تفكير فى رئاسة القيادة الفرعية عن احتمال تأجيل العدو ضربته القوية ، ليوجهها لمكان آخر ، ولكن هـذا التفكير لم يكن صحيحا ، كما يبـدو ، وسرعان ما أصدر « كلوبر » أوامره بتوجيه هجوم معاكس تحت قيادة « ويلسون » ، تقوم به كتيبة دبابات بدعم من المشاة ، بحيث ترسل لمسـاعدة « أندرسون » ، ويضع « ويلسون » معه الترتيبات المفصلة للهجوم • وقام « كيرت » رئيس العمليات بارسال هذه الأوامر لكل من « ويلسون وجونسون » ، واتصل « كلوبر » نفسه « بأندرسون » ، الذى رتب عملية ارسال المهراتا ضابط ارتباط الى مقر رئاسة قيادته لارشاد الدبابات الى حيث تستدعى الحاجة ، لضرب مشاة العدو ، وكان « ريفس » على بعد ميلين شمال غربى « كنجز كروس » مع كتيبة دباباته الرابعة ،

ولكن الوقت ضاع فى استدعائه من جانب « ويلسون » للحضور أولا الى مقر قيادته ، التى تبعد أربعـة أميال فى الاتجاه الآخـر ، ولم تصـل الدبابات الى « كنجز كروس » الاعند التاسـعة والنصف ، حيث كان « أندرسون » نفسه ينتظرها بقلق ، وكان قد عاد الى مقر قيادته ، لمحاولة الاسراع فى احضارها ، ولكن ضابط اتصال المهراتا لم يحضر ، ولم يعلم « ريفس » شيئا عن أي أوامر للاتصال بالمشاة ، وواصلت دباباته التقدم عن طريق « بردية » وسط قصف مدفعى غزير ، وعند ذلك الوقت كانت الدبابات الالمـانية ، التى توفر منها للمعركة ذلك اليوم

١٣٠ دبابة ، والتى كان يستحثها (رومل وتهرنج) شخصيا ، قد عبرت الحفرة الخارجية وحقل الألغــام الخارجى ، وأصبحت تغز السير نحو حقل الألغــام الداخلى ، القريب من « كنجز كروس » وبذلك طوقت مقر رئاسة كتيبة المهراتا •

وعندما وصل « ريفس » الى الفجوتين فى حقل الألغام الداخلى ، وزع سريتي دباباته ، لتغطية الفجوتين ، ورفض المحاولات لاقناعه بالتقدم أكثر من ذلك ، وعند ـ الساعة العاشرة ـ كان الأمر قد صدر الى كتيبة دبابات « فوت» السابعة بالتوجه الى « كنجز كروس » ، ووصل هو نفسه قبلها لرؤية « ريفس » واتفقا على ان أفضل أمل فى وقف العدو ، يتمثل فى كبح جماحه عند حقل الألغام الداخلى ، وان يحضر « فوت» الى ميمنة جناح « ريفس » ، حيث وجدت ثلاثون دبابة ألمــانية ، ربما كانت تتبع الفرقة المدرعة الخامسة عشرة • وفى طريق عودة « فوت» لدباباته ، زار مقر قيادة « أندرســون » وأكد له ما اتفق عليــه مع « ريفس » ، وتتيجة لذلك أرسل للفرقة عند منتصف النهار ، تقريرا آخر متفائل حول الوضع آنذاك ، وقد ارسلت احدي سريتي « فوت » الى العدم للانضمام لقوة الكاميرون ، التى قلق « أندرسون » على مصيرها ، وتحركت السرية الاخرى نحو الفجوة الواقعة فى منتصف طريق حقل الألغام الداخلى بين « العدم » وطريق « البردية » ، وحدث شيء من التشوش حول وضع المشــاة التى كان « كلوبر » ينوى ارسالها لمرافقة الدبابات ، ووضع حرس « كولد ستريم » تحت التأهب ، ولكنهم لم يتلقوا تعليمات أخرى ، وربما افترض رجالهم ان يصدر « ويلسون » الأمر لهم ، واتصل أحد ضباط « كولد ستريم » بـ « ريفس » قبل تحركه بقليل ، ولكنه أنكر أي علم بأي خطة لاستخدامهم ، ثم اتصل« كريت بجونسون » ، بتأثير من « أندرسون » ، وسأله عن سبب عدم تحركه ، حسب الأمر ، لمساعدة اللواء الحادى عشر ، وكان جواب « جونسون » بأن مهمتهم تنحصر فى تأمين الارض التى تستعيدها الدبابات ، والتى لم تفعل شيئا من ذلك ، حتى ذلك الحين •

ثم تحركت السرايا الى منطقة تقع غربى « كنجز كروس » رغم ان ملتقى الطرق نفسه أو الفجوات الواقعة فى حقل الألغام الداخلى ، كان يمكن ان تكون ذات نفع أفضل لو احتلتها ، وقد حدث تأخر فى توزيع المدفعية ، والسبب فى ذلك هو التعلل بأن الثقل الرئيسى للهجوم واتجاهه لم يكونا قد تحددا بعد بشكل نهائى •

وفتر النشـاط عند منتصف النهار ، ولكن فرقتى الدبابات الالمـانيتين أسرعتا للعمل من جديد ، بعد ان ارسل « أندرسون » تقريره • ولم يمض وقت طويل حتى تقلصت كتيبة الدبابات الملكية الرابعة الى ست دبابات ولت الأدبار ، وبدأت هى وبطارية الميدان الثانية لقوات جنوب أفريقيا ، التى تعرضت للنيران ، بالعودة الى « كنجز كروس » حيث أصبحت تحت قيادة « فوت » ، بينما ذهب « ريفس » لمقابلة « ويلسون »ليخبره بتلاشى لوائه ، وفى ذلك الوقت تعرضت بطارية ميدان جنوب أفريقيـا لقصف جوى غزير ، فاتجهت الى ملتقى الطرق للمسـاعدة على تكوين قوس من المدفعية ، لمواجهـة الدبابات الالمـانية التى أصبحت على بعد ألفى ياردة فقط الى الجنوب الشرقى ، وكان مجموع المدافع ثمانية وعشرين على قوس طوله أربعة أميال ، وبدأ الالمـان تكتيكهم المعتاد فى ضرب المدافع ، بينما كانوا هم أنفسهم خارج مرماها الفعال •

واستدعى « فورت » سريته رقم (ب) من عند قوات الكاميرون للمساعدة ، ولكنها اشتبكت مع ١٥ دبابة ألمـانية على الطريق ، وتقلص عدد السرية الى درجة ميئوس منها ، وجرى اشتباك عنيف مع دبابات الفرقتين الالمانيتين • وانتهت المعارك عند الساعة الثانية ، ووصل (رومل) نفسه الى (كنجز كروس) ، وتم احتلال رئاسة قيادة « أندرسون » رغم أنه نفسه قد هرب وتوجه لمقابلة (كلوبر)

أصبح مفتاح القلعة فى يد العدو ، ورغم ان قيادة « كلوبر » لم تقدر الأهمية الكاملة لمـا حدث الا بعد ساعة من الوقت المفروض ، فقد كان « كلوبر » اتخذ الخطوات اللازمة لمنع الجناح الغربى من الاختراق ، بأن أصـدر الأمر للواء الحرس بالتوجه نحو الشرق لحماية « بلسترينو » من العدو • وعندما أدرك

اجتياح مقر رئاسة قيادة اللواء الحادى عشر ، طلب من « هايتون » تولى قيادة قوة الكاميرون ، وكان يبعث الى « ريتشى » بالمعلومات التى تصله ، ولكن حدث فى ذلك الوقت ، ان ارسلت تقاريره ، التى أصبحت تعتبر قديمة ، لرئاسة قيادة الجيش ، وكانت التقارير بعيدة عن الواقع ، رغم ان الدعم الجوى كان ينقل الرسائل ؟ التى تدل على ما يقع ، بتأخير أقل •

بينما كان « أريت » ما يزال يكافح ، للوصول الى مؤخرة وحدة الكاميرون الثانية ، والوصول الى طريق العدم ، واصل فيلق ألمـانيا الأفـريقى تقدمه ،

واتجهت فرقة الدبابات الالمـانية الحادية والعشرون الى طبرق مباشرة ، وقامت الفرقة الخامسة عشرة بمهاجمة لواء الحرس • وقابلت الاولى بطاريتين من مدفعية ميدان جنوب أفريقيا ، وقوة ذات مدافع ٣ر٧ بوصة مضادة للطائرات فى خندق الدفاع التالى ، وسبب لها ذلك الكثير من المتاعب ، ودار القتال على المطارات الايطالية القديمة ، وكان الكثير منها يشكل المخزن الرئيسى للجيش الثامن ،

ولم يكن « فون بسمارك » قد استولى بعد على موقع « سولارو » ، وعندما ظهر « رومل » نفسه الساعة الخامسة ، أمره بمواصلة التقدم نحو طبرق • وكان هذا هو المهماز الاخير اللازم ، ولم يمض وقت طويل قبل اجتياح مركز قيـادة المنطقة الفرعية « لطومسون » ، وعند الساعة ٤٥ر٥ ارسل القبطان البحـرى « والتر » ، الذى جرح فيما بعد ، تقريرا للجيش الثامن ، يروى اقتراب الدبابات من المدينـة ، وان أوامر التدمير متوقعـة فى أية لحظة ، وانه كان على وشك الانسحاب بسفينته ، وفى الساعة السابعة أعلن « فون بسمارك » احتلال المدينة ، وبعد ساعة غادرت آخر سفينة ، بعد ان جرح القبطان « سميث » ، المسئول البحرى ، جرحا بلغيا ، وأسر العميد « طومسون » الذى ظل يقاتل بمدفع رشاش من قمة احدى الأسطح •

وفى الوقت نفسه أدت الحوادث الجارية فى الغرب الى الانهيار فى القيادة ، وكانت الفـرقة الالمـانية الخامسـة عشرة قد مرت ، واجتاحت جزئيا مواقع « شيرود فورسترز » وفرع « كولدزستريم الثالث » ، الواقع غربى طريق العدم وكنجز كروس ، وكانت المدافع المضادة للدبابات قليلة الفعالية ، وتطلق القليل جدا من الطلقات ، وتركت المشاة تواجه الدبابات بدون حماية ، وعند الساعة السابعة كان معظم اللواء قد استسلم ، عدا سرية الرائد « سينت هيل » الاحتياطية التابعة « لكلولدز ستريم » ، والتى تحركت الى الغرب للانضمام الى (ورسيسترز) فى بيلاسترينو ، التى لم تصلها الحرب حتى ذلك الوقت •

كانت قيادة الحامية قد تحطمت قبل ذلك بكثير ، عندما وجدت رئاسة القيادة الفرعية نفسها عند الساعة الرابعة تتعـرض لنيران الدبابات ، والمدفعية الموجودة شمال غربى كنجز كروس ، وتقلقلها سيول اللاجئين من عربات ، ورجال قادمين من وحدات الادارة التي انهالت غربا من تلك المنطقة ، وأصدر « كلوبر »

أمره بتدمير جميع الوثائق ، والرموز ، والاشارات، والهواتف ، وأجهزة اللاسلكي بينما خرج هو نفسه للالتحاق « بكوبر » فى اللواء السادس • وبعد ذلك بقليل تحول انتباه العدو مرة أخرى الى الشمال ، ولكن الوقت كان متأخرا ، وكانت وسيلة القيادة قد ضاعت •

كان « كلوبر » يعتمد على اشارة تلقاها فى الصباح الباكر من الجيش الثامن وعدته — حالما يهجم العدو على القطاع الجنوبى الشرقى — بارسال قوة متحركة من « ١١٦ مدفعا ، و ٦٦ دبابة » للاستيلاء على حافة « الرمل » شرقى « ناتيز بريدج » والقيام بهجوم مخادع فى اتجاه (سيدى رزق بلحمد) ، وكان ذلك أملاً زائفا ، هذا اذا وجد أمل على الاطلاق ، وقد أرسل عند الساعة الثالثة وخمسين دقيقة رسالة شخصية بواسطة الدعم الجوى الى « ريتشى » ، وصلت الجيش الثامن بعد خمس وثلاثين دقيقة ، تقول : ان ستين دبابة ألمانية قد وصلت الى كنجز كروس • وكانت هذه فى الواقع آخر رسالة اشارية قبل تدمير رئاسة القيادة نفسها ، وقد كان كل من « ريتشى » ورئيس أركانه « وايتلى » ، غائبين فى ذلك الوقت ، ويبدو ان تأثير الرسالة كان قليلا ، لان اشارتين ارسلتا من الجيش الثامن عند الساعة ٦ر١٥ تبينان الاخفاق الكامل فى تقدير الموقف •

ولم تكن القيادة الفرعية وحدها هى التى أزعجت بشكل مذهل ، فقد جاءت فرقة الدبابات الالمانية الخامسة عشرة بكاملها ، ومرت بلواء الحرس ، واكتسحته ، واقتربت من مركز رئاسة لواء « هايتون » الرابع فى (بلاسترينو) • ورغم تمتع هذه القيادة بحماية « ورسيسترز » فقد قرر « هايتون » نقل مركز قيادته للانضمام لمركز قيادة مشاة « دوربان » الخفيفة ، التى تقع على بعد اربعة أميال الى الشمال الغربى ، على طول منطقة الدفاع ، وبينما كان « هايتون » ينقل مركز قيادته ، لم تكن توجد فى الجنوب قيادة فعالة ، وكان مركز القيادة المستقر الوحيد هو مركز قيادة « كوبر » فى اللواء السادس •

عند حلول الظلام اندفع الفيلق الالمانى الافريقى اندفاعا عميقا ، ولكنه كان ضيقا ، حيث بدأ من النقطة التى دخل منها قطاع المهراتا ، وعلى طول الطريق الى طبرق • وعلى الجناح الشرقى ، كانت وحدة الجورخا ٢ / ٧ ما تزال متماسكة فى مواقعها ، تسد الطريق الى « البردية » • وعلى الجانب الآخر ، كانت جميع

قطاعات خط الدفاع الخارجى ، من قوات الكاميرون غربا ، ما تزال سليمة أيضا ، وكذلك ثبتت كتيبة مدفعية « ورسيسترز » وسرية « سينت هيل » فى بلسترينو ، ولكن المسافة الفاصلة بينهما وبين قطاع « هايتون » الشمالى كانت تعج بفرقة مدرعات الالمـان الخامسة عشرة ، ولو كان هنالك تفهم للموقف ، ولو صدر قرار حاسم ، ولو وجدت قبل كل شيء وسيلة قيادية لشن ، وتنفيذ عمل ما ، لجاءت تنائج ملحوظة لهجوم ليلى من جانب ذلك العدد الكبير من المشاة ضد رجـال الدبابات والمدفعية المتعبين ـ فى الفيلق الالمـانى الافريقى .

وصل « كلوبر » الى رئاسة قيادة اللواء السادس ، الموجودة فى الزاوية الشمالية الغـربية من المواقع الدفاعية ، عندما بدأ يحل الظلام ، وقد أدرك ان الوضـع ميئوس منه ، وان اندلاع الهجوم المعاكس الكبير ، يجب ان يبدأ فى الساعة العاشرة من تلك الليـلة ، أي قبل ساعتين من غـروب القمـر ، وجرت اتصالات متقطعة مع الجيش الثامن ، لكنها تعرضت لتأخير طويل ، وكان جواب « كليبر » بعد الساعة الثامنة : « مركز قيادتى محاصر ، ولا زالت المشاة على خط الدفاع الخارجى تقاتل بشدة . اننى صامد ولكن لا أدرى الى متى » . وقد تولد عن هذا استفسار عما اذا كان الموقف تحت سيطرته ، والى متى يستطيع الصمود ؟ فأجاب عليه قائلا : « ليس الموقف تحت سيطرتى . الهجوم معاكس الليلة بكتيبة المشاة ، لقد ضاعت كل دباباتى وفقدت نصف مدافعى ، هل تنصحون بالقتال ؟ اذا عارضتم الهجوم فأشعرونى » . وجاءه التوجيـه التالى ردا على رسالته : « يفضل خروجكم ليلة غـد ، ان لم يكن الليـلة . الخط المركزى هو مدور ـ نايتزبريدج ـ مدلينة . سأبقى فاتحـا فجوة « خرمة العـدم » . أخبرنى عن الوقت والطريق اللذين تختارهما ، نفضل ليلة غد ، تدمير البنزين أمر حيوى » .

وسرعان ما أثارت هذه الرسالة مناقشة طويلة بين مؤيدى الهجوم ، وبين الذين لم يروا فائدة من ذلك ، ومنهم « هايتون » ، وفضلوا اما البقاء فى النصف الغربى من خط الحمـاية الخارجى ، أو الاستسلام ، وقد رغب « كلوبر » فى ايصال القرار الى « ريتشى » ، ولكنه لم يجد وسيلة لذلك ، واتخذ قراره فى الثانية من صباح ٢١ من يونيو ، وارسل اشارة للجيش الثامن :

« سأخرج القوات المتحركة هذه الليلة ، لا يمكن الصمود غدا ، القوات المتحركة مدمرة تقريبا • العدو استولى على العربات • سأقاوم حتى آخر رجل وآخـر طلقة » •

كان « ريتشى » خارج مقر قيادته ، ولم يعد حتى الثالثة صباحا • وقد حاول قلقا الاتصال « بكلوبر » ، ولكنه لم يفلح في ذلك حتى ما بعد السادسة صباحا ، وعندها كان الثانى قد غير رأيه حول المقاومة حتى النهاية • فلم يبين اللواء الرابع فقط بأن لا فائدة من تلك التضحية ، ولكن طلوع الشمس أيضا كشف عن قطعان كبيرة من الرجال والدبابات ، لا يجمعها أي تنظيم ، وأنها ستكون أهدافا عاجزة أمام قصف الطيران الالمـانى ، وجاءت اجابة « ريتشى » ردا على الرسالة التى بعثها « كلوبر » فى الثانية صباحا : « لاحظت وضع العناصر المتحركة ، ان بقاءكم تقاومون كل يوم وكل ساعة يساعد قضيتنا ، لا أستطيع اطلاعكم على الوضع التكتيكى ، لذا لابد ان أترك لكم التصرف حسب تقديرك ، بالنسبة للاستسلام • أخبرنى عن قدرة الصمود • تدمير البنزين فعال » • وكانت اجابة « كلوبر » : « الوضع كالمجزرة • ستقع اصابات مروعة • اننى مقدم على أسوأ الحلول • البنزين دُمِّر » وجاء ردا على هذه رسالة وداع محيرة ، وسرعان ما ارتفع العلم الأبيض ، بينما أُرسل وفد لمقابلة العـدو •

كان تقدير عدد الأسرى الذين وقعوا فى أيدى العدو هو : ١٩ ألف بريطانى ، ٨٩٦٠ أوروبى من جنوب أفريقيـا ، ١٧٦٠ من المواطنين ، ٢٥٠٠ من الهنود ، ومجموعهم ٣٢٢٢٠ رجلا ورغم تدمير معظم البنزين فقد تبقى منه ألفا طن استولى عليها الالمـان ، كما استولوا على كميات كبيرة من الذخيرة • وقد واصلت وحدة الجورخا القتال حتى مساء ذلك اليوم ، وواصلت وحدة الكاميرون حتى الساعات الاولى من ٢٢ من يونيو • وأخذ « سينت هيل » ١٩٩ من حرس كولد ستريم مع كل ما تبقى من المدافع المضادة للدبابات و ١٨٨ رجلا من الوحدات الأخرى واتجه نحو الجنوب الغربى الى نايتزبريدج ، حيث التقى مع العـربات المدرعة لقوات جنوب أفريقيا التابعة لقيادة الفرقة المدرعة السابعة • وهرب كذلك فريق صغير من « رماة الكفرة » ، ووصل العلمين بعد ثمانية واربعين يوما •

جاءت أول دلالة « لأوتشنيك » ، الذى زار « ريتشى » فى اليوم الثامن عشر ، على ان الوضع كان حــرجا فعلا ، عند الساعة العاشرة من صباح اليوم العشرين ، عندما وصلت من الجيش الثامن رسالة تقول :

أرسل « كلوبر » تقريرا بأن جميع دباباته عاطلة عن العمل ، وان نصف مدافعه مفقودة ، وهو يطلب الخروج لشعوره بالعجز عن الصمود ، لقد خولت له القيام بذلك • آمل فتح ممر بين العدم والخرمــات ، وأن تخرج الحامية عن طريق مدور الى نايتزبريدج •

بعد تبــادل الرســائل بين « كلوبر » و « ريتشى » فى صــباح الحادى والعشرين ، بعث الثانى بتقرير مفاده ان « كلوبر » أخبره بنيته فى الاستسلام ، واعتقــاده ان ذلك هو الطــريق الوحيــد الذى يمكن سلوكه • وحينها واجه « أوتشنيك » فى عيد ميلاده الثامن والخمسين ، المهمة القاسية فى ارسال تقرير الى « تشرشل » بما حدث • كان « تشرشل » قد غادر انجلترا ليلة السابع عشر من يونيو ، لعقد مؤتمر كبير مع « روزفلت » ورؤساء الأركان الأمريكيين لتنسيق العمل بين الحليفين لمستقبل الحــرب ، وليناقش أيضا تطور الســلاح الذرى ، وكانت المباحثات قد بدأت فى منزل (روزفلت) فى (هايد بارك) ، وعاد الفريق ليلة السبت ، فى العشرين من يونيو ، لعقد مباحثات أخرى فى واشنطون ، حيث كان يقيم « تشرشل » فى البيت الأبيض • وتوجه ، بعد افطــار فاخر ، لمقابلة « روزفلت » ، الذى وصلته برقية بعد ذلك بوقت قصير ، فناول « تشرشل » البرقية دون التفوه بشىء • كانت البرقية تقول : « لقد استسلمت قوات طبرق وأسر فيها خمسة وعشرون ألف رجل » • وطلب « تشرشل » من « اسماى » الاتصال حالا بلندن للتأكد من الخبر المروع • وعاد الثانى ليقول : ان البحرية قد تلقت حينها تأكيدا لذلك من القائد العام فى البحر المتوسط ، ويقترح نتيجة لذلك نقل أسطوله الى البحر الأحمر •

كان ذلك صفعة مؤلمة « لتشرشل » خفف منها جـزئيا كرم « روزفلت » « ومارشال » عندما أمرا بأن تحول فورا ثلاثمائة دبابة شيرمان جديدة ، من الفرقة الامريكية المدرعة ، الى الشرق الاوسط • وكانت هذه الدبابات فيما بعد عاملا كبيرا على كسب معركة العلمين ، التى ردت اللطمة القاسية التى وجهها رومل فى الشهر السابق ، وكانت معركة طبرق قد أنزلت بقواته الالمـانية ٣٣٦٠ اصابة فقط ، أي ١٥ فى المـائة من مجموعها ، ولكن ٣٠٠ منها كانوا ضباطا ، أي سبعين فى المـائة من مجموعهم • وكان (رومل) قد انتقم لمعركة (الصليبية) ، ونال رتبة « مشير » ، وحقر الجيش الثامن (البريطانى) وسبب للحكومة البريطانية تصويتا بعدم الثقة فى مجلس العموم ، بعد اربعة أيام من المعركة •

دروس قاسية

لا يمكن لأحد ، حتى لقدماء محاربى الصحراء ، ممن اكتسوا بطبقة من الرمال ،الادعاء بأن المعارك التى وصفتها ، والتى تركزت حول طبرق فى المدة ما بين نوفمبر ١٩٤١ ويونيو ١٩٤٢ ، كانت نماذج للفن العسكرى ، ولكن القصة المحزنة لمعارك « الغزالة » ينبغى ألا تغطى على حقيقة ان معارك « الكروسيدر » كانت نصرا لا يستهان به ، لقد كان ذلك النصر حقاً غير مناسب ، وكان يمكن احرازه بخسائر أقل ، ولكن خسائر « روميل » كانت أعظم من خسائر « ريتشى » ، ثم تم اجلاؤها عن برقة ، الهدف الرئيسى للعملية • ورغم سرعة استعادته للنتوء ، الا أن طبرق تم تخليصها منه ، وظلت فى أيدى البريطانيين طيلة ستة أشهر • ولكن البريطانيين كانوا ، بالمقارنة مع أعدائهم من حيث النوعية والتجهيز والعدد ، فى معارك الغزالة أقوى مما كانوا عليه فى الكروسيدر • فلماذا خسروا الاولى بوضوح وبشكل مفجع ، وكسبوا الثانية ؟ لقد كان للحظ نصيب من ذلك ، وفى الوقت نفسه تبدو هنالك أسباب رئيسية ثلاثة لتلك النتيجة المحيرة •

أولها ، أن « روميل » كان بلا شك ، أكثر وثوقا وحصافة فى مزاولته للقيادة ، وتصرفه العام بالقوات فى الغزالة ، مما كان عليه فى الكروسيدر ، بعد أن خرج من المأزق الذى وقع فيه ، نتيجة لخطته السابقة المفرطة فى التفاؤل ، هذا بينما كان « كرويل » يبدو طيلة الوقت (فى الكروسيدر) قائدا أكثر تعقلا وواقعية ، والسبب الثانى هو أن القوات البريطانية التى كانت فى الكروسيدر ، تضم عناصر من جنوب أفريقيا واستراليا والكثير من المستعمرات الأخرى ، حاربت بحماس أكبر وتصميم أعظم ، وتحملت اصابات كثيرة ، باهتمام أقل مما كانت عليه فى معارك الغزالة ، حيث كانت القوات من نفس الوحدات ونفس النسبة من الرجال تقريبا ، ولهذا الاختلاف فى القتال تفسيران : أحدهما ، أن تجارب الكروسيدر ، والمصائب التى حلت جنوبى بنغازى فى يناير ، جعلت الرجال أكثر حذرا ، وثانيهما استبدال قدماء المحاربين النظاميين الاشداء ، الذين كانوا فى الايام الاولى ، بعدد كبير من

الجدد الذين يفتقرون للتجارب ، وممن ساء تدريبهم ، وأعتقد ان كلا التفسيرين صحيح وأن جيش الصحراء عانى من التأثيرين ، بحيث أثر كل واحد فى الآخر تأثيرا عكسيا ، أما السبب الثالث والاخير فهو ان الجيش الثامن دخل معارك الكروسيدر فى وضع استراتيجى سليم ، يستطيع منه تلقى لطمات كثيرة ، دون أن يكون لها تأثير خطير على توازنه العام ــ الذى ظل مسـتقرا ، كما قال المشير « منتوجمرى » • أما فى يناير ومايو ١٩٤٢ فلم يكن الوضع كذلك ، ففى يناير لم يُحسب للمخاطر حساب ، لاعتقاد خاطىء بأن « روملى » لم يكن قادرا على توجيه طعنة انتقامية خاطفة : أما فى مايو فقد كانت الصعاب ، والتناقضات فى الهدف ، المتسببة عن الضغط الداعى لشن هجوم معاكس من الغزالة ، كما بينا سابقا • وقد كانت نتيجة ذلك فرض خطط غير ملائمة للدفاع ، وحالما بدأت المعركة فقد المدافعون فعاليتهم خشية العجز عن تغطية القاعدة الامامية الكبيرة المعـرضة للخطر •

وكانت تلك هى الاسباب الرئيسية لاختلاف نتائج المعركتين أو سلسلتى المعارك ، وبالطبع وجدت عدة عوامل متشابهة ، لوجود تشابه بين كل الاعمال التى جرت فيهما ، وقد تركز الكثير من النقد على مصدرين رئيسيين للفشل ، الأول هو القادة ، والثانى هو النوعية النسبية للدبابات الالمـانية ، والبريطانية • كان القادة عمليا ، هم نفس القادة طيلة المدة ، ويمكن الآن ان يشعر المرء حيالهم بشىء من التعاطف ، دون الشك فى صواب رد فعل « أوشنليك » فى تلك الظروف •

وقد تعرض « ريتشى » لنقد شديد من عدة مصادر مختلفة • ولا شك أنه ارتكب ، كما فعل كل القادة فى أوقات ما ، بعض الاخطاء العظمى ، فى تقديره للموقف ، غير ان مشاكله لم تكن بسيطة • فقد كانت مصـادر معلوماته ، ووسائل نقلها شاذة ، وعرضـة لتأخير كبير • وكان لذلك تأثير سلبى كلما أراد نقل الأوامر وتنفيذها ، بناء على تلك المعلومات ، ولا شك ان مجـرى الحوادث كان يتأثر بالصـداقة القوية بين « جوت » و « نورى » ، وأن الثانى كان يبدى تقديرا عظيما لتجارب وآراء الاول • وكان الاثنان فى الوقت نفسه يعتقدان أن (ريتشى) يتأثر بشكل غير مناسب بصلته الشخصية مع « أوشنليك » واخلاصه له • وقد شعرا ان الكثير من الأوامر التى تلقياها كانت تصدر أصلا من القاهرة ، وتصلهما

دون تعديل كاف لمواجهة الحاجات العملية للوضع على الجبهة ، ولكثرة ما كانت الأوامر تبدو لهما مبنية على تقديرات للوضع لا تتصل بالحقائق ، تدعم ذلك الظن عندهما ، ومما قواه بشكل حاسم تأييد « ريتشى » لخطة (عملية بكشوت) ، وهى الهجوم الذى اقترح تنفيـذه فى يونيو ١٩٤٢ • والواضح بالتأكيد حتى مايو ١٩٤٢ ، وجود تبادل فى عدم الثقة بين القادة على كثير من المستويات • وكان سوء الثقة معقدا ، والكثير منه مبنيا على اختلافات فى منشأ التشكيلات المختلفة ، وكان هذا بذاته مصدرا اضافيا لتوليد الشك والتأخير داخل جهاز القيادة كله •

كان الانطباع السائد فى معارك الكروسيدر ، هو ان القيادة البريطانية كانت ـ رغم الاخفاق ـ تعمل بثقة أكبر من الالمـان • والواقع ان الالمـان كانوا فى بعض الأوقات ، يعتمدون على الاتصال اللاسلكى الوحيد ، والغير مستقر ، بين العقيد « وستفال » وبين فرقة ، أو أخرى من فرق المدرعات الالمـانية • ولكن الفرق والتناقض بين القيـادة الالمـانية والقيادة البريطانية أثناء كارثة يناير ، ومعارك الغزالة ، كان لصالح الاولى • فكانت قرارات « رومل » تتخذ بسرعة بناء على معلومات قريبة من الهدف ، وكانت خطته بسيطة ، وأوامره واضحة ، وتنفذ بسرعة ، باستثناء بعض الحالات ، وبتصميم ومهارة • ولكن أعداءه كانوا بالتأكيد على حال آخر • فكثيرا ما كانوا يتصرفون حسب معلومات مضللة ، أو تصل متأخرة • وعندما كانت تترجم الأوامر المبنية عليها الى أفعال ، يصبح المقصد الاصلى غير مناسب للتطبيق والتنفيذ ، ذلك لان الأوامر كانت تبدو حينها للذين يواجهون العدو لا تناسب الموقف فعليا • ولا يملك الانسان الا الاعجاب بالمزايا التى تمتع بها « رومل » ، فقد كان هو نفسه موجودا فى المنطقة الامامية ، وكانت التشكيلات تتناسب تماما مع أوامره ، فكان الفيلق الافريقى مع فرقة « آريت » المدرعة ، والفرقة التسعون المدرعة ، فى ارتباط دائم ، واندماج محكم ، وظلت ، بعكس الكروسيدر ، متماسكة بعد الاضطراب الذى واجهته فى اليومين الاولين • وكان تأثير « رومل » ، نتيجة لذلك ، يصل مباشرة الى ميدان القتال ، فى وقت قصير ، وعن قرب من المكان الذى يصدر فيه أوامره •

وقد كان بوسعه القيام بذلك ، لانه أولا ، كان يعتبر مؤخرته قليلة الأهمية • وقد أوكلت اليه مهمة عامة لتنفيذها ، ورفض الخضوع للاشراف التفصيلى ، وهذا

وضع يجسده عليه كل من « ريتشي وأوشنليك » •وهو ، ثانيا ، لم يكن ينوى اعطاء فرق المشاة الالمـان التابعة له أكثر من دور الدعم ، ولم يكن مضطرا لمنحها أكثر من انتباه عابر ، ورغم ان (ريتشى) كان يستطيع تبنى نفس الاتجاه ، لكنه كان مضطرا ، من حيث المبدأ ، لاعطاء التشكيلات المتنوعة القادمة من كافة أنحاء الامبراطورية ، اهتماما متساويا ، ولو ظاهريا • ولو طلب دعما مناسبا من سلاح الطيران الملكى ، لكان عليه أيضا التوافق مع حاجات هذه التشكيلات • أما موقع مقر رئاسته فكان يتحدد حسب حاجة قوات سلاح الصحراء ، وحسب اتصالاته مع القاهرة • ولا شك أنه ظل طيلة المعارك بعيدا جدا عن مراكز قيادة قواته وعن ميدان المعارك •

ولكنه عندما كان يحاول هو ، أو أحد قادته المساعدين ، تقليد « روما » ومنافسته فى توجيه المعركة من مركز قيادة تكتيكى متقدم ، لم يكن يصل لنتائج تفوق حظا محاولات روما نفسه فى الكروسيدر • وكانت أية مفرزة صـــغيرة سيئة الحماية تطوف دوما من مكان لآخر ، تجد صعوبة فى متابعة الموقف ، وكان من السهل تأخر أو ضياع جزء حيوى من المعلومات •

وكان من الملاحظ وجود اتجاه لدى القائد للتأثر بالمساعد الذى يربط نفسه به مؤقتا • وقد وضحت تجارب « مسيرفى » التعيسة فى معارك الغزالة الصعوبات التى يواجهها قائد فى الصحراء • فكان اذا بقى فى مقر قيادته يبتعد عن الأحداث ، واذا خرج منه اضطر لطلب الملجأ فى مكان ما • ورغم طول أيام يونيو ــ طويلة جدا بالنسبة للجندى الذى يجد فرصة راحته الوحيدة فى الليل ــ فيمكن ان تمضى دون انجاز الكثير • فبينما كان القــادة يتحركون من مكان لآخـــر ، ويعقدون المؤتمرات ، ينتهى اليوم دون اتمام شىء ؛ لان هذه الآمور كانت تستهلك فترات طويلة من النهار • وكانت الأيام تمضى على النحو التالى تقريباً :

« أول ضوء : تفض الوحدات معســكرها : فتتحرك السيارات المدرعة ، لتحديد موقع العدو • وتمضى ساعة أو ساعتان قبل اتضاح الفكرة عن مكان العدو هذا اليوم ، ويقوم قادة الفرق بزيارة قادة الألوية لمعرفة الوضع قبل العودة للقاء قائد الفيلق فى مكان يناسب الجميع ، وتضيع نحو ساعتين فى السفر ، ويقوم قائد الفيلق ، الذى ربما يرى قائد الجيش ، أو لا يراه ، بالتشاور مع قادة الفرق ،

وربما يصدر الأوامر . وحينها ينتصف النهار تقريبا ، ولا تحدث تغيرات كبرى فى التوزيع ، والانتشار قبل هذا الوقت ، وربما تتحرك الألوية المدرعة ، نتيجة للأوامر ، الى مناطق جديدة ، حيث يلتقى قائد الفرقة مع قائد اللواء ويخبره بما عليه ان يفعله ، ويمضى مزيد من الوقت فى النقاش ، ويستدعى قائد اللواء ا ضباط ويصدر لهم الأوامر ، ويتم اشعار الوحدات بالوضع ... الخ ... وحينها تصبح الساعة الرابعة بعد الظهر أو أكثر ، وعندما يُشن الهجوم يكون النهار قد أشرف على النهاية ويدرك كل شخص أنه لا يستطيع انجاز الكثير قبل حلول الظلام ، فلا يبذل شديد جهده » .

ربما تكون فى هذا مبالغة ، وصورة لأسوأ وضع ، ولكنه يمثل ما يشعر به المرء حينها ، وكيف يمضى النهار دون انجاز شيء . وقد كان ذلك ثمنا للتخلى عن الأخذ بزمام المبادرة ، وكان من الصعب استعادتها .

لم يكن القادة البريطانيون رجالا مثاليين ، ولم يكونوا أيضا أفضل أو أسوأ ممن سبقهم ، وقد واجهوا حربا جديدة تماما بالنسبة للجميع ، لم تفد فيها تجاربهم وتدريباتهم السابقة الا قليلا ، ولما كنت قد رأيت معظمهم ، وخدمت تحت قيادة من جاء بعدهم (وتحت قيادة « ريتشى » نفسه مرة أخرى فى شمال غربى أوروبا) ، فاننى مقتنع بصعوبة انجاز نتائج أفضل بكثير على أيدى من تلاهم فى القيادة ، والملاحظ فى النصف الثانى من الحرب تعقد مشاكل التخطيط ، بحيث أصبح من النادر وجود أي خطر لافساد خطة ما ، افسادا كاملا عن طريق عمل مفاجيء يقوم به العدو ، واذا حدثت أخطاء كانت نتائجها أقل فداحة ، وأقل وضوحا ، من ذى قبل ، ولو تم تعيين « مونتجمرى » قائدا للجيش الثامن فى وقت مبكر ، لرفض ولا شك قبول الأوضاع الشاذة التى سادت فى مايو ١٩٤٢ ، أما كونه يعمل لحلها أو يُنقل لاحتجاجه عليها ، فهذا أمر راجع للتخمين .

ولا شك أن التجارب والتدريبات أثبتت أنها مضللة ، لا تصلح للتطبيق فى كثير من الوجوه ، فقد وُجِدَ من العسكريين ، وخاصة فى فرق المشاة ، من يشعر بالاطمئنان فقط ، اذا خاض حربا ، ودخل عمليات تشابه تلك التى حدثت فى الحرب العالمية الاولى (والمراحل الأخيرة من الحرب العالمية الثانية) ، عندما كان الرجال يقفون صفوفا ملتحمة خلف نيران المدفعية ، سواء فى حالة الهجوم أم

الدفاع • ورغم وجود مناسبات كانت فيها هذه النوعيات من المعارك جوابا شافيا للمشاكل التكتيكية ، الا أنها كانت قليلة ، ومتناثرة ، وكانت عموما فادحة الثمن والتكاليف ، وقد كان القائد « جوت » بشكل خاص يمتلىء رعبا عندما يتذكر حرب الخنادق ، ويبذل جهده لتحاشيها • ولكن الأنصار المتطرفين للرأى المعاكس ، كانوا مسئولين عن الكثير من الفشل ، ان لم يكن عن فشل كثير جدا ، فقد كانوا يؤمنون بمبدأ الحركة والانتشار فى حد ذاته ، معتقدين ان تأثير ذلك على ذهن العدو هو العامل الحاسم ، وقد غذى هذا النوع من الحروب أسطورة (لورنس العرب) الذى كان يشبه عملياته بالحرب البحرية « فى تحركها وكليتها » ، وفى حرية قواعدها واتصالاتها ، وفى تجاهلها للظواهر الأرضية ، وفى مناطقها الاستراتيجية ، واتجاهاتها المحددة ، أو نقاطها المحددة ، ويقول لورنس مقتبسا عن فرانسيس بيكون : « ان الذى يسيطر على البحر يتحرك بحرية مطلقة ، ويمكنه توسيع الحرب ، أو تحديدها قدر ما يشاء » •

ويضيف لورنس : « وكذلك يكون حظ من يسيطر على الصحراء » •وقد وجدت هذه المدرسة دعما لها فى تعاليم رائدى الحركة والانتشار ، « فولر » و « ليدل هارت » • فقد كتب الثانى سنة ١٩٣٥ يقول : « ان مخاطر الهجوم الجوى ، وهدف الارباك ، والحاجة لجنى ثمار أفضل من الحركة الميكانيكية ، توحى لنا بأن القوات المتقدمة ، ينبغى ان توزع قدر المستطاع ، لا للانسجام فقط مع العمل المشترك ، بل وللانسجام مع الالتحام والتماسك ••• ويمكن ان ينجح انسياب القوة وتفرقها ، حيث يتحول التركيز الى جمود يعجز عن الحركة » • ولكن المشكلة كانت هي الحكم على « الانسجام » وتقديره • فالذين اعتقدوا بأن الحركة وحدها تستطيع تنفيذ قرار ما وانجازه ، كانوا يجدون لايمانهم مثلا أعلى فى حملات الصحراء الاولى ضد الايطاليين • فقد أصبح التوزع والانتشار على نطاق واسع ، الأمر الذى تم تبنيه أصلا لقلة العدد ، وللحد من التعرض للغارات الجوية ، والتحايل على صعوبة الاختفاء ، العلامة المميزة لقدماء المحاربين فى الصحراء والمحك الذى يكتشفون به مدى جدارة القادمين الجدد لحرب الصحراء • وظل الانتشار بشكل مبالغ فيه نظاما لا يرقى اليه الشك ، حتى بعد أن جعله الوضع الجوى أمراً لا ضرورة له ، مما كان له تأثير محطم على التكتيكات ومن المؤكد أن الألمان لم يزاولوا الانتشار بنفس الدرجة ، ورغم تعرضهم أحيانا

لخسائر فادحة من القصف الجوى ، الا أن التركيز التكتيكى فى ميدان المعركة كان يحقق لهم المكسب مرة بعد أخرى •

وكان تركيزهم يمضى بالتعاون التكتيكى بين كافة الاسلحة ، الأمر الذى اعتبر أفضل مما أنجزه البريطانيون بشكل عام ، وذلك لعدة أسباب : أحدها ، التنوع البشرى الكبير لمصادر تشكيلات الجيش الثامن ، بالاضافة للقرار الذى تبين الآن خطؤه ، وهو الاقتصار فى توزيع الدبابات على وحدات المملكة المتحدة وحدها • ومن الأسباب أيضا ضيق الأفق فى تفكير الجيش البريطانى الذى كان فى أوقات السلم لا يشهد عمليات عسكرية تشترك فيها الفرسان ، والدبابات ، والمشاة ، والرماة ، والمهندسون وغيرهم ، رغم أن الوضع كان أفضل فى مراكز الشرق الأوسط ، وخاصة فى القاهرة ، لقد كانت الفرص نادرة لالتقاء كل الاسلحة ، والعمل والتدريب معا ، والتفكير فى مشاكلها التكتيكية كمشاكل واحدة ، أما « رومل » فقد كان هو نفسه يدرس التكتيك ، وقد خدم فى أسلحة المدفعية والمشاة ، ولا شك ان الالمان ، من كل الرتب ، كانوا جنودا محترفين أكثر من البريطانيين ، وكانت معرفتهم ، واستخدامهم للأسلحة المتوفرة لديهم أفضل ، فى كافة الحالات تقريبا • وكان الالمان كذلك يتسمون بالعنف والمهارة والتصميم وحسن التنظيم ، وقد وصل بعض البريطانيين الى مستواهم ، وتفوقوا فى بعض الحالات ، الا أن جزءا كبيراً من قوات الجيش الثامن لم يصل اليه أبداً ، كما لم يصل اليه معظم الايطاليين • ولكن الخطأ اعتبار الايطاليين غير ذى وزن فى التوازن العسكرى ، والشاهد على ذلك تلك المعارك التى خاضتها فرقة « آريتى » المدرعة ، والحالات الفردية العديدة ، وخاصة فى « بير اسكيليل » •

ان من الخطورة ، والتضليل ، اعتبار قدرة « آريتى » فى أكثر من مناسبة على التصدى بنجاح لقوة الدروع البريطانية العالية ، دليلا على ان تدني نوعية الدبابات البريطانية كان ببساطة السبب فى كل حالات الفشل البريطانية •

لقد سبق ان ناقشنا فى الفصل الثانى النوعية والكمية النسبية لدبابات عند الجانبين فى بداية معارك «الكروسيدر» • واذا أردنا تقدير الوضع حينذاك بشكل عام ، ولو حاول أحد التقليل من شأن دبابات المشاة عموما ، لجاز لنا القول أن

الجانبين تعادلا نوعيا ، ولكن البريطانيين كانوا يحظون منها بعدد أكبر ، وخاصة لوجود احتياطى ، لتعويض خسائر المعركة • وقد عمل الالمـان على زيادة سمك دروع الجانب الامامى للبرج ، لا باثبات صفائح جديدة ، بل باجراء تعديل رسمى على الدبابة « العلامة ٣ » (هـ) ، ولحام صفائح أشد صلابة لمضاعفة الجانب الأمامى من صفيح البرج ، وبذا أصبح لدباباتهم ميزة على دبابتى (كروسيدر) و (ستيوارت) ، رغم بقـاء البرجين ، والمزايا الأخـرى معرضـة للخطـر ، كما كانت من قبل • ومن المستحيل معرفة عدد ما تم تحويره بهذا الشكل فى المدة ما بين بداية معارك «الكروسيدر» حتى نهاية يناير ١٩٤٢ ، ولكن المؤكد ان التحوير لم يشمل الغالبية من الدبابات • ولكن يمكن افتراض تحوير غالبية الدبابات السابقة حتى مايو ١٩٤٢ •

ومع ذلك ، لابد ان نضع فى الحسـاب وجود أعـداد كبيرة من دبابات « ماتيلدا » و « فالنتين » • ولكنهما كانتا بطيئتين ، لا يعتمد على الأولى منهما ، وكان مداهما قصيراً (رغم أنه أبعد من مدى ستيوارت) • وكان تصميمهما بغرض القيام بدور الدعم لهجمات المشاة يقلل من أهمية استخدامهما فى المهام الأخرى ، وخاصة مع طلب قادة المشاة توزيعها على الألوية توزيعا عادلا • واشتدت حدة هذا الطلب ، لأن الدبابات (المطوفة) استغلت وجود دبابات المشاة ذات السمك الأكبر ، كسبب تتعلل به كى لا يطلب منها ، بدرعها الأقل سـمكا ، الحضـور والتعرض للخطر بربط حركتها بحركة المشاة البطيئة • وفى هذا الخصوص وصفنا فى الفصل الأول التأثير المفجع لعملية «معركةالمحور» على خط معارك الكروسيدر •

وقد أعيد فرض العملية فى الكروسيدر ذاتها ، لوجود مصاعب كانت تصاحب الألوية المدرعة ، كلما غامرت بدخول منطقة الخنـدق المحيط بالموقع الدفاعى قـرب « سـيدى رزق » • ولم ينس أبداً المصير الذى لقيته كتيبة الدبابات الملكية السادسة فى ٢١ من نوفمبر •

من الواضح أن التجـربة ، كما يحـدث غالبا فى الحروب ، تبرز العيوب الموجودة ، فقد تبين أن الحاجة كانت تدعو لوجود قائد يمتاز بصفاء ذهنى كبير ، وتجربة واسعة ، لا فى تدريب الدبابات فقط ، بل وفى التكتيكات بشكل عام ، ويمتاز أيضا بالسلطة التى تخوله فرض قرارات ومفاهيم غير شائعة أو مشهورة

وأن يعى الحاجات الحقيقية لكل خطة ، وأن ينظم ثورة التفكير والعمل اللازمة ، وأن يطبقها فى ميدان المعركة •

كان يمكن لقائد مثل « فيفيان بوب » أن يفعل كل هذا ، ولكن موته قبل توليه قيادة قواته فى المعركة لم يترك خلفه أحداً يحمل هذا المزيج من المؤهلات والصفات ، وقد حاول البعض ذلك ، ولكنهم فشلوا جميعا فى تقدير أمر أو آخر •

كان من السخرية أن تصبح دبابة المشاة الامريكية التصميم ، « جرانت » (الهبة) ، هى التى تتصدى فى معارك الغزالة للدبابة الإلمانية « العلامة ٣ » (هـ) ، ولعدد صغير من « العلامة ٣ » (ج) ذات المدفع عيار ٥٠ ملم • ولو لم توجد دبابة (الهبة) لأصبحت الأعداد الكبيرة من الدبابة البريطانية (المطوفة) فى وضع سىء ، ولكن الوضع انقلب بوجودها ، فلم تكن الدبابة (الهبة) فقط صفائح دروع أمامية سميكة واقية من مدافع الدبابة « العلامة ٣ » (هـ) عيار ٥٠ ملم القصير المدى (٢٥٠ ياردة) ، ومدفع « العلامة ٣ » (ج) ٥٠ ملم البعيد المدى (١٠٠٠ ياردة) ، ولكنها أيضا كانت ذات مدفع عيار ٧٥ ملم يستطيع اختراق أسمك صفائح دبابة « العلامة ٣ » (هـ) ، و « العلامة ٣ » (ج) ، « والعلامة ٤ » ، على بعد ٨٥٠ ياردة • وقد صممت دبابة (الهبة) للعمل كدبابة دعم للمشاة ، لاطلاق قذائف شديدة الانفجار ، لذا كان لها الكثير من السلبيات التى عدلت بعد ذلك فى دبابة تشيرمان • ولكن الدبابة ، كما يتضح من التقارير البريطانية والالمانية ، عندما تستخدم عمليا فى بيئة مناسبة ، تصبح ، لأسباب لا تتعلق بالدبابات نفسها ، ذات قدرة تفوق كل الدبابات الالمانية •

عندما عقدت القيادة العليا مقارنة بين دبابات الجانبين فى بداية معارك الغزالة ، وجدت بالتأكيد أسبابا للثقة بأن الجيش الثامن يمتاز بتفوق عددى ونوعى على الدبابات الالمانية ، ولو أن اللواء الرابع دخل المعركة وهو على حالة استعداد فى ٢٧ من مايو ، بما عنده من حوالى تسعين دبابة (الهبة) ، وخمسين دبابة « ستيوارت » ، لمواجهة الفرقة الالمانية المدرعة الخامسة عشرة بما لديها من ١٠٨ دبابات « العلامة ٣ » (هـ) و ٤ دبابات « العلامة ٣ » (ج) ، و ٢٠ دبابة « العلامة ٤ » ، لكان الحظ فى جانبه ، حتى بدون مساعدة لواءى

(لومزدين) وكذلك لو أن هذين اللواءين ، بما فيهما من ٨٠ دبابة (الهبة) ، و ٢٠٠ دبابة « الكروسيدر » ، وزعا ضد الفرقة الألمانية الحادية والعشرين ، بما فيها من ١٠٥ دبابات « العلامة ٣ » (هـ) ، و ١٥ دبابة « العلامة ٣ » (ج) ، و ١٨ دبابة « العلامة ٤ » ، لكان التوازن فى صالح الجانب الاول أيضا ، ولتمكن « لومزدين » بتفوقه العددى من استغلال المدفع ٢ رطلا لخرق أبراج وجوانب ومؤخرات جميع الدبابات الالمانية ، ولكن ، وحتى مع استخدام دبابات (الهبة) الثمانين ، فان توزيعها على ست كتائب ، يعنى اشتباك كل واحدة منها فى ظروف غير ملائمة ولو أن خطة (نورى) وضعت موضع التنفيذ ، وتحمل اللواء المدرع الرابع واللواء المدرع الثانى والعشرون الثقل الاول لهجوم الفيلق الالمانى ، بينما خف اللواء الثانى لمساعدتهما ، لكان الموقف فى صالحهما ولا شك ، ولاستطاع « نورى » بما عنده من ٥٧٣ دبابة ، ١٦٧ (هبة) ، و ١٤٩ (ستيوارت) و ٢٥٧ (كروسيدر) ، الحاق الهزيمة بدبابات «رومل» المتوسطة الأربعمائة والسبع والخمسين،ومنها ٢٢٨دبابة ايطالية أدنى نوعية من ستيوارت والكروسيدر • والجدير بالذكر ، ان المائة والعشر دبابة « ماتيلدا » من اللواء الاول و ١١٦ دبابة فالنتين من اللواء ٣٢ لم تشترك فى الحرب أبداً وقد امتازت الدبابتان الأخيرتان بمناعتهما امام مدفع عيار ٥٠ ملم على بعد أكثر من ٥٠٠ ياردة ، وحتى أمام ذخيرة الالمان المعدة خصيصا للدبابتين ، وأمام المدفع البعيد المدى ٥٠ ملم ، على بعد أكثر من ألف ياردة • ففى هاتين المسافتين يمكن لمدفعيهما ٢ رطلا اختراق أبراج وجوانب الدبابات الالمانية ، ولكن دون القدرة على اختراق صفائح الدروع الالمانية المقواة • لذا لم يكن هنالك من سبب يجعلهما تخافان دبابات الالمان •

من الواضح تماما خلال هذه الفترة ان العدو الحقيقى للدبابات البريطانية ، هو المدفع الالمانى المضاد للدبابات « باك » ــ ٣٨ من عيار ٨٨ ملم ، و ٥٠ ملم ، والواضح من التقارير المفصلة المتيسرة ، ان هذين المدفعين كانا هما ، لا الدبابات المعادية ، المسئولين عن ضرب الدبابات البريطانية ، بينما من الواضح أيضا ان الدبابات البريطانية كانت فى كثير من المناسبات تضيع ذخيرتها ووقتها واهتمامها لمقارعة الدبابات الالمانية الخفيفة من نوع « العلامة ٢ » ، أو ناقلات الجنود نصف المجنزرة وعربات المدفعية • كانت هذه حقا أهدافا سهلة لدبابات الكروسيدر

وستيوارت ، وأيسر مواجهة من الدبابات الالمـانية التى كانت تتطلب بعداً أقصر ، ولكن ذلك لم يلحق بالعـدو كبير الضرر ، بل كان محولا للاهتمام عن الهدف الحقيقى ، واذا كان ضرب « العلامة ٢ » والناقلات والمدفعية يعتبر تدميراً لدبابات معادية ، فانه كان يؤدى لخلق صورة كاذبة عن خسائر العدو ، الأمر الذى كانت له نتائج سيئة فى معارك « الكروسيدر » .

ولم تكن المدافع الألمـانية المضادة للدبابات أفضل نوعية فقط ، حتى مجىء المدفع البريطانى ٦ رطل ، بل وكانت أيضا موزعة على كافة الاسلحة الالمـانية بشكل أفضل مما كان عليه توزيع المدافع البريطانية المضـادة ، وكانت القوات الالمـانية تصوب بجرأة أكبر ، وعدوانية أشد ، كأسلحة هجوميـة عند الجبهة الاماميـة لخط الحمـاية الخارجى وأمام الدبابات ، ورغم وجود أمثلة بريطانية مشـابهة ، وأمثلة كثيرة للبطولة القصـوى عند ادائها ، الا أنها كانت حالات استثنائية خارجة عن سياق القاعدة التكتيكية العامة ، وكان يستخدم فيها عادة المدفع المضاد للدبابات « بورتى » الشديد التعرض للخطر ، وغير المدرع . أما المدفع ٦ رطل فقد وصل بكميات قليلة ، وقبل معارك الغزالة بوقت قصير ، ووزع على كتائب المشاة المحمولة ، ووحـدات المدفعية المضـادة للدبابات فى الفرقتين المدرعتين ، ومن سوء الحظ ان التشكيلين المجهزين بهذه المدفعية بشكل أساسى ، وهما لواء « الحرس » الحادى والعشرون ، ولواء « موتور » السابع ، لم يشتبكا بشكل مباشر مع دبابات العدو سوى لحظات خاطفة من المعركة .

فقد كان الاول فى « نايتزبريدج » ، ورغم عمله ، كمحور مناورة للدروع ، فان دبابات العدو تجنبته تماما معظم الوقت ، وكان الثانى موزعا فى طوابير حول « بير هاشم » ، وذلك بعد انسحاب الاول الى موقعه فى « رتيمة » وفشله فى الدفاع عنه ، وكان أداء مدافع « الحرس » ٦ رطل فى المرحلة الاخيرة من الدفاع عن طبرق مخيبا للآمال ، تماما كما كان رد فعل رجال المدفعية المجربين من نفس اللواء عند وصول المدافع الثقيلة المضادة للطائرات ٣٫٧ بوصـة ، لاستخدامها كمدافع مضـادة للدبابات ، تقليدا للمدفع عيار ٨٨ ملم ، ويمكن تطبيق معظم ما وجـه من نقد لهـذا المـدفع على المـدفع عيـار ٨٨ ملم كما كان فى تلك الفترة وقبل حمله على عـربة مناسبة منخفضة مضـادة للدبابات ، وقد ذكرت قلة فرص التدريب وضعف الرؤية ، كأسباب لقلة فعاليـة هذا السـلاح العالى

٦ رطل ، وعدم تغلبه على المدفع الالمـانى ٥٠ ملم • وقد تبين فيما بعد ، مدى قدرة هذا المدفع عندما استخدمه لواء الرماة بقيادة « فيك تيرنر » فى عملية « الاصطياد » بمعارك العلمين •

وكان فى مدفعيـة الميدان ميزة أخـرى للألمـان ، وخاصـة فى معـارك « الكروسيدر » ، رغم ان العدد الاجمالى كان فى صالح البريطانيين ، وخاصة فى معارك « الغزالة » ، وتتمثل تلك الميزة فى وجود مجموعة مدفعية الجيش ، التى هى أصلا « لواء مدفعيـة جيش المدرعات رقم ١٠٤ » ، وكان هدف المجموعة مبدئيا العمل كسلسلة حصار ، لتدمير طبرق • ولم تكن فقط تضم مدافع من عيار أكبر ، ومدى أبعد من أي مدفعية بريطانية ، ولكن المجموعة نفسها وزعت على هيئة تشكيل مركز ، ينتقل من مكان لآخر ، حسب أوامر « رومل » ، لدعم العمليات الحساسة فى حينها ، وخاصة لدعم عمليات « فيلق أفريقيا » • أما فى الجيش الثامن البريطانى ، فقد وزعت المدفعية المتوسطة على الفيلقين ، ولم تجمع وتضم لخلق نيران مركزة وعنيفة • لقد كان لاتساع جبهة الغزالة واتساع توزيع الجيش الثامن ، وتركيز معظم القتال على الحدود بين الفيلقين ، تأثير منع من استخدام العدد الكبير الموجود من المدفعية استخداما فعالا ، ومنع وجود قيادة فعالة وحاسمة فى كل ميدان • فى معارك الغزالة وضعت مصادر « رومل » الأقل عددا ، من كافة أنواع الدبابات والمدفعية ، تحت اشرافه المباشر ، وتركزت فى ، « فيلق أفريقيا » أو قريبا منه وكان لهذا ميزة أثبتت أخيرا أنها حاسمة فى مفعولها •

لذا ، ورغم عدم وجود أسباب فنية أو نظرية محددة لهزيمة الجيش الثامن فى الغزالة ــ فالواقع ان التوازن كان لصالحه أكثر مما كان فى الكروسيدر ــ فقد وجدت نقاط ضعف متأصلة فى الجيش • واذا سلمنا بوجود هذه الأمور كما هى ، فهل كان من المرجح انهزام « ريتشى » بالضرورة ؟ بالتأكيد لا ، بل كان يمكن اعتبار المعركة فى صالحه حتى ١٢ من يونيو لذا كان يمكن ، باعادة التنظيم بشكل متطرف وواقعى ، وبسرعة ، منع هزيمة أخرى • وقد كانت بداية المعارك أفضل فترة مواتية « لريتشى » فقد كان « رومل » فى ٢٨ و ٢٩ من مايو شديد التعرض للخطر ، وكان معرضا كذلك بدرجة أقل حتى قضى على اللواء ١٥٠ فى « سيدى مفتاح » • وحينها ألح « رامسدين » بانفعال ، كى يسمح بمساعدة لوائه ، وكان

يمكن ركوب المخاطر بسهولة فى قطاع « بينار » وفى طبرق ، لتمكينه من القيام بذلك ، وكان يمكن لهجوم مركز تقوم به بقية الفرقة رقم ٥٠ ، مع دعم جميع دبابات المشاة وكل مدفع يمكن تدبيره ، مع قيام « نورى » فى الشرق بالضغط ، وحماية طريق العدم ، ان يؤتى بنتائج أفضل من المحاولات الفاشلة ، للتنسيق بين أعمال التشكيلات الهندية غير المجربة ، وألوية « لومسدين » المدرعة ، التى أصابها الذهول •

ان أهم ميزة تلفت النظر فى هذه المعارك ، هى عدم فعالية جميع الهجمات البريطانية تقريبا ، بعكس الكثير من الاعمال الدفاعية البطولية ، وخاصة من جانب مدافع ميدان « المدفعية الملكية » وأخواتها فى التشكيلات الاخرى ، والتى أصبحت أشد الدفاعات قوة وفعالية ضد الدبابات ، لاستخدامها المركز فى دعم الهجمات ، وقد خرج جنود الصحراء من تجاربهم المريرة مدركين حاجة الهجمات الناجحة للاستعداد الدقيق ، والتنسيق المعضل بين النيران ، وللحركة فى التنفيذ وكذلك يمكن لأفضل الخطط ان تتعطل تماما ، مع وجود حقول الألغام ، وكان من النادر توقع نجاح هجمات المشاة نهارا ، واتضح للجانبين عند نهاية المعارك فداحة ثمن هذه الهجمات • لقد أوضح « رومل » مرة أخرى فيما بعد ، بتقدمه السريع نحو العلمين ، امكانية وجود ظروف تستطيع فيها الحركة وحدها ، مع زيادة الارتباك « فى الجانب الآخر من التل » أن تكون حاسمة فى حد ذاتها ، ولكن اعتبار ذلك درسا زائفا لا يصلح تطبيقه على تكتيكات وأسلحة ميدان المعركة نفسها ، عندما يكون الطرفان جاهزين بقوتيهما ، جاء كدرس قاس للجيش الثامن ، وتعمق هذا الدرس أثناء القتال العنيف الذى جرى بعد ذلك فى العلمين ، حينما كان الجيش تحت قيادة « أوشنليك » فى يوليو ، ثم تحت قيادة « مونتجمرى » بعد ذلك وقد اكتشف الاثنان ان الطريق الى النصر ليست سهلة أو هينة •

●

هــذا الكتــاب :

معارك طبرق .. كتاب يتحدث عن اقتتـال جيوش المستعمرين من أجـل التوسع والسيطرة على العالم . ويرسم صورة لذلك الصراع المجنون، والعدوان من أجل تحقيق نصر زائف ... ذهب ضحيته آلاف الأبرياء من أبنـاء هـذه الارض ... بدون أن يكون لهم فى هذه الحرب مصلحة .

قد لا تهمنا هذه المعارك الضارية ، بقدر ما تهم المستعمرين ، ولكن الذى يهمنا هو أن نؤرخ لمواقع حربية قاست منها ارضنـا الويل والدمار ، وليعرف قراء هذا الجيل حجم ما قدمته أرضنا من ضحـايا ، لمجرد أنها كانت أرضـا مفتوحة ، لا تملك وسـائل الدفاع عن نفسها . فاستغلت من قبل الأجانب ، وأصبحت ضمن مـواقع حـروبهم التوسعية . فأصـابها ما أصـابها من قسوة الحديد والنار .

وادارة التوجيه المعنوى ـ اذ تقدم هـذا الكتاب ـ انما تقدمه كدراسـة تاريخية فقط .

حسن يوسف الكويشي

الثمن : ٦٠٠ درهم